

الْمَهْدِ
فِي عَلَوِّ الْقُرْآنِ

الْعَلَامَةِ مُحَمَّدٍ هَادِي مَعْرِفَةٍ

الجزء الثاني
الْقِرَاءَات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى محمد وآله الطاهرين



مصورات

حسين الخزايعي لعام 2012م

مدينة العلم والعلماء قم المقدسة



مؤسسة التمهيد

الجمهورية الإسلامية الإيرانية.
قم المقدسة. شارع انقلاب. فرع ١٨. رقم ٤٩
هاتف و فاكس: ٠٠٩٨/٢٥١/٧٧١٩٣٣٥

التمهيد في علوم القرآن

الجزء الثاني

العلامة محمد هادي معرفة

الطبعة الثانية من مؤسسة التمهيد

مزيدة ومنقحة

١٣٨٨ هـ ش، ١٤٢٩ هـ ق، ٢٠٠٩ م

الكفية: ١٠٠٠ نسخة

مطبعة ستاره

جميع الحقوق محفوظة

التوزيع:

منشورات ذوي القربى: قم المقدسة، شارع
إرم، بناية القدس التجارية، هاتف:

٠٠٩٨/٢٥١/٧٧٤٤٦٦٣

سعر الدورة: ٦٠٠٠٠ تومان

سرشناسه: معرفت، محمد هادي، ١٣٨٥-١٣٠٩.
عنوان و نام پديدآور: التمهيد في علوم القرآن / محمد هادي
معرفة؛

مشخصات نشر: قم: مؤسسة فرهنگي تمهيد، ١٣٨٥ =
٢٠٠٧ م = ١٣٨٥ هـ.

مشخصات ظاهري: ج ١.

شابک: دوره: ٩٧٨٩٦٤٩٠٥٩٦٢٤ ج ١: ٩٧٨٩٦٤٩٠٥٩٦٣١

ج ٢: ٩٧٨٩٦٤٩٠٥٩٦٤٨ ج ٣: ٩٧٨٩٦٤٩٠٥٩٦٥٥ ج ٤: ٩٧٨٩٦٤٩٠٥٩٦٦٢

ج ٥: ٩٧٨٩٦٤٩٠٥٩٦٦٩ ج ٦: ٩٧٨٩٦٤٩٠٥٩٦٨٦ ج ٧: ٩٧٨٩٦٤٩٠٥٩٦٩٣

ج ٨: ٩٧٨٦٠٠٥٠٧٩٠٠٥ ج ٩: ٩٧٨٦٠٠٥٠٧٩٠١٢ ج ١٠: ٩٧٨٦٠٠٥٠٧٩٠٢٩

وضعت فهرست نویسی: فيها

يادداشت: هري.

يادداشت: چاپ قبلي: حوزه علميه قم. مركز مديريت،

١٣٠٠ با عنوان "التمهيد: دراسات مبسطة عن مختلف شؤون

القرآن الكريم حرقت باسم علوم القرآن" به چاپ رسانده است.

يادداشت: کتابنامه.

عنوان ديگر: التمهيد: دراسات مبسطة عن مختلف شؤون

القرآن الكريم حرقت باسم علوم القرآن.

موضوع: قرآن -- علوم قرآني.

رده بندي كنكره: ١٣٨٥ ت ٨٠ م ٦٧ / ٥ / ٦٩ BP

رده بندي ديوي: ٢٩٧ / ١٥

شماره كتابشناسي ملي: ١١٣٣٥١٧

ISBN: 978-964-90596-4-8 (Vol.2)

ISBN: 978-964-90596-2-4 (Vol.SET)

المُهَيِّدُ فِي عُلُومِ الْقُرْآنِ

الْعَلَّامَةُ مُحَمَّدُ هَادِي مَعْرِفَتِي

الجزء الثاني

الْقِرَاءَات



AL-Shia electronic School

فهرس مواضيع الكتاب

القراءات في نشأتها الأولى.....	٩
عوامل نشوء الاختلاف	١٣
١- بدء الخط	١٣
٢- الخلو عن النقط	١٥
٣- التجريد عن الشكل	١٦
٤- إسقاط الألفات	١٧
٥- تأثير اللهجة	٢٠
٦- تحكيم الرأي والاجتهاد	٢٧
٧- غلو في الأدب	٣١
٨- شذوذ نفسي	٣٦
عوامل أخرى.....	٣٩
وقفة عند مسألة تواتر القراءات	٤٣
١- تصريحات أئمة الفن	٤٣
تحسسات عاطفية فارغة.....	٤٩
هفوة من عظيم	٥٧
٢- أدلة في وجه زاعمي التواتر.....	٥٩
مصطلح التواتر	٥٩
أسانيد تشريفة	٥٩

٦١	آحاد لا تواتر.....
٦٢	إنكارات على القراء.....
٦٦	قراءات شاذة من السبعة.....
٦٩	تعاليل وحجج اجتهادية.....
٧١	تناقض في القراءات.....
٧٤	القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان.....
٧٩	الأحرف السبعة والقراءات السبع.....
٨١	تلخيص البحث.....
٨٣	حديث الأحرف السبعة.....
٨٣	الحديث في روايات أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
٨٥	الحديث في روايات أهل السنة
٨٧	مناقشة إجمالية في مدلول الحديث.....
٩٤	أنواع اختلاف القراءات.....
١٠٣	القراءات وأثرها في التفسير والأحكام.....
١١٣	القراءات بين الصحة والشذوذ.....
١١٣	ضابط قبول القراءة.....
١١٥	تحقيق الأركان الثلاثة.....
١١٩	مناقشة هذه الأركان.....
١٣٤	اختيارنا في ضابط القبول.....
١٣٥	تواتر القرآن.....
١٤٢	ملاك صحة القراءة.....
١٥٢	دفاع مثلوم.....
١٥٨	القراءة المختارة.....
١٦٣	فذلكة البحث.....
١٦٣	نصوص ضافية.....

١٦٧	طبقات القراء
١٦٧	معاريف القراء طوال ثلاثة قرون
١٦٩	الطبقة الأولى
١٧٤	الطبقة الثانية
١٧٧	الطبقة الثالثة
١٨٢	الطبقة الرابعة
١٨٧	الطبقة الخامسة
١٩٠	الطبقة السادسة
١٩٤	الطبقة السابعة
١٩٧	الطبقة الثامنة
٢٠٥	تدوين القراءات المشهورة
٢٠٩	حصر القراءات في السبع
٢١١	استنكارات لموقف ابن مجاهد
٢١٦	القراء السبعة ورواتهم
٢١٩	ملحوظات قصيرة
٢٢١	حفص وقراءتنا الحاضرة
٢٢٦	صلة الشيعة بالقرآن الوثيقة
٢٢٩	مقارنة نموذجية بين قراءة حفص وقراءات تخالفها
٢٤٧	معجم طبقات القراء الكبار المترجمين في هذا الحقل
٢٥١	القراء المعروفون بالكنى أو الألقاب
٢٥٣	تجويد التلاوة
٢٥٦	فنون التجويد في كفة الفقهاء؟
٢٥٩	فنون التجويد في دور التدوين
٢٦٣	الناسخ والمنسوخ في القرآن
٢٦٧	التعريف بالنسخ

٢٦٨	حقيقة النسخ
٢٦٩	الفرق بين النسخ والبداء
٢٧٠	بهتان مفضوح
٢٧١	الفرق بين النسخ والتخصيص
٢٧٢	شروط النسخ
٢٧٥	صنوف النسخ في القرآن
٢٧٥	١ - نسخ الحكم والتلاوة معاً
٢٧٩	٢ - نسخ التلاوة دون الحكم
٢٨٣	٣ - نسخ الحكم دون التلاوة
٢٨٥	النسخ المشروط
٢٨٦	النسخ المتدرّج
٢٩١	شبهات حول النسخ في القرآن
٢٩٥	ملحوظة
٢٩٥	عرض آيات قيل بنسخها
٢٩٦	١ - آية النجوى
٢٩٧	٢ - آية عدد المقاتلين
٢٩٩	٣ - آية الإمتاع
٣٠١	٤ - آية جزاء الفحشاء
٣٠٢	٥ - آية التوارث بالإيمان
٣٠٣	٦ - آيات الصفح
٣٠٤	٧ - آيات المعاهدة
٣٠٦	٨ - تدريجية تشريع القتال
٣٠٧	قائمة المنسوخات
٣٧٧	جريدة الناسخ والمنسوخ في القرآن حسب تقرير القدامى
٣٩١	فهرس الآيات

القراءات في نشأتها الأولى

القراءة - وتعني وجهاً من احتمالات النص القرآني - مصطلح قديم يرجع عهدها إلى عهد الصحابة الأولين، حيث عمد جماعة من كبار صحابة رسول الله ﷺ بعد وفاته، إلى جمع القرآن في مصاحف؛ كعبدالله بن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل و المقداد بن الأسود وأضرابهم، وربما اختلفوا في ثبت النص أو في كيفية قراءته ومن ثم اختلفت مصاحف الصحابة الأولى، وكان كل قطر من أقطار البلاد الإسلامية تقرأ حسب المصحف الذي جمعه الصحابي النازل عندهم.

كان أهل الكوفة يقرؤون على قراءة ابن مسعود. وأهل البصرة على قراءة أبي موسى الأشعري. وأهل الشام على قراءة أبي بن كعب وهكذا حسبما تقدم تفصيله في الجزء الأول.

واستمر الحال إلى عهد عثمان، حيث تفاقم أمر الاختلاف، ففزع لذلك لفيف من نبهاء الأمة أمثال حذيفة بن اليمان، فأشاروا على عثمان أن يقوم بتوحيد المصاحف قبل أن يذهب كتاب الله عرضة الاختلاف والتمزيق.

فالذي كان من عثمان أن أمر جماعة بنسخ مصاحف موحدة وإرسالها إلى الأمصار وإلجاء المسلمين على قراءتها ونبذ ما سواها من مصاحف وقراءات أخرى.

لكن الجماعة الذين انتدبهم عثمان كانت تعوزهم كفاءة هذا الأمر الخطير، ومن ثم وقعت في نفس تلك المصاحف أخطاء إملائية ومناقضات وبعض الاختلاف، الأمر الذي أعاد على المسلمين اختلافهم في قراءة القرآن.

كان عثمان قد بعث مع كل مصحف من يُقرئ الناس على الثبت الموحد في تلك المصاحف - على حساب أنها موحدة - فبعث مع المصحف المكي عبدالله بن السائب، ومع الشامي المغيرة بن شهاب، ومع الكوفي أبا عبدالرحمان السلمي، ومع البصري عامر بن قيس... وهكذا.^١

وكان هؤلاء المبعوثون يُقرئون الناس في كل قطر على حسب المصحف المرسل إليهم. ومن ثم عاد محذور الاختلاف، نظراً لوجود اختلاف في ثبت تلك المصاحف^٢ مضافاً إلى عوامل أخرى ساعدت على هذا الاختلاف.^٣ فكان أهل كل قطر يلتزمون بما في مصحفهم من ثبت، ومن هنا نشأ اختلاف قراءة الأمصار، بدلا من اختلاف القراء، الذي كان قبل ذلك. كانت القراءة قبل هذا الحادث تنسب إلى جامعي المصاحف، أما الآن فتنسب إلى المصر الذي بعث إليه المصحف العثماني - غير الموحد تماماً - فكانوا يقولون: قراءة مكة، قراءة الشام، قراءة المدينة، قراءة الكوفة، قراءة البصرة، وهكذا.

ومن ثم فإن الغاية التي بُذلت من أجلها جهود، واثارت في سبيل تحقيقها ضجة جماعات كأصحاب عبدالله بن مسعود وغيره، لم تنجح تماماً، وبقيت عوامل التفرقة والاختلاف تتفشى مع طول الزمان. كل ذلك مغبة تساهل الخليفة في أمر توحيد المصاحف، ولم يأخذ بساق الجد في هكذا أمر خطير يمس ركيزة حياة المسلمين في طول تاريخهم الخالد. وقد لمس الخليفة نفسه هذا الخلل في المصحف الذي رُفع إليه^٤

١ - راجع: تهذيب الأسماء للنووي، ق ١، ص ٢٥٧؛ وشرح مورد الضمان للمارغني، ص ١٦.

٢ - تقدم تفصيل ذلك في الجزء الأول، «منجزات مشروع توحيد المصاحف».

٣ - سوف نشرحها في فصل قادم. ٤ - راجع: الجزء الأول، «منجزات مشروع توحيد المصاحف».

لكنّه لم يكثرث به وأبدى تساهله بشأن الإصلاح، الأمر الذي يؤخذ عليه شديداً. هذا فضلاً عن دلالة الأمر على عدم كفاءة الأشخاص الذين انتدبهم عثمان لهذا الأمر الجلل، وعدم جدارتهم للقيام بهكذا عمل خطير. ومع ذلك فإنّ الخليفة لم يُعِد النظر في أمر القرآن، ولعلّه كان تسرعاً في الأمر بلامبرر معقول.

يحدّثنا ابن أبي داود: أنّهم بعد ما أكملوا نسخ المصاحف، رفعوا إلى عثمان مصحفاً فنظر فيه فقال: قد أحسنتم وأجملتم، أرى فيه شيئاً من لحن، ستقيمه العرب بألسنتها. ثمّ قال: أما لو كان المملي من هذيل والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا.^١ ماندرى لم هذا التساهل بشأن كتاب الله العزيز الحميد!

ولعلّ معترضاً يقول: هب أنّ الخليفة عثمان تساهل بشأن الخلل الذي لمسه في مرسوم خطّ المصحف، فلماذا تساهل الخلفاء من بعده بهذا الشأن، ولاسيّما مثل الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي كان أعلم الصحابة بالقرآن وأحرصهم على حفظه وجمعه.

قلنا: سبق منّا الإجابة على ذلك، وأنّه لم يكن من مصلحة الأمة مساس القرآن بعد ذلك - بيد إصلاح قط. وإلّا لاتخذها أهل الأهواء والبدع ذريعة إلى تحريف القرآن والتلاعب بنصّه الكريم، بحجّة إصلاح خطئه، فكان يقع القرآن الكريم عرضة الأطماع والسياسات المتبدّلة حسب تطوّر الزمان.

وأوّل من أحسّ بهذا الخطر الرهيب، هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فقام في وجه هذا الباب وأغلقه غلقاً مع الأبد.

ذكروا أنّ رجلاً قرأ بمسمع الإمام عليه السلام «وَطَلَحَ مَنْضُودٍ»^٢ فجعل الإمام يترنّم لدى نفسه: ما شأن الطلح؟ إنّما هو طلع كما جاء في قوله تعالى: «وَالنَّخْلَ بَاسْقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ»^٣.

١ - المصاحف لابن أبي داود السجستاني، ص ٣٢-٣٣. ٢ - الواقعة ٥٦: ٢٩.

٣ - ق ٥٠: ١٠.

ولم يكن ذلك من الإمام اعتراضاً على القارئ ولادعوة إلى تغيير الكلمة، بل كان مجرد حديث نفس ترثم ﷺ به. لكن أناساً سمعوا كلامه، فهبوا يقترحون عليه: «أولا نحوله؟ فانبري الإمام مستغرباً هذا الاقتراح الخطير، وقال كلمته الخالدة: «لا يهاج القرآن اليوم ولا يحول»^١.

وأصبح موقف الإمام ﷺ هذا مرسوماً إسلامياً مع الأبد، لا يحقّ لمسلم أن يمدّ يد إصلاح إلى أخطاء القرآن، مهما كانت نيّته صادقة أم كاذبة، وبذلك حلّ القرآن الكريم وسط إطار من التحفظ الكامل على نصّه الأصيل، وسلم من التحريف والتبديل أبدياً. (ملحوظة): لأبي بكر بن الأنباري - هنا - تعليقة، أظنها قد فرطت منه لاشعورياً. قال - بعد أن نقل الحديث عن الإمام ﷺ - : «ومعنى هذا أنّه رجع إلى ما في المصحف وعلم أنّه الصواب وأبطل الذي كان فرط من قوله»^٢.

ولا شك أنّ مثل هذا الاحتمال بالنسبة إلى مثل الإمام ﷺ فضول ينمّ عن جهل قائله بموضع الإمام من القرآن الذي كان أعلم الصحابة بمواقع آي القرآن متى نزلت وأين نزلت وفيما نزلت.^٣ وكان يرى نور الوحي ويشمّ ريح النبوة. وقال له الرسول ﷺ: «إنّك تسمع ما أسمع وتري ما أرى إلّا أنّك لست بنبي»^٤ فكان باب مدينة علمه الذي منه يؤتى.^٥ ومن ثمّ كان الصحابة يرجعون إليه فيما أشكل عليهم ولا يرجع إلى أحد منهم.^٦ ينحدر عنه السيل ولا يرقى إليه الطير.^٧

أفي شأن مثل هذه الشخصية اللامعة في أفق العلم والإسلام يحتمل هكذا احتمالات

١ - جامع البيان، ج ٢٧، ص ١٠٤؛ ومجمع البيان، ج ٩، ص ٢١٨.

٢ - تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، ج ١٧، ص ٢٠٩؛ نقلاً عن كتابه «المصاحف» الذي وضعه للردّ على من خالف مصحف عثمان؛ انظر، الإنقان، ج ١، ص ١٨. ٣ - انظر: تفسير البرهان للبحراني، ج ١، ص ٤٠، ح ١٣.

٤ - نهج البلاغة، (الخطبة القاصعة)، ص ٣٠١.

٥ - المستدرک علی الصحیحین للحاکم، ج ٣، ص ١٢٦؛ قال: حديث صحيح الإسناد.

٦ - انظر، فضائل الخمسة للفيروزآبادي، ج ٢، ص ٢٧١-٣٠٨.

٧ - نهج البلاغة، (الخطبة الشقشقية)، ص ٤٨.

ساقطة؟! اللهم إلا أن يكون في قلوبهم مرض «فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ»^١ «فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»^٢.

عوامل نشوء الاختلاف

لا شك أن اختلاف مصاحف الأمصار كان أهم عوامل نشوء الاختلاف القرائي، كان أهل كل مصر ملتزمين بالقراءة وفق مصحفهم، وعلى أقرء مقرئهم الخاص. وهكذا قرأ ابن عامر - وهو مقرئ الشام - «جاءوا بالبيّنات وبالزُّبر»^٣ - بالباء - لأن مصحف الشام كان كذلك. وقرأ الباقون بغير باء.^٤

وقرأ نافع وابن عامر: «سارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ»^٥ - بلاواو - لأن مصحف المدينة ومصحف الشام كانا خلواً عنها، ونافع مدني وابن عامر شامي. وقرأ الباقون بالواو، لأن مصاحفهم كانت مشتملة عليها.^٦

وهناك - أيضاً - عوامل أخرى ساعدت على هذا الاختلاف، نذكر منها ما يلي:

١ - بداءة الخطّ

كان الخطّ عند العرب آنذاك في مرحلة بدائية، ومن ثمّ لم تستحكم أصوله ولم تتعرف العرب إلى فنونه والإتقان من رسمه وكتابته الصحيحة. وكثيراً ما كانت الكلمة تكتب على غير قياس النطق بها، ولأزال بقي شيء من ذلك في رسم الخطّ الراهن. كانوا يكتبون الكلمة وفيها تشابه واحتمال وجوه، فالنون الأخيرة كانت تكتب بشكل لا يفترق عن الراء، وكذا الواو عن الياء. وربما كتبوا الميم الأخيرة على شكل الواو. والدال على صورة الكاف الكوفيّة. والعين الوسط كالهاء. كما ربّما كانوا يفكّكون بين حروف كلمة

٢ - الحج ٢٢: ٤٦.

١ - محمد ٤٧: ٢٣.

٣ - آل عمران ٣: ١٨٤.

٤ - الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج ١، ص ٣٧٠؛ ومجمع البيان، ج ٢، ص ٥٤٨.

٦ - الكشف، ج ١، ص ٣٥٦؛ والتحرير، ص ٩٩.

٥ - آل عمران ٣: ١٣٣.

واحدة، فيكتبون الياء منفصلة عنها، كما في «يستحي ي» و«نحي ي» و«أحي ي» أو يحذفونها رأساً كما في «إيلافهم» كتبوها «الإلفهم» بلاياء. الأمر الذي أشكل على بعض القراء فقرأها وفق الرسم بلاياء، قرأ ذلك أبو جعفر^١ فقد قرأ «ليلاف قريش» بحذف الهمزة وإثبات الياء. و«الإلفهم رَحَلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ»^٢ بإثبات الهمزة وحذف الياء. وقرأ ابن فليح «ألفهم» بالهمز وسكون اللام. وهكذا اختلف القراء في هذه الكلمة اختلافاً غريباً، من جرّاء عدم ضبط الكلمة في مرسوم الخط تماماً.

وربما رسموا التنوين نوناً في الكلمة،^٣ كما كتبوا النون ألفاً في كثير من المواضع، منها: «لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ»^٤ و«لَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاعِرِينَ»^٥ وهاتان النونان نون تأكيد خفيفة كتبوها بآلف التنوين: «وَإِذَا لَا تَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا»^٦ كتبوا «إِذَا» بدل «إِذَنْ» تشبيهاً بالتنوين المنصوب.^٧

وهكذا حذفوا واوات أوياءات بلاسبب معقول، فكان من أهم عوامل الإيهام والإشكال في القراءة بل في التفسير أيضاً، كما في قوله تعالى: «وصالحوا المؤمنين»^٨ فلم يكتبوا الواو هكذا: «وصالح المؤمنين» ومن ثم وقع الاشتباه أنه مفرد أريد به الجنس أو جمع مضاف.^٩

وحذفوا الألف من «عاداً الأولى» هكذا: «عاد الأولى» فربما اشتبه مشتبه أنه فعل أو اسم^{١٠} وزادوا ألفاً في «جاءنا»^{١١} هكذا: «جاءنا» والكلمة مفردة فربما ظنّها الجاهل مثني.^{١٢} كما رسموا ألفاً بعد كثير من واوات زعموهن واوات جمع، وعلى العكس حذفوا

١ - مجمع البيان، ج ١٠، ص ٥٤٤؛ وشرح مورد الضمان، ص ١٤٣.

٢ - قريش ١٠٦، ٢-١. ٣ - كما في «كأين»؛ شرح مورد الضمان، ص ١٨٦.

٤ - العلق ٩٦: ١٥. ٥ - يوسف ١٢: ٣٢.

٦ - النساء ٤: ٦٧. ٧ - شرح مورد الضمان، ص ١٨٦.

٨ - التحريم ٦٦: ٤.

٩ - راجع: مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣١٦؛ وشرح مورد الضمان، ص ٤٧.

١٠ - النجم ٥٣: ٥٠؛ راجع: شرح مورد الضمان، ص ١٢٥.

١١ - الزخرف ٤٣: ٣٨. ١٢ - شرح مورد الضمان، ص ١٢٨.

كثيراً من ألفات واو الجمع. فمن الأوّل قوله: «إِنَّمَا اشْكُوا بَنِيَّ». و«فلا يربوا». و«نبلوا اخباركم». و«ماتلوا الشياطين». و من الثاني قوله: «فأَوْ». و«جاؤْ». و«فباؤْ». و«تبوؤْ الدار». و«سعو». و«عتو» وغير ذلك كثير.

ومن ثمّ ربما كان الأوائل يتّهمون كتبة المصاحف فيرون الصحيح غير ما كتبوه، كما روي عن ابن عباس أنّه قرأ «وَوَصَّى رَبُّكَ آلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ»^١ فقليل له: إنّهُ في المصحف «وَقَضَى رَبُّكَ». فقال: التصقت إحدى الواوين فقرأه الناس: «وقضى». ولو نزلت على القضاء ما أشرك به أحد.

وفي لفظ ابن أشتة: استمد الكاتب مداداً كثيراً فالتزقت الواو بالصاد.^٢ وروي أيضاً عنه أنّه قرأ «أَفَلَمْ يَتَّبِعِ الَّذِينَ آمَنُوا»^٣ فقليل له: في المصحف «أَفَلَمْ يَيَّاس» فقال: أظنّ الكاتب كتبها وهو ناعس.^٤

وقد صحّح ابن حجر إسناده هذه الروايات.^٥ لكن الصحيح عندنا - على فرض صحّة الإسناد - أنّها مؤوّلَةٌ إلى غير ما يبدو من ظاهرها. وقد مرّ منّا الكلام حولها في الجزء الأوّل.^٦

٢ - الخلو عن النقط

كان الحرف المعجم يكتب كالحرف المهمل بلا نقط مائزة بين الإعجام والإهمال. فلا يفرّق بين السين والشين في الكتابة. ولا بين العين والغين أو الراء والزاي، والباء والتاء والثاء والياء. أو الفاء عن القاف أو الجيم والحاء والخاء. والذال عن الذال أو الصاد عن الضاد أو الطاء عن الظاء: فكان على القارئ نفسه أن يميّز بحسب القرائن الموجودة أنّها باء أو ياء. جيم أو حاء وهكذا.

١ - الإسراء ١٧: ٢٣.

٢ - الإتيقان، ج ٢، ص ٢٧٥؛ والدر المنثور للسيوطي، ج ٤، ص ١٧٠.

٣ - الرعد ١٣: ٣١. ٤ - جامع البيان، ج ١٣، ص ١٠٤؛ الإتيقان، ج ٢، ص ٢٧٥.

٦ - «مخالفات في رسم الخط» رقم ٦.

٥ - فتح الباري، ج ٨، ص ٢٨٢-٢٨٣.

من ذلك قراءة الكسائي: «إِنْ جَاءَ كُمْ فَاسِقٌ بَنَبًا فَتَبَيَّنُوا».^١ وقرأ الباقون: «فَتَبَيَّنُوا».^٢
 وقرأ ابن عامر والكوفيون: «نُشِرْهَا».^٣ وقرأ الباقون: «نُشِرْهَا».^٣
 وقرأ ابن عامر وحفص: «وَيَكْفُرُ عَنْكُمْ».^٤ وقرأ الباقون: «نُكْفَرُ».^٤
 وقرأ ابن السَّمِيعِ: «فَالْيَوْمَ نُنْحِيكَ بَدَنِكَ»: والباقيون: «نُنَجِّيكَ».^٥
 وقرأ الكوفيون غير عاصم: «لَثَوِينِهِمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا».^٦ والباقيون: «لَثَبُونَهُمْ» وأمثلة
 هذا النوع كثيرة جداً.^٧

٣- التجريد عن الشكل

كانت الكلمة تكتب عارية عن علائم الحركات القياسية في وزنها وفي إعرابها. وربما يختار القارئ في وزن الكلمة وفي حركتها فيما إذا كانت الكلمة محتملة لوجوه، مثلاً لم يكن يدري «اعلم» أمر أم فعل مضارع متكلم. فقد قرأ حمزة والكسائي: «قَالَ اَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^٨ بصيغة الأمر. وقرأ الباقون بصيغة المتكلم.^٩ كما قرأ نافع قوله تعالى: «وَلَا تَسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ»^{١٠} بصيغة النهي. وقرأ الباقون بصيغة المضارع المجهول.^{١١} وقرأ حمزة والكسائي: «وَمَنْ يَطَّوْعُ»^{١٢} بالياء وتشديد الطاء، مضارعاً مجزوماً. وقرأ الباقون بالتاء وفتح الطاء ماضياً^{١٣} إلى غير ذلك من الشواهد المتوفرة في المصحف الأول.

١ - الحجرات ٤٩: ٦. ٢ - المكرر، لأبي حفص الأنصاري، ص ١٤١.

٣ - البقرة ٢: ٢٥٩؛ راجع: الكشف، ج ١، ص ٣١٠. ٤ - البقرة ٢: ٢٧١؛ راجع: الكشف، ج ١، ص ٣١٦.

٥ - يونس ١٠: ٩٢؛ راجع: مجمع البيان، ج ٥، ص ١٣٠؛ وتفسير القرطبي، ج ٨، ص ٣٧٩.

٦ - العنكبوت ٢٩: ٥٨. ٧ - مجمع البيان، ج ٨، ص ٢٩٠.

٨ - البقرة ٢: ٢٥٩. ٩ - الكشف، ج ١، ص ٣١٢.

١٠ - البقرة ٢: ١١٩. ١١ - الكشف، ج ١، ص ٢٦٢.

١٢ - البقرة ٢: ١٥٨. ١٣ - الكشف، ج ١، ص ٢٦٩.

قال ابن أبي هاشم: إنَّ السبب في اختلاف القراءات السبع وغيرها، أنَّ الجهات التي وجَّهَتْ إليها المصاحف كان بها من الصحابة من حمل عنه أهل تلك الجهة. وكانت المصاحف خالية من النقط والشكل... قال: فمن ثمَّ نشأ الاختلاف بين قرّاء الأمصار. وقال سيّدنا الأستاذ الإمام الخوئي رحمته: إنَّ القراءات لم يتّضح كونها رواية فلعلّها اجتهادات من القرّاء. وتؤيّد هذا الاحتمال تصريحات بعض الأعلام بذلك، بل إذا لاحظنا السبب الذي من أجله اختلف القرّاء في قراءاتهم، وهو خلوّ المصاحف المرسلة إلى الجهات من النقط والشكل، فإنّه يقوى هذا الاحتمال.^١

٤ - إسقاط الألفات

كان الخطّ العربيّ الكوفيّ منحدرًا عن خطّ السريان،^٢ وكانوا لا يكتبون الألفات الممدودة في ثنايا الكلم،^٣ وقد كتبوا القرآن بالخطّ الكوفي على نفس المنهج. الأمر الذي أوقع الاشتباه في كثير من الكلمات. فقد قرأ نافع وأبو عمرو وابن كثير: «وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ»^٤ نظراً لأنَّ «يُخَادِعُونَ» في صدر الآية قد كتبت بلا ألف فزعموها من باب واحد.^٥

وهكذا كتبوا «وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ»^٦ - وحرم - بلا الف، ومن ثمَّ قرأ حمزة والكسائي وشعبة: «وحرم» بكسر الحاء وسكون الراء.^٧ وقرأ الكوفيون: «أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مَهْدًا»^٨ بدل «مهاداً» لأنّها كتبت في المصحف بلا ألف.^٩

١ - التبيان، ص ٨٦؛ والبيان في تفسير القرآن، ١٨٠-١٨١.

٢ - المصدر.

٣ - راجع: التهميد، ج ١، «نشأة الخطّ العربي».

٤ - البقرة ٢: ٩.

٥ - الكشف، ج ١، ص ٢٢٤؛ ومجمع البيان، ج ١، ص ٤٦.

٦ - الأنبياء ٢١: ٩٥.

٧ - شرح مورد الضمان، ص ١٢٦.

٨ - النبأ ٧٨: ٦.

٩ - شرح مورد الضمان، ص ١٢٧.

وقرأ أبو جعفر والبصريون: «وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»^١ في سورة البقرة وفي الأعراف وطه بلا ألف، لأنها هكذا كتبت. وقرأ الباقون «وَإِذْ وَاعَدْنَا»^٢.
 وقرأ أبو عمرو وابن كثير: «بَلِ ادْرُكْ». وقرأ الباقون: «بَلِ ادْرَاكْ عَلِمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ»^٣
 وسبب الاختلاف أنها كتبت في المصحف بلا ألف، فقرأ كل حسب نظره فيما رآه مناسباً.^٤
 وقرأ نافع: «فِي غِيَابَاتِ الْجُبِّ»^٥. وقرأ الباقون: «فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ»^٦ نظراً لأن المصحف كان مجرداً عن الألف هكذا: «غَيِّتِ»، فاجتهد نافع فزعمه جمعاً. واجتهد الآخرون فزعموه مفرداً. والمفروض أن رسم المصحف كان خلواً من الألف مع مدّ التاء مطلقاً غالباً، ومن ثمّ هذا الاشتباه والاختلاف.

تلك وأشباهها عوامل أوليّة لالتباس قراءة النصّ، وكان فاقداً لأيّ علامة مائزة، وخالياً من النقط والشكل، ومشوشاً في رسم خطّه بحذف أو زيادة، فكان ذلك لامحالة موجباً للتشويش على القارئ، فلم يكن يدرى - مثلاً - أن قوله تعالى: «لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً»^٧ أنها بالفاء أو بالقاف. أو أن قوله: «تَبَلَّوْا»^٨ أنها «تتلو» بتاء ين، أو «تتلو» بنون ثمّ تاء، أو «يتلو» بياء ثمّ تاء. أو أن قوله: «يعلمه» أنها «نعلمه» أو «تعلمه» أو «بعلمه».

أضف إلى ذلك بعض الزيادات المخلّة بالمقصود، إذ لم يكن القارئ عارفاً بأصل النصّ من سماع خارج. كما في قوله: «لَا عَذْبَنَّةُ عَذَاباً شَدِيداً أَوْ لَا أَذْبَحْتَهُ»^٩ فزادوا ألفاً أثناء كلمة واحدة^{١٠} «لَا أَذْبَحْتَهُ»، فربّما يحسب القارئ الجاهل بالواقع أنها «لا» النافية، في حين أنها لام تأكيد، والهمزة حرف المتكلم والألف زائدة.

٢ - مجمع البيان، ج ١، ص ١٠٨.

١ - البقرة ٢: ٥١.

٤ - الكشف، ج ٢، ص ١٦٤.

٣ - النمل ٢٧: ٦٦.

٦ - الكشف، ج ٢، ص ٥.

٥ - يوسف ١٢: ١٠.

٨ - يونس ١٠: ٣٠.

٧ - يونس ١٠: ٩٢.

١٠ - شرح مورد الضمان، ص ١٨١.

٩ - النمل ٢٧: ٢١.

وكذلك كلمة «لشأى»^١ في قوله: «وَلَا تَقُولَنَّ لِّشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا»^٢ زادوا بين الشين والياء ألفاً لا عن سبب معقول. وكلمة «تَأَيَّسُوا» في قوله «وَلَا تَيَّأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَّأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ»^٣ زادوا ألفاً بعد حرف المضارع والفعل في الموضعين «تَأَيَّسُوا» «يَأَيَّسُ» بلا موجب.^٤

وعلى أيّ تقدير فإنّ عدم انتظام خطّ المصحف الأوّل كان أوّل عامل في نشوء اختلاف قراءة القرآن.

كان على القارئ نفسه أن يختار نوع الحرف والشكل وتمييز الكلمة في حركتها القياسية ونوعية إعرابها، فضلاً عن إعجامها وتشكيلها، حسب ما يبدو له من قرائن وأحوال وشواهد ونظائر، ومناسبة المعنى واللفظ، فكان عليه - لامحالة - أن يلاحظ جميع هذه الملاحظات ثمّ يختار القراءة التي يراها وفق الاعتبار الصحيح في نظره.

ولاشكّ أنّ المذاويق والسلائق، وكذلك الأنظار والدلائل تختلف حسب عقليّات الأشخاص وسابقة إلمامهم بالأمر، ومبلغ ممارستهم للموضوع، ومن ثمّ وقع الاختلاف في قراءة القرآن حسب تفاوت الاجتهادات النظرية، فقد استند كلّ قارئ إلى علل وحجج ربّما تختلف عن حجج الآخرين.

وقد صنّف كثير من العلماء في مستندات القراءات المختلفة وذكروا عللها وحججها، منهم: أبو علي الحسن بن أحمد الفارسيّ في كتابه «الحجّة في علل القراءات السبع». ومنهم أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسيّ، في كتابه «الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها» وسنذكر نماذج من كلامهما. والتصنيف في تعليل القراءات كثير.

هذا... وأمّا الرواية أو السماع من الشيخ فلم يكن ينضبط تماماً إذا كانت تعتمد على مجرد الحفظ، ومن غير أنّ تتقيّد بالثبت في سجلّات خاصّة، أو في نفس المصحف الشريف برسم علائم - مثلاً - فلامحالة كان يقع فيها خلط أو اشتباه كثير، لاسيّما إذا طالت

٢ - الكهف ١٨: ٢٣.

١ - المصدر، ص ١٨٣.

٤ - شرح مورد الضمان، ص ١٨٣.

٢ - يوسف ١٢: ٧٨.

الفترة بين الشيخ الأول والقارئ الأخير.

تلك أهم أسباب الاختلاف في القراءات مضافة إلى اجتهادات نظريّة واعتبارات كان القارئ يلاحظها ويستند إليها في قراءته. وسنفصل هذا الجانب في الفصل التالي.

٥ - تأثير اللهجة

لا شك أن كل أمة - وإن كانت ذات لغة واحدة - فإن لهجاتها تختلف حسب تعدّد القبائل والأفخاذ المنشعبة منها. وهكذا كانت القبائل العربيّة تختلف مع بعضها في اللهجة وفي التعبير والأداء.

من ذلك اختلافهم في الحركات، مثل «نستعين» - بفتح النون وكسرها - قال الفراء: هي مفتوحة في لغة قيس وأسد. وغيرهم يقولونها بكسر النون.^١

قال ابن جنّي: قرأ أهل البادية: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» مضمومة الدال واللام، ورواها لي بعض أصحابنا قراءة لإبراهيم بن أبي علبة: «الْحَمْدُ لِلَّهِ» مكسورتين.^٢

واختلافهم في الحركة والسكون، مثل قولهم: معكم - بفتح العين - ومعكم - بسكونها - قال الشاعر:

وَمَنْ يَتَّقُ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَهُ ورزقُ الله مُؤْتَابٌ وغادي^٣

واختلافهم في إبدال الحروف، نحو: أولئك وألالك أنشد الفراء:

أَلَا لِكَ قَوْمِي لَمْ يَكُونُوا أَشَابَةً وهل يعط الضِّلِيلُ إِلَّا أَلَا لِكَ^٤

واختلافهم في الهمز والتلحين، نحو مستهزئون ومستهزون.

واختلافهم في التقديم والتأخير، قال المبرّد: تقول العرب: صاعقة وصواعق وهو

مذهب أهل الحجاز، وبه نزل القرآن. وبنو تميم يقولون: صاقعة وصواقع.^٥

١ - انظر، المزهر للسيوطي، ج ١، ٢٥٥؛ والصاحبي، ص ٤٨؛ وكتاب سيويه، ج ٢، ص ٣٠٦.

٢ - المحتسب لابن جنّي، ج ١، ص ١١٠. ٣ - أورده في لسان العرب، ج ١، ص ٢١٨، مادة «أوب».

٤ - الصاحبي لأحمد بن فارس، ص ٤٨. ٥ - الكامل للمبرّد، ج ٢، ص ١٩٨، باب ٥١.

واختلافهم في الإثبات والحذف، نحو استحييت واستحييت. أو تبديل حرف صحيح معتلًا، نحو أمّا زيد وأيّما زيد.^١

واختلافهم في الإمالة والتفخيم في مثل قضى ورمى. واختلافهم في تحريك الحرف الساكن بالكسر أو الضم، فيقولون: اشتروا الضلالة - بكسر الواو وضمّها.

واختلافهم في التذكير والتأنيث، فإنّ من العرب من يقول: هذه البقر. ومنهم من يقول: هذا البقر. وهذه النخيل وهذا النخيل.

واختلافهم في الإدغام، نحو: مهتدون ومهّدون - بتشديد الدال في الثانية - واختلافهم في الإعراب، نحو: مازيد قائماً، ومازيد قائم فإنّ «ما» عند تميم غير عاملة. وعند الحجازيين عاملة عمل ليس.

وكذا قولهم: إنّ هذين. وإنّ هذان. وهي بالالف لغة لبني الحارث بن كعب، يقولون في كلّ ياء ساكنة انفتح ما قبلها ذلك، ومن ذلك قول قائلهم - هوّبر الحارثي^٢:

تزوّد منا بين أذنائه طعنة
دعته إلى هابي التراب عقيم

وعلّل بعض أهل الأدب ذلك تعليلاً يستدعي الإطراد.^٣

واختلافهم في صورة الجمع، نحو: أسرى وأسارى.

واختلافهم في التحقيق - أي المبالغة في إظهار الحرف أو حركته - والاختلاس، نحو: «يأمرُكم»^٤ فحقّق ضمّة الراء بعضهم واختلسها بعض آخر. ونحو: «فَنُ عُنِي لَهُ»^٥ فحقّق كسرة الفاء بعض واختلسها آخر.

واختلافهم في الوقف على هاء التأنيث، مثل: هذه أُمَّة - بالوقف هاء - وأُمَّت - بالوقف على تاء ساكنة.

١ - الصاحبى، ص ٤٩.

٢ - نسبة إليه في لسان العرب، ج ١٥، ص ٣٥١، مادة «هبا»: غير أنّه روى بين أذنيه.

٤ - البقرة ٢: ٦٧.

٣ - راجع: الصاحبى، ص ٤٩ - ٥٠.

٥ - البقرة ٢: ١٧٨.

واختلافهم في الإشباع إلى حدّ توليد حرف، نحو: «انظور» في «انظر» أنشد الفراء:
 الله يعلم أنا في تلفتنا يوم الفراق إلى جيراننا صور
 وأني حيث ما يثني الهوى بصري من حيث ما سلکوا أدنو فأنظور
 قال أبو الحسين أحمد بن فارس: كلّ هذه اللغات مسمّاة منسوبة إلى أصحابها، لكن
 هذا موضع اختصار، وهي وإن كانت لقوم دون قوم، فإنّها لمّا انتشرت تعاورها الكلّ. أي
 لم تكن غريبة بحيث تخلّ بفصاحة القرآن!

ومن ذلك أيضاً مبالغتهم في إظهار الهمزة المفتوحة فتبدّل إلى العين، وهي لغة
 دارجة في تميم وبني قيس بن عيلان - كما قال الفراء - وتسمّى «عننة تميم» فيقولون:
 «أشهد عنك رسول الله». قال ذو الرمة:

أعن ترسمت من خرقاء منزلةً ماء الصبابة من عينيك مسجوم

أراد «أن». وذو الرمة شاعر إسلامي بدويّ مجيد.

لكنّها لغة مذمومة، ومن ثمّ قال أحمد بن فارس - بصدد الإشادة بلغة قريش -:
 ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عننة تميم، ولا عجر فيّة قيس، ولا كشكشة أسد، ولا
 كسكسة ربيعة، ولا الكسر الذي تسمعه من أسد وقيس، مثل: تعلمون ونعلم - بكسر التاء
 والنون - ومثل: شعير وبجير - بكسر الشين والباء.^٢

كما أنّ بعض العرب كانت تنبر بالياء أو الواو، أي تبدّلها همزة، وسمّاهم سيبويه
 «أهل التحقيق» يريد: المبالغين في إظهار الحرف. وقال: هي لغة رديئة وقد نهى النبي ﷺ
 عنها. قال رجل للنبي: يا نبي الله. فقال: لا تنبر باسمي. وفي رواية: إنّنا معشر قريش
 لا ننبر.^٣

قال سيبويه: بلغنا أنّ قوماً من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحقّقون نبيء وبريئة

١ - الصحابي: ص ٥٠ - ٥١. ٢ - الصحابي، ص ٥٣؛ والمرشد الوجيز، ص ١٠١.

٣ - النهاية لابن الأثير، ج ٥، ص ٧؛ ولسان العرب، ج ٥، ص ١٨٩؛ مادة «نبر».

(بريئة) وذلك قليل رديء.^١

ولمّا حجّ المهدي، قدم المدينة فقدّم الكسائي ليصلّي بالناس، فهمز فأنكر عليه أهل المدينة، وقالوا: إنه ينبر في مسجد رسول الله بالقرآن.^٢

وكانت هذيل تقلب الواو المكسورة همزة، فتقول: «إعاء» بدل «وعاء».^٣

وهذا الاختلاف بين القبائل كان قد يعظم ويشتدّ، كالخلاف بين القبائل العدنانية في الحجاز، والقبائل القحطانية في اليمن، سواء في المفردات والتراكيب أم في اللهجات، حتى قال أبو عمرو بن العلاء: «ما لسان حمير وأقاصي اليمن بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا».^٤

وبعد... فإنّ لهجات العرب المختلفة كانت قد أثّرت حتى في قراءة القرآن، لافي صدر الإسلام وعلى أيام حياة الرسول ﷺ فحسب، بل حتى في العصور المتأخرة، كان بعض القراء يقرأون وفق لهجات قبلية راهنة.

وقد عرض الدكتور شاهين روايات كثيرة عن القراء يرجع منشؤها إلى اعتبارات لهجية أثّرت في اختلاف القراءات القرآنية.^٥

وقال أحمد أمين: كان لهذا الخلاف نتائج، منها: اختلاف القراءات في القرآن، فإنّها تليت حسب اختلاف العرب في لغاتهم ولهجاتهم.^٦

وروى الكلبي - عن طريق أبي صالح - عن ابن عباس، قال: «نزل القرآن على سبع لغات، منها خمس بلغة العجز من هوازن».^٧

قال أبو عبيد: والعجز هم سعد بن بكر، وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية، وثقيف. وهذه القبائل هي التي يقال لها: عليا هوازن. وهم الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء: أفصح

١ - كتاب سيبويه، ج ٢، ص ١٩٨. ٢ - النهاية، ج ٥، ص ٧.

٣ - المحتسب، ج ٢، ص ٢٠.

٤ - الخصائص لابن جني، ج ١، ص ٣٩٢؛ راجع: ضحى الإسلام لأحمد أمين، ج ٢، ص ٢٤٤.

٥ - القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص ٢٦٧.

٦ - ضحى الإسلام، ج ٢، ص ٢٤٤. ٧ - المرشد الوجيز، ص ٩٢؛ والإتقان، ج ١، ص ١٣٥.

العرب عليا هوازن وسفلى تميم فهذه عليا هوازن، وأمّا سفلى تميم فبنودارم.^١
وفي رواية أخرى عن ابن عباس: نزل القرآن بلغة الكعبيين: كعب قريش وكعب خزاعة. قيل: وكيف ذاك؟ قال: لأنّ الدار واحدة. قال أبو عبيد: يعني أنّ خزاعة كانوا جيران قريش فسهلت عليه لغتهم.^٢

قال المقدسي: والكعبان: كعب بن لؤي من قريش، وكعب بن عمرو من خزاعة.^٣
وفسر السيوطي اللغة بكيفية النطق بالتلاوة من إظهار وإدغام وتفخيم وترقيق وإمالة وإشباع ومدّ وقصر وتشديد وتخفيف وتليين وتحقيق ونحو ذلك.^٤
ولعلنا - في هذا العرض - أسهنا الكلام فوق الحاجة، ولكنّا توخينا من وراء ذلك إيقاف القارئ على أمرين:

الأول: مدى تأثير اللهجة في تفرقة أمة واحدة في لغتها الواحدة.
والثاني: عمق هذا التأثير، بحيث بقيت آثاره حتى العصور المتأخرة، ولم تنقل جذوره رغم نهى النبيّ عنه، في مثل تحقيق الواو والياء المصطلح عندهم عن النبر.
فهؤلاء القراء ومنهم السبعة قد قرأوا بذلك، الأمر الذي يقضي بالعجب، وقد مرّت قراءة الكسائي بالنبر في مسجد النبيّ، وإنكار أهل المدينة عليه ذلك. وستوافيك أمثلة من قراءة القراء بهذه اللهجة المذمومة بل المنهي عنها صريحاً.
نعم إذا كانت اللهجة معروفة مأنوسة فلا بأس بها، كما ورد في حديث أبي العالية: قال: «قرأ على رسول الله ﷺ من كلّ خمس رجل، فاختلفوا في اللغة، فرضي قراءتهم كلّهم، فكان بنو تميم أعرب القوم».^٥

وفي حديث ابن أرقم، قال: «كنا في مسجد رسول الله ﷺ فجاء رجل وقال: أقرأني عبدالله بن مسعود سورة، وأقرأنيها زيد، وأقرأنيها أبي بن كعب، فاختلفت قراءتهم، فبقراءة

٢ - الإتقان، ج ١، ص ١٣٥.

١ - المرشد الوجيز، ص ٩٣.

٤ - الإتقان، ج ١، ص ١٣٣.

٣ - المرشد الوجيز، ص ٩٣.

٥ - جامع البيان، ج ١، ص ١٥.

أَيُّهُمْ آخِذٌ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: وَكَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَالِساً إِلَى جَنْبِهِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: نُبْقِرُ
كُلَّ إِنْسَانٍ كَمَا عِلْمٌ، كُلُّ حَسَنٍ جَمِيلٌ»^١.

ويحمل الحديث على اختلاف اللهجات في التعبير والأداء.

وفيما يلي عرض نموذجي لقراءات كان الباعث لها تأثير اللهجة:

قرأ ابن كثير: «فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ»^٢ بهمزة ساكنة. قال أبو حيان: هي لغة ضعيفة^٣
وقال الإمام القسطلاني: والمبالغة في نبر الهمزة وضغط صوتها حتى تصير كصوت
«المتهوّع» وهو المنقيء^٤.

واصطلح القراء - بعد ذلك - على تسمية ذلك تحقيقاً في التعبير، وفسّروه بالمبالغة
بالشيء على حدّه أو على حقّه^٥. وكان كثير من القراء يقرأ بها. كالكسائي وحفص وحمزة
وأبي بكر، وهو مذهب ورش^٦.

وقرأ بعضهم: «مَنْ إِنْ تَيَمَّنْهُ يَقْنُطَارِ»^٧ بكسر التاء، وتخفيف الياء وفتح الميم وسكون
النون. قال الداني: وهي لغة تميم، أي لهجتها الخاصة. ووافقه على ذلك أبو حيان في «البحر
المحيط»^٨.

وقرأ ابن كثير - أيضاً - : «بِالسُّوْقِ وَالْأَعْنَاقِ»^٩

وقرأ سعيد بن جبيرة: «مَنْ إِعَاءِ أَخِيهِ»^{١٠} وهو من قلب الواو المكسورة همزاً، لهجة
مطردة عند هذيل^{١١}.

٢ - الفتح ٤٨: ٢٩.

١ - المصدر، ص ١٠.

٤ - لطائف الإشارات للقسطلاني، ج ١، ص ٢٠٨.

٣ - البحر المحيط: ج ٨، ص ١٠٣.

٥ - النشر في القراءات العشر لابن الجزري، ج ١، ص ٢٠٥؛ ولطائف الإشارات للقسطلاني، ج ١، ص ٢١٨.

٦ - لطائف الإشارات للقسطلاني، ج ١، ص ٢٢٠. ٧ - آل عمران ٣: ٧٥.

٨ - البحر المحيط، ج ٢، ص ٤٩٩؛ وشواذ القراءات، ص ٥١.

٩ - ص ٣٨: ٣٣؛ راجع: البحر المحيط، ج ٧، ص ٣٩٧؛ وشواذ القراءات، ص ٢٠٨.

١٠ - يوسف ١٢: ٧٦.

١١ - المحتسب، ج ٢، ص ٢٠؛ والبحر المحيط، ج ٥، ص ٣٣٢.

وقرأ الحسن وأبورجاء: «وَلَا أَدْرَأْتُكُمْ بِهِ»^١ بالهمز ماضياً متكلاً. قال أبو حاتم: قلب الحسن الياء كما في لغة بني الحارث بن كعب، يقولون: «السلام عليك» ثم همز الألف على لغة من قال في العالم: العالم. قلت: وهي لهجة النبر المذمومة، لغة لبعض بني أسد وهذيل.^٢ انظر إلى هذا التفنن في القراءة المؤدّي إلى التلاعب بأي القرآن حسب الأذواق والسلائق المنحرفة.

وقرأ أبو جعفر والحسن: «وَإِذَا الرُّسُلُ وَقَّتْ»^٣. هي لهجة مضر السفلى.
 وقرأ طلحة بن مصرف: «يؤنس» - بهمز الواو، وكسر النون - و«يؤسف» بالهمز وكسر السين.^٤

وقرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو: «فَأَمَّا تَرْتَنُّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا»^٥.
 وقرأ ابن محيصن: «بَعْدَ ذَلِكَ لَمَّا تَتَوَّن»^٦.
 وقرأ الكسائي: «اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ»^٧ بالهمز.
 وقرأ أبورجاء وسعيد بن المسيّب والأعمش: «كَوْكَبٌ دَرِّيٌّ»^٨ - بفتح الدالي وتشديد الراء المكسورة و همز الياء.^٩
 وقرأ أبو جعفر: «عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُمْ جُزْأً»^{١٠} بتشديد الزاي تخفيفاً للهمز^{١١} وكذلك قرأ: «جَزْءٌ مَقْسُومٌ»^{١٢}.

١ - يونس ١٠: ١٦. ٢ - البحر المحيط، ج ٥، ص ١٣٣.

٣ - المرسلات ٧٧: ١١؛ راجع: البحر المحيط، ج ٨، ص ٤٠٥؛ والمحتسب، ج ٢، ص ٤٠٨.

٤ - شواذ القراءة للكرماني، ص ٦٦.

٥ - مريم ١٩: ٢٦؛ راجع: البحر المحيط، ج ٦، ص ١٨٥؛ والمحتسب، ص ٩٨.

٦ - المؤمنون ٢٣: ١٥؛ راجع: البحر المحيط، ج ٦، ص ٣٩٩.

٧ - البقرة ٢: ١٦؛ راجع: القراءات القرآنية، ص ١٢٠؛ والحجة لأبي علي الفارسي، ج ١، ص ٢٧٨ ولكن من غير أن ينسبها

إلى الكسائي. ٨ - النور ٢٤: ٣٥.

٩ - البحر المحيط، ج ٦، ص ٤٥٦؛ وشواذ القراءة، ص ١٧١؛ والمحتسب، ص ١١٣.

١٠ - البقرة ٢: ٢٦٠. ١١ - المحتسب، ج ١، ص ٢٢٩.

١٢ - الحجر ١٥: ٤٤؛ راجع: شواذ القراءة، ص ١٢٩.

- وقرأ الزهري: «لَكُمْ فِيهَا دِفٌّ» بتشديد الفاء تخفيفاً بالهمز.^١
- وقرأ حفص: «أَصْحَابُ الْمَشْمَةِ» بتشديد الشين.^٢
- وقرأ ابن محيصن: «لَمَلَّاثِينَ» بإدغام نون «من» في اللام. وتشديد اللام بدل «لِئَنَ الْأَثِينَ».^٣
- وقرأ - أيضاً -: «يَسْأَلُونَكَ عَلَنُفَالٍ» بتشديد اللام وسكون النون، أي «عَنِ الْأَنْفَالِ»^٤
- وقرأ الحسن والأعمش: «أَسَاءُوا السَّوَى» بتشديد الواو المفتوحة.^٥
- وقرأ عاصم وأبو عمرو: «سَيِّعُ شَرَابُهُ» بتشديد الياء.^٦
- وقرأ الحسن: «كَمَا سِئِلَ» بكسر السين وسكون الياء.^٧
- وقرأ يحيى وابن معتمر: «فَأَنَّهُمْ يَيْلُمُونَ كَمَا تَيْلُمُونَ» بكسر ياء المضارعة وتائها.^٨
- وقرأ نافع: «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفَاءً أَحَدٌ» بضم الكاف وفتح الفاء مخففاً.^٩
- وقرأ الأعمش: «أَنْبُوْنِي» بضم الباء وسكون الواو.^{١٠}

٦ - تحكيم الرأي والاجتهاد

وهذا أكبر العوامل تأثيراً في اختيارات القراء، كان لكل قارئ رأي يعتمد في القراءة التي يختارها، وكانوا - أحياناً - مستبدين بأرائهم ولو خالفهم الجمهور أو أهل التحقيق. وتقدم حديث نبر الكسائي بالهمز في مسجد الرسول ﷺ وإنكار أهل المدينة عليه^{١١} كما

١ - النحل ١٦: ٥؛ راجع: شواذ القراءة، ص ١٣٠. ٢ - الواقعة ٥٦: ٩؛ راجع: القراءات القرآنية، ص ١٣٦.

٣ - المائدة ٥: ١٠٦؛ راجع: البحر المحيط، ج ٤، ص ٤٤.

٤ - الأنفال ٨: ١؛ راجع: البحر المحيط، ج ٤، ص ٤٥٦؛ وشواذ القراءة، ص ٩٣.

٥ - الروم ٣٠: ١٠؛ راجع: البحر المحيط، ج ٧، ص ١٦٤.

٦ - فاطر ٣٥: ١٢؛ راجع: المحتسب، ج ٢، ص ٢٤٣؛ وشواذ القراءة، ص ٢٠٠؛ والبحر المحيط، ج ٧، ص ٣٠٥.

٧ - البقرة ٢: ١٠٨؛ راجع: البحر المحيط، ج ١، ص ٣٤٦.

٨ - النساء ٤: ١٠٤؛ راجع: المحتسب، ج ١، ص ٣٠٢؛ والبحر المحيط، ج ٣، ص ٣٤٣.

٩ - الإخلاص ١١٢: ٤؛ راجع: البحر المحيط، ج ٨، ص ٥٢٨.

١٠ - البقرة ٢: ٣١؛ راجع: شواذ القراءة، ص ١٨١. ١١ - نقلاً عن النهاية، ج ٥، ص ٧.

أنكروا على حمزة كثيراً من قراءاته، ولم يكن يعبأ بهم لقوّة ما كان يراه من حجج.^١ وهكذا استبدّ ابن شنبوذ بما كان يراه صحيحاً وإن كان على خلاف المرسوم العثماني، فعقد لاستتابته مجلس بحضرة الوزير ابن مقلة، فأغلظ في الكلام عليهم أولاً، حتى أمر الوزير بضربه سياطاً ألجأته إلى إعلان توبته مقهوراً عليه.^٢ وانهقد مجلس آخر لأبي بكر ابن مقسم، الذي كان يختار من القراءات ما بدا له أصحّ في العربية ولو خالف النقل أو رسم المصحف.^٣

نعم لم يكن إنكارهم على أمثال هؤلاء لجانب تحكيمهم للآراء والأذواق الاجتهادية، بل لجانب خروجهم عن موافقة مرسوم الخطّ، فالقراءة إذا كانت متوافقة مع ظاهر الرسم فلا تعد منكراً.

وقد كانت ميزة القراء السبعة وغيرهم من المشهورين المعتمدين، هو التزامهم بموافقة الرسم خطأً، كما يحدثنا أبو محمد مكي بأنّ حفصاً قرأ «كفواً» بالواو، فخفف الهمزة واواً. وكان حقّه أن ينقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها، فيقول: كفاً، لكنه رفض ذلك لتلا يخالف الخطّ، فأعمل الضمّة الأصليّة.

ومن ثمّ تلك المحاولات لتوجيه القراءات الشاذّة، بل لمطلق القراءات إذا كانت موافقة للرسم.

انظر كيف يوجّه الدميّاطي قراءة حمزة: «وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ»^٤ بجرّ الأرحام عطفًا على الضمير المجرور بالحرف، وفق مذهب الكوفيّين.^٥ ويوجّه قراءة ابن عامر: «وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ»^٦ قرأ «قتل» مرفوعاً نائب فاعل لـ «زَيْن» التي قرأها مبنية للمفعول. ونصب «أولادهم» على أنّه مفعول به

١ - تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ٣، ص ٢٧. ٢ - غاية النهاية، ج ٢، ص ٥٤.

٣ - الإتيان، ج ١، ص ٢١٤؛ وغاية النهاية، ج ٢، ص ١٢٤.

٤ - النساء ٤: ١. ٥ - إتحاف فضلاء البشر، ص ١٨٥.

٦ - الأنعام ٦: ١٣٧.

للمصدر. وجرّ «شركائهم» على إضافة المصدر إليه مع الفصل^١ وأمثال ذلك كثيرة في توجيه القراءات الشاذّة.

والكتب في توجيه القراءات، ولاسيّما الشاذّة وذكر عللها وحججها كثيرة، منها: الحجة لأبي علي الفارسي، والمحتسب لابن جنّي، وإملاء مامنّ به الرحمان لأبي البقاء، والكشف عن وجوه القراءات السبع لمكّي بن أبي طالب. وغير ذلك ممّا يطول.

وإليك نماذج من تعاليل وحجج اعتمد عليها القراء تكفي برهنة على مدى تحكيم الرأي والاجتهاد في الاختيار.

قرأ ورش وحفص وأبو عمر: «البيوت، والغيوب، والجيوب، والشيوخ، والعيون»^٢ بالضمّ في أوائلها.

وقرأ قالون وهشام بكسر الباء من «البيوت» وضمّ باقيها.

وقرأ حمزة بالكسر في أوائلها كلّها.

وقرأ ابن ذكوان وابن كثير والكسائي بضمّ الغين من «الغيوب» وكسر باقيها.

قال مكّي: ووجه القراءة فيهن بالضمّ: أنّه أتى بهنّ على الأصل ولم يسأل عن الياء وضمتّها. وباب «فَعَلَ» - بسكون العين وفتح الفاء - في الجمع الكثير «فُعُول» بضمّ الفاء. ولمّا كان هذا النوع، لا يجوز فيه إلّا الضمّ إذا لم يكن الثاني ياء، نحو: «كعوب، ودهور» أجرى ماثانيه ياء على ذلك، لأنّه أصله وئلاً يختلف.

ووجه القراءة بالكسر: أنّ الكسرة مع الياء أخفّ من الضمّة معها، والجمع أيضاً ثقیل، فكسر الأوّل للتخفيف، ولتقرّب الحركة من الحرف الذي بعدها. فقد قالوا: شَهِدَ وَلَعِبَ، بكسر أوليهما. وهكذا قالوا: سَعِيدٌ وَشَهِيدٌ وَرَغِيفٌ، فكسروا الأوّل للثاني، إذ هو حرف حلق، للتقريب من حركته. فكذلك كسروا أوائل هذه الجموع للتقريب من الحرف الثاني.

١ - إتحاف فضلاء البشر، ص ٢١٧؛ وسيأتي طعن الزمخشري وسائر الأئمة عليه.

٢ - الأوّل في البقرة ٢: ١٨٩؛ والثاني في المائدة ٥: ١٠٩؛ والثالث في النور ٢٤: ٣١؛ والرابع في غافر ٤٠: ٦٧؛ والخامس

في الحجر ١٥: ٤٥.

وإن لم يكن حرف حلق، لكونه جمعاً. ولأنه حرف ثقيل عليه حركة ثقيلة.
وأما من ضمّ بعضاً وكسر بعضاً فإنه جمع بين لغتين. أو هكذا سمعه من شيوخه.
ثم قال مكّي: والضمّ هو الاختيار، لأنه الأصل. وقال أبو حاتم: لا يجوز غير الضمّ...^١
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «فَلَا رَفَتْ وَلَا فُسُوقَ»^٢ بالتثوين والرفع. وقرأ الباقر
بالفتح من غير تنوين.

قال مكّي: ووجه القراءة الأولى: أن «لا» بمعنى «ليس» والخبر محذوف. ووجه
الثانية: أن «لا» نفي للجنس تدلّ على النفي العام. لأنّ التي بمعنى ليس لا تنفي إلا واحدة
والمقصود في الآية هو العموم.^٣

وقرأ الكسائي وحمزة: «قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَثِيرٌ»^٤ بالثاء.

قال مكّي: جعلاه من الكثرة، حملاً على المعنى، وذلك أن الخمر تحدث مع شربها،
آثام كثيرة من لغط وتخليط، وسبّ وأيمان، وعداوة وخيانة، وتفريط في الفرائض وفي
ذكر الله تعالى وغير ذلك. فوجب أن توصف بالكثرة، ولأنه تعالى قد قال بعد ذلك: «وَمَنَافِعُ
لِلنَّاسِ» فجمع المنافع، فكان يجب أن تكون الآثام أيضاً جمعاً. وأيضاً فإنّ وصف الإثم
بالكثرة أبلغ من وصفه بالكبر... ويسرد أدلة مسهبة...

وقرأ الباقر بالباء من الكبر، على معنى العظم، أي فيهما إثم عظيم ولأنّهم أجمعوا
على أن شرب الخمر من الكبائر. وقد وصف الله الشرك بالعظم، فقال: «إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ
عَظِيمٌ»^٥ فكذلك ينبغي أن يوصف ما قرب منه بالعظم، لأنّهما من الكبائر. ولأنّهم قالوا:
مادون الكبائر صغائر، فوجب أن يقال في الكبائر: كبير، لأنّ الكثير مقابل القليل، والكبير
مقابل الصغير.

ثم قال مكّي: القراءتان حسنتان موجّهتان، والباء أحبّ إليّ، لأنّ الجماعة عليه،

٢ - البقرة ٢: ١٩٧.

١ - الكشف، ج ١، ص ٢٨٥-٢٨٤.

٤ - البقرة ٢: ٢١٩.

٣ - الكشف، ج ١، ص ٢٨٦-٢٨٥.

٥ - لقمان ٣١: ١٣.

ولقوله تعالى: «حُبّاً كَبِيراً»^١ وقوله: «وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ»^٢.

انظر إلى هذا التضارب في الآراء والاختيارات، وكيف يتدخل مثل أبي محمد في ترجيح إحدى القراءتين على الأخرى، لحجج وتعاليل - أيضاً - يعتمدها. ومن ثم فإنّ القائل بتواتر القراءات عن النبي ﷺ يضرب على غير وتره.

أضف إلى ذلك قراءات بعض السلف كانت محض اجتهاد شخصي حتى ولو كانت مخالفة للمشهور المأثور! هذا سعد بن أبي وقاص كان يقرأ «مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسَاهَا»^٣. وفي رواية «أَوْ نَنْسَاهَا»! فقليل له: إن سعيد بن المسيّب قرأها: «أَوْ نُنْسِيهَا» - كما هي المشهورة؟ فقال لم ينزل القرآن على المسيّب ولا على ابنه، إنما هي: «مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسَاهَا يَا مُحَمَّد». وتمثّل بقوله تعالى «سَنُفِرُّكَ فَلَا تَنْسَى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ»^٤. وقوله «وَإِذْ كُرِّىَ رَبُّكَ إِذَا نَسِيتَ»^٥.

إن هذا إلّا تزمت غريب دون قراءة المشهور؟!!

والغريب: أن كتب القراءات ربّما يذكرون إحدى الحروف، من غير أن ينسبوه إلى قارئ مشهور أو غير مشهور، ويعلّلون بأنّه إجازة فلان النحويّ مثلاً.

قال محمد بن أبي نصر الكرماني: وأجاز الزّجاج: «مِنْ تَفَاوُتٍ»^٦ مهموز وهكذا قال في قوله تعالى: «كُفُّوا أَعْدُ» أجاز الزّجاج: «كُفُّنًا» بالهمز^٧ وهل تصلح إجازة نحويّ لاختيار قراءة القرآن؟!!

الأمر الذي يُنبؤك على أن اعتبارهم «التواتر» في القراءة كلام تشريفي ظاهريّ، لم يعبأ به السلف والخلف عملياً إطلاقاً.

وأجدني في غنى عن سرد شواهد أكثر، حيث وفرة الكتب المصنّفة في توجيه القراءات وذكر عللها وحججها، هي في متناول الجميع.

١ - النساء ٤: ٢. ٢ - البقرة ٢: ٢١٧؛ راجع: الكشف، ج ١، ص ٢٩١-٢٩٢.

٣ - البقرة ٢: ١٠٦. ٤ - الأعلى ٨٧: ٦-٧.

٥ - الكهف ١٨: ٢٤؛ راجع: المصاحف، ص ٩٦؛ وجامع البيان، ج ١، ص ٣٧٩؛ والدر المنثور، ج ١، ص ١٠٤-١٠٥.

٦ - الملك ٦٧: ٣. ٧ - شواذ القراءات واختلاف المصاحف، ص ٢٤٦ و ٢٧٣.

٧ - غلو في الأدب

من العوامل التي كانت تبعث على اختيار قراءة - ولو كانت شاذة خارجة على المشهور أو مخالفة لرسم الخط - هو غلو القارئ فيما اختص به من الأدب العربي، معجباً بنفسه، فيزعم الصحيح فيما رآه، وفقاً للقواعد العريضة التي تسلمها كليات لا ينخر من بوجه!

من ذلك مانجده في أبي بكر العطار تلميذ ابن شنبوذ، كان أعلم دهره بالنحو والقراءة، ومن ثم لم يكن يكثرث بالمأثور من القراءات وكان يختار لنفسه قراءة يراها صحيحة ومناسبة في سياق معنى الآية، فكان يقرأ: «فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا»^١ بدل «نَجِيًّا»^٢. فكان مآل أمره أن ثارت عليه ضجة الفقهاء، وحاكمه الأمير، فلم يستطع الدفاع فأراد ضربه لكنه استسلم أخيراً فاستتيب^٣.

ونستطيع أن نعلل أكثر قراءات القراء النحويين، واستبدادهم بها كالكسائي - بهذا التعليل: «الغلو في الأدب مع شيء من الإعجاب بالنفس».

(ملحوظة): كثير من أئمة النحو والأدب خطؤوا القراء ورموهم بضعف المقدرة الأدبية، ومن ثم شطبوا على قراءاتهم مما كانوا يرونها مخالفة للقواعد العريضة!

هذا أبو عثمان المازني يخطئ قراءة أهل المدينة: «لَكُمْ فِيهَا مَعَائِش»^٤ بالهمز. قال هي خطأ، فلا يلتفت إليها، وإنما أخذت عن نافع بن أبي نعيم، ولم يكن يدري ما العريضة. وله أحرف يقرؤها لحناً نحواً من هذا^٥.

وقال أبو العباس المبرّد: أمّا قراءة أهل المدينة: «هُؤْلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطَهَرُ لَكُمْ»^٦ - بنصب

١ - يوسف ١٢: ٨٠. ٢ - إعجاز القرآن للرافعي، ص ٥٧.

٣ - النشر، ج ١، ص ١٧؛ ومعرفة القراء الكبار للذهبي، ج ١، ص ٢٤٦-٢٤٩.

٤ - الأعراف ٧: ١٠؛ والحجر ١٥: ٢٠. ٥ - البحر المحيط، ج ٤، ص ٢٧١؛ والمنصف، ج ١، ص ٣٠٧.

٦ - هود ١١: ٧٨.

«أُطَهِّرَ» - فهو لحن فاحش. وإنما هي قراءة ابن مروان، ولم يكن له علم بالعربية.^١
 وقرأ أبو عمرو: «مَالَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ»^٢ و«هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ»^٣ - بفتح الواو - قال
 الأصمعي: هذا لحن منه.^٤
 وقرأ ابن عامر: «أَزَجِيْهُ وَأَخَاهُ»^٥ - بالهمز - قال الفارسي: هي غلط. وتبعه في هذه
 التخطئة ابن مجاهد والحوافي.^٦
 وقرأ - أيضاً - : «كُنْ فَيَكُونُ»^٧ - بنصب المضارع - قال ابن عطية: إنها لحن.^٨
 وقرأ أبو عمرو: «وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ يَرَوْهَا»^٩ - بالياء - قال ابن مجاهد: هو غلط.^{١٠}
 وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «إِنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ»^{١١} - بكسر همزة «إِنْ» -^{١٢}
 وأنكرها النحاس،^{١٣} قال: وأما «إِنْ صَدُّوكُمْ» بكسر «إِنْ» فالعلماء الجلة بالنحو والحديث
 والنظر يمنعون القراءة بها، لأشياء ذكرها القرطبي بتفصيل.^{١٤}
 وقرأ نافع وابن كثير وحمزة: «أَمَّنْ هُوَ قَانَتْ»^{١٥} - بتخفيف الميم -^{١٦} ولحنها الأخفش
 وأبو حاتم.^{١٧}
 وقرأ عاصم: «نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ»^{١٨} - بنون واحدة وتشديد الجيم - ولحنها الزجاج
 والفارسي.^{١٩}
 وقد وصف أبو الفتح عثمان بن جني عامة القراء - في كتابه «الخصائص» - بضعف

١ - المقتضب، ج ٤، ص ١٠٥؛ ومختصر في شواذ القرآن لابن خالويه، ص ٦٠.

٢ - الأنفال ٨: ٧٢.

٣ - الكهف ١٨: ٤٤.

٤ - النشر، ج ٢، ص ٢٧٧؛ والبحر المحيط، ج ٤، ص ٥٢٢.

٥ - الأعراف ٧: ١١١.

٦ - البحر المحيط، ج ٤، ص ٣٦٠.

٧ - البقرة ٢: ١١٧.

٨ - البحر المحيط، ج ١، ص ٣٦٦.

٩ - التوبة ٩: ٢٦.

١٠ - مختصر في شواذ القرآن، ص ١١٨.

١١ - المائدة ٥: ٢.

١٢ - النشر، ج ٢، ص ٢٥٤.

١٣ - البحر المحيط، ج ٣، ص ٤٢٢.

١٤ - تفسير القرطبي، ج ٦، ص ٤٦.

١٥ - الزمر ٣٩: ٩.

١٦ - النشر، ج ٢، ص ٣٦٢.

١٧ - البحر المحيط، ج ٧، ص ٤١٨.

١٨ - الأنبياء ٢١: ٨٨.

١٩ - البحر المحيط، ج ٦، ص ٣٣٥.

الدراية. ويصفهم في «المنصف» - بالسهو والغلط - إذ ليس لهم قياس يرجعون إليه.^١
وقد طعن الزمخشري على ابن عامر قراءته بجرّ الشركاء ليكون مضافاً إليه للقتل،^٢
ورماه بضعف بصيرته بمواقع الكلام الفصيح. قال: الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير
الظرف، شيء لو كان في مكان الضرورات - وهو الشعر - لكان سمجاً مردوداً، كما سمج
ورد:

فَزَجَّجْتُهَا بِمَزْجَةٍ زَجَّ الْقُلُوصَ أَبِي مَزَادَةَ

بإضافة «زجّ» إلى «أبي مزادة» مع فصل «القلوص» وهو مفعول به.

قال: فكيف به في الكلام المنشور، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته.
والذي حمّله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف «شركائهم» مكتوباً بالياء. ولو قرأ بجرّ
«الأولاد» و«الشركاء» - لأنّ الأولاد شركاؤهم في أموالهم - لوجد في ذلك مندوحة على
هذا الارتكاب.^٣

وقد ثارت غوغاء الجهلة حول هذا الطعن، وزعموا من قراءة ابن عامر - وهو أحد
السبعة - قداسة يحرم مسّها ويجتنب ردّها.

راجع: كلام ابن منير الاسكندري في هامش التفسير. وكذلك ما أورده الشيخ يوسف
البحراني في الكشكول.^٤

وسياتي تفصيل الكلام عن هذه القراءة وما ذكره الأئمة بشأنها.

وبهذه المناسبة نذكر تلحين ابن قتيبة كثيراً من قراءات قرّاء مشهورين هم من
السبعة، وتحامله عليهم بقصر الباع وحبّهم الصيت والشياع. وأنّ أكثر ما يقرأونه بدعة
منهم لم يقرأ بها الرسول ﷺ قط.

قال: «وكذلك لحن اللاحنين من القرّاء المتأخّرين، لا يجعل حجة على الكتاب وقد

١ - راجع: الدراسات للمضيّة، ج ١، ص ٣٢-٣٣. ٢ - الآية: ١٣٧ من سورة الأنعام.

٣ - الكشف، ج ٢، ص ٧٠. ٤ - الكشكول للبحراني، ج ٣، ص ٣٣٩.

كان الناس قديماً يقرأون بلغاتهم. ثم خلف قوم بعد قوم من أهل الأمصار وأبناء العجم، ليس لهم طبع اللغة، ولا علم التكلف، فهفوا في كثير من الحروف وزلّوا وقرأوا بالشاذّ وأخلّوا.

منهم: رجل - يريد حمزة بن حبيب الزيّات أحد القراء السبعة - ستر الله عليه عند العوام بالصلاح، وقربه من القلوب بالدين. لم أرفي من تتبعت وجوه قراءاته أكثر تخليطاً، ولا أشدّ اضطراباً منه، لأنّه يستعمل في الحرف - يريد القراءة - ما يدعه في نظيره، ثمّ يؤصل أصلاً ويخالف إلى غيره لغير ماعلة. ويختار في كثير من الحروف ما لا يخرج له إلّا على طلب الحيلة الضعيفة.

هذا إلى نبذه في قراءته مذاهب العرب وأهل الحجاز، بإفراطه في المدّ والهمز والإشباع، وإفحاشه في الإضجاع والإدغام، وحمله المتعلّمين على المركب الصعب، وتعسيره على الأمة ما يسره الله.

وقد شغف بقراءته عوامُّ الناس وسوقتهم، وليس ذلك إلّا لما يرونه من مشقّتها وصعوبتها، وطول اختلاف المتعلّم إلى المقرئ فيها، فإذا رأوه قد اختلف في أمّ الكتاب عشراً، وفي مائه آية شهراً، وفي السبع الطوال حولاً، ورأوه عند قراءته مائل الشدين، دارّ الوريدين، راشح الجبينين، توهّموا أنّ ذلك لفضيلة في القراءة وحذق بها.

وليس هكذا كانت قراءة رسول الله ﷺ ولا خيار السلف ولا التابعين ولا القراء العالمين، بل كانت قراءتهم سهلة رسة.

ثمّ قال: «وما أقلّ من سلم من هذه الطبقة - من القراء على نمط حمزة - في حرفه من الغلط والوهم.

فقد قرأ بعض المتقدّمين - يريد الحسن البصري - «مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَأْتُكُمْ بِهِ»^١

فهمز، وإِنَّمَا هو من دريت بكذا وكذا.

وقرأ: «وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونُ».^١ توهم أَنَّهُ يجمع بالواو والنون.^٢

وقرأ آخر - هو ابن محيصن - :^٣ «فَلَا تَشِمْتَ بِي الْأَعْدَاءَ»^٤ بفتح التاء وكسر الميم ونصب «الأعداء». وإِنَّمَا هو من: أشمت الله العدو فهو يشمته ولا يقال: شمت الله العدو.

وقرأ يحيى بن وثاب - تابعي كوفي قارئ معروف - : «وَإِنْ تَلُّوْا أَوْ تُعْرِضُوا»^٥ - بضم لام «تلوا» وسكون الواو - من الولاية. ولا وجه للولاية هنا وإِنَّمَا هي «تلوا» - بواو ين - من: ليك في الشهادة وميلك إلى أحد الخصمين عن الآخر. قال الله عز وجل: «يَلُوءُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ».^٦ واتَّبَعَهُ على هذه القراءة الأعمش وحمزة.^٧

وقرأ الأعمش: «وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرَخِي»^٨ بكسر ياء المتكلم. كأنه ظنَّ أَنَّ الباء تخفض الحرف. واتَّبَعَهُ على ذلك حمزة.^٩

وقرأ حمزة: «وَمَكَّرَ السَّيِّ وَلَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّ إِلَّا بِأَهْلِهِ»^{١٠} بإسكان الهمز في «السيئ» الأول. وضمَّه في الثاني. وإسقاط الإعراب غلط^{١١}...^{١٢}.

١ - الشعراء ٢٦: ٢١٠.

٢ - راجع في ذلك: مختصر في شواذ القرآن، ص ١٠٨؛ والكشاف، ج ٣، ص ٣٣٩؛ والبحر المحيط، ج ٧، ص ٤٦، «قال أبو حاتم: هي غلط منه أو عليه؛ وقال النحاس: هو غلط عند جميع النحويين. وقال الفراء: غلط الشيخ، ظنَّ أَنَّ النون التي على هجائن...».

٣ - راجع: البحر المحيط، ج ٤، ص ٣٩٦.

٤ - النساء ٤: ١٣٥.

٥ - الأعراف ٧: ١٥٠.

٦ - آل عمران ٣: ٧٨.

٧ - راجع: إتحاف فضلاء البشر، ص ١٩٥؛ والكشاف، ج ١، ص ٣٧٧ و ٥٧٥.

٨ - إبراهيم ١٤: ٢٢.

٩ - جاء في البحر المحيط، ج ٥، ص ٤١٩: «وقرأ يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة «بمصرخي» - بكسر الياء - وطعن كثير من النحاة في هذه القراءة: قال الفراء: لعلها من وهم القراء، فإنه قلَّ من سلم منهم من الوهم، ولعله ظنَّ أَنَّ الباء في «بمصرخي» خافضة للفظ كله، والياء للمتكلم خارجة من ذلك... وقال الأخفش: ماسمعت هذا من أحد من العرب ولا من النحويين. وقال الزجاج: هذه القراءة رديئة مردولة، ولا وجه له إلا وجه ضعيف».

١٠ - فاطر ٣٥: ٤٣.

١١ - كانت عبارة ابن قتيبة هنا مغلفة وربما كانت خلاف المصطلح، فعدلتها على عبارة البحر المحيط، ج ٧، ص ٣١٩.

٨ - شذوذ نفسي

قالوا: ومن عوامل اختيار القراءة الشاذة ما يعود إلى علل روحية، يروم أصحابها الاشتهار بمخالفة المشهور، أو عقد نفسية تنفجر في وجه الأعراف التقليدية، فتتمثل في قالب الاختيارات الشاذة.

كان محمد بن الحسن، ابن مقسم، أبو بكر العطار، المقرئ النحوي (٢٦٥ - ٣٥٥) تروقه القراءة بحروف تخالف الإجماع، فكان يقرأ - لعل لا ترجع إلى النقل ولا الأخذ من الشيوخ - في كثير من الآيات ما يخالف القراءة المشهورة مادة، وإن وافقت رسم المصحف خطأ. كقراءته: «فَلَمَّا اسْتِأْذَنُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا» قرأ «نجباً» جمع «نجيب». وشاع أمره فأحضره السلطان واستتابه فأذعن بالتوبة وكتب محضراً بتوبته. وقيل أنه لم ينزع عنها، وكان يقرأ بها إلى أن مات.

قال الداني: كان عالماً بالعربية، حافظاً للغة، حسن التصنيف، مشهوراً بالضبط والإتقان، إلا أنه سلك مسلك ابن شنبوذ، فاختر حروفاً خالف فيها أئمة العامة، وكان يذهب إلى أن كل قراءة توافق خطأ المصحف فالقراءة بها جائزة وإن لم تكن لها مادة.^{١٣} وكان محمد بن الحسن، أبو الحسن، ابن شنبوذ (ت ٣٢٨) شيخ الإقراء مع أبي بكر ابن مجاهد (ت ٣٢٤). وكان ابن شنبوذ أعلم منه وأوسع اطلاعاً بالقراءات وبفنونها وأنواعها. جاب البلاد وطاف الأمصار في طلب العلم والسماع من الشيوخ على خلاف زميله الذي تصدر مقام «شيخ القراء» من قبل السلطان في بغداد، وكان قليل الإطلاع، لم يخرج في طلب العلم، ولم تكن له خبرة بفنون القراءات القديمة والحديثة.^{١٤}

ومن ثم كان بين ابن شنبوذ وابن مجاهد تنافس على عادة الأقران، وكان ابن شنبوذ يحط من ابن مجاهد، ويقول: هذا العطشى، لم تغبر قدماء في طلب العلم، وكان إذا أتاه

١٢ - تأويل مشكل القرآن، ص ٥٨-٦٣.

١٣ - بغية الوعاة، ص ٣٦: ومعرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٢٤٦.

١٤ - البرهان للزركشي، ج ١، ص ٣٢٧.

رجل للقراءة عليه يسأله: هل قرأت على ابن مجاهد، فإن قال: نعم لم يقرئه.
فلئن كان ابن مجاهد يعتز بمنصبه الرسمي، فقد كان ابن شنبوذ يعتز بمقام علمه
وسعة اطلاعه، وكان يؤنب صاحبه بلا هوادة.
وكان ابن شنبوذ يقرأ بالمشهور والشاذ وكان يرى جواز الصلاة بما جاء في مصحف
أبي، ومصحف ابن مسعود، وبما صح في الأحاديث - مع أن الاختلاف في جوازه كان
معروفا بين الفقهاء قديماً وحديثاً - وكان يتعاطى ذلك جهاراً.
وكانت نقطة ضعف أخذها عليه ابن مجاهد، فرفع أمره إلى السلطان، وعقد له - كما
عقد لابن مقسم - مجلس بأمر رسمي من شيخ القراء ابن مجاهد، وكان ذلك في سنة
٣٢٣.

قال الداني: حدث أبو القاسم بن زنجي الكاتب الأنباري، قال: حضرت مجلس
الوزير أبي علي بن مقله، وزير الراضي بالله العباسي. وقد أحضر ابن شنبوذ وجرت معه
مناظرات في حروف، شهد عليه الشهود أنه يقرأ بها، وهي شواذ، فاعترف منها بما عمل به،
بمحضر من الشاهدين: محمد بن موسى الهاشمي، وأبي أيوب محمد بن أحمد، وهما
يومئذ شاهدان مقبولان، وكان القاضي عمر بن محمد بن يوسف وكان قد حضر المجلس
ابن مجاهد وجماعة من القراء.

فأغلظ ابن شنبوذ للوزير في الخطاب، وللقاضي، ولابن مجاهد، ونسبهم إلى قلة
المعرفة، وأنهم لم يرحلوا في طلب العلم كما رحل.

فأمر الوزير بضربه سبع درر، وهو يدعو على الوزير، بأن يقطع الله يده، ويشئت
شملة، واستتابوه قهراً عليه.

وكتب نسخة المحضر ابن مجاهد بيده، وفي آخرها: «اعترف ابن شنبوذ بما في هذه
الرقعة بحضرتي - وكتب ابن مجاهد بيده: - يوم السبت، لست خلون من ربيع الآخر، سنة
ثلاث وعشرين وثلاثمائة».

وقد استجيب دعاؤه على الوزير، وقطعت يده وذاق الذلّ. ولما يمض على هذه الحادثة سنة كما توفي ابن مجاهد في نفس العام ٣٢٤هـ. وإذا كنّا نراجع تراجم أكثرية القارئين بالشذوذ، نجدهم أناساً فضلاء علماء، أساءت الظروف بمنزلتهم العلميّة، فنبذتهم وراء الظهور، وقدّمت غير الأكفاء، ومن ثمّ كانت عقد نفسيّة وشذوذ وانحرافات عن المسير العام. وأيضاً فإنّ أكثرية القراءات المرميّة بالشذوذ، لم تكن شاذّة بمعناها الحقيقي وإنّما رميت بالشذوذ لأنّها كانت خلاف معهود العامّة، وخلاف ما يعرفه شيوخ الإقراء، في الأمصار، ممّن حازوا مناصب رسميّة، وغالبيتهم قليلوا الرحلة، قصيروا الباع في العلم وسعة الاطلاع.

انظر إلى ما يتأسّفه الإمام بدرالدين - نقلاً عن أثيرالدين أبي حيان - من قصر الهمم في طلب العلم، والرحلة في الأخذ وتلقّي القراءة من الشيوخ، ومن ثمّ اقتصارهم على ما في التيسير والشاطبيّة والتبصرة والكافي ونحوها، في حين أنّ هذه الكتب لم تحو حتى جميع القراءات المأثورة عن السبعة، فكيف بغيرها. وإنّما هي قلّ من كثر ونزر من بحر.^١ ومن ثمّ كان بعض مشايخ الإقراء - بين آونة وأخرى - يجيزون القراءة المرميّة بالشذوذ، إذا كانت عليها مسحة من الصحّة المعتبرة. من ذلك ما وقع أخيراً (عام ١٣٧٧) في مصر. فقد أجاز شيخان من مشايخ الإقراء - لحسن نيّتهما - القراءة بالشواذ من ذوات الأصول السلفيّة. غير أنّ الرأي العامّ وفي مقدّمتهم مشيخة الأزهر، قام في وجههما، فاضطرّا إلى التوبة. وحكم عليهما بنفي البلد لمدّة عام، ولم تنفع بشأنهما شفاعّة الشافعين.^٢

هذا، ولنا في جواز القراءة بالشاذّ مذهب آخر: لا نجيز في القرآن غير قراءة واحدة - لا السبعة ولا العشرة ولا غيرها - وسنتكلّم عنها في فصل قادم.

١ - معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٢٢١-٢٢٥. ٢ - راجع: البرهان، ج ١، ص ٣٢٣-٣٢٥.

٣ - المصحف المرتّل، ص ٣٠١.

عوامل أخرى

هناك عوامل أخرى زعموها ذات صلة بتكليف قراءة القرآن، أو اختيار قراءة غير قراءة الآخرين.

* منها: زعم خطأ النسخة، فيما مرّ من مزاعم ابن عباس وغيره في قوله تعالى: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ» أنها كانت «وَوَصَّىٰ رَبُّكَ» فاستمدّ الكاتب مداداً كثيراً فالتزقت الواو بالصاد.^١

* ومنها: تخليط التفسير بالنصّ، كأكثر القراءات المنسوبة إلى ابن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما، ممّا فيها زيادة - تفسيرية - نحو قوله تعالى: «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً - فَاخْتَلَفُوا - فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ»^٢ وربما جاء قارئ متأخّر فزعمها قراءة خاصّة، كما قرأ بعضهم: «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ - فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ - أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ»^٣ وتنسب إلى ابن عباس.^٤

* ومنها أهداف سياسيّة حاولت تغيير النصّ وفق أغراض خاصّة، كما يذكر بهذه المناسبة قراءة ابن الخطّاب: «وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ - بِالرَّفْعِ - الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ»^٥ - بإسقاط الواو - كان يعتقد اختصاص المهاجرين بالسابقة، وأنّ فضل الأنصار في متابعتهم. وبذلك صرّح لمن أنكر عليه قراءته هذه، في قصة مشهورة بينه وبين زيد وتحكيمهما أياً في ذلك.^٦

* ومنها: نظرات كلاميّة (عقائديّة) كانت ترى الصحيح - أحياناً - في غير القراءة الدارجة. كمن قرأ من المعتزلة: «وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا»^٧ بنصب لفظ الجلالة^٨ زاعماً أنّه تعالى لا يتكلّم على حقيقته. هذا وقد أجمع النحويّون - كما قال النحاس - على أنّك إذا

١ - راجع: الجزء الأول «مخالفات في رسم الخط».

٢ - البقرة ٢: ٢١٣؛ راجع: الجزء الأول، «وصف مصحف ابن مسعود».

٣ - البقرة ٢: ١٩٨. ٤ - الكشف، ج ١، ص ٢٤٥.

٥ - التوبة ٩: ١٠٠. ٦ - انظر: جامع البيان، ج ١١، ص ٧.

٧ - النساء ٤: ١٦٤. ٨ - لطائف الإشارات للقسطلاني، ج ١، ص ٦٦.

أكدت الفعل بالمصدر لا يكون مجازاً، وأنه لا يجوز في قول الشاعر: «امتلاً الحوض وقال قطني» أن يقول: قال قولاً، فكذا لما قال: «تكليماً» وجب أن يكون كلاماً على الحقيقة من الكلام الذي يعقل^١ فوجب أن يكون من موسى عليه السلام.

وكذا نسب إلى بعضهم أنه قرأ: «فَتَوْبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ وَأَقِيلُوا أَنْفُسَكُمْ»^٢ نظراً لعدم صحة الأمر بقتل النفس، وهكذا كثير من القراءات المنسوبة إلى ذوي المذاهب الخاصة، كانت مخالفة للقراءة المشهورة.

❖ ومنها: ضعف إمكانية القارئ أدبياً، وعدم معرفته بقواعد اللغة، فربما يلحن في قراءة القرآن ويُعدّ ذلك قراءة، نظراً لموقعه الاجتماعي المعروف، كقراءات منسوبة إلى أبي حنيفة - وهو مشهور باللحن في كلامه - يحكى عنه: أنه قرأ: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ - بالرفع - مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ - بالنصب -»^٣ وتنسب إلى عمر بن عبدالعزيز - أيضاً -^٤ وربما توجه بأن معنى الخشية - في هذه القراءة - هو التعظيم والتكريم. وهي محاولة لتوجيه قراءة شاذة.^٥ وقد سبق تلحين كثير من أئمة الأدب كثيراً من قراءات قراء مشهورين.

وبعد... فهذه العوامل الأخيرة، يجب أن يشطب عليها في حقل الأبحاث القرآنية بعد أن كانت لا تُمَتَّ إلى قانون أو سبب معروف في هذا الباب، ولم يكن أصحابها اختصاصيين في فنّ القراءة، فكانت قراءاتهم تلك محض مصادفة اتفاقيّة، غير منسلكة ضمن «قراءات القرآن» - بما في هذه الكلمة من شمول، لكن في إطار إصطلاحيّ معروف - وما تلك القراءات إلّا كخواطر أو هواجس نفسيّة خطرت لغير ذي اختصاص، وسجلت نظراً لموقعيّة قارئها آنذاك. كقراءة أبي بكر - قبيل وفاته - : «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ»^٦ ولم تكن عن سوى خطأ لَسَنِي جرى على لسانه غفلة.

ومن ثمّ فإنّ أمثال هذه القراءات، لا تُعدّ حتى من الشواذّ المبحوث عنها في بحث

١ - انظر: تفسير القرطبي، ج ٦، ص ١٨.

٢ - البقرة ٢: ٥٤؛ تنسب هذه القراءة إلى قتادة. تفسير القرطبي، ج ١، ص ٤٠٢.

٣ - فاطر ٣٥: ٢٨. ٤ - راجع: تفسير القرطبي، ج ١٤، ص ٣٤٤.

٥ - انظر: البرهان للزركشي، ج ١، ص ٣٤١. ٦ - ق ٥٠: ١٩؛ راجع: المصدر، ص ٣٣٥.

أنواع القراءات.

إذ نعني بالقراءة في موضوع بحثنا هي التي تبتني على اجتهاد صاحبها الفني، ولو عن خطأ في استنباطه يراه صحيحاً في نظره. أمّا هذه القراءات فلا تعدو اشتباهات جارية على ألسن غير ذوي الفنّ، إمّا غفلة أو عن قصد لا يمتّ إلى أصول القراءات بصلة. وعليه، فالقراءات من هذا القبيل ساقطة رأساً.

وقفة عند مسألة تواتر القراءات

١- تصريحات أئمة الفنّ

تلك التي قدّمناها - في الفصل السابق - كانت عوامل نشوء الاختلاف بين القراء، وكانت وافية بالدلالة على أنّ اختياراتهم كانت اجتهادية، مستندة إلى حجج وتعاليل فصلها كتب القراءات. الأمر الذي يكفي للردّ على زاعمي تواترها عن النبي ﷺ فلا يكون هو ﷺ الذي قرأها بهذه الوجوه التي لم يتنبّه لها سوى قراء سبعة أو عشرة جاؤوا في عصور متأخرة؟! عصور متأخرة؟! عصور متأخرة؟!

وإنّ تواتراً هذا شأنه، لجدير بأن يرمى قائله بالشطط في الرأي. غير أنّ جماعات تغلبت عليهم العاميّة، وراقتهم تحمّسات عاطفيّة، في كلّ شأن يرجع إلى شؤون المقدّسات الدينيّة، لا يزالون يزّمرون ويطبّلون حول حديث «تواتر القراءات». وربّما يرمون منكرها بالكفر والجحود، ومن ثمّ فإنّ الحقيقة أصبحت مهجورة ومطمورة في ثنايا هذا الغوغاء والعجاج العارم.

لكن الحقّ أحقّ أن يتّبع، وأنّ الحقيقة في ضوء البراهين القاطعة أولى بالاتباع. ونحن إذ نوافيك بأدلة كافية لإثبات «عدم تواتر القراءات» وعدم مساسه بمسألة «تواتر القرآن» الثابت قطعياً، نقدّم تصريحات ضافية من أئمة الفنّ، تدليلاً على إنكار العلماء المحققين

طراً لحديث تواتر القراءات، مع اعترافهم بتواتر القرآن وأن لاملزمة بين المسألتين:
قال الإمام بدر الدين الزركشي: «اعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان
فإن القرآن: هو الوحي المنزل على محمد ﷺ للبيان والإعجاز. والقراءات: هي اختلاف
ألفاظ الوحي المذكور، في كتبه الحروف أو كيفيتها...».

ثم قال: «والقراءات السبع متواترة عند الجمهور، وقيل: بل مشهورة... والتحقيق: أنها
متواترة عن الأئمة السبعة.

أما تواترها عن النبي ﷺ ففيه نظر، فإن إسناده الأئمة السبعة بهذه القراءات السبعة
موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد، لم تكمل شروط التواتر، في
استواء الطرفين والواسطة، وهذا شيء موجود في كتبهم. وقد أشار الشيخ شهاب الدين
أبوشامة في كتابه «المرشد الوجيز» إلى شيء من ذلك»^١.

وقال الشيخ شهاب الدين «أبوشامة»: «وأما من يهول في عبارته، قائلاً: إن القراءات
السبع متواترة، لأن القرآن أنزل على سبعة أحرف، فخطؤه ظاهر، لأن الأحرف السبعة
المراد بها غير القراءات السبع، على ما سبق تقريره في الأبواب المتقدمة»^٢.

قال: «ولو سئل هذا القائل عن القراءات السبع التي ذكرها، لم يعرفها ولم يهتد إلى
حصرها، وإنما هو شيء طرق سمعه فقال له غير مفكر في صحته، وغايته - إن كان من أهل
هذا العلم - أن يجيب بما في الكتاب الذي حفظه.

والكتب في ذلك - كما ذكرنا - مختلفة، ولا سيما كتب المغاربة والمشاركة، فبين كتب
الفريقين تباين في مواضع كثيرة فكم في كتابه من قراءة قد أنكرت، وكم فات كتابه من
قراءة صحيحة فيه ما سطر. على أنه لو عرف «شروط التواتر» لم يجسر على إطلاقه
هذه العبارة، في كل حرف من حروف القراءة.

فالحاصل: أنا لسنا ممن يلتزم التواتر في جميع الألفاظ المختلف فيها بين القراء، بل
القراءات كلها منقسمة إلى متواتر وغير متواتر، وذلك بين لمن أنصف وعرف، وتصفح

القراءات وطرقها.

وغاية ما يبيده مدّعي تواتر المشهور منها، كإدغام أبي عمرو، ونقل الحركة لورش، وصلة ميم الجمع وهاء الكناية لابن كثير، أنّه متواتر عن ذلك الإمام الذي نسبت القراءة إليه، بعد أن يجهد نفسه في استواء الطرفين والواسطة. إلّا أنّه بقي عليه التواتر من ذلك الإمام إلى النبي ﷺ في كلّ فرد فرد من ذلك، وهنالك تُسكَب العبرات، فإنّها من ثمّ لم تنقل إلّا آحاداً، إلّا اليسير منها. وقد حقّقنا هذا الفصل - أيضاً - في كتاب البسملة الكبير ونقلنا فيه من كلام الحذاق من الأئمة المتقنين ما تلاشى عنده شبه المشنّعين، وبالله التوفيق»^١.

ويذكر القرطبي حادث جمع القرآن على عهد أبي بكر ويتعرّض لقضيّة اختلاف الأصحاب في النصّ ليقوم عثمان بتوحيد المصاحف ونبذ الخلاف وقطع نائرتيه ويعقّبه بقوله: «وهذا أدلّ دليل على بطلان من قال: إنّ المراد بالأحرف السبعة قراءات القراء السبعة، لأنّ الحق لا يُختلف فيه!»^٢.

وقال الحافظ ابن الجزري: «كلّ قراءة وافقت العربيّة - ولو بوجه - ووافقت أحد المصاحف العثمانيّة - ولو احتمالاً - وصحّ سندها، فهي القراءة الصحيحة. سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم، من الأئمة المقبولين. ومتى اختلف ركن من هذه الثلاثة، أطلق عليها «ضعيفة» أو «شاذّة» أو «باطلة». سواء كانت عن السبعة أم عن أكبر منهم».

قال: «هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف. صرّح بذلك الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ونصّ عليه - في غير موضع - الإمام أبو محمد مكّي بن أبي طالب، وكذلك الإمام أبو العباس أحمد بن عمّار المهدويّ، وحقّقه الإمام الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة. وهو مذهب السلف

الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافه»^١.

قال: «وقد شرط بعض المتأخرين التواتر في هذا الركن، ولم يكتف بصحة السند. وزعم أن القرآن لا يثبت إلا بالتواتر، وأن ما جاء مجيء الآحاد لا يثبت به قرآن. وهذا مما لا يخفى مافيه، فإن التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين من الرسم وغيره، إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن النبي ﷺ وجب قبوله وقطع بكونه قرآناً، سواء وافق الرسم أم خالفه، وإذا اشترطنا التواتر في كل حرف من حروف الخلاف انتفى كثير من أحرف الخلاف الثابت عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم».

قال: «ولقد كنت - قبل - أجنح إلى هذا القول، ثم ظهر فسادُه وموافقة أئمة السلف والخلف»^٢.

وقال جلال الدين السيوطي: «اعلم أن القاضي جلال الدين البلقيني قال: القراءة تنقسم إلى متواتر وآحاد وشاذ، فالمتواتر: قراءات السبعة المشهورة. والآحاد: قراءات الثلاثة، وتلحق بها قراءة الصحابة. والشاذ: قراءة التابعين، كالأعمش ويحيى بن وثاب وابن جبير ونحوهم».

قال السيوطي: «وهذا الكلام فيه نظر، يعرف مما سنذكره. وأحسن من تكلم في هذا النوع إمام القراء في زمانه شيخ شيوخنا أبو الخير ابن الجزري» ثم نقل كلامه بطوله وعقبه بما يلي: «قلت: أتقن الإمام ابن الجزري هذا الفصل جداً»^٣.

وقال «الإمام الرازي»: «اتفق الأكثر على أن القراءات المشهورة منقولة بالنقل المتواتر. وفيه إشكال، وذلك لأننا نقول: هذه القراءات المشهورة إما أن تكون منقولة بالنقل المتواتر أو لا تكون، فإن كان الأول، فحينئذ قد ثبت بالنقل المتواتر أن الله قد خير المكلفين بين هذه القراءات وسوى بينها في الجواز، وإن كان كذلك كان ترجيح بعضها على البعض واقعاً على خلاف الحكم الثابت بالتواتر، فوجب أن يكون الذاهبون إلى

٢ - المصدر، ص ١٣.

١ - النشر، ج ١، ص ٩.

٣ - الإتيان، ج ١، ص ٢١٥-٢١٠ والنوع، ٢٢-٢٧.

ترجيح البعض على البعض مستوجبين للتفسيق إن لم يلزمهم التكفير.
لكننا نرى أن كل واحد من هؤلاء القراء يختصّ بنوع معيّن من القراءة، ويحمل الناس عليها ويمنعهم عن غيرها، فوجب أن يلزم في حقهم ما ذكرنا.
وأما إن قلنا: أن هذه القراءات ما ثبتت بالتواتر، بل بطريق الآحاد، فحينئذ يخرج القرآن عن كونه مفيداً للجزم والقطع واليقين، وذلك باطل بالإجماع. ولقائل أن يجيب عنه فيقول: بعضها متواتر، ولا خلاف بين الأمة فيه، وتجويز القراءة بكل واحدة منها، وبعضها من باب الآحاد، وكون بعض القراءات من باب الآحاد لا يقتضي خروج القرآن بكلّيته عن كونه قطعياً والله أعلم»^١.

قلت: قد اشتبه عليه تواتر القرآن بتواتر القراءات، ومن ثم وقع في المأزق الأخير، وسنبيّن أن القرآن شيء والقراءات شيء آخر، فلا موقع للشقّ الأخير من الإشكال.
وقال الحجة البلاغي: «وانّ القراءات السبع - فضلاً عن العشر - إنما هي في صورة بعض الكلمات، لا بزيادة كلمة أو نقصها، ومع ذلك ما هي إلا روايات آحاد عن آحاد، لا توجب اطمئناناً ولا وثوقاً، فضلاً عن وهنها بالتعارض، ومخالفتها للرسم المتداول، المتواتر بين عامّة المسلمين في السنين المتطاولة. وأنّ كلّاً من القراء هو واحد - لم تثبت عدالته ولا وثاقته - يروي عن آحاد، ويروي عنه آحاد وكثيراً ما يختلفون في الرواية عنه، فكم اختلف حفص وشعبة في الرواية عن عاصم. وكذا قالون وورش في الرواية عن نافع... وهكذا. مع أنّ أسانيد هذه القراءات الأحادية لا يتّصف واحد منها بالصحة في مصطلح أهل السنّة في الإسناد، فضلاً عن الإماميّة، كما لا يخفى على من جاس خلال الديار. فيا للعجب ممّن يصف هذه القراءات السبع بأنّها متواترة»^٢.

وقال سيّدنا الأستاذ الإمام الخوئي رحمته: «المعروف عند الشيعة الإماميّة أنّها غير متواترة بل القراءات بين ما هو اجتهاد من القارئ، وبين ما هو منقول بخبر الواحد، وقد

١ - التفسير الكبير، ج ١، ص ٦٣.

٢ - آلاء الرحمان، ج ١، ص ٢٩-٣٠، الفصل الثالث من المقدّمات.

اختار هذا القول جماعة من المحققين من أهل السنة، وغير بعيد أن يكون هذا هو المشهور بينهم^١. ثم برهن على ذلك بما حاصله:

- ١- إن استقراء حال القراء يورث القطع بأنّ القراءات نقلت إلينا بأخبار الآحاد.
- ٢- وإن التأمّل في الطرق التي أخذ القراء عنها يدلّ بالقطع على أنّها نقلت إليهم بطريق الآحاد.
- ٣- وإنّ اتصال الأسانيد بهم أنفسهم يقطع التواتر، حتى لو كان متحقّقاً في جميع الطبقات، فإنّ كلّ قارئ إنّما ينقل قراءة ته بنفسه.
- ٤- وإنّ احتجاج كلّ قارئ على صحّة قراءته وإعراضه عن قراءة غيره دليل قطعيّ على إسنادها إلى اجتهادهم دون التواتر عن النبيّ ﷺ وإلاّ لم يحتج إلى الاحتجاج.
- ٥- أضف إلى ذلك إنكار جملة من الأعلام على جملة من القراءات. ولو كانت متواترة لمّا صحّ الإنكار^٢.

وذكر الشيخ طاهر الجزائري: «أنّه لم يقع لأحد من الأئمّة الأصوليين تصريح بتواتر القراءات. وقد صرح بعضهم^٣ بأنّ التحقيق أنّ القراءات السبع متواترة عن الأئمّة السبعة، أمّا تواترها عن النبيّ ﷺ ففيه نظر، فإنّ إسناد الأئمّة السبعة بهذه القراءات موجود في الكتب، وهي نقل الواحد عن الواحد»^٤.

وقال الزمخشري: إنّ القراءة الصحيحة التي قرأ بها رسول الله ﷺ إنّما هي في صفتها وإنّما هي واحدة، والمصلّي لا تبرأ ذمّته من الصلاة إلّا إذا قرأ - فيما وقع فيه الاختلاف - على كلّ الوجوه، كملك ومالك، وصراط وسراط وغير ذلك..... قال السيد العاملي: وكلامه هذا إمّا مسوق لإنكار التواتر إليه ﷺ أو إنكار لأصله^٥.

١ - البيان في تفسير القرآن، ص ١٢٧. ٢ - المصدر، ص ١٦٥.

٣ - لعنّه يقصد الإمام بدر الدين الزركشي فيما تقدّم كلامه، راجع: البرهان، ج ١، ص ٣١٨-٣١٩.

٤ - التبيان، ص ١٠٥؛ والبيان في تفسير القرآن، ص ١٧٠.

٥ - مفتاح الكرامة، ج ٢، ص ٣٩٢-٣٩٣.

تحمّسات عاطفيّة فارغة

تلك تصريحات ضافية من أئمة الفنّ قديماً وحديثاً، تنبئك بوضوح عن واقعيّة ناصعة لا مجال للتشكيك فيها، وسنعرضها على أدلة وافية باستجلاء الحقيقة أكثر.

ومع ذلك فقد تحمّس البعض وبالع في الإشادة بشأن القراءات السبع، قائلاً: من زعم أنّ القراءات السبع لا يلزم فيها التواتر، فقلوه كفر، لأنّه يؤدّي إلى عدم تواتر القرآن جملة... ويعزي هذا الرأي إلى مفتي البلاد الأندلسيّة أبي سعيد «فرج بن لب» وقد تحمّس لرأيه كثيراً وألّف رسالة كبيرة في تأييد مذهبه والردّ على من ردّ عليه.

لكن دليله الذي استند إليه لا يسلم له، فإنّ القول بتواتر القرآن لا يستلزم القول بتواتر القراءات، للفرق الواضح بين القرآن والقراءات السبع، بحيث يصحّ أن يكون القرآن متواتراً في غير القراءات السبع، أو في القدر المتّفق عليه عند القراء جميعاً، أو في القدر الذي اتّفق عدد منهم يؤمن تواطؤهم على الكذب، قرّاء كانوا أم غير قرّاء بينما لا تكون القراءات السبع متواترة، وذلك في القدر الذي اختلفوا فيه.^١ وسنوضّح ذلك بتفصيل.

وهكذا بالغ ابن السبكي في «جمع الجوامع» قال: «القراءات السبع متواترة تواتراً تاماً، أي نقلها عن النبي ﷺ جمع يمتنع عادة تواطؤهم على الكذب لمثلهم وهلمّ جرّاً. ولا يضرّ كون أسانيد القراء آحاداً، إذ تخصيصها بجماعة لا يمنع مجيء القراءات عن غيرهم، بل هو الواقع، فقد تلقّاها - عن أهل كلّ بلد بقراءة إمامهم - الجمّ الغفير عن مثلهم، وهلمّ جرّاً».^٢

ويناقش قوله هذا، بأنّها لو تواترت جميعاً لما اختلف القراء في شيء منها. وأيضاً فإنّ كلامه الأخير أبان اشتباهه قائله في خلط التواتر عن النبي ﷺ بالتواتر عن القراء.

وقد أسبقنا طعن الزمخشري على ابن عامر قراءته بإضافة القتل إلى الشركاء مع فصل المفعول به (سورة الأنعام: ١٣٧) قائلاً: إنّ الفصل بين المضاف والمضاف إليه إن كان فهو من ضرورة الشعر وليس من فصيح الكلام، ولا سيّما مثل القرآن المعجز بحسن نظمه

وجزالة أسلوبه... قال: والذي حمّله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف^١ «شركائهم» مكتوباً بالياء...^٢

وقد ثارت ضجة أهل التقليد وعلت عجتهم، بأنّه طعن في قراءة متواترة وسوء ظن بمواضع القراء المقبولين، الأمر الذي يوجب الخروج عن الدين!

قال أحمد بن المنير الإسكندري - في تعليقه على الكشف -: هذا كما ترى ظنّ من الزمخشري أن ابن عامر قرأ قراءة هذه رأياً منه، وكان الصواب خلافه والفصيح سواه. ولم يعلم الزمخشري أن هذه القراءة، بها يعلم ضرورة أن النبي ﷺ قرأها على جبرائيل كما أنزلها عليه كذلك. ثم تلاها النبي ﷺ على عدد التواتر من الأئمة، ولم يزل عدد التواتر يتناقلونها ويقراءون بها خلفاً عن سلف، إلى أن انتهت إلى «ابن عامر» فقرأها أيضاً كما سمعها. فهذا معتقد أهل الحق في جميع الوجوه السبعة أنها متواترة جملةً وتفصيلاً عن أفصح من نطق بالضاد.

قال: فإذا علمت العقيدة الصحيحة فلا مبالاة بعدها بقول الزمخشري، ولا بقول أمثاله ممن لحّن «ابن عامر». فإن المنكر عليه إنما أنكر ما ثبت أنه براء منه قطعاً وضرورة. ولو لا عذر أن المنكر ليس من أهل الشائين، أعني علم القراءة وعلم الأصول، ولا يعدّ من ذوي الفئتين المذكورين، لخيف عليه الخروج من ربة الدين.

ثم أخذ في توجيه قراءة ابن عامر، بأن الفصل بين المضاف والمضاف إليه وإن كان عسراً، إلا أن المصدر إذا أضيف إلى معموله فهو مقدّر بالفعل وبهذا التقدير عمل، وكأنه بهذا التقدير فكّه بالفعل، ثم قدّم المفعول على الفاعل وأضافه إلى الفاعل وبقي المفعول مكانه حين الفك. قال: ليس غرضنا تصحيح القراءة بقواعد العريّة، بل تصحيح قواعد العريّة بالقراءة، وهذا القدر كاف.^٣

١ - قال القراء: وفي بعض مصاحف أهل الشام «شركائهم» بالياء... معاني القرآن، ج ١، ص ٣٥٧.

٢ - الكشف، ج ٢، ص ٧٠؛ وتقدّم في ص ٣٤ من هذا الكتاب.

٣ - هامش الكشف، ج ٢، ص ٦٩-٧٠.

أقول: ما أجهل الرجل بعلم القراءة وبمبادئ الأصول، ومع ذلك يطعن على علامة الأدب والتفسير فيما كان أعلم أهل زمانه به!

انظر إلى جهل الرجل بمسألة تواتر القراءات، كيف ولو قرأ النبي ﷺ تلك القراءة على عدد التواتر، كيف أن هذا التواتر قد هزل حجمه ونحف جسمه عند بلوغه (ابن عامر) ولم يسمعها سواه؟!

هذا... ولم يعرف لحد الآن لابن عامر شيخ تتلمذ عليه، سوى ما يقال: إنه قرأ على عثمان، الذي هو بدوره لم يعرف عنه أنه من المقرئين في أي دور من أدوار حياته! وقد عرفت أن العقيدة الصحيحة الثابتة من محقق علمي الأصول والقراءات، سواء من أهل السنة أو الإمامية، أن القراءات غير متواترة لاعتن النبي ﷺ ولا عن الصحابة الأولين، سوى قراءة واحدة، وهي قراءة حفص المتوافقة مع قراءة جمهور المسلمين، التي توارثوها يداً عن يد، وكابراً عن كابر.

وهكذا تحمّس مسعود بن عمر التفتازاني لابن عامر، وثار في وجه الزمخشري عبثاً، قال: هذا أشد الجرم، حيث طعن في إسناد القراء السبعة ورواياتهم، وزعم أنهم يقرأون من عند أنفسهم. وهذه عادته يطعن في تواتر القراءات السبع وينسب الخطأ تارة إليهم - كما في هذا الموضع - وتارة إلى الرواة عنهم. وكلاهما خطأ.^١

وليته لم يتعرّض لما لا يعنيه ولا كان هو من أهله!

ونظيره - في التحمّس الفارغ - أحمد بن يوسف أبو العباس الكواشي، حمل على الزمخشري حملة عشواء، قائلاً: كلام الزمخشري يشعر بأن ابن عامر ارتكب محظوراً، وأنه غير ثقة، لأنه يأخذ القراءة من الصحف لآمن المشايخ، ومع ذلك أسندها إلى النبي ﷺ وليس الطعن في ابن عامر طعنًا فيه، وإنما هو طعن في علماء الأمصار، حيث جعلوه أحد القراء السبعة المرضيين. وفي الفقهاء، حيث لم ينكروا عليه، وأنهم يقرأونها في محاربيهم. والله أكرم من أن يجمعهم على خطأ.^٢

قلت: لاشك أنه كذلك، ولعل الكواشي لم يعرف أن لم يثبت لابن عامر شيخ معروف... ثم من أين عرف أن الفقهاء يقرأون بقراءته ولو كانت باطلة في القياس وعلى خلاف قراءة جمهور المسلمين؟ وأما تعيينه أحد السبعة فهو من فعل ابن مجاهد - كما عرفت - وبضغط من السلطة القائمة حينذاك، على غرار حصر المذاهب في الأربعة. وقد أنكر علماء الأمصار على ابن مجاهد فعله هذا. كما أسلفنا.

والأغرب الأعجب ما تسفه به أبوحيان الغرناطي هنا، جعل يسفس القول ويلوك في فمه كلاماً لم يصدر عن تعقل قط. انظر إلى هذره:

وأعجب لعجمي ضعيف في النحو، يردّ على عربي صريح محض، قراءة متواترة، موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت وأعجب لسوء ظنّ هذا الرجل بالقراء الأئمة الذين تخيّرتهم هذه الأئمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم، لضبطهم و معرفتهم وديانتهم.

ثم حاول توجيه القراءة بما يبدو عليه التعسف والتمحل الباهت، قال: وهي - أي الفصل بين المتضايين - مسألة مختلف في جوازها، فجمهور البصريين يمنعونها متقدّموهم ومتأخروهم ولا يجيزون ذلك إلا في ضرورة الشعر. وبعض النحويين أجازها، وهو الصحيح، لوجودها في هذه القراءة المتواترة المنسوبة إلى العربيّ الصريح المحض ابن عامر الآخذ القرآن عن عثمان بن عفّان قبل أن يظهر اللحن في لسان العرب.^١

قلت: أولاً: لم يثبت لابن عامر نسب معروف. قال الذهبي: وكان يغمز في نسبه... ولما استخلف سليمان بن عبد الملك أمر المهاجر بن أبي المهاجر أن يدخل مسجد دمشق ويقف خلف موضع الإمام، فإذا تقدّم ابن عامر، فليأخذ بثيابه ويجذبه، وليقل له: تأخر، فلن يتقدّم منّا دعياً.^٢

أما إسناده فقد ذكر ابن الجزري تسعة أقوال كلّها وإٍ ساقط لا أصل له، ويرجح أنه قرأ

على المغيرة بن أبي شهاب.^١ ثم من هذا المغيرة؟ قال الذهبي: ولا يكاد يعرف إلا من قبل قراءة ابن عامر عليه! الأمر الذي ادّعاه ابن عامر نفسه.^٢

إذن فلا عربيته ثابتة فضلاً عن محضيته وصراحته فيها، ولا قراءته ذات إسناد معروف فضلاً عن التواتر.

وثانياً: ما شأن عربيّ عاش في أوساط خليطة غير خالصة، وكانت معرفته بأصول اللغة الفصحى هزيلة؟

وهذا الزمخشري إمام معترف به وعلامة دهره والنجم المتألق في أجواء سمائه. وغاية ما استمسك به مدافعو قراءة ابن عامر، بيت شعر لم يعرف قائله، ولا عرف له في العربية نظير، وهو:

فَزَجَجْتُهَا بِمِزْجَةٍ رَجَّ الْقُلُوصَ أَبِي مَزَادَةَ

قال أبو فراس الحلبي - في المفصل -: لم يسم أحد قائله ولا ذكر له سابقاً ولا لاحقاً.^٣ والأرجح أنه من الشعر المصطنع، كما دأب عليه بعض أصاغر النحاة ذلك العهد. قال ابن الأنباري: وأما نصب «أولادهم» وجر «شركائهم» فهو ضعيف في القياس جداً. ومثل هذا لا يكون في اختيار الكلام بالإجماع، واختلفوا في ضرورة الشعر، فأجازه الكوفيون وأباه البصريون. وهذه القراءة ضعيفة في القياس بالإجماع.^٤

قلت: وليس البصريون وحدهم يمنعون، بل الكوفيون معهم أيضاً، هذا «الفراء» يقول في عرض كلامه:

وليس قول من قال: إنه مثل قول الشاعر - وذكر البيت - بشيء. وهذا ممّا كان يقوله نحويو أهل الحجاز. ولم نجد مثله في العربية.^٥

هذا إمام أهل الكوفة يصرّح بعدم وجدان مثله في العربية.

١ - غاية النهاية لابن الجزري، ج ١، ص ٤٢٤. ٢ - المصدر، ج ٢، ص ٣٠٥.

٣ - هامش المفصل في العربية للزمخشري، ص ١٠٢. ٤ - البيان في غريب إعراب القرآن، ج ١، ص ٣٤٢-٣٤٣.

٥ - معاني القرآن، ج ١، ص ٣٥٨.

قال الزمخشري - في باب الفصل بين المتضايفين -: وما يقع في بعض نسخ «الكتاب»^١ من قول الشاعر - وذكر البيت - فسيبويه بريء من عهده^٢. الأمر الذي يؤكد كون البيت مصطنعاً.

وقال أبو علي الفارسي: هذا قبيح قليل في الاستعمال، ولو عدل عنها كان أولى^٣. قال مكّي بن أبي طالب: وهذه القراءة فيها ضعف، لأنّ الفصل بين المتضايفين إنّما يجوز في الشعر مع الظروف لاتساعهم فيها، وهو في المفعول به في الشعر بعيد، فإجازته في القرآن أبعد^٤.

وهكذا تصريحات وافرة من أئمة اللغة والقراءات، بتلحين قراءة ابن عامر هذه. لا نطول بذكرها.

وللأستاذ الزرقاني - هنا - اضطراب في الاختيار بينما يختار أولاً مذهب أبي شامة الآنف، إذا هو يرجع عنه زاعماً اتّساع أفق اطلاعه أخيراً.

لكن في كلامه أولاً تحقيق، بينما رجوعه لا يعدو رجوعاً عن تحقيق إلى تقليد في تحمّس عاطفي فارغ.

قال - أولاً -: ورأي أبي شامة هذا كنت أقول في الطبعة الأولى: إنّ أمثل الآراء فيما أرى، وذلك للأمور التالية:

إنّه يستند في دعواه وفي دليله إلى الواقع، وذلك: أنّ القراءات السبع وقع اختلاف بعضها حقيقة في النطق بالألفاظ الكلمات تارة، وبأداء تلك الألفاظ أخرى، ومن هنا كانت الدعوى مطابقة للواقع.

ثمّ إنّ دليله يقوم على الواقع - أيضاً - في أنّ بعض الروايات مضطربة في نسبتها إلى

١ - يريد كتاب سيبويه. ٢ - المفصل في العربية، ص ١٠٢.

٣ - البحر المحيط، ج ٤، ص ٢٣٠.

٤ - الكشف، ج ١، ص ٥٤؛ ومشكل إعراب القرآن لمكّي بن أبي طالب، ج ١، ص ٢٧٢.

الأئمة القراء، فبعضهم نفاها وبعضهم أثبتها، وذلك أمانة انتفاء التواتر، لأن الاتفاق في كل طبقة من الجماعة الذين يؤمن تواطؤهم على الكذب، لازم من لوازم التواتر، وقد انتفى هذا الاتفاق هنا، فينتفي التواتر، لما هو معلوم، من أنه كلما انتفى اللازم انتفى الملزوم.

وأيضاً فإن هذا الرأي صادر عن أخصائي^١ متمهر في القراءات وعلوم القرآن، هو «أبوشامة» وصاحب الدار أدري بما فيها.

وأخيراً، فإن هذا الرأي يتفق وما هو مقرر لدى المحققين، من أن القراءات قد تنوَّفر فيها الأركان الثلاثة المذكورة في ذلك الضابط المشهور وقد تنتفي هذه الأركان، كلاً أو بعضاً، لا فرق في هذا بين القراءات السبع وغير السبع على نحو ما تقدّم. كما يتفق أيضاً مع ما صرحوا به من تقسيم القراءات باعتبار السند إلى ستة أقسام.^٢

ثم استدرك اختياره هذا برجوعه أخيراً، قال: لكني بعد معاودة البحث والنظر، واتساع أفق اطلاعي فيما كتب أهل التحقيق في هذا الشأن، تبين لي أن أبا شامة أخطأ الصواب، وأني أخطأت في مشايعته - وجعل يردّ على الوجوه المذكورة بما يلي -:

قال: إن الغطاء قد انكشف عن أن القراءات السبع، بل القراءات العشر كلها متواترة في الواقع - (لم يبين عن النبي ﷺ أم عن القراء) - قال: وإن الخلاف بينها لا ينفي عنها التواتر - (لم ندر بماذا كشف هذا الغطاء، ولم يشرح كيف لا يتنافى الخلاف مع تواترها) -.

وقال: «أما أن أبا شامة أخصائي متمهر، فسبحان من له العصمة، والكمال لله وحده. على أن الذي ردّ عليه واخترنا رأيه - وهو ابن الجزري - أيضاً أخصائي متمهر، وكم ترك الأول للآخر. وأخيراً قال: وأما تقسيم القراءات إلى ستة أقسام فهو يرجع إلى مطلق القراءات، وكلامنا - هنا - في خصوص القراءات السبع.^٣

٢ - مناهل العرفان، ج ١، ص ٤٣٨-٤٣٩.

١ - هكذا في عبارته، والصحيح: اختصاصي.

٣ - المصدر، ج ١، ص ٤٣٩-٤٤٠.

ولعلّه تابع القاضي البلقيني، في قوله: «فالتواتر: القراءات السبع». الذي شطب عليه تلميذه جلال الدين السيوطي، وقال: وهذا الكلام فيه نظر، واختار مذهب ابن الجزري بصحة التقسيم المذكور^١ وقد تقدّم كلامه.

أمّا مذهب ابن الجزري في كتابه «منجد المقرئين» الذي أعجب الأستاذ الزرقاني، فقد عدل عنه في سائر كتبه التحقيقية، على عكس الأستاذ، فكان مذهبه في المنجد مسيطراً عليه جانب العاطفية أكثر من جانب تحقيق الواقع، لكن الحقيقة جذبتة أخيراً إلى اختيار ما هو الحقّ، ويقتضيه التحقيق النزيه، قال: «ولقد كنت - قبل - أجنح إلى هذا القول (أي القول بتواتر السبع) ثمّ ظهر فسادُه وموافقة أئمة السلف والخلف»^٢ وقد تقدّم نقل كلامه بطوله.

بينما الإمام ابن الجزري يعدل عن رأيه الأوّل، عدولاً عن تحمّس عاطفيّ إلى لمس الواقعيّة، فإنّ مقلّده الأستاذ، يعدل عن تحقيق هداه إليه تقليده الأوّل، إلى عصبية مضلّة زعمها اتساع أفق فكريّ، في حين أنّه تقليد أعمى محض!

هذا وقد عُرِف ابن الجزري بإبدال شرط التواتر إلى شرط صحة السند فحسب، قال في أرجوزته:

فكلُّ ما وافق وجهَ نحو	وكان للرسم احتمالاً يحوي
وصحّ إسناداً هو القرآنُ	فهذه الثلاثة الأركان
وحيثما يختلّ ركنٌ أثبتّ	شذوذه لو أنّه في السبعة ^٤

واشتهر بهذا المذهب سلفاً وخلفاً، كما عرفت عن السيوطي وغيره، وحتىّ في كتب القراءات المتأخّرة.^٥

١ - راجع: الإتيان، ج ١، ص ٢١٠.

٢ - إشارة إلى ماسجّله في المنجد.

٣ - النشر، ج ١، ص ١٣.

٤ - شرح طيّبة النشر لأحمد بن محمد بن الجزري، ص ٥-٦.

٥ - راجع: المهدّب في القراءات العشر لمحمّد سالم محيسن، ج ١، ص ٢٧.

هفوة من عظيم

المعروف من مذهب أهل البيت عليهم السلام أن القرآن واحد نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة كما في الحديث المتفق عليه عن الإمام الصادق عليه السلام.^١ وعلى ذلك سار فقهاء الإمامية خلفاً عن سلف، لم يشذّ عنهم أحد لا قديماً ولا حديثاً. نعم أخذوا من القراءات المشهورة المتلقاة بالقبول لدى عامة المسلمين طريقاً إلى القرآن الموحى إلى النبي صلى الله عليه وآله فقالوا بجواز القراءة بما يتداوله القراء المعروفون، وبذلك صحّ أحاديثهم المروية عن أهل البيت. وعملهم الذي ساروا عليه في الفقه والاستنباط. قال الشيخ أبو جعفر الطوسي رحمته الله: «إنّ العرف من مذهب أصحابنا والشائع من أخبارهم ورواياتهم: أن القرآن نزل بحرف واحد على نبي واحد، غير أنّهم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء»^٢ وقد عرفت - في الفصل المتقدم - كلام الحجة البلاغي، والإمام الخوئي، وهكذا تجد كلمات علمائنا متفقة في ذلك في جميع مصنفاتهم الفقهية والكلامية وكتبهم في القرآن والتفسير.

هذا... وقد شدّ كلام غريب من شيخنا الشهيد الثاني زين الدين الجبعي رحمته الله ذكر في كتابه «المقاصد العلية في شرح الألفية»: «أنّ كلاً من القراءات السبع، من عند الله تعالى، نزل به الروح الأمين على قلب سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله تخفيفاً على الأمة وتهويناً على أهل هذه الملة»^٣.

وهذا الكلام من مثل هذا الرجل العظيم مستغرب جداً ولا يقبل أيّ تأويل أو حمل وجيه.

وأظنه قد فرط منه ذلك في أوليات تأليفه من غير تحقيق - نظير ما كتبه ابن الجزري

١ - الكافي، باب النوادر من كتاب «فضل القرآن»، ج ٢، ص ٦٣٠.

٢ - مفتاح الكرامة، كتاب الصلاة، ص ٣٩٢.

٣ - التبيان، ج ١، ص ٧.

ففي منجده ثم رجع عنه في سائر كتبه المتأخرة التحقيقية - ومن ثم لا نرى لذلك أثراً في سائر تأليفه التحقيقية الضخمة التي كتبها متأخراً، كمسالك الأفهام في شرح شرائع الإسلام، والروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقيّة، وغيرهما.

وقد ردّ عليه الوحيد البهبهاني - في حاشية المدارك - قائلاً: «لا يخفى أنّ القراءة عندنا نزلت بحرف واحد، من عند الواحد، والاختلاف جاء من قبل الرواية - إشارة إلى حديث الإمام الصادق عليه السلام الذي تسلمه الأصحاب بالقبول -»^١.

وقال الشهيد الثاني - أيضاً - : «ليس المراد بتواتر القراءات أنّ كلّ ماورد من هذه السبع متواتر، بل المراد: انحصار المتواتر الآن فيما نقل من هذه القراءات، فإنّ بعض ما نقل عن السبعة شاذّ، فضلاً عن غيرهم، كما حقّقه جماعة من أهل هذا الشأن».

قال سبطه (السيد محمد العاملي) - بعد نقل ذلك عنه - : «هذا مشكل جداً لكون المتواتر لا يشتبّه بغيره».

قال السيّد محمد الجواد العاملي: «وكلام الشهيد الثاني هذا - بظاهره - قد يخالف كلامه السابق، مع أنّه ذكر الكلامين في كتاب واحد، والجمع بينهما ممكن»^٢.

قلت: ذلك دليل على أنّ كلامه الأوّل صدر منه من غير تحقيق ولا التفات - عن جدّ - إلى فحواه، وإلا فكيف هذا التناقض؟! ولا يخفى عدم إمكان الجمع بين الكلامين، ولا بين كلامه الأوّل وكلام سائر علمائنا الأعلام. فالصحيح أنّه من أوّليات كتاباته في الفقه، إذ لم نجد له أثراً في سائر تأليفه إطلاقاً.

أمّا موقع القراءات السبع المشهورات من القرآن الثابت الجائز قراءته في الصلاة عندنا، فسنتكلم عنه في فصل قادم عندما نعرض اختيارنا في القراءة الصحيحة.

٢- أدلة في وجه زاعمي التواتر

مصطلح التواتر

التواتر مصطلح فن «معرفة الحديث» حيث يقسم إلى متواتر ومشهور ومستفيض وآحاد، وصحيح وحسن ومرسل وضعيف...

والحديث المتواتر: ما بلغ رجال إسناده في جميع الطبقات حداً في الكثرة والانتشار، بحيث يؤمن - قطعياً - تواطؤهم على مصانعة الكذب. ومن ثمّ يجب في الحديث المتواتر توفر الشروط التالية:

١ - اتصال الإسناد من الراوي الأخير إلى مصدر الحديث الأول اتصالاً تاماً.

٢ - يبلغ عدد الرواة والناقلين حداً من الكثرة والانتشار فوق الاستفاضة والاشتهار بما يؤمن تواطؤهم على الكذب.

٣ - أن يحتفظ بنفس الحجم من كثرة النقلة في كل دور وطبقة، فالكثرة تنقل عن الكثرة وهكذا إلى المصدر الأول.

وعليه فلو تضاعف حجم العدد في طبقة من هذه الطبقات أو انتهت إلى واحد ثم أخذ أيضاً في الانتشار والتضخم، فإنّ هذا لا يسمّى متواتراً في الاصطلاح، ويدخل في أخبار الآحاد.

وحديث «تواتر القراءات» - إن تسلّمناه - فمن النمط الأخير، أنّها متواترة عن القراء أنفسهم، أمّا من قبلهم فإلى طبقة الصحابة وعهد رسول الله ﷺ فلا تعدو أخبار آحاد، لو كان هناك إسناد، وإلا فالأمر أفضح. ممّا سيبدو من خلال بحوثنا التالية.

أسانيد تشرifiّة

اصطلح المؤلفون في القراءات على ذكر إسناد القراء، ولاسيّما السبعة، متّصلاً إلى رسول الله ﷺ وهذا شيء التزموه مهما استدعى تكلفاً ظاهراً، في حين أنّ القراء أنفسهم لم

يكونوا يلتزمون بذلك في غالب اختياراتهم، وإنما يذكرون لها حججاً وتعاليل، ذكرتها كتب القراءات بتفصيل.

والأرجح أن الأسانيد المذكورة في بعض كتب القراءات - كالتيسير والتحبير والمكرر - أسانيد تشرifiّة، محاولة لنسبتها إلى النبي ﷺ تفخيماً بشأن القراءة، وهي من شؤون القرآن الكريم. وإلا فإدنى تمحيص بشأن هذه الأسانيد يكشف عن واقعيّة مفضوخة.

مثلاً: نجد عبدالله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨) - أقرب القراء السبعة إلى عهد الصحابة - لا سند له متّصلاً إلى أحد الصحابة الاختصاصيين بقراءة القرآن، فقد ذكر ابن الجزري في إسناده تسعة أقوال، وأخيراً يرجّح أنّه قرأ على المغيرة بن أبي شهاب المخزومي، وهذا قرأ على عثمان بن عفان، وعثمان قرأ على النبي ﷺ ثمّ ينقل عن بعضهم: أنّه لا يدري على من قرأ ابن عامر؟^١

ثمّ نتساءل: من هذا المغيرة المخزومي الذي قرأ عليه ابن عامر؟ يقول الذهبي: «وأحسبه كان يقرئ بدمشق في دولة معاوية، ولا يكاد يعرف إلّا من قبل قراءة ابن عامر عليه!».^٢

انظر إلى هذا التهافت الباهت والدور الفاضح، يعزي إسناده قراءة ابن عامر إلى شيخ مجهول لا يعرف إلّا من قبله؟!

ثمّ من أين عرفوا أنّ المغيرة - هذا - قرأ على عثمان؟ وبأيّ سند أثبتوا هذه التلمذة المصطنعة؟ ومتى تصدّى عثمان لإقراء الناس؟ أفي زمان خلافته المضطرب، أم قبله؟ ومن الذي وصف عثمان بشيخ القراءة أو الإقراء، أفي حياة الرسول ﷺ أو بعد وفاته؟! نعم هكذا إسناده مفضوح لا يستدعي تحمّساً أو تعصّباً أعمى، فضلاً عن نعته بالتواتر المكذوب!

آحاد لا تواتر

ثمّ على فرض ثبوت إسناد بين القارئ وأحد الصحابة الأوّلين، فهو إسناد آحاد لا يبلغ حدّ التواتر، ولا يتوفّر فيه شروطه أصلاً.

هذا عبدالله بن كثير - ثاني القراء قرباً إلى عهد الصحابة - (ت ١٢٠) لم يذكروا في رجاله سوى ثلاثة: عبدالله بن السائب، ومجاهد بن جبر، ودرباس مولى ابن عباس. وكذا عاصم بن أبي النجود - ثالث القراء قرباً - (ت ١٢٨) رجاله اثنان: أبو عبدالرحمان السلمي، وزرّ بن حبّيش.

وأبعد القراء - زماناً - بعهد الصحابة هو الكسائي (ت ١٨٩) ذكروا له ثلاثة رجال: حمزة بن حبيب، وعيسى بن عمر، ومحمد بن أبي ليلى. وهل يثبت التواتر - في هذا الطول من الزمان - بطرق ثلاثة أو اثنين؟

نعم ذكروا لنافع خمسة رجال، ولحمزة سبعة، ولأبي عمرو اثني عشر، وذلك أيضاً لا يثبت التواتر، لأنّها آحاد في مصطلح الفنّ كما لا يخفى.

هذا مع الغضّ عن الخدشة في رجالات هذه الأسانيد، ممّن كان يعوزهم صلاحية الإقراء، أو ليس من شأنهم التصديّ لإقراء الناس، مثلاً ذكروا من شيوخ حمزة «الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)» وأنّ مقام إمامته الكبرى لتشغله عن التصديّ لهكذا أمور صغيرة، كما لم نر أثراً من قراءة الإمام (عليه السلام) في قراءة حمزة ولا هو نسبها إلى الإمام (عليه السلام).

ومن ثمّ قال أبو شامة: «و غاية ما يبديه مدّعي التواتر... أنّه متواتر إلى ذلك الإمام الذي نسبت القراءة إليه، بعد أن يجهد نفسه في استواء الطرفين والواسطة، إلّا أنّه بقي عليه التواتر من ذلك الإمام إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ... وهنالك تسكب العبرات...»^١ قلت: بل ودون إثباته خراط القتاد.

على أن مسارب الشك في صحّة تلکم الطرق ملموسة، بعد أن لم يكن لها أثر في كتب الأوائل، وإنّما هو شيء صُنِع متأخراً - في القرن الثالث - يوم أصبحت القراءة والإحاطة بفنونها صنعة رائجة. ولم ينقل - بنقل صحيح - أن أحداً من القراء أسند قراءته إلى السماع (من عدى عاصم) أو النقل المتواتر عن النبي ﷺ قط.

وشيء آخر: أنّه يجب في التواتر استواء الطرفين والواسطة في عدد الرجال الناقلين، في حين أن النقل المتواتر المتأخّر عن القارئ ينتهي إليه وحده. وهو الذي ينقل لنا أنّه سمعها متواتراً - فرضاً - عن النبي ﷺ أو أحد الصحابة، وهنا ينقطع التواتر، لأنّ الواسطة أصبح واحداً.

ومن ثمّ قال سيّدنا الأستاذ ﷺ: «اتصال أسانيد القراءات بالقراء أنفسهم يقطع تواتر الأسانيد، حتى لو كانت رواها في جميع الطبقات ممّن يمتنع تواطؤهم على الكذب، فإنّ كلّ قارئ إنّما ينقل قراءته بنفسه»^١.

إنكارات على القراء

وأقوى دليل يُرشدنا إلى عدم اعتراف الأئمة السلف بتواتر القراءات، تلك استنكاراتهم على قراءات كثير من القراء المشهورين، وحتى السبعة، وكيف يجزأ مسلم محافظ، أن ينكر قراءة يرى تواترها عن النبي ﷺ؟

هذا الإمام أحمد بن حنبل كان ينكر على حمزة كثيراً من قراءاته، وكان يكره أن يصلّي خلف من يقرأ بقراءة حمزة، ياترى، إذا كانت قراءة حمزة - وهو من السبعة - متواترة عن النبي ﷺ وأن النبي ﷺ هو الذي قرأها ونقلت إلى حمزة متواترة قطعيّة، فما الذي يدعو إلى كراهتها، أ فهل يكره مسلم قراءة قرأها رسول الله ﷺ؟!

وكان أبو بكر بن عيَّاش يقول: قراءة حمزة عندنا بدعة. وقال ابن دريد: إنِّي لأشتهي أن يخرج من الكوفة قراءة حمزة. وكان ابن المهدي يقول: لو كان لي سلطان على من يقرأ قراءة حمزة، لأوجعت ظهره وبطنه. وكان يزيد بن هارون يكره قراءة حمزة كراهة شديدة.^١

وتقدّم تلحين أئمة النحو والأدب كثيراً من قراءات القراء الكبار، وقد أنكر المبرّد قراءة حمزة: «والأرحام» - بالخفض - و«مصرخي» - بكسر الياء - وأنكر مغاربة النحاة كابن عصفور، قراءة ابن عامر: «قتل أولادهم شركائهم» برفع «قتل» ونصب «أولادهم» وخفض «شركائهم»^٢ وخطأ الفارسي قراءة ابن عامر: «ارجئه»^٣ وتقدّم تفصيل ذلك.^٤

وهل يجزأ مسلم أن يخطئ أو ينكر قراءة هي متواترة عن رسول الله ﷺ؟! فإن دلّ ذلك فإنما يدلّ على أن ما أنكره شيء منسوب إلى نفس القراء، إنكاراً عليهم، لا إنكاراً لشيء ثبت عن رسول الله ﷺ قطعياً، تدلّنا على ذلك التعليقات الواردة في هذه المناسبات تبريراً للإنكارات المزبورة، فقد أنكر أبو العباس المبرّد قراءة أهل المدينة: «هُؤْلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ»^٥ قال: هو لحن فاحش، وإنّما هي قراءة ابن مروان، ولم يكن له علم بالعريّة^٦ وأمثال ذلك كثير.

وقد عقد ابن قتيبة باباً جمع فيه نماذج من غلط القراء المشهورين وفيهم من السبعة: حمزة ونافع. قال: وما أقلّ من سلم من هذه الطبقة في حرفه من الغلط والوهم^٧ كما جمع محمد عزيمة كثيراً من موارد خطأ النحاة فيها القراء، ونسبهم إلى قلة المعرفة وضعف الدراية، ونقل عن ابن جنّي وصفه للقراء - بصورة عامّة - في كتابه «الخصائص» بضعف

١ - تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ٣، ص ٢٧-٢٨. ٢ - البرهان للزركشي، ج ١، ص ٣١٩.

٣ - البحر المحيط، ج ٤، ص ٣٦٠. ٤ - في الفصل السابق «غلوّ في الأدب».

٥ - هود ١١: ٧٨؛ بنصب «أطهر» وهي قراءة شاذة. ٦ - المقتضب، ج ٤، ص ١٠٥.

٧ - تأويل مشكل القرآن، ص ٦١.

الدراية. وفي كتابه «المنصف» بالسهو والغلط، إذ ليس لهم قياس يرجعون إليه.^١ وغير ذلك ما يطول.

وجاء في المرشد الوجيز باب ممّا نسب إلى القراء، وفيه إنكارات من أهل اللغة وغيرهم. منها: الجمع بين الساكنين في تاءات البزّي. كان يشدّد التاء في أوائل الأفعال المستقبلية في حال الوصل، في أحد وثلاثين موضعاً من القرآن، نحو: «وَلَا تَيَمَّمُوا الْحَبِيثَ».^٢

ومنها: إدغام أبي عمرو، كان يدغم أوّل حرفين مثلين اجتماعاً من كلمتين سواء سكن ما قبله أو تحرّك، في جميع القرآن، نحو: «شَهْرَ رَمَضَانَ»^٣ و«ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ».^٤ ومنها: قراءة حمزة: «فَمَا اسْطَاعُوا»^٥ قرأ بتشديد الطاء. مدغماً التاء في الطاء، وجمع بين الساكنين وصلاً^٦ ويعدّد كثيراً من الأمثلة خطأ وهم فيها ونسبواهم إلى الوهم وضعف الدراية.^٧

أضف إلى ذلك إنكارات العامة على كثير من قراءات السبعة، وربما كانوا يضطرونهم إلى النزول وفق الرأي العام، ممّا يدلّ على أنّ اختيارهم الأوّل كان عن اجتهاد لا غير. وقد تقدّم حديث إنكار أهل المدينة على الكسائي نبره في قراءة الهمز جاء في نهاية ابن الأثير، قال: ولما حجّ المهدي قدّم الكسائي يصلّي بالمدينة، فهمز فأنكر عليه أهل المدينة، وقالوا: إنّه ينبر في مسجد رسول الله ﷺ بالقرآن.

واننبر: همز الحرف، ولم تكن قريش تهمز في كلامها، قال رجل: «يانبئ الله» فنهره النبي ﷺ وقال: «إنا معشر قريش لاننبر» وفي رواية: «لاتنبر باسمي».^٨

١ - دراسات لأسلوب القرآن، ج ١، ص ٣٢ فما بعد. ٢ - البقرة ٢: ٢٦٧؛ راجع: التيسير، ص ٨٣.

٣ - البقرة ٢: ١٨٥.

٤ - الأنفال ٨: ٧؛ راجع: التيسير، ص ٢٠؛ وسيأتي في «قراءات شاذة من السبعة».

٥ - الكهف ١٨: ٩٧. ٦ - راجع: التيسير، ص ١٤٦.

٧ - المرشد الوجيز، ص ١٧٤ فما بعد. ٨ - النهاية، ج ٥، ص ٧.

قال ابن مجاهد: قال لي قنبل (أحد راويي ابن كثير): قال القواس في سنة ٢٣٧: انق هذا الرجل (يعني البزّي، الراوي الآخر لابن كثير) فقل له: هذا الحرف ليس من قراءة تنا، يعني «وَمَا هُوَ مَيِّتٌ». ^١ مخفّفاً وإنّما يخفّف من الميت من قد مات، وأمّا من لم يمت فهو مشدّد. فلقيت البزّي فأخبرته، فقال: قد رجعت عنه... ^٢

ولولا أن اختياره الأوّل كان عن اجتهاد، لما صحّ له الرجوع، ولما جاز الإنكار عليه. وأيضاً قال محمد بن صالح: سمعت رجلاً يقول لأبي عمرو بن العلاء: كيف تقرأ «لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ. وَلَا يُوثِقُ وَثاقَهُ أَحَدٌ»؟ ^٣ فقال: «لا يعذب» - بكسر الذال المشدّدة - فقال له الرجل: كيف؟ وقد جاء عن النبي ﷺ «لا يعذب» بالفتح. فقال أبو عمرو: لو سمعت الرجل الذي قال سمعت النبي ﷺ ما أخذته عنه، أو تدري ما ذاك؟ لأنّي أتّهم الواحد الشاذّ إذا كان على خلاف ما جاءت به العامة. ^٤

انظر إلى كلام أبي عمرو هنا، إنّه يعتمد في قراءته على تسالم عمّة المسلمين (وهو أحد مقاييسنا في اختيار القراءة الصحيحة فيما سيأتي) يترك رواية الواحد إلى جانب ولا يعبأ بها.

هذا... في حين أنّ الفتح هي قراءة الكسائي من السبعة، ويعقوب من العشرة، والحسن من الأربعة. ^٥

أفهل يعقل وجود رواية متواترة بلغت الكسائي وهو في مؤخّرة القرن الثاني ولم تبلغ أبا عمرو، وهو في مقدّمة هذا القرن؟!

وذكر ابن الجزري: أنّ من القراءات ما نقله ثقة، ولا وجه له في العربيّة، وهذا لا يقبل

١ - إبراهيم ١٤: ١٧.

٢ - مناهل العرفان، ج ١، ص ٤٥٢ عن منجد المقرئين لابن الجزري.

٣ - الفجر ٨٩: ٢٥-٢٦.

٤ - مناهل العرفان، ج ١، ص ٤٥٢ عن منجد المقرئين لابن الجزري.

٥ - إتحاف فضلاء البشر، ص ٤٣٩.

وإن وافق خطَّ المصحف، ولا يصدر مثل هذا إلا على وجه السهو والغلط وعدم الضبط، ويعرفه الأئمة المحققون والحفاظ الضابطون، وهو قليل جداً، بل لا يكاد يوجد.

وقد جعل بعضهم منه رواية خارجة عن «نافع»: «معائش» بالهمز.

وما رواه ابن بكّار عن أيوب عن يحيى عن «ابن عامر»: «أدرى أقرب» بفتح الياء مع إثبات الهمز.

وما رواه أبو علي العطار عن العباس عن «أبي عمرو»: «ساحران تظاهرا» بتشديد الظاء.

وما ذكره بعض شرّاح الشاطبية في وقف «حمزة» على نحو: «أسمائهم» و«أوليك» بياء خالصة. ونحو: «شركاؤهم» و«أحباؤه» بواو خالصة. ونحو: «بداكم» و«أخاه»^١ بالالف خالصة.

ونحو: «را» في «رأى». و«ترا» في «تراءى». و«اشمزت» في «اشمأزت» و«فادأرتم» في «فادأرأتم» بالحذف في ذلك كله ممّا يسمّونه «التخفيف الرسمي» ولا يجوز في وجه من وجوه العريّة.

قال: فهذا وإن كان منقولاً عن ثقة، إلا أنه لا يقبل إذ لا وجه له.^٢

قلت: وهو أقوى شاهد على أن ليس كل ما ثبت عن السبعة متواتراً عن النبي ﷺ وإلا لما صحّ ردّه، ولوجب قبوله إطلاقاً.

قراءات شاذّة من السبعة

لدينا - مضافة إلى ما سبق - قراءات من السبعة رميت بالشذوذ، لمخالفتها القياس، أو وقوعها موضع إنكار عامة المسلمين، ممّا يدلّ على أنّها اختيارات اجتهادية رآها

١ - في موضعين (الأعراف ٧: ١١١ والشعراء ٢٦: ٣٦) فإنّه خفّف الهمزة المفتوحة فيهما ألفاً.

٢ - النشر، ج ١، ص ١٦-١٧.

أصحابها خطأ أو لقلّة المعرفة بمقاييس الكلام الصحيح، ومن ثمّ رفضها الأئمة المحقّقون والحفاظ الضابطون، فاتسمت بالشذوذ. ومنع الفقهاء من القراءة بها في الصلاة أو في غيرها بسمّة كونها قرآناً.

من ذلك: الجمع بين الساكنين في تاءات البرّي صاحب قراءة ابن كثير من السبعة. كان يشدّد التاء التي تكون في أوائل الأفعال المستقبلية في حال الوصل في أحد وثلاثين موضعاً من القرآن، نحو: «وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ».^١

ومن ذلك أيضاً: إدغام أبي عمرو إذا اجتمع مثلاًن، أمّا في كلمة واحدة ففي موضعين، أحدهما في «مَنَاسِكُكُمْ»^٢ والثاني في «مَاسَلَكُكُمْ».^٣ وأمّا إذا كانا في كلمتين فإنّه كان يدغم الأوّل في الثاني سواء سكن ما قبله أو تحرّك في جميع القرآن، نحو قوله: «فيه هدى» «شهر رمضان» «أن يأتي يوم» «لا أبرح حتى» «يشفع عنده».^٤

وقراءة حمزة: «فَمَا اسْطَاعُوا» حيث قلب التاء، طاء وأسكنها فأدغمها في الطاء مع سكون السين أيضاً. وهي قراءة شاذّة.^٥

وقراءة أبي عمرو: «بَارِئُكُمْ»^٦ بسكون الهمزة و «يَأْمُرُكُمْ» و «تَأْمُرُهُمْ» و «يَأْمُرُهُمْ» و «يَنْصُرُكُمْ» و «يَشْعُرُكُمْ» حيث وقع في القرآن، كلّ ذلك باختلاس ضمة الراء، وهي قراءة شاذّة.^٧

وقراءة ابن كثير: «يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ»^٨ بسكون الياء.^٩

وقراءة قبل - صاحب قراءة ابن كثير -: «سَبَأُ»^{١٠} بسكون الهمز.^{١١}

٢ - البقرة ٢: ٢٠٠.

٤ - التيسير، ص ٢٠.

٦ - البقرة ٢: ٥٤.

٨ - لقمان ٣١: ١٣.

١٠ - النمل ٢٧: ٢٢.

١ - الكشف، ج ١، ص ٣١٤.

٣ - المدّثر ٧٤: ٤٢.

٥ - الكشف، ج ٢، ص ٨٠.

٧ - النشر، ج ٢، ص ٢١٢.

٩ - التيسير، ص ١٧٦.

١١ - التيسير، ص ١٦٧.

وقراءة حمزة: «مَكْرُ السِّيءِ» بإسكان الهمز في الوصل.^١
 وقراءة قبل: «يَزْتَعِي»^٢ بإثبات الياء بعد العين.^٣
 وقراءته: «يَتَّقِي وَيَصْبِرُ»^٤ بإثبات الياء بعد القاف.^٥
 وقراءة هشام - صاحب قراءة ابن عامر -: «أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ»^٦ بإثبات الياء بعد
 الهمزة.^٧

وقراءة نافع وابن كثير وابن عامر: «لَيْكَةً»^٨ بلام مفتوحة من غير همز بعدها ولا ألف
 قبلها، وفتح التاء. وقرأ الباقر «الْأَيْكَةِ» بالألف واللام مع الهمزة وخفض التاء.^٩
 وقرأ قبل: «سَأَقِيهَا»^{١٠} بهمزة ساكنة بعد السين بدل الألف.^{١١}
 وقرأ حمزة: «وَالْأَرْحَامِ»^{١٢} بالخفض.^{١٣}
 وقرأ ابن عامر: «كُنْ فَيَكُونَنَّ»^{١٤} بالنصب، وتابعه الكسائي في النحل ويُس فقط.^{١٥}
 وقرأ - أيضاً - كما مرّ: «قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ»^{١٦} بالفصل بين المضافين.^{١٧}
 هذه وأمثالها كثيرة يجدها الباحث في كتب القراءات،^{١٨} فكم للسبعة ورواتهم من

-
- | | |
|--|---------------------------------|
| ١ - التيسير، ص ١٨٢. | ٢ - يوسف ١٢: ١٢. |
| ٣ - التيسير، ص ١٣١. | ٤ - يوسف ١٢: ٩٠. |
| ٥ - التيسير، ص ١٣١. | ٦ - إبراهيم ١٤: ٣٧. |
| ٧ - التيسير، ص ١٣٥. | ٨ - الشعراء ٢٦: ١٧٦؛ وص ٣٨: ١٣. |
| ٩ - الإتحاف، ص ٣٣٣. | ١٠ - النمل ٢٧: ٤٤. |
| ١١ - النشر، ج ٢، ص ٣٣٨. | ١٢ - النساء ٤: ١. |
| ١٣ - التيسير، ص ٩٣. | |
| ١٤ - البقرة ٢: ١١٧؛ وآل عمران ٣: ٤٧؛ والنحل ١٦: ٤٠؛ ومريم ١٩: ٣٥؛ ويُس ٣٦: ٨٢؛ وغافر ٤٠: ٦٨. | |
| ١٥ - التيسير، ص ٧٦. | ١٦ - الأنعام ٦: ١٣٧. |
| ١٧ - النشر، ج ٢، ص ٢٦٣. | |
| ١٨ - كالتيسير لأبي عمرو الداني، والنشر لابن الجزري، راجع: بالخصوص، ج ١، ص ١٠؛ والكشف لمكي بن أبي طالب، وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي. وأمثالها؛ وراجع: تصريح أبي شامة على شذوذ هذه القراءات في كتابه المرشد الوجيز، ص ١٧٤-١٧٦. | |

شواذٌ خرجت عن ضابطة القراءة الصحيحة المقبولة، فكانت موضع إنكار العلماء قاطبة، فلا يصحّ كونها قرآناً كما لا تجوز قراءتها في الصلاة.

تعاليل وحجج اجتهادية

ذكر أبو محمد مكّي بن أبي طالب في كتابه الكبير «الكشف عن وجوه القراءات السبع» حججاً وتعاليل لمختلف القراءات^١ بصورة مستوعبة، كان اعتمدها القراء في اختياراتهم، كلّ حسب اجتهاده الخاصّ وملاحظته الخاصة من غير اعتبار نقل أو سماع. نذكر منها نماذج:

١ - قوله تعالى: «آيَاتُ لِلْسَّائِلِينَ»^٢ قرأه ابن كثير بالتوحيد «آية للسائلين»، جعل شأن يوسف كلّ آية واحدة على الجملة، وإن كان في التفصيل آيات كما قال: «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً»^٣ فوحّد، وإن كان شأنهما التفصيل. وقرأ الباقون بالجمع، لاختلاف أحوال يوسف، ولانتقاله من حال إلى حال ففي كلّ حالة جرت عليه آية، فجمع لذلك.

قال أبو محمّد: وهو الاختيار، لأنّ الجماعة عليه.^٤

٢ - قوله تعالى: «فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ»^٥ قرأ نافع وحده بالجمع «غيايات الجبّ» لأنّ كلّ ما غاب عن النظر من الجبّ فهو غيابة. فقد القى في غيايات من الجبّ. وقرأ الباقون بالتوحيد، لأنّ يوسف لم يلق إلا في غيابة واحدة.

٣ - قوله تعالى: «يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ»^٦ قرأ الكوفيون ونافع بالياء فيهما، وقرأ الباقون بالنون.

١ - وهكذا أبو علي الفارسي في كتابه المبسّط «الحجّة في علل القراءات السبع» في جزئين وغيره.

٢ - المؤمنون ٢٣: ٥٠.

٣ - يوسف ١٢: ٧.

٤ - يوسف ١٢: ١٠.

٥ - الكشف، ج ٢، ص ٥.

٦ - يوسف ١٢: ١٢.

وعن ابن كثير أنه قرأ «نرتع» بالنون و«يلعب» بالياء. وكسر الحرميَّان العين من «يرتع» وأسكنها الباقون.

وحجّة من قرأ بالياء أنه أسند الفعل إلى يوسف. وحسن الإخبار عنه باللعب لصغره لأنه مرفوع عنه فيه اللوم.

وحجّة من قرأ بالنون أنه حمّله على الإخبار من إخوة يوسف عن أنفسهم، إذ لم يكونوا أنبياء في ذلك الوقت واللعب بغير الباطل جائز.

وحجّة ابن كثير أن «يلعب» مسند إلى يوسف. و«نرتع» إلى إخوته.

وحجّة من قرأ بإسكان العين أنه جعله من «رتع يرتع» إذا رعى فأسكن العين للجزم جواباً للطلب في قوله: «أَرْسَلُهُ مَعَنَا».

وحجّة من كسر العين أنه جعله من «رعى يرعى» فإنّ لامه ياء فكان حذفها علامة للجزم.^١

٤ - قوله تعالى: «الْمُخْلِصِينَ» قرأ نافع وأهل الكوفة بفتح اللام حيث وقع فيما فيه ألف ولام، مبنياً للمفعول، لأنّ الله أخلصهم أي اختارهم لعبادته، وقرأ الباقون بكسر اللام مبنياً للفاعل، لأنّهم هم أخلصوا أنفسهم للعبادة.

قال أبو محمد: وفتح اللام أحبّ إليّ، لأنّهم لم يخلصوا أنفسهم لعبادة الله إلّا من بعد أن اختارهم الله لذلك وأخلصهم.^٢

٥ - قوله تعالى: «وَزَرَعٌ وَمَخِيلٌ صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ»^٣ قرأ حفص وابن كثير وأبو عمرو بالرفع في الكلمات الأربع. عطفاً على «قطع» وقرأ الباقون بالخفض عطفاً على «أعقاب». فهو أقرب إليه من «قطع».^٤

٢ - المصدر، ص ٩-١٠؛ والكلمة في سورة يوسف ١٢: ٢٤.

٤ - الكشف، ج ٢، ص ١٩.

١ - الكشف، ج ٢، ص ٥-٧.

٣ - الرعد ١٣: ٤.

٦ - قال أبو علي: حجة من فتح الياء في مثل «وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ»^١ أن أصل هذه الياء الحركة، لأنها بإزاء الكاف للمخاطب فكما فتحت الكاف كذلك تفتح الياء. وحجة من أسكن: أن الفتحة مع الياء قد كرهت في الكلام كما كرهت الحركتان الأخريان فيها.^٢

٧ - قوله تعالى: «تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ»^٣ قرأ ابن كثير وابوعمر و بضم التاء وكسر الباء. وقرأ الباقون بفتح التاء وضم الباء.

قال أبو محمد: حجة من ضمّ التاء: أنه جعله رباعياً، وجعل الباء في «بالدهن» زائدة، لكن دلت الباء على ملازمة الإنبات للدهن، كما قال: «إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ»... وحجة من فتح التاء: أنه جعله ثلاثياً، والباء في «بالدهن» للتعدية. قال: والاختيار الفتح، لأن الجماعة عليه.^٤

تلك نماذج سبعة كافية للدلالة على مبلغ مداخلة الاجتهاد في اختيار القراءات وقلّما نجد استنادهم إلى سماع أو نقل.

وتقدّم حديث البرّي في رجوعه عن قراءة «ميت» مخفّفاً، لما تبين له أنه مخطئ في الاختيار^٥ ولولا اعتماده على الاجتهاد لما صحّ له الرجوع.

تناقض في القراءات

في القراءات المضبوطة عن أئمة القراء، السبعة وغيرهم، كثير من مناقضات ومباينات بحيث لا تجتمع على معنى واحد. الأمر الذي يتنافى ونص الوحي الذي لا يحتمل اختلافاً أصلاً، «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً»^٦ هذا هو المقياس لمعرفة وحي السماء. ومن ثم لا يصحّ إسناد هذا الاختلاف إلى النبي ﷺ.

٢ - الحجة لأبي علي الفارسي، ج ١، ص ٣١٥-٣١٤.

٤ - الكشف، ج ٢، ص ١٢٧.

٦ - النساء ٤: ٨٢.

١ - غافر ٤٠: ٤١.

٣ - المؤمنون ٢٣: ٢٠.

٥ - تقدّم في «إنكارات على القراء».

ومن ثم استغرب الإمام بدر الدين الزركشي توجيه هكذا قراءات بجعل القراءتين بمنزلة آيتين، إذ فرض آيتين متناقضتين في القرآن مستحيل إطلاقاً.^١
 من ذلك: اختلافهم في قراءة: «أَوْ لَمْ يَسْمُوكُمُ الْبَشَرِ»^٢ قرأ حمزة والكسائي: «أَوْ لَمْ يَسْمُوكُمُ» والباقون: «أَوْ لَمْ يَسْمُوكُمُ». وقد بنى الفقهاء نقض وضوء اللامس وعدمه على هذا الاختلاف.^٣

وكذلك اختلافهم في جواز وطء الحائض عند انقطاع الدم وعدمه قبل الاغتسال، ينظر إلى اختلاف قراءة: «حَتَّى يَطْهَرْنَ»^٤ بالتشديد - هي قراءة حمزة والكسائي - أو بالتخفيف - هي قراءة الباقيين.^٥

ومن ذلك: قراءة الكسائي وأبي جعفر: «أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ»^٦ يتخفيف «ألا» - استفتاحية - فتدلّ على وجوب السجدة. وقرأ الباقون بالتشديد. قال الفراء: فلا تدلّ على الوجوب.^٧

ومن ذلك قراءة نافع وابن عامر وحفص والكسائي: «وَأَرْجُلُكُمْ»^٨ منصوباً، عطفاً على «أَيْدِيَكُمْ» دليلاً على وجوب الغسل. وقرأ الباقون بالخفض عطفاً على «رُؤُوسِكُمْ» دليلاً على وجوب المسح.^٩

ومن ذلك: «وَادْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ»^{١٠} أي بعد حين. أو «بعد أمه» أي بعد نسيان. وكذلك: «رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا»^{١١} فعلاً ماضياً ليكون إخباراً عن ماض سبق، أو فعل أمر ليكون

١ - راجع: البرهان، ج ١، ص ٣٢٦. ٢ - النساء ٤: ٤٣.

٣ - البرهان، ج ١، ص ٣٢٦، وتفسير القرطبي، ج ٥، ص ٢٢٣، والكشف، ج ١، ص ٢٩١.

٤ - البقرة ٢: ٢٢٢. ٥ - تفسير القرطبي، ج ٣، ص ٨٨، والكشف، ج ١، ص ٢٩٣.

٦ - النمل ٢٧: ٢٥. ٧ - البرهان، ج ١، ص ٣٢٦.

٨ - المائدة ٥: ٦. ٩ - الإتحاف، ص ١٩٨، والكشف، ج ١، ص ٤٠٦.

١٠ - يوسف ١٢: ٤٥. ١١ - سبأ ٣٤: ١٩.

طلباً لحصوله بعد ذلك.^١

وقوله: «إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ»^٢ بتشديد القاف المفتوحة، بمعنى تقبلونه. أو «تَلَقَّوْنَهُ»

بكسر اللام وضم القاف مخففة، من «ولق» إذا كذب.^٣

وقرأ نافع وابن عامر: «وَاتَّخَذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى»^٤ بفتح الخاء ماضياً إخباراً

عما سبق. وقرأ الباقون بصيغة الأمر، إيجاباً على هذه الأمة.^٥

وقرأ الكسائي: «هَلْ تَسْتَطِيعُ رَبِّكَ»^٦ بتاء الخطاب ونصب «رَبِّكَ» بحذف مضاف أي

سؤال رَبِّكَ. وقرأ الباقون بالياء ورفع «رَبُّكَ» فاعلاً^٧ والقراءتان بظاهرهما متنافيتان.

وقرأ ابن كثير: «كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ»^٨ بتخفيف انصَاد والعين، وقرأ الباقون بالتشديد

فيهما، وفي الأولى محاولة الصعود بلا تكلف، وفي الثانية تكلف في الصعود، كأنه تكلف

مالاً يطيق شيئاً بعد شيء، وهما متنافيان.^٩

وقرأ ابن عامر: «زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ»^{١٠} «زَيْنَ» مبنياً

للمفعول. و«قتل» مرفوعاً نائب فاعل. و«أَوْلَادِهِمْ» منصوباً مفعولاً للمصدر المضاف

(قتل) و«شُرَكَائِهِمْ» بالخفض مضافاً إليه للمصدر. وهي قراءة ضعيفة. للفصل بين

المضافين، وهي لغة رديئة.

وقرأ الباقون: «زَيْنَ» مبنياً للفاعل: و«قَتَلَ» منصوباً مفعولاً به مضافاً إلى «أَوْلَادِهِمْ»،

و«شركاؤهم» مرفوعاً فاعل «زَيْنَ».^{١١}

ففي القراءة الأولى يكون «شركاؤهم» فاعلاً للقتل. وفي الثانية فاعلاً للتزيين

٢ - النور ٢٤: ١٥.

٤ - البقرة ٢: ١٢٥.

٦ - المائدة ٥: ١١٢.

٨ - الأنعام ٦: ١٢٥.

١٠ - الأنعام ٦: ١٣٧.

١ - الإتحاف، ص ٣٥٩.

٢ - راجع: المرشد لوجيز، ص ١٨٠.

٥ - الكشف، ج ١، ص ٢٦٣.

٧ - الكشف، ج ١، ص ٤٢٢.

٩ - الكشف، ج ١، ص ٤٥١.

١١ - الكشف، ج ١، ص ٤٥٣.

و يكون المشركون هم القاتلين. فكم بينهما من فرق؟

وقرأ الكوفيون: «قَدْ كَذَّبُوا»^١ بالتخفيف، أي أن المرسل إليهم ظنوا أنهم قد كذبوا فيما اتتهم به الرسل. وقرأ الباكون بالتشديد، أي ظن الرسل أن قومهم قد كذبوهم. ولا يجتمع المعنيان.^٢

القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان

قال القاضي أبو سعيد فرج بن لبّ الأندلسي - فيما تقدّم كلامه -: «من زعم أن القراءات السبع لا يلزم فيها التواتر، فقله كفر، لأنه يؤدي إلى عدم تواتر القرآن».^٣

هذا كلامه المبالغ فيه من غير أن يوافقه عليه أحد من المحققين، نظراً لعدم تلازم بين الأمرين. وقد تقدّم كلام الإمام الزركشي: «القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد ﷺ والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها».^٤

ولم يشك أحد من المسلمين في تواتر القرآن، في حين أنه لم يلتزم بتواتر القراءات سوى القليل. وتقدّم كلام أئمة الفن في ذلك.

قال الشيخ الزرقاني: «الدليل الذي اعتمد أبو سعيد لا يسلم له... للفرق بين القرآن والقراءات السبع، بحيث يصح أن يكون القرآن متواتراً في غير القراءات السبع أو في القدر الذي اتفق عليه القراء، أو في القدر الذي اتفق عليه عدد يؤمن تواطؤهم على الكذب، قرّاء كانوا أم غير قرّاء، بينما تكون القراءات السبع غير متواترة...».

قال سيّدنا الأستاذ الإمام الخوئي رحمه الله: «إن تواتر القرآن لا يستلزم تواتر القراءات، لأنّ

١ - يوسف ١٢: ١١٠.

٢ - الكشف، ج ٢، ص ١٥.

٣ - مناهل العرفان، ج ١، ص ٤٣٥.

٤ - البرهان، ج ١، ص ٣١٨: وتقدم في «تصريحات أئمة الفن».

الاختلاف في كَيْفِيَّةِ تعبير الكلمة لا ينافي الاتفاق على أصلها، كما أنَّ الاختلاف في خصوصيات حدث تأريخي - كالهجرة مثلاً - لا ينافي تواتر نفس الحدث، على أنَّ الواصل إلينا بتوسط القراء إنما هو خصوصيات قراءاتهم، وأمَّا أصل القرآن فهو واصل إلينا بالتواتر بين المسلمين، وبنقل الخلف عن السلف، وتحفظهم عليه في الصدور وفي الكتابات، ولادخل للقراء - بخصوصهم - في ذلك أصلاً. ولذلك فإنَّ القرآن ثابت التواتر حتى لو فرضنا أنَّ هؤلاء القراء السبعة أو العشرة لم يكونوا في عالم الوجود أصلاً. وعظمة القرآن ورفعة مقامه أعلى من أن تتوقف على نقل أولئك النفر المحصورين»^١.

وفي كلام سيّدنا الأستاذ - أخيراً - الحجّة القاطعة على أولئك الذين يرون تواتر القرآن من زاوية القراءات السبع فحسب، فيقصرون النصَّ القرآني - الذي هو كتاب المسلمين قاطبة - في إطار هؤلاء النفر النزر اليسير، فيالها من نظرة قاصرة وقصيرة المدى.

لا شكَّ أنَّ القرآن - وهو نصّ الوحي الإلهي الحكيم - متواتر بين المسلمين تواتراً قطعياً، في جميع سورته وآياته وكلماته، كلمة كلمة، بحيث لو أبدلنا كلمة من القرآن، أو أبدلنا من مكانها إلى آخر، لاستنكرها المسلمون، ووجدوها شيئاً غريباً عن أسلوب كلام الله العزيز الحميد.

ومن ثمَّ فإنَّ القراءات التي كانت لاتوافق نصّ المصحف، كانت مستنكرة لدى المسلمين، العامة والعلماء، وعدّوها شاذّة منبوذة، وقد تقدّم في الفصل السابق إنكار جماعة من كبار العلماء على قراء قرأوا خارج المتعارف، وكذا إنكارات من عامة المسلمين على قراء معروفين كبار. كما لم يجز الفقهاء القراءة بها في الصلاة ولا اعتبروا قرآناً من كلام الله المجيد.

وستأتي - في فصل اختيار القراءة الصحيحة - شروط التعرف إلى القرآن المتواتر، المتسالم لدى عامة المسلمين.

بقي هنا اعتراض: أن القراءات إذا لم تكن متواترة جميعاً فإن القرآن يصبح في بعض آيه - وهو الذي اختلفت القراءة فيه - غير متواتر، كما في «مالك» و«ملك» وقد قرئ بالوجهين، فأيهما النص؟

وقد استدلل ابن الحاجب - في مختصر أصوله - بذلك لإثبات تواتر القراءات السبع.^١ قال: وإلا فيلزم أن يكون بعض القرآن غير متواتر. إذ لو اختلف القراء في كلمة، كما في مثل «غيابة» أو «غيابات»، ومثل «آية» أو «آيات»، و«ملك» أو «مالك» ونحو ذلك ممّا قرئ بوجهين أو بأكثر، فإن التزمنا بتواتر القراءات جميعاً فهو، وإلا فأبي القراءتين تكون قرآنًا لتكون الأخرى غير قرآن؟ وإذا تردّدنا في ذلك فإنّ معناه التردد في النصّ الأصلي، وهذا لا يلتزم والقول بتواتر النصّ القرآني.

والجواب: أن النصّ الأصلي هو ما ثبت في المصحف الكريم، والذي أجمعت الأمة عليه نصّاً واحداً. وإنّما جاء الاختلاف في كيفية قراءته وفي أسلوب تعبيره، الأمر الذي لا يتنافى وثبوت تواتر الأصل، كما في كثير من أشعار الشعراء القدماء، حيث أصل البيت أو القصيدة ثابتة له بالتواتر وإن كان الرواة مختلفين في بعض الكلمات أو الحركات.

ويزيدنا وضوحاً ما قدّمناه سابقاً: أن اختلاف القراء كان عن اجتهاد منهم في تحقيق الكلمة تعبيراً، في حين وحدة النصّ الثابت في المصحف، وذلك لأنّ اختلافهم جاء من قبل عراء المصحف الأوّل عن أيّ علامة مائزة، وعن الأشكال والنقط، بل وعن الألفات، وربما زيادات خارجة عن أسلوب الخطّ الصحيح، لمكان جهل العرب الأوائل بأصول الكتابة المتقنة.

فقد كتبوا «ملك» بميم ولام وكاف. ولكن بما أن عاداتهم كانت على حذف الألفات جرياً مع مرسوم خط السريان، ومن ثم اجتهد بعض القراء زاعماً أن الكلمة مرسومة على نفس النمط، فقرأها «مالك» بالألف، مستنداً في ذلك إلى تعاليل و حجج تؤيد اختياره. فقد قرأ عاصم والكسائي بالألف محتجّين بقوله تعالى: «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ»^١ وأدلة أخرى سردها أبو محمد بتفصيل.^٢

وقرأ الباقر: «ملك» بلا ألف، جرياً مع ظاهر الرسم، محتجّين بقوله تعالى: «الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ»^٣ وأدلة أخرى.^٤

وهكذا كلمة: «غِيَابَةِ الْجُبِّ» كانت مرسومة هكذا «غَيْبَتِ الْجُبِّ» قرأها نافع بالألف جمعاً، زاعماً أنها مرسومة محذوفة الألف في كلا الموضعين بعد الياء وبعد الباء. فقرأها «غيايات». وعلّلها بأن كل ما غاب عن النظر من الجبّ غياية. وقرأ الباقر مفرداً «غياية» على ظاهر الخط، معلّلين بأن يوسف لم يلق إلا في غياية واحدة.^٥

كما أن «آياتُ للسّائلين»^٦ كانت مكتوبة «آيت» بلا ألف، ومن ثم قرأها ابن كثير بالتوحيد جرياً مع ظاهر الخط محتجّاً بأن شأن يوسف كله آية واحدة. كما في قوله: «وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً»^٧. وقرأ الباقر: «آيات» اعتماداً على أن الألف محذوفة ولانتقال يوسف من حال إلى حال، ففي كل حال جرت عليه آية.^٨

إذن فليس اختلاف القراءة بالذي يضرّ بوحدة النصّ الأصل، الثابت في المصحف الأوّل، ممّا تسالمت عليه الأمة عبر التاريخ.

وقد أخرج ابن اشته في كتاب «المصاحف» وابن أبي شيبة في «فضائل القرآن» من

٢ - راجع: الكشف، ج ١، ص ٢٥-٢٦.

٤ - الكشف، ج ٢، ص ٥.

٦ - المؤمنون ٢٣: ٥٠.

١ - آل عمران ٣: ٢٦.

٣ - الحشر ٥٩: ٢٣.

٥ - يوسف ١٢: ٧.

٧ - الكشف، ج ١، ص ٥.

طريق ابن سيرين عن عبيدة السلماني، قال: «القراءة التي عرضت على النبي ﷺ في العام الذي قبض فيه، هي القراءة التي يقرأها الناس اليوم».^١

وإلى ذلك - أيضاً - أشار الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «القرآن واحد نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة».^٢

ولك أن تسأل: إذا اختلفت القراءة في نص واحد، فمن أين يعرف النص الأصل؟ بعد احتمال الخط لكنتا القراءتين.

قلنا: سنشرح - في فصل قادم - شروط اختيار القراءة الصحيحة، الموافقة للنص الأصل، وهي: القراءة المشهورة المعروفة بين الناس، وتلقّتها الأمة بالقبول في جميع أدوارها. ومن ثم فإنّ القراءات التي كانت تخرج عن محدودة العرف العام، كانت تقع موضع إنكارهم، وتقدّمت أمثلة على ذلك.^٣

وسؤال آخر: هل لا يقدح اختلاف مصاحف الأمصار الأولية - على ما شرحنا في الجزء الأول - في تواتر النص الأصل الواحد؟

قلت: كلا، فإنّ الثبت الأصل - أيضاً - من بين تلكم المصاحف، هو ما أجمعت عليه الأمة ووقع موضع اتفاقهم، وشاع وذاع عبر التاريخ وكان ثبت غيره في سائر المصاحف مهجوراً، ومن ثمّ فهو شاذّ منبوذ.

مثلاً: اختلف مصحف الشام مع مصحف الكوفة، فكان ثبت الشام: «وَأَوْصِي بِهَا إِبْرَاهِيمُ»^٤ وكان ثبت الكوفة: «وَوَصَّى». لكن الأمة اعترفت بالثاني ونبذت الأول. وهو دليل قاطع على أنّ الصحيح هو ذاك دون الآخر. ومن ثمّ لا تجوز القراءة وفق المأثور عن مصحف الشام في خصوص هذه الآية.

٢ - الكافي، ج ٢، ص ٦٣٠، رقم ١٣.

٤ - البقرة ٢: ١٣٢.

١ - الإتيان، ج ١، ص ١٤٢.

٣ - تقدّم في «إنكارات على القراء».

وجاء في مصحف المدينة والشام: «سَارِعُوا»^١ بلا واو وفي مصحف الكوفة والبصرة: «وَسَارِعُوا». ووقع إجماع الأمة على الثاني.

وجاء في مصحف المدينة والشام: «قَالَ الْمَلَأُ»^٢ بلا واو وفي مصحف العراقيين: «وَقَالَ الْمَلَأُ». ولكن وقع إجماع الأمة على الأول.

وجاء في مصحف المدينة والشام: «هُوَ الَّذِي يُشِيرُكُمْ»^٣ وفي مصحف العراقيين: «هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمْ» والإجماع على الثاني. وهكذا...^٤

والخلاصة: أنَّ طريقنا إلى معرفة النصِّ الأصل، هو إجماع الأمة في مختلف عصورها وعلى تباين نزاعاتها، لكنها اتفقت على كتابها الكريم، كلام الله العزيز الحميد، فاحتفظت بنصّه الأصل متغلّبة على كافّة عوامل الاختلاف في هذا المجال. وما هي إلاّ معجزة قرآنيّة باهرة: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»^٥ أي بين أظهركم لافي اللوح المحفوظ - كما زعمه البعض - . فلم يزل ولا يزال هذا الكتاب الإلهي الخالد يشقّ طريقه إلى الأمام، مع الأبدية بسلام.

الأحرف السبعة والقراءات السبع

لم نجد من علماء الفنّ من يرى أيّ صلة بين حديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف» و«القراءات السبع» المعروفة، نعم سوى تداوله على ألسنة العوام وغوغاء الناس، لاعتد مستند معروف، وقد ردّ على هذه المزعومة الشائعة كثير من الأئمة النقاد، كابن الجزري وأبي شامة والزركشي وأبي محمد مكّي وابن تيمية وأضرابهم. ونسب ابن الجزري هذا الوهم إلى الجهلة العوام ومن لا علم له من الغوغاء الطغام.^٦

٢ - الأعراف ٧: ٦٠.

١ - آل عمران ٣: ١٣٣.

٤ - راجع الجزء الأول «اختلاف المصاحف».

٣ - يونس ١٠: ٢٢.

٦ - تحبير التيسير: ص ١٠.

٥ - الحجر ١٥: ٩.

قال أبو محمد مكي: «فأما من ظنَّ أنَّ قراءة كلِّ واحد من هؤلاء القراء أحد الأحرَف السبعة التي نصَّ النبي ﷺ، فذلك منه غلط عظيم. إذ يجب أن يكون ما لم يقرأ به هؤلاء السبعة متروكاً، إذ قد استولوا على الأحرَف السبعة التي عند النبي ﷺ فما خرج عن قراءتهم فليس من السبعة عنده».^١

وقال أبو شامة: «ظنَّ قوم أنَّ القراءات السبع الموجودة الآن هي التي أريدت في الحديث، وهو خلاف إجماع أهل العلم قاطبة، وإنَّما يظنُّ ذلك بعض أهل الجهل».^٢
قال: «وقد ظنَّ جماعة ممَّن لا خبرة له بأصول هذا العلم أنَّ قراءة هؤلاء الأئمة السبعة هي التي عبَّر عنها النبي ﷺ بقوله: «أنزل القرآن على سبعة أحرف» فقراءة كلِّ واحد من هؤلاء حرف من تلك الأحرَف. ولقد أخطأ من نسب هذا إلى ابن مجاهد».^٣

وقال ابن تيمية: «لأنَّ بين العلماء المعتبرين أنَّ الأحرَف السبعة التي ذكر النبي ﷺ أنَّ القرآن أنزل عليها، ليست قراءات القراء السبعة المشهورة، بل أوَّل من جمع ذلك ابن مجاهد، ليكون ذلك موافقاً لعدد الأحرَف التي أنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده واعتقاد غيره من العلماء: أنَّ القراءات السبع هي الحروف السبعة، أو أنَّ هؤلاء السبعة المعيّنين هم الذين لا يجوز أن يقرأ بغير قراءتهم».^٤

ويزيد هذا الوهم شناعة: أنَّه يستدعي أن تبقى الأحرَف السبعة التي أجاز النبي ﷺ قراءتها - في المفروض - قابضة في زاوية الخمول مجهولة، حتى ينبغ من القراء هؤلاء السبعة بالخصوص في عصور متأخرة تدريجياً، ثمَّ تبقى الأحرَف السبعة التي أجازها النبي ﷺ لجميع الأمة في احتكار سبعة من القراء فقط.

في حين وجود قراء، هم أكبر من هؤلاء السبعة قدراً وأعظم شأنًا، فلم تسعهم

١ - كتاب «الإبانة» له، ص ١٣، وفي المرشد الوجيز، ص ١٥١.

٢ - الإتيان، ج ١، ص ٢٢٣.

٣ - المرشد الوجيز، ص ١٤٦.

٤ - راجع: النشر، ج ١، ص ٣٩.

الأحرف السبعة، وكان النبي ﷺ أوصى إلى ابن مجاهد الذي جاء في مطلع القرن الرابع، ليخصّص هؤلاء السبعة فقط بتلك الأحرف ويحرم الآخرين، سواء السابقين واللاحقين....!

قال أبو محمد الهروي: «ولا يتوهم انصراف حديث السبعة إلى قراءة سبعة من القراء يولدون في عصر متأخر بسنين، لأنه يؤدي إلى أن يكون الخبر متعرياً عن فائدة إلى أن يحدثوا، ويؤدي إلى أنه لا يجوز لأحد من الصحابة أن يقرأوا إلا بما علموا أن السبعة من القراء [سوف] يختارونه. قال: وإنما ذكرناه، لأن قوماً من العامة يتعلّقون به»^١. وبهذه المناسبة، رأينا من الأفضل تخصيص الفصل التالي للتكلّم عن حديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف»، استيضاحاً لجانب مدلوله، الذي يبدو مجملًا قد بلغت الاحتمالات فيه أربعين وجهًا. أمّا من ناحية السند فلم يثبت عندنا.

تلخيص البحث

وتلخّص من مجموع بحوثنا المتقدّمة: أن إثبات تواتر القراءات عن النبي ﷺ شيء يبدو مستحيلاً:

* - أولاً: لادليل على ذلك، ودون إثباته تسكب العبرات على حدّ تعبير أبي شامة.^٢
* - وثانياً: أن لاختلاف القراءات عوامل ذاتيّة - شرحناها في فصل سابق - كانت هي السبب لنشوء الخلاف بين القراء.

* - وثالثاً: أن أسانيد القراء إلى النبي ﷺ أسانيد آحاد موجودة في كتب القراءات ولم يكن شيء منها متواتراً حسب المصطلح.

١ - في كتابه «الكافي»: وراجع: البرهان للزركشي، ج ١، ص ٣٣٠.

٢ - المرشد الوجيز، ص ١٧٨.

هذا فضلاً عن الشك في أكثرية هذه الأسانيد التي يبدو عليها أثر الوضع والاختلاق، ولعلها أسانيد تشريفيّة مصطنعة من غير أن يكون لها واقع.

* - ورابعاً: إنكارات علماء الأئمة وزعماء الملة على قراءات كثير من القراء المرموقين، لدليل على أنها ليست متواترة عندهم، وإلا فكيف يجراً مسلم أن يردّ قراءة هي متواترة عن النبي ﷺ؟

* - وخامساً: وجود قراءات شاذة عن السبعة ينفي تواتر قراءاتهم فرداً فرداً.

* - وسادساً: استناد القراء إلى حجج وتعاليل اعتباريّة نظرية، لدليل على أنّ اختياراتهم كانت اجتهادات وإلا فلو ثبتت قراءاتهم بالتواتر لم يكن حاجة إلى تعليل اعتباري.

* - وسابعاً: وجود التناقض بين القراءات ينفي تواترها عن النبي ﷺ إذ نصّ الوحي لا يحتمل اختلافاً.

* - وثامناً: لاملزمة بين مسألة «تواتر القرآن» المعترف بها لدى الجميع وبين مسألة «تواتر القراءات» التي لم يلهج بها سوى المقلدة الرعاع.

* - وتاسعاً: لعلاقة بين حديث «نزل القرآن على سبعة أحرف» وقراءة القراء السبعة وإنّما هي شبهة وقع فيها بعض العوامّ الأغبياء - على حدّ تعبير الإمام أبي الفضل الرازي -^١.

والحمد لله أولاً وأخيراً.

وإليك الآن البحث عن حديث الأحرف السبعة!

حديث الأحرف السبعة

الحديث في روايات أهل البيت عليهم السلام

١ - روى أبو جعفر الصدوق، بسند فيه «محمد بن يحيى الصيرفي» - وهو مجهول - عن حماد بن عثمان عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: «إنَّ القرآن نزل على سبعة أحرف، وأدنى ما للإمام أن يفتي على سبعة وجوه».^١

وفسّر العلماء الأحرف في هذا الحديث بمعنى البطون، أي كلّ آية تحتل وجوهاً من المعنى، وإن كانت ربّما تخفى على العامّة، لكن الإمام المعصوم عليه السلام يعرفها، فيفتي عليها.

٢ - وروى - أيضاً - بسند آخر، فيه «أحمد بن هلال» - وهو غال متّهم في دينه - عن عيسى بن عبد الله الهاشمي، عن أبيه، عن آبائه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أتاني آتٍ من الله فقال: إنَّ الله عزّ وجلّ يأمرُك أن تقرأ القرآن على حرف واحد. فقلت يا ربّ، وسّع على أمّتي، فقال: إنَّ الله يأمرُك أن تقرأ القرآن على سبعة أحرف».^٢

١ - الخصال للصدوق، أبواب السبعة، ج ٢، ص ٣٥٨، ح ٤٣.

٢ - المصدر، ح ٤٤.

والأحرف في هذا الحديث هي اللهجات العربية المختلفة، كما يأتي في أحاديث أهل السنة بنفس المضمون، مراداً بها نفس المعنى. فقد وسّع الله على هذه الأمة أن تقرأ القرآن بلهجاتها المختلفة على ما سنذكر.

٣ - وروى محمد بن الحسن الصفار، بسند فيه ترديد، (هكذا: عن ابن أبي عمير أو غيره) عن جميل بن درّاج، عن زرارة، عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «تفسير القرآن على سبعة أحرف، منه ما كان، ومنه ما لم يكن بعد، ذلك تعرفه الأمة».^١

وهذا الحديث كالحديث الأول، مراداً بالأحرف هي الوجوه التي تحتملها الآية الواحدة، المعبر عنها بالبطون في سائر الأحاديث.

٤ - وروى أبو عبدالله محمد بن إبراهيم النعماني - مرسلًا - عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «أنزل القرآن على سبعة أقسام، كلّ منها شافٍ كافٍ، وهي: أمر، وزجر، وترغيب، وترهيب، وجدل، ومثل، وقصص...».^٢

هذا الحديث تفسير للأحرف السبعة بفنون من الكلام اشتمل عليها القرآن الكريم. كما جاء التصريح به أيضاً في حديث ابن مسعود وأبي قلابة الآتي.

قال المحدث الفيز الكاشاني: «والتوفيق بين - هذه - الروايات أن يقال: إنّ للقرآن سبعة أقسام من الآيات، وسبعة بطون - من المعاني - لكل آية. ونزل على سبع لغات - أي لهجات -».^٣

تلك أحاديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف» مروية عن أئمة أهل البيت عليهم السلام لكن بأسانيد لم تثبت وثاققتها، كما نبّه عليه سيّدنا الأستاذ، ومن قبله شيخه الحجّة البلاغي، وغيرهما.

١ - بصائر الدرجات، ص ١٩٦.

٢ - رسالة النعماني، في صنوف آي القرآن، ونسبت - أيضاً - إلى سعد بن عبدالله الأشعري، والشريف المرتضى؛ راجع:

بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٤ و ٩٧. ٣ - الصافي في تفسير القرآن، المقدمة الثامنة، ج ١، ص ٤٠.

الحديث في روايات أهل السنة

وأما من طرق الجماعة فأحسن من جمع مختلف أحاديثها هو الإمام شهاب الدين أبو شامة المقدسي. ذكرها في الباب الثالث من كتابه «المرشد الوجيز».

قال: الفصل الأول في سرد الأحاديث في ذلك:

١ - ففي الصحيحين عن ابن شهاب قال: حدّثني عبيد الله بن عبد الله، أن عبد الله بن عباس حدّثه أن رسول الله ﷺ قال: «أقرّاني جبرائيل عليه السلام على حرف واحد، فراجعته فلم أزل استزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف».^١

٢ - وفيهما عن ابن شهاب - أيضاً - أن عمر سمع هشام بن الحكم يقرأ في صلاته على حروف لم يكن يعرفها، فأتى به إلى رسول الله ﷺ فقال: «كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه».^٢

٣ - وعن أبي بن كعب، قال: كنت في المسجد فدخل رجل فقرأ قراءة أنكرتها فدخلنا جميعاً على رسول الله ﷺ ودخل ثالث، فقرأ كلّ واحد منّا غير قراءة صاحبه، فجعل النبي ﷺ يحسن الجميع، فدخلني من ذلك شك، ولما رأى النبي ﷺ ما قد غشيني ضرب في صدري، ففضت عرقاً^٣ فقال: «يا أباي، إن ربي أرسل إليّ أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هوّن على أمّتي، فردّ إليّ الثانية: اقرأه على حرفين، فرددت إليه، فردّ إليّ الثالثة: اقرأه على سبعة أحرف».^٤

٤ - وعن أبي بن كعب - أيضاً - قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أباي إنّي أقرّنت القرآن على حرف وحرفين وثلاث حتى بلغت سبعة أحرف». ثم قال: «ليس منها إلّا شافٍ كافٍ،

١ - صحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٢٧؛ وصحيح مسلم، ج ٢، ص ٢٠٢.

٢ - صحيح البخاري، ج ٦، ص ٢٢٨؛ وصحيح مسلم، ج ٢، ص ٢٠٢؛ وكنز العمال، ج ٢، ص ٥٩١: «كان يقرأ سورة الفرقان...».

٣ - وفي رواية، فوجدت في نفسي وسوسة الشيطان حتى احمرّ وجهي، فعرف رسول الله ﷺ ذلك في وجهي فضرب في صدري... جامع البيان، ج ١، ص ١٤.

٤ - صحيح مسلم، ج ٢، ص ٢٠٣؛ ومسنّد أحمد، ج ٥، ص ١٢٧.

إِنْ قُلْتَ سَمِيعاً عَلِيماً، عَزِيزاً حَكِيماً، مَا لَمْ تَخْتَمْ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ أَوْ آيَةَ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ»^١.
 ٥ - وعنه - أيضاً - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَقِيَ جِبْرَائِيلَ، فَقَالَ لَهُ: «إِنِّي بَعَثْتُ إِلَى أُمَّةٍ أُمِّيِّينَ، مِنْهُمْ الْعَجُوزُ وَالشَّيْخُ الْكَبِيرُ وَالْغُلَامُ وَالْجَارِيَةُ وَالرَّجُلُ الَّذِي لَمْ يَقْرَأْ كِتَاباً قَطُّ. قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ»^٢.

٦ - وعن أَبِي جَهِيمِ الْأَنْصَارِيِّ: أَنَّ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا فِي آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، فَمَشِيَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ فَلَاتَمَارُوا فِيهِ فَإِنَّ مِرَاءً فِي الْقُرْآنِ كُفْرًا»^٣.

٧ - وعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، عَلِيماً حَكِيماً، غَفُوراً رَحِيماً»^٤.

٨ - وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، لِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ، وَلِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مَطْلَعٌ»^٥.

٩ - وعنه - أيضاً - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ، فَالْمِرَاءُ فِيهِ كُفْرٌ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَاعْمَلُوا بِهِ وَمَا جَهِلْتُمْ فَارْذَوْهُ إِلَى عَالَمِهِ»^٦.

١٠ - وعن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: أَقْرَأْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَزَيْدٌ وَأَبِيٌّ فَاخْتَلَفَتْ قِرَاءَتُهُمْ، بِقِرَاءَةِ أَبِيهِمْ آخِذًا؟

قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَعَلَيَّ وَعَلَيَّ إِلَى جَنْبِهِ، فَقَالَ عَلِيٌّ: «لِيَقْرَأْ كُلُّ إِنْسَانٍ كَمَا عَلِمَ، كُلُّ حَسَنٌ جَمِيلٌ»^٧ وَفِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَسْرَأَ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ عَلِيٌّ: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُكُمْ أَنْ يَقْرَأَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ كَمَا عَلِمَ». فَانْطَلَقْنَا وَكُلُّ رَجُلٍ مِمَّنَّا يَقْرَأُ حُرُوفاً لَا يَقْرَأُهَا صَاحِبُهُ. قَالَ الْحَاكِمُ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ^٨.

١ - سنن أبي داود، ج ٢، ص ٧٦. ٢ - سنن الترمذي، ج ٥، ص ١٩٤، ح ٢٩٤٤.

٣ - البيهقي في شعب الإيمان، ج ١، ص ٣٧٢؛ ومسنند أحمد، ج ٤، ص ١٦٩.

٤ - المنصف، ج ٢، ص ٦١. ٥ - جامع البيان، ج ١، ص ٩.

٦ - المصدر. ٧ - المصدر، ص ١٠.

٨ - المستدرک علی الصحیحین، ج ٢، ص ٢٢٣-٢٢٤.

- ١١ - وروي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «كان الكتاب الأول نزل من باب واحد، وعلى حرف واحد. ونزل القرآن من سبعة أبواب وعلى سبعة أحرف: زجر، وأمر، وحلال، وحرام، ومحكم، ومتشابه، وأمثال...»^١.
- ١٢ - وعن أبي قلابة، قال: بلغني أن النبي ﷺ قال: «أنزل القرآن على سبعة أحرف: أمر، وزجر، وترغيب، وترهيب، وجدل، وقصص، ومثل»^٢.

مناقشة إجمالية في مدلول الحديث

تلك جلّ أحاديث الجماعة، ادّعوا تواترها^٣ لكنّها مختلفة المدلول بما لا يلتئم ومصطلح التواتر، الذي عمدته وحدة المضمون في الجميع، ومن ثمّ فإنّ الأحاديث المذكورة تنقسم إلى أربع طوائف:

الأولى، تعني: اختلاف اللهجات في التعبير والأداء. وهي الأحاديث رقم: ١ و ٢ و ٣ و ٥ و ٦ و ١٠.

الثانية، تعني: جواز تبديل الكلمات المترادفة بعضها مكان بعض، كالحديث: رقم ٤ و ٧.

الثالثة، تعني: اختلاف معاني الآيات، فكلّ آية تحتل معاني، بعضها ظهر وبعضها بطن، كالحديث رقم: ٨ و ٩.

الرابعة، تعني: تنوّع الآيات إلى أبواب سبعة، كالحديث رقم: ١١ و ١٢. غير أنّ الكثرة مع الطائفة الأولى، وإليها انصرفت وجهة نظر العلماء، بشأن الأحرف السبعة التي أجاز النبي ﷺ قراءة القرآن بها، أمّا الطوائف الأخرى فشاذاً أو باطلة رفضها أئمة التحقيق.

وأحسن من تكلم في هذا الموضوع هو الإمام ابن الجزري، تكلم عن أحاديث

٢ - المصدر، ص ٢٤.

١ - جامع البيان، ج ١، ص ٢٣.

٢ - راجع: النشر، ج ١، ص ٢١.

السبعة في عشرة وجوه، استوعب الكلام فيها بإسهاب^١ والأجدر هو البحث عن أحاديث السبعة بالتكلم في كل طائفة بما يخصها من كلام وتمحيص. وإليك إجمالاً:
أما الطائفة الأولى - وتعني اختلاف اللهجات - فتوسعة على الأمة في قراءة القرآن، فإن البدوي لا يستطيع النطق بالحضري، ولا الأمي يتمكن في تعبيره كالمثقف الفاضل. ولا الصغير كالكبير، ولا الشيخ كالشاب. فضلاً عن اختلاف لهجات القبائل في تعبير كلمة واحدة، بما تعجز كل قبيلة عن النطق بغير ما تعودت عليه في حياتها. وهكذا اختلاف أمم غير عربية في القدرة على النطق بالألفاظ العربية، فلو كانت الأمة الإسلامية على مختلف شعوبها، مكلفة بالنطق على حد سواء، لكان ذلك من التكليف بغير المستطاع، و«لا يكلف الله نفساً إلا وسعها».^٢

وقد روى الإمام جعفر بن محمد الصادق عن آبائه عن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل الأعجمي من أمتي ليقرا القرآن بعجميته، فترفعه الملائكة على عربيته».^٣
وهذا هو معنى قوله ﷺ: «إني بعثت إلى أمة أميين منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والنجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط» فرخص لأئمة أن يقرأوا القرآن على سبعة أحرف، على اختلاف لهجاتهم، لا يكلفون لهجة خاصة هم عاجزون عنها. والسبعة كناية عن التوسعة.

وقوله - في رواية أخرى -: «فاقرأوا كيف شئتم» أي كيفما استطعتم. أو قوله: «يقرا كل رجل منكم كما علم» أي كما يحسنه حسب معرفته ومقدرته في التعبير والأداء.^٤
ومن ذلك ما رواه أبو العالية، قال: قرأ على رسول الله ﷺ من كل خمس رجل، فاختلوا في اللغة - أي في اللهجة - فرضي قراءتهم كلهم، فكان بنو تميم أعرب القوم.^٥
قال ابن قتيبة: «فكان من تيسيره تعالى أن أمره ﷺ بأن يقرئ كل قوم بلغتهم وما

٢ - البقرة ٢: ٢٨٦.

١ - المصدر، ص ٢١-٥٤.

٤ - راجع: تأويل مشكل القرآن، ص ٣٤.

٣ - وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٨٦٦.

٥ - جامع البيان، ج ١، ص ١٥.

جرت عليه عادتهم.

فالهذلي يقرأ: «عتى حين» يريد «حتّى حين»^١ لأنّه هكذا يلفظ بها ويستعملها.
والأسدي يقرأ: تعلّمون وتعلّم - بكسر تاء المضارعة - و«تسودّ وجوّه»^٢ - بكسر
التاء - و«ألّم إعهد إلّكم»^٣ بكسر الهمز في أعهد.
والتميمي يهمز، والقرشي لا يهمز. والآخر يقرأ «قِيلَ»^٤ و«غِيضَ»^٥ - بإشمام الضم مع
الكسر - و«رُدَّتْ»^٦ - بإشمام الكسر مع الضم - و«مالك لا تأمّنّا»^٧ - بإشمام الضم مع
الإدغام. وهذا ما لا يطوّعُ به كلّ لسان.

ولو أنّ كلّ فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده، طفلاً
وناشئاً وكهلاً، لاشتدّ ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه ولم يمكنه إلّا بعد رياضة للنفس
طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة. فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متّسعاً في
اللغات ومتصرفاً في الحركات، كتييسره عليهم في الدين»^٨.

قال ابن يزداد الأهوازي: وجاء عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وابن عباس، أنّهما قالَا:
نزل القرآن بلغة كلّ حي من أحياء العرب.

وفي رواية عن ابن عباس: أنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يقرئ الناس بلغة واحدة، فاشتدّ ذلك
عليهم، فنزل جبرائيل، فقال: يا محمد، أقرئ كلّ قوم بلغتهم.

قال أبو شامة: هذا هو الحقّ، لأنّه إنّما أبيع أن يقرأ بغير لسان قريش توسعة على
العرب، فلا ينبغي أن يوسّع على قوم دون قوم، فلا يكلف أحد إلّا قدر استطاعته، فمن
كانت لغته الإمالة، أو تخفيف الهمز، أو الإدغام، أو ضمّ ميم الجمع، أو صلة هاء الكناية، أو
نحو ذلك، فكيف يكلف غيره؟ وكذا كلّ من كان من لغته أن ينطق بالشين التي كالجيم في
نحو: أشدق، والصاد التي كالزاي في نحو: مصدر، والكاف التي كالجيم، والجيم التي

١ - المؤمنون ٢٣: ٥٤.

٢ - آل عمران ٣: ١٠٦.

٣ - يس ٣٦: ٦٠.

٤ - البقرة ٢: ١١.

٥ - هود ١١: ٤٤.

٦ - يوسف ١٢: ٦٥.

٧ - يوسف ١٢: ١١.

٨ - تأويل مشكل القرآن، ص ٣٩-٤٠.

كالكاف، ونحو ذلك، فهم في ذلك بمنزلة الألتغ^١ والأرت^٢ لا يكلف ما ليس في وسعه، وعليه أن يتعلم ويجتهد.^٣

هذا ما اختاره في تفسير الأحرف السبعة، باختلاف لغات العرب أي لهجاتهم في التعبير والأداء. وقد مرّ تفسير السيوطي «اللغة» بكيفية النطق بالتلاوة، من إظهار، وإدغام، وتفخيم، وترقيق، وإمالة، وإشباع، ومدّ، وقصر، وتشديد، وتليين، وتحقيق، ونحو ذلك.^٤ والحرف - في اللغة -: الطرف والناحية والشفير. قال ابن سيدة: فلان على حرف من أمره، أي ناحية منه، إذا رأى شيئاً لا يعجبه عدل عنه، وفي التنزيل العزيز: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ»^٥ أي إذا لم ير ما يحبّ انقلب على وجهه.

وروى الأزهري عن أبي الهيثم، قال: أمّا تسميتهم الحرف حرفاً، فحرف كل شيء تا حيته، كحرف الجبل والنهر والسيف وغيره.

فالكلمة إذا كانت تعبّر بوجوه، فكل وجه لها حرف، لأن وجه الشيء طرفه وجانبه الذي يبدو منه. وبما أن القراءة - وهي كيفية في تعبير الكلمة - وجه من وجوه تعبير اللفظ، فهي حرف، والجمع أحرف.

وروى الأزهري أيضاً عن أبي العباس، أنه سئل عن قوله ﷺ نزل القرآن على سبعة أحرف. فقال: ماهي إلا لغات. قال الأزهري: فأبو العباس النحوي - وهو واحد عصره - قد ارتضى ما ذهب إليه أبو عبيد، واستصوبه.^٦

واللغات: هي لغات العرب أي لهجاتهم في كيفية التعبير والأداء.

قال البغوي: «أظهر الأقاويل، وأصحّها، وأشبهها بظاهر الحديث: أن المراد من هذه الحروف: اللغات، وهو أن يقرأ كل قوم من العرب بلغتهم، وما جرت عليه عادتهم، من الإدغام والإظهار والإمالة والتفخيم والإشمام والإتمام والهمز والتليين وغير ذلك من

١ - الألتغ: من كان بلسانه لثغة، أي قلب السين ثاء أو الراء غيناً.

٢ - الأرت: من كان في لسانه رنة، أي عجمة وعدم إفصاح.

٣ - الإلتقان، ج ١، ص ١٣٣.

٤ - المرشد الوجيز، ص ٩٦-٩٧.

٥ - لسان العرب، ج ٩، ص ٤١، مادة «حرف».

٦ - الحج ٢٢: ١١.

وجوه اللغات، إلى سبعة أوجه منها في الكلمة الواحدة»^١.

أمّا الأحاديث من الطائفة الثانية - رقم: ٤ و ٧ - فتعني جواز تبديل الكلمة إلى مرادفتها، على شريطة التحفظ على صلب المراد، ولا تبدل آية رحمة بعذاب أو آية عذاب برحمة.

وقد عُرف ابن مسعود - وكذا أبي بن كعب - بذهابه إلى جواز هذا التبديل قال: لقد سمعت القراء ووجدتهم متقاربين، فاقروا كما علّمتم، فهو كقولكم هلمّ وتعال.^٢ وكان ابن مسعود يعلم رجلاً أعجمياً القرآن، فقال: «إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ»^٣ فكان الرجل يقول: طعام اليتيم، ولم يستطع أن يقول: الأثيم. فقال له ابن مسعود: قل: طعام الفاجر. ثم قال: إنه ليس من الخطأ في القرآن أن يقرأ مكان «العليم» «الحكيم»، بل أن يضع آية الرحمة مكان آية العذاب.^٤

وكان يستبدل من إلياس إدريس، ويقرأ: «سَلَامٌ عَلَى إِدْرَاسِينَ».^٥

وقرأ: «أَوْ يَكُونُ لَكَ بَيْتٌ مِنْ ذَهَبٍ» بدل «مِنْ زُخْرَفٍ».^٦

وقرأ: «كَالْصَّوْفِ الْمَنْفُوشِ» بدل «كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ».^٧

وقرأ: «إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَمْتًا» بدل «صَوْمًا».^٨

وهكذا قرأ أبي بن كعب: «كُلُّهَا أَضَاءَ لَهُمْ مَرْوَاهُ فِيهِ» وقرأ أيضاً «سَعَوْا فِيهِ» بدل «مَشَوْا

فِيهِ».^٩ وكان يقول: «إِنْ قُلْتَ: غَفُورًا رَحِيمًا، أَوْ قُلْتَ: سَمِيعًا عَلِيمًا أَوْ عَلِيمًا سَمِيعًا، فالله

كذلك، ما لم تختتم آية عذاب برحمة أو رحمة بعذاب».^{١٠}

وتبعهما في ذلك أنس وأبو هريرة أيضاً. قرأ أنس: «إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً

١ - شرح السنّة، ص ١٤٠، وراجع: المرشد الوجيز، ص ١٣٤.

٢ - معجم الأدباء، ج ١، ص ٥٩٨، رقم، ١٥٠. ٣ - الدخان ٤٤: ٤٣-٤٤.

٤ - التفسير الكبير، ج ١، ص ٢١٣. ٥ - الصافات ٣٧: ١٠، راجع: جامع البيان، ج ٢٣، ص ٦٢.

٦ - الإسراء ١٧: ٩٣، راجع: المصدر، ج ١٥، ص ١٠٩. ٧ - القارعة ١٠١: ٥، راجع: تأويل مشكل القرآن، ص ٢٤.

٨ - مريم ١٩: ٢٦، راجع: البحر المحيط، ج ٦، ص ١٨٥، وهكذا قرأ أنس.

٩ - البقرة ٢: ٢٠، راجع: الإتيان، ج ١، ص ١٣٤. ١٠ - تفسير البلاغي (آلاء الرحمان)، ج ١، ص ٣١.

وأصوب قِيلاً». فقليل له: يا أبا حمزة، إنما هي «وَأَقْوَمُ قِيلاً»؟^١ فقال: أقوم، وأصوب، وأهدى، واحد.^٢ وكان أبوهريرة يجوز تبديل «عليماً حكيماً» إلى «غفوراً رحيماً».^٣ وهكذا قرأ ابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وابن الزبير والأعمش وعكرمة وعمر بن دينار: «هذه أنعام وحرث حرج». والمشهور قراءة: «حَرِثٌ حِجْرٌ».^٤ قال ابن جني: لأنهما بمعنى.^٥

هذا... ولكنه مذهب مرفوض في رأي المحققين، ومن ثم رفضه جمهور المسلمين طول التاريخ، إذ لكل لفظة موضعها الخاص لا تناسبه لفظة أخرى، حتى ولو كانت مرادفة لها. فضلاً عن غير المرادفة. إذ موضع استعمال «العليم الحكيم» - مثلاً - يختلف عن موضع استعمال «الغفور الرحيم».

وهكذا جميع الكلمات المترادفة في لغة العرب، لكل واحدة منها خصوصية إذا لا حظها المتكلم كان كلامه بديعاً، وبذلك يعرف الفصيح عن غير الفصيح، وقد بلغ القرآن في هذه الناحية حد الإعجاز، فإنه فاق الفصحاء العرب في تعيين مواقع الكلمات المتناسبة بما أعجزهم وأخضعهم للاعتراف ببلاغته الخارقة.

إذن فكيف نجيز لأحاد المسلمين أن يستبدلوا من ألفاظ القرآن بما يترادف معها من سائر الألفاظ، وهل يعرف أحد كحد معرفته تعالى، بموقعية الألفاظ بعضها من بعض، البالغة حد الإعجاز؟!

قال سيّدنا الأستاذ رحمه الله: فهذا الاحتمال - أي احتمال جواز تبديل ألفاظ القرآن إلى مترادفاتهما - يوجب هدم أساس القرآن، المعجزة الأبدية والحجة على جميع البشر، ولا يشك عاقل في أن ذلك يقتضي هجر القرآن المنزل، وعدم الاعتناء بشأنه، وهل يتوهم عاقل ترخيص النبي ﷺ أن يقرأ القارئ «يس والذكر العظيم، إنك لمن الأنبياء، على

٢ - جامع البيان، ج ١، ص ١٨.

١ - المزمّل ٧٣: ٦.

٤ - الأنعام ٦: ١٣٨.

٣ - الإتقان، ج ١، ص ١٣٤.

٥ - المحتسب لابن جني، ج ١، ص ٣٤١.

طريق سويّ، إنزال الحميد الكريم، لتخوّف قوماً ما خوّف أسلافهم فهم ساهون»...! فلتقرّ عيون المجوّزين لذلك! سبحانك هذا بهتان عظيم.

وروي أنّ رسول الله ﷺ علّم براء بن عازب دعاء كان فيه: «ونبيّك الذي أرسلت» فقرأ براء: «ورسولك الذي أرسلت» فأمره ﷺ أن لا يضع الرسول موضع النبيّ، قال سيّدنا الأستاذ: فإذا كان هذا شأن الدعاء، فما بالك بالقرآن، وهو كلام الله المنزل الخالد...^١

ولعلّ إنكار الإمام الصادق عليه السلام لحديث السبعة، ناظر إلى تفسيره بهذا المعنى المخرج للقرآن عن نصّه الأصل المعجز، فقد سأل الفضيل بن يسار الإمام عليه السلام عن هذا الحديث، فقال: «كذبوا - أعداء الله - ولكنّه نزل على حرف واحد من عند الواحد».^٢

أمّا الطائفة الثالثة والرابعة فلا بأس بهما ذاتياً لو صحّت أسانيدهما، غير أنّ الأصحّ - حسب الظاهر - هي الطائفة الأولى، التي عنت من الأحرف: اختلاف لهجات العرب في التعبير والأداء.

والمقصود من السبعة، هي الكثرة النسبيّة، كما في قوله تعالى: «وَالْبَحْرُ مِذَّةٌ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ».^٣ وكالسبعين في قوله تعالى: «إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ».^٤ (ملحوظة): اختلاف اللهجة في تعبير الكلمة إذا لم يصل إلى حدّ اللحن في المقياس العام فجائز، اللهمّ إلّا للعاجز عن النطق بالصحيح، أمّا المتمكّن - ولو بالتعلّم - فلا تجوز له القراءة الملحونة.

قال رسول الله ﷺ: «تعلّموا القرآن بعربيّته، وإياكم والنبر فيه».^٥ وقال الإمام الصادق عليه السلام: «تعلّموا العربيّة، فإنّها كلام الله الذي كلّم به خلقه، ونطق به في الماضين».^٦

وقال الإمام الجواد عليه السلام: «ما استوى رجلان في حسب ودين قط، إلّا كان أحدهما

١ - البيان في تفسير القرآن، ص ١٩٧-١٩٨.

٢ - الكافي، ج ٢، ص ٦٣٠.

٣ - لقمان ٢٧: ٣١.

٤ - التوبة ٩: ٨٠.

٥ - وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٨٦٥: والنبر - بالراء المهملة -: الهمز في القراءة؛ وفي نسخة الوسائل ضبطت بالزاي المعجمة

٦ - المصدر، ص ٨٦٦.

وهو غلط.

عند الله (عز وجل) آدبهما، قيل له: قد علمنا فضله عند الناس في النادي والمجلس، فما فضله عند الله؟ قال: بقراءة القرآن كما أنزل، ودعائه من حيث لا يلحن، فإن الدعاء الملحون لا يصعد إلى الله»^١.

وأما العاجز فيكفيه ما يحسنه، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها. وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام يرويه عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أن الرجل الأعجمي من أمتي ليقراً القرآن بعجميته، فترفعه الملائكة على عربيته» وتقدم الحديث.

أنواع اختلاف القراءات

أنواع اختلاف القراءات ربما تفوق الحصر، كالاختلاف في الحركات الإعرابية والبنائية، والتقديم والتأخير، والزيادة والنقصان، والمد والقصر، والتخفيف والتشديد، والترقيق والتفخيم، والإخفاء والإظهار، والفك والإدغام، والإمالة والروم والإشمام، على اختلاف أنواعه، وغير ذلك مما فصلها كتب القراءات، وحصل الاختلاف فيها بين أئمة القراء السلف والخلف.

وبعض المؤلفين حاول حصرها في سبعة أنواع، لاعتقدها بأنها الأحرف السبعة التي جاءت في الحديث، ولعله تيمن بهذا العدد الذي جاء في كلام الرسول صلى الله عليه وآله لكنه تكلف ظاهر. ونحن نذكر نموذجاً من تلك المحاولات حيث الاطلاع عليها لا يخلو من فائدة.

قال ابن قتيبة: وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه:

الأول: الاختلاف في إعراب الكلمة، أو في حركة بنائها بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها، نحو قوله تعالى: «هُؤْلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ»^٢ - برفع «أطهر» ونصبه -^٣.

١ - المصدر.

٢ - هود ١١: ٧٨.

٣ - الثانية قراءة الحسن وابن مروان وعيسى بن عمر: وبراها سيويه لحناً. راجع: إعراب القرآن المنسوب إلى الزجاج، ص ٩٣٩، (باب ما جاء في التنزيل من القراءة التي رواها سيويه في كتابه)؛ وكتاب سيويه، ج ١، ص ٤٦٥؛ ومختصر في شواذ القرآن، ص ٦٠؛ والبحر المحيط، ج ٥، ص ٢٤٧؛ وتفسير القرطبي، ج ٩، ص ٧٦.

وقوله تعالى: «وَهَلْ نَجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ»^١ و«هَلْ يَجَازِي» - بياء الغائب مبنيًا للمفعول -^٢.

وقوله تعالى: «وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ»^٣ - بضم الباء وسكون الخاء - و«البخل» - بفتح الباء والخاء -^٤.

وقوله تعالى: «فَنَظَرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ»^٥ - بفتح السين و«ميسرة» - بضم السين -^٦.
الثاني: أن يكون الاختلاف في إعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغيّر معناها، ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب، نحو قوله تعالى: «رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا»^٧ - فعل طلب - وقرأ يعقوب: «رَبَّنَا بَاعِدْ» - فعل ماض -^٨.

وقوله تعالى: «إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّتِكُمْ»^٩ بتشديد القاف - و«تلقونه» - بالتخفيف -^{١٠}.
وقوله: «وَأَذَكَّرَ بَعْدَ أُمَّةٍ»^{١١} وقرئ: «أُمَّه» - بهمزة وميم مفتوحتين ثالثهما هاء -^{١٢}.
الثالث: أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون إعرابها، بما يغيّر معناها ولا يزيل صورتها، نحو قوله: «وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا»^{١٣} و«ننشرها»^{١٤}.

١ - سبأ ٢٤: ١٧؛ بنون المنكلم مع الغير مبنيًا للفاعل، هي قراءة عاصم وحمزة والكسائي. الإتحاف، ص ٣٥٩.

٢ - هي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. الإتحاف، ص ٣٥٩.

٣ - النساء ٤: ٣٧.

٤ - هي قراءة حمزة والكسائي. والأولى قراءة الباقيين. الإتحاف، ص ١٩٠.

٥ - البقرة ٢: ٢٨٠.

٦ - الثانية قراءة نافع؛ والأولى قراءة الباقيين. الإتحاف، ص ١٦٦؛ وانظر، مختصر في شواذ القرآن، ص ١٧؛ والكشاف، ج ١، ص ٣٢٣.

٧ - سبأ ٣٤: ١٩.

٨ - الإتحاف، ص ٣٣١؛ ومختصر في شواذ القرآن، ص ١٢١.

٩ - النور ٢٤: ١٥.

١٠ - الثانية قراءة ابن السميع. تفسير القرطبي، ج ١٢، ص ٢٠٤؛ ومختصر في شواذ القرآن، ص ١٠٠.

١١ - يوسف ١٢: ٤٥.

١٢ - الثانية منسوبة إلى ابن عباس. تفسير القرطبي، ج ٩، ص ٢٠١؛ ومختصر في شواذ القرآن، ص ٦٤.

١٣ - البقرة ٢: ٢٥٩.

١٤ - الأولى قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي، والثانية قراءة الباقيين. الإتحاف، ص ١٦٢.

وقوله: «حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ»^١ و«إِذَا فَرَّغَ»^٢.

وقوله: «يَقُصُّ الْحَقُّ»^٣ و«يَقْضَىٰ الْحَقُّ»^٤.

الرابع: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغيّر صورتها في الكتاب ولا يغيّر معناها،

نحو قوله: «إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً»^٥ و«زَقِيَّةً وَاحِدَةً»^٦.

وقوله: «كَالْعِهْنِ الْمُنفُوشِ»^٧ و«كَالصُوفِ الْمُنْفُوشِ»^٨.

الخامس: أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها، نحو قوله: «طَلَحَ

مَنْضُودٍ»^٩ و«طَلَعَ مَنْضُودٍ»^{١٠}.

السادس: أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير، نحو قوله: «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ

بِالْحَقِّ»^{١١} «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ»^{١٢}.

السابع: أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان، نحو قوله تعالى: «وَمَا عَمِلَتْهُ

أَيْدِيهِمْ»^{١٣} و«مَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ»^{١٤}.

وقوله تعالى: «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ»^{١٥} و«فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ»^{١٦}.

١ - سبأ ٣٤: ٢٣.

٢ - الثانية قراءة الحسن. مختصر في شواذ القرآن، ص ١٢٢؛ والإتحاف، ص ٣٦٠.

٣ - الأنعام ٦: ٥٧.

٤ - الأولى قراءة نافع وابن كثير وعاصم، والثانية قراءة الباقيين. ج ٦، ص ٤٣٩. وهذه الفقرة ذكرها الزركشي. ولم تكن في

لفظ ابن قتيبة. راجع: البرهان للزركشي، ج ١، ص ٣٣٥.

٥ - يس ٣٦: ٢٩. ٦ - الثانية قراءة ابن مسعود. الكشاف، ج ٤، ص ١٣.

٧ - القارعة ١٠١: ٥. ٨ - الثانية قراءة ابن مسعود. الكشاف، ج ٤، ص ٧٩٠.

٩ - الواقعة ٥٦: ٢٩.

١٠ - الثانية منسوبة إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. مختصر في شواذ القرآن، ص ١٥١. وجاء في جامع البيان (ج ٢٧، ص

١٠٤) نسبتها إلى سعد بن معبد الهاشمي أيضاً. ١١ - ق ٥٠: ١٩.

١٢ - الثانية قراءة أبي بكر عند ما حضرته الوفاة في قصة مع ابنته عائشة. راجع: تفسير القرطبي، ج ١٧، ص ١٢-١٣؛

مختصر في شواذ القرآن، ص ١٤٤. ١٣ - يس ٣٦: ٣٥.

١٤ - الثانية في مصاحف أهل الكوفة. راجع: الكشاف، ج ٤، ص ١٥.

١٥ - الحديد ٥٧: ٢٤.

١٦ - الثانية قراءة نافع، وفق مصاحف أهل المدينة والشام. الكشاف، ج ٤، ص ٤٨٠.

وقوله: «إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً»^١ بزيادة «أثنى»^٢.
 وقوله: «إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا»^٣ بزيادة «من نفسي فكيف أظهركم عليها»^٤.
 وقوله: «تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ»^٥ و«تجري من تحتها الأنهار»^٦.
 وأورد ذلك كله الإمام بدر الدين الزركشي في برهانه، بلا ذكر المصدر الأصل،
 والقرطبي في تفسيره عن القاضي ابن الطيب مختزلاً^٧ وابن الجزري في النشر تأييداً لما
 ذكره قريباً منه. قال: ثم وقفت على كلام ابن قتيبة وقد حاول ما حاولنا بنحو آخر...^٨
 وأخذ ابن الجزري على ابن قتيبة تمثيله بطلع وطلع، لأن ذلك لا تعلق له باختلاف
 القراءات.

قلت: ولعل ابن الجزري نظر في ذلك إلى رواية الطبري: «قرأ رجل عند عليٍّ عليه السلام
 «وَطَلَحَ مَنْضُودٌ». فقال عليه السلام: ما شأن الطلح، إنما هو طلع. ثم قرأ عليه السلام: «وَالنَّخْلَ بِاسِقَاتٍ لَهَا
 طَلْعٌ نَضِيدٌ»^٩ أو قرأ: «وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ»^{١٠} فقليل له: ألا نحولها؟ فقال: إن القرآن لا يهاج
 اليوم ولا يحول»^{١١}.

فالرواية لا تذكر أن الإمام عليه السلام قرأ ذلك.

لكن ذكر ابن خالويه في القراءات الشاذة: «وطلع - بالعين - قرأها علي بن أبي طالب
 على المنبر، فقليل له: أفلا نغيره في المصحف؟ قال: ما ينبغي للقرآن أن يهاج أي لا يغير»^{١٢}.

١ - ص ٣٨: ٢٣.

٢ - هي قراءة الحسن، وتنسب إلى ابن مسعود أيضاً. راجع: مختصر في شواذ القرآن، ص ١٣٠؛ وجامع البيان، ج ٢٣، ص ٩١؛ والكشاف، ج ٤، ص ٨٥.

٣ - طه ٢٠: ١٥.

٤ - قال ابن خالويه في مختصر في شواذ القرآن، ص ٨٧: هي قراءة أبي بن كعب. إلى هنا ينتهي ما أورده ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن، ص ٣٦-٣٨.

٥ - التوبة ٩: ١٠٠.

٦ - الثانية قراءة ابن كثير. الإتحاف، ص ٢٤٤. وهذه الزيادة من الزركشي. البرهان، ج ١، ص ٣٣٦.

٧ - تفسير القرطبي، ج ١، ص ٤٥.

٨ - النشر، ج ١، ص ٢٧؛ وتجد الأصل في تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص ٣٦-٣٨.

٩ - الشعراء ٢٦: ١٤٨.

١٠ - ق ٥٠: ١٠.

١١ - مختصر في شواذ القرآن، ص ١٥١.

١٢ - جامع البيان، ج ٢٧، ص ١٠٤.

قال ابن الجزري - أيضاً -: ولو مثل ابن قتيبة عوض ذلك بقوله تعالى: «وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ»^١ وقرئ «بظنين»^٢ وقوله: «أَشَدُّ مِنْكُمْ» و«أَشَدُّ مِنْهُمْ»^٣ لاستقام وطلع حسن بدره في تمام.

على أنه قد فاته - كمافات غيره - أكثر أصول القراءات: كالإدغام، والإظهار والإخفاء، والإمالة، والتفخيم، وبين بين، والمد والقصر، وبعض أحكام الهمز، كذلك الروم، والإشمام على اختلاف أنواعه، وكل ذلك من اختلاف القراءات، وتغاير الألفاظ ممّا اختلف فيه أئمة القراء...^٤

وقال ابن الجزري: إنني تتبعت القراءات صحيحها وشاذّها، وضعيفها ومنكرها، فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف:

- ١ - إمّا في الحركات بلا تغيير في المعنى والصورة، نحو: «البخل» - بأربعة أوجه^٥ و«يحسب» - على وجهين -^٦.
- ٢ - أو بتغيير في المعنى فقط، نحو: «فَتَلَقَّى آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ»^٧ و«ادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ» و«بعد أمه»^٨.

١ - التكوير ٨١: ٢٤.

٢ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالطاء المشالة، فعيل بمعنى مفعول، من ظننت فلاناً أنهمته، ويتعدى لواحد، والباقون بالضاد بمعنى بخيل. الإتحاف، ص ٤٣٤.

٣ - غافر ٤٠: ٢١. قرأ ابن عامر بالكاف موضع الهاء، التفاتاً إلى الخطاب. والباقون «منهم» بضمير الغيب، لقوله: أو لم يسيروا. الإتحاف: ص ٣٧٨. ٤ - النشر، ج ١، ص ٢٨.

٥ - النساء ٤: ٣٧. قرأ حمزة والكسائي بفتحيتين. وقرأ الباقر بضمّ الباء وإسكان الخاء. وهما لغتان مشهورتان، وفيه لغة ثالثة وهي فتح الباء وإسكان الخاء. الكشف عن وجوه القراءات السبع، ج ١، ص ٣٨٩. وفيه لغة رابعة، وهي بضمّتين. املاء ما من به الرحمان، ج ١، ص ١٧٩.

٦ - القيامة ٧٥: ٣. قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي بكسر السين، والباقر بالفتح. الإتحاف، ص ٤٢٨.

٧ - البقرة ٢: ٣٧. قرأ ابن كثير بنصب «آدم» ورفع «كلمات». والباقر برفع «آدم» ونصب «كلمات». الكشف، ج ١، ص ٢٣٧.

٨ - يوسف ١٢: ٤٥. المعروف من قراءة ابن عباس: «بعد أمة» بالهاء وتخفيف الميم المفتوحة أي بعد نسيان. وقراءة المشهورة بالناء وتشديد الميم، أي بعد حين. راجع: تفسير القرطبي، ج ٩، ص ٢٠١.

٣ - وإمّا في الحروف بتغيّر المعنى لا الصورة، نحو: «تَبْلُو» و«تَتْلُو»^١ و«نُنَجِّيكَ» و«نُنَحِّيكَ»^٢.

٤ - أو عكس ذلك، نحو: «بَصْطَةً» و«بَسْطَةً»^٣ و«الصَّراط» و«السَّراط»^٤.

٥ - أو بتغيّرهما، نحو «أَشَدَّ مِنْكُمْ» و«أَشَدَّ مِنْهُمْ»^٥ و«يَأْتَلٍ» و«يَتَأَلٍ»^٦ و«فامضوا إلى ذِكْرِ اللَّهِ»^٧.

٦ - وإمّا في التقديم والتأخير، نحو «فَيَقْتُلُونَ وَيَقْتُلُونَ»^٨ و«جَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ»^٩.

٧ - أو في الزيادة والنقصان، نحو: «وأوصى» و«وَوَصَّى»^{١٠} و«وَالذَّكَرَ وَالْأُنْثَى»^{١١}.
فهذه سبعة أوجه لا يخرج الاختلاف عنها.

وأمّا نحو اختلاف الإظهار، والإدغام، والروم، والإشمام، والتفخيم، والترقيق، والمدّ

١ - يونس ١٠: ٣٠. قرأ حمزة والكسائي وخلف بقاء بين أي تطلب وتتبع ما أسلفته من أعمال. والباقون بالياء والياء من البلاء أي تختبر ما قدمت من عمل. الإتحاف، ص ٢٤٩.

٢ - يونس ١٠: ٩٢. قرأ اليزيدي وابن السميع: «تنحيك» بالحاء من التنحية. تفسير القرطبي، ج ٨، ص ٣٧٩.

٣ - البقرة ٢: ٢٤٧. قرأ أبو عمرو وحمزة بالسین والباقون بالصاد. الكشف، ج ١، ص ٣٠٢.

٤ - الحمد ١: ٦. السین قراءة قبل عن ابن كثير. الكشف، ج ١، ص ٣٤.

٥ - تقدّم ذلك في النوع السابع من «أنواع اختلاف القراءات».

٦ - النور ٢٤: ٢٢. قرأ أبو جعفر: «يتأل» بهمزة مفتوحة بين التاء واللام المشددة مضارع «تألى» بمعنى حلف والباقون:

«يأتل» بهمزة ساكنة بين الياء والتاء وكسر اللام مخففة، من «ألوت» بمعنى «قصرت» أو مضارع «اتلّى» افتعل من الآلية وهي الحلف أيضاً. الإتحاف، ص ٣٢٣.

٧ - الجمعة ٦٢: ٩. هي قراءة عمر بن الخطاب. ومن القراء: ابن شهاب. تفسير القرطبي، ج ١٨، ص ١٠٢.

٨ - التوبة ٩: ١١١. قرأ النخعي والأعمش وحمزة والكسائي وخلف، بتقديم المفعول على الفاعل. وقرأ الباقر بتقديم الفاعل على المفعول. تفسير القرطبي، ج ٨، ص ٢٦٨.

٩ - ق ٥٠: ١٩. هكذا قرأها أبو بكر عند موته. البرهان للزركشي، ج ١، ص ٣٣٥؛ والقراءة المشهورة هي: «وجاءت سكرة الموت بالحق».

١٠ - البقرة ٢: ١٣٢. وهي زيادة في الخط. قرأ نافع وابن عامر بهمزة من باب الإفعال. والباقون بتشديد الصاد بلاهمز، من باب التفعيل. الكشف، ج ١، ص ٢٦٥.

١١ - الليل ٩٢: ٣. بإسقاط قوله تعالى: «و ما خلق». قراءة منسوبة إلى ابن مسعود: «والنهار إذا تجلّى. والذكر والأنثى».

تفسير القرطبي، ج ٢٠، ص ٨١.

والقصر، والإمالة، والفتح والتحقيق، والتسهيل، والإبدال، والنقل، ممّا يعبر عنه بالأصول، فهذا ليس من الاختلاف الذي يتنوّع فيه اللفظ والمعنى، لأنّ هذه الصفات المتنوّعة في أدائه لاتخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً. ولئن فرض، فيكون من الأوّل.^١

قلت: إن كان حديث السبعة الأحرف ناظراً إلى تنوّع لغات العرب في التعبير والأداء - كما رجّحناه واختاره المحقّقون السلف - فإنّ ما ذكره أخيراً هي العمدة في اختلاف القراءة. أمّا ما ذكره من الوجوه السبعة فلا يدخل أكثرها في الرخصة المستفادة من الحديث، ولا أظنّ بمثله أن يرخصها كما لم يرخصها سائر العلماء المحقّقين، فكيف ينزل الحديث عليها؟!

قال الأستاذ الزرقاني: إنّ هذا العذر الذي قدّمه ابن قتيبة لإهمال هذا الوجه، لا يسوّغ ذلك الإهمال. فإنّ المسألة ليست مسألة أسماء وعناوين يترتب عليها أن اختلاف اللهجات في اللفظ الواحد تخرجه عن أن يكون واحداً أو لا تخرجه، بل المسألة مسألة رعاية أمر واقع تختلف به القراءات فعلاً.

وأمر آخر: هو أنّ التيسير على الأُمَّة، لا يتحقّق على الوجه الأكمل إلّا بحسبان هذا الوجه الذي نوّه به الرازي - سنذكره - وهو اختلاف اللهجات. بل هذا قد يكون أولى بالحسبان وأحرى بالرعاية في باب التخفيف والتيسير، لأنّه قد يسهل على المرء أن ينطق بكلمة من غير لغته في جوهرها، ولا يسهل عليه أن ينطق بكلمة من لغته نفسها بلهجة غير لهجته، وطريقة الأداء غير طريقته.

ذلك، لأنّ الترقيق والتفخيم، والهمز والتسهيل، والإظهار والإدغام، والفتح والإمالة، ونحوها أمور دقيقة، وكيفيّات مكتنفة بشيء من الغموض والعسر في النطق على من لم يتعوّدها ولم ينشأ عليها.

واختلاف القبائل العربيّة يدور على اللهجات في كثير من الحالات، وكذلك اختلاف الشعوب الإسلاميّة، وأقاليم الشعب الواحد منها، يدور في كثير من الحالات على اختلاف اللهجات.^١

وللإمام أبي الفضل الرازي محاولة أخرى في حصر أوجه القراءات في سبعة. قال: إنّ الكلام لا يخرج اختلافه عن سبعة أوجه:

الأوّل: اختلاف الأسماء من الإفراد والتثنية والجمع^٢ والتذكير والتأنيث^٣ والمبالغة^٤ وغيرها.

الثاني: اختلاف تصريف الأفعال، وما يسند إليه من نحو الماضي والمضارع والأمر والإسناد إلى المذكر والمؤنث والمتكلم والمخاطب والفاعل والمفعول به.^٥

١ - مناهل العرفان، ج ١، ص ١٦١-١٦٢.

٢ - في قوله تعالى: «بِرِسَالَاتِي وَيُكَلِّمِي» - الأعراف ٧: ١٤٤ - قرأ الحرميان بالتوحيد. والباقون بالجمع. الكشف، ج ١، ص ٤٧٦.

وقوله: «إِنْ صَلَاتَكَ سَكَنَ لَمْ» - التوبة ٩: ١٠٣ - قرأ حمزة وحفص والكسائي بالتوحيد. وقرأ الباقر بالجمع. الكشف، ج ١، ص ٥٠٥.

وفي قوله تعالى: «لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا» - الكهف ١٨: ٣٦ - قرأ الحرميان وابن عامر على التثنية «منهما». وقرأ الباقر: «منها» مفرداً. الكشف، ج ٢، ص ٦٠.

٣ - في قوله تعالى: «فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ» - آل عمران ٣: ٣٩ - قرأ حمزة والكسائي وخلف «فناداء الملائكة» بالتذكير. وقرأ الباقر: «فنادته» بالتأنيث. النشر، ج ٢، ص ٢٣٩.

٤ - في قوله تعالى: «يُكَلِّمُ سَاحِرٍ عَلِيمٍ» - الأعراف ٧: ١١٢ - قرأ حمزة والكسائي: «سَحَّار» بصيغة المبالغة. وقرأ الباقر: «ساحر». الكشف، ج ١، ص ٤٧١.

٥ - في قوله تعالى: «رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا» - سبأ ٣٤: ١٩ - قرأ يعقوب: «باعد» فعلاً ماضياً، وقرأ الباقر فعل أمر. الإتحاف، ص ٣٥٩.

وقوله: «وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مَوْطِئًا» - البقرة ٢: ١٢٥ - قرأ نافع وابن عامر ماضياً، وقرأ الباقر بصيغة الأمر. الكشف، ج ١، ص ٢٦٣.

وفي قوله تعالى: «وَهَلْ يُجَازِي إِلَّا الْكُفُورُ» - سبأ ٣٤: ١٧ - قرأ حفص وحمزة والكسائي بالنون وكسر الزاي مبنياً للفاعل. وقرأ الباقر بالياء وفتح الزاي مبنياً للمفعول. الكشف، ج ٢، ص ٢٠٦.

الثالث: وجوه الإعراب.^١

الرابع: الزيادة والنقص.^٢

الخامس: التقديم والتأخير.^٣

السادس: القلب والإبدال في كلمة بأخرى^٤ وفي حرف بآخر.^٥

السابع: اختلاف اللغات من فتح وإمالة وترقيق وتفخيم وتحقيق وتسهيل وإدغام

وإظهار ونحو ذلك.^٦

انظر إلى هذا الإمام، جعل من اختلاف اللغات - اللهجات - وجهاً من وجوه السبعة

وقد تركها ابن قتيبة، زاعماً أنه وافقه في المحاولة.^٧

والصحيح - كما قدّمنا - أن اختلاف اللهجات هي العمدة في ملحوظ حديث السبعة

الأحرف - لو صحّ السند - وعليه فيصبح معنى الحديث: أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَخَّصَ لِلأُمَّةِ - عند قراءة

القرآن - أن يقرأوه على ما تطاوعه ألسنتهم ولهجاتهم في التعبير والأداء.

١ - في قوله تعالى: «وَأَرْجُلُكُمْ» - المائدة ٥: ٦ - قرأ نافع وابن عامر وحفص والكسائي بالنصب والباقون بالخفض. الإتحاف، ص ١٩٨.

وقوله: «حَجَّارَةٌ حَاضِرَةٌ» - البقرة ٢: ٢٨٢ - قرأ عاصم بالنصب، والباقون بالرفع. الكشف: ج ١، ص ٣٢١.

٢ - في قوله تعالى: «تَجْرِي مَحْتَهَا الْأَنْهَارُ» - التوبة ٩: ١٠٠ - قرأ ابن كثير «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» بزيادة «من» وقرأ الباقون بغير «من». الكشف، ج ١، ص ٥٠٥. وقوله: «إِنَّا اللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» - الحديد ٥٧: ٢٤ - قرأ نافع وابن عامر بإسقاط «هو». وقرأ الباقون بإثبات «هو». الكشف، ج ٢، ص ٣١٢.

٣ - في قوله تعالى: «وَقَاتِلُوا وَقَاتِلُوا» - آل عمران ٣: ١٩٥ - قرأ حمزة والكسائي «وَقَاتِلُوا وَقَاتِلُوا». والباقون بتقديم الفاعل على المفعول. الكشف، ج ١، ص ٣٧٣. وقوله: «فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ» - التوبة ٩: ١١١ - قرأ حمزة والكسائي وخلف بتقديم المفعول على الفاعل، والباقون بتقديم الفاعل على المفعول. تفسير القرطبي، ج ٨، ص ٢٦٨.

٤ - في قوله تعالى: «فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ» - الجمعة ٦٢: ٩ - قرأ ابن الخطاب وكذلك ابن شهاب: «فامضوا إلى ذكر الله». تفسير القرطبي، ج ١٨، ص ١٠٢.

وقوله: «كَالْبُهْنِ الْمَنْفُوشِ» - القارعة ١٠١: ٥ - قرأ ابن مسعود: «كالصوف المنفوش». تأويل مشكل القرآن، ص ٢٤.

٥ - في قوله تعالى: «كَيْفَ تُنْشَرُّهَا» - البقرة ٢: ٢٥٩ - قرأ ابن عامر والكوفيون بالزاي، والباقون بالراء. الكشف، ج ١، ص ٣١٠.

وقوله «الضَّرَاطُ» قرأ ابن كثير - برواية قبل - بالسين. وقرأ حمزة - برواية خلف - بين الصاد والزاي. وقرأ الباقون بالصاد

محضاً. الكشف، ج ١، ص ٣٤.

٦ - أمثلة ذلك كثيرة جداً. وتقدّم بعضها في «تأثير اللهجة».

٧ - النشر، ج ١، ص ٢٧.

القراءات وأثرها في التفسير والأحكام

قد نعتبر القراءات ولاسيما السبع متواترات - كما اعتبرها قوم - فلذلك أثر بين في التفسير وفي مجال استنباط الأحكام. أمّا إذا لم نعتبرها جميعاً متواترة، سوى قراءة واحدة هي التي تسالم عليها عامة المسلمين وتوارثوها كابراً عن كابر عن رسول الله ﷺ والتي تحققت في قراءة حفص عن عاصم عن أبي عبد الرحمن السلمي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكما قال الإمام أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «القرآن واحد نزل من عند الواحد. ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرواة»^١ أي من قبل اختلاف اجتهادهم في الحصول على ذلك النص الأصل الواحد... فعليه فلا موضع للاختلاف، لا في القراءة ولا في مجال الاستنباط والتفسير، فلماذا يدعى لهذا البحث رأساً.

إنما الكلام، على الفرض الأول وعلى فرض ثبوت الاختلاف ولو جزئياً، فما أثره في التفسير وفي استنباط الأحكام؟

لا شك أن الأثر بين على ذلك الفرض، لأن الاختلاف في التعبير - بعد أن كانت تصاريف الكلمات تحمل معاني متخالفة طبعاً - قد يوجب تخالفاً في التفسير ويستعقبه اختلافاً في الإنتاج الفقهي للأحكام. وقد تصبح القراءات المختلفة متعارضة المفاد، كتعارض الروايتين الموجب لتهافت فقه الحديث أحياناً، فلا بدّ من العلاج كما هناك. وإليك نماذج من الاختلاف في القراءة ممّا أوجب اختلافاً في التفسير وكذا في استنباط الأحكام فيما حسبوا:

١ - قوله تعالى: «أَوْ لَا مَسْتُمْ النِّسَاء...» في سورتي النساء: ٤٣ والمائدة: ٦.

فقد قرأ حمزة والكسائي وخلف: «لمستم النساء». ووافقهم الأعمش.^٢

قالوا: فعلى قراءة المشهور يكون المعنى: جامعتم... وعلى القراءة الأخرى يحتمل الجماع أو الأعم منه ومن مجرد اللمس. ومن ذلك اختلف الفقهاء في مسألة نقض الوضوء بمجرد لمس بشرة المرأة.

قال ابن رشد: اختلف العلماء في إيجاب الوضوء من لمس النساء باليد أو بغير ذلك من الأعضاء الحساسة، فذهب قوم إلى: أن من لمس امرأة بيده مفضياً إليها، ليس بينها وبينه حجاب ولا ستر فعليه الوضوء وكذا من قبلها، لأن القبلة عندهم لمس ما، سواء التذأم لم يلتذ.

وبهذا القول قال الشافعي وأصحابه. لكنه فرق مرة بين اللامس فأوجب عليه دون الملموسة، ومرة سوى بينهما. وأخرى فرق بين الزوجة فأوجب دون غيرها من ذوات المحارم، ومرة سوى بينهما.

وذهب آخرون إلى الإيجاب إذا قارنته لذة أو قصدها ما عدى القبلة فلم يشترطوا فيها اللذة. وهو مذهب مالك وجمهور أصحابه.

ونفى قوم إيجاب الوضوء لمن لمس النساء، وهو مذهب أبي حنيفة ولكل سلف من الصحابة.^١

وروا هنا أحاديث عن عائشة قد تبدو عليها آثار الوهن:

فقد رووا بالإسناد إلى عروة عن عائشة قالت: إن رسول الله ﷺ قبل بعض نسائه ثم خرج إلى الصلاة ولم يتوضأ. فقلت: من هي إلا أنت؟ فضحكت!

وفي حديث آخر قالت: كان رسول الله ﷺ يصلي وأنا مضطجعة بينه وبين القبلة،

فكان إذا سجد غمز رجلي!

وأحاديث أخرى لم يعتمدوها الأئمة وضعفها نقاد الحديث.^٢

قلت: لا شك أن اللمس والملامسة في هكذا تعابير (بالإفشاء إلى النساء) كناية عن

الجماع لا يستريب فيه أحد. قال الزمخشري: ومن المجاز: لمس المرأة ولامسها: جامعها.

والمسني امرأة: زوجنيها. وفلانة لا ترد يد لامس: للفاجرة. وفلان لا يرد يد لامس: لمن

لا منعة له.^١

وهكذا فهم علماءنا الأعلام من الآية معناها الكناي المعروف عند العرب ممّن نزل القرآن بلغتهم وعلى أساليب كلامهم البليغ، سواء قرئت «لامستم» أو «لمستم». لأنهما بمعنى وفق المصطلح العام.

قال أبو جعفر الطوسي: ملامسة النساء لاتنقض الوضوء، سواء في ذلك ذات محرم أو غيرها، باليد أو غيرها من الأعضاء، بشهوة أم بغير شهوة. قال: لعدم دليل على إيجاب النقض، والآية كناية عن الجماع لا غير. قال: وعلى ذلك إجماع فقهاءنا.^٢

وروى أبو مريم (عبد الغفار بن القاسم بن قيس بن فهد الأنصاري) قال: قلت للإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام: ما تقول في الرجل يتوضأ ثم يدعو جاريته فتأخذ بيده حتى ينتهي إلى المسجد؟ فإن من عندنا يزعمون أنها الملامسة! فقال عليه السلام: لا والله ما بذلك بأس وربما فعلته، وما يعنى بهذا «أو لامستم النساء» إلا الواقعة في الفرج.^٣

٢ - قوله تعالى: «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً».^٤

جاء في قراءة أبي بن كعب وكذا نسب إلى ابن عباس وابن جبير: «فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمى فآتوهنّ أجورهنّ».^٥

زعموا أن الآية على قراءة المشهور تعني الاستمتاع بالزوجة إذا تزوّجها، فتستحقّ صداقها أجمع. وجاءت القراءة الثانية دليلاً على إرادة الزواج المؤقت!

لكنهم غفلوا عن أن الآية بذاتها (حتى على القراءة الأولى) ناصّة على إرادة الزواج المؤقت، نظراً للتعبير بالأجر دون المهر. والأجر تجاه الاستمتاع، إذ لم يقترن بدليل آخر، ظاهر في إرادة نكاح المتعة دون الدائم. فقد جاءت القراءة الثانية شاهداً على هذا المعنى وإيضاحاً للمراد، كما هي عادة السلف من الزيادات التفسيرية أثناء تلاوة الآيات وذلك

١ - أساس البلاغة، ج ٢، ص ٣٥٤. ٢ - راجع: الخلاف، ج ١، ص ١١٠-١١١، مسألة ٥٤.

٣ - تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي، ج ١، ص ٢٢، رقم ٥٥.

٤ - جامع البيان، ج ٥، ص ٩.

٥ - النساء ٤: ٢٤.

عند عدم الالتباس كما هنا.

أمّا تفسير الآية بإرادة الاستمتاع من الزوجة الدائمة لتستحقّ تمام المهر، فلا وجه له ولا مبرّر، إذ المرأة تستحقّ المهر أجمع بمجرد العقد على الزواج، سواء دخل بها أم لم يدخل، فلو فرض أنّ الرجل توفيّ قبل أن يدخل بها، استحقّت تمام المهر.^١ وحتى لو كان الزوج شيخاً كبيراً أو لا يرغب في مجامعتها أو لا يستطيع ونحو ذلك، فإنّها تستحقّ المهر كاملاً على جميع هذه الفروض. نعم سوى واحدة وهي ما إذا طلقها، فإن كان بعد الدخول استحقّت تمام المهر، وإن كان قبل الدخول فالنصف. وهذا أمر آخر لا يرتبط والآية المبحوث عنها هنا!

إذن فالآية نصّ في الزواج المؤقت، على القراءتين. وجاءت القراءة الثانية تفسيراً أو تبيناً لقراءة المشهور، لا غير.

أمّا حديث النسخ فذو شجون!

والصحيح أنّه لم يثبت نسخ البتّة، وجميع ما ذكره من روايات بهذا الشأن، يبدو عليها أثر الاختلاق، حسبما شرحناه في كتابنا «التفسير والمفسّرون».^٢ فقد رووا بالإسناد إلى كلّ من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسلمة بن الأكوع وسبرة بن معبد الجهني.

أمّا الرواية عن الإمام أمير المؤمنين فيكذبها أنّه عليه السلام كان من أشدّ الناقمين على عمر في منعه عن نكاح المتعة. قال: «لو كان أنّ عمر نهى عن المتعة مازنى إلّا شفى»^٣ أي الشواذ من الناس.

١ - انعقد الإجماع على أنّ الموت (موت الزوج أو الزوجة) كالدخول، أحد سببي استحقاق تمام المهر. راجع: بداية المجتهد لابن رشد، ج ٢، ص ٢٤.

قال المرتضى: من سمى لامرأة مهراً ومات عنها قبل الدخول، فلها جميع المهر. لأنّ الموت يجري مجرى الدخول في إيجابه كمال المهر. وعلى ذلك إجماع جميع الفقهاء بلا خلاف بينهم. ومن خالف في ذلك فالحجّة عليه تقدّم الإجماع بخلافه. راجع: الناصريّات، ص ٣٣٤، مسألة ١٥٦. ٢ - المجلد الأول، ص ٥٣٨.

٣ - جامع البيان، ج ٥، ص ٩. وفي نسخة: إلّا شفى.

وكذا الرواية عن سلمة، فإنها فرية ألصقوها بصحابي كبير، ومن ثم لم يُورد البخاري رواية التحريم عنه، بل العكس: أورد عنه رواية الإباحة، رغم عقد الباب للتحريم.^١
وأما الرواية عن سبرة، فلم يروها عنه سوى ابنه الربيع. ومن ثم لم يخرج البخاري، بل لم يخرج للربيع في صحيحه شيئاً ولا عن أبيه سبرة، سوى ما علّقه في أحاديث الأنبياء.^٢

كما لم يخرج مسلم للربيع عن أبيه حديثاً غير حديث المتعة، ولم يأت ذكره في غير هذا الباب^٣ الأمر الذي يريبك أشدّ الريب، فتنّبّه!

٣- قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ، وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ...».^٤

قرأ نافع وابن عامر وعاصم برواية حفص والكسائي ويعقوب: «وأرجلكم» بالنصب. وقرأ أبو جعفر وأبو عمرو وابن كثير وعاصم برواية ابن عياش: «وأرجلكم» بالخفض.^٥

حسبوا أن في قراءة النصب عطفاً على مدخول الغسل، وفي قراءة الخفض عطفاً على مدخول المسح! وبذلك اختلف أهل النظر: هل يجب غسل الأرجل أم مسحها؟
وقد أسلفنا القول في ذلك^٦ وأن في كلتا القراءتين دليلاً على القول بالمسح لا غير، حيث النصب عطف محلّ المجرور، ولا يجوز عطفاً على مدخول «فاغسلوا» نظراً للفصل بالأجنبي، وهو غير جائز في الفصيح من لغة العرب، فلا يحمل عليه القرآن النازل على أفصح اللغة وأفسحها.

١- راجع: صحيح البخاري، ج ٧، ص ١٦. ومن ثم قال ابن حجر في الشرح: ليس في أحاديث الباب التي أوردتها التصريح بذلك، سوى قوله أخيراً: وقد بينه عليّ عن النبي ﷺ أنه منسوخ. فتح الباري، ج ٩، ص ١٤٣.

٢- راجع: تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٤٥٣، و ج ٦، ص ٣٣٦.

٣- راجع: الجمع بين رجال الصحيحين، ج ١، ص ١٣٥. ٤- المائدة ٥: ٦.

٥- النشر، ج ٢، ص ٢٥٤.

٦- عند الكلام عن ثالث شروط صحة القراءة (عدم المعارضة بالأقوى حجة).

٤ - قوله تعالى: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ، قُلْ: هُوَ أَذَىٌّ، فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ، فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ...»^١.
 قرأ حفص والمشهور: «حَتَّى يَطْهُرْنَ» بسكون الطاء وضمّ الهاء مخففةً.
 وقرأ ابن عياش وحمزة والكسائي وخلف: «حَتَّى يَطْهُرْنَ» بتشديد الطاء والهاء مفتوحة^٢.

قالوا: كان مقتضى القراءة بالتخفيف هو جواز وطىء الحائض بعد انقطاع الدم وإن لم تغتسل. أمّا على القراءة بالتشديد فلا يجوز إلا بعد اغتسالها من الحيض. ومن ثمّ اختلف الفقهاء في ذلك!

قال الشافعي: لا يحلّ وطؤها إلا بعد أن تستريح فعل الصلاة. ومن السلف: الحسن البصري وسليمان بن يسار والزهري وربيعه ومالك والليث بن سعد والثوري^٣.
 غير أن اختلاف الفقهاء في ذلك لا يمتّ بجانب القراءة، وإنما هو ناشئ عن سياق الآية - مع التسالم على قراءة التخفيف - إذ كان شرط جواز اقترابهنّ أمرين: انقطاع الدم والاغتسال معاً، حسب ظاهر تعبير الآية. إذ لو جازت مباشرتهنّ فور انقطاع دمهنّ وقبل التطهّر، لم يكن لذكر «فإذا تطهّرن» فائدة. فتبيّن أنّ لجواز الوطىء شرطين: قطع الدم والاغتسال جميعاً.

قال أبو محمد مكّي بن أبي طالب القيسي: قرأه الحرميّان وأبو عمرو وابن عامر وحفص: مضموم الهاء مخففاً على معنى ارتفاع الدم وانقطاعه، ولكن لم تتمّ الفائدة إلا بقوله: «فإذا تطهّرن» أي بالماء، فأتوهنّ. فهذا تتمّ الفائدة والحكم، لأنّ الكلام متّصل بعضه ببعض، فلا يحسن أن يكون «يَطْهُرْنَ» مخففاً، تتمّ عليها الفائدة والحكم، لأنّه يوجب [جواز] إتيان المرأة إذا انقطع عنها الدم وإن لم تتطهّر بالماء، ويكون قوله: «فإذا تطهّرن» لا فائدة له. إذ الوطىء قد يتمّ بزوال الدم. فلا بدّ من اتّصال «فإذا تطهّرن» بما قبله،

١ - البقرة ٢: ٢٢٢.

٢ - النشر، ج ٢، ص ٢٢٧.

٣ - راجع: الخلاف للطوسي، ج ١، ص ٢٢٨.

وبه يتم الحكم والفائدة في أن لا توطأ الحائض إلا بانقطاع الدم والتطهير بالماء.

أما لو شُدّد «يَطْهَرْنَ» وكان بمعنى «تَطْهَرْنَ» للزم جواز الوطىء إذا تطهّرت بالماء، وإن لم ينقطع عنها الدم. إذ لم يأت ذكر عن انقطاع دمها.

ففي التخفيف بيان الشرطين اللذين مع وجودهما معاً جاز الوطىء، وهما: قطع الدم والتطهر بالماء، وليس مع قراءة التشديد فيها دليل على اشتراط قطع الدم للوطىء.

فالقراءة بالتخفيف فيها بيان الحكم وفائدته...^١

هذا هو ظاهر تعبير الآية إن أخذنا كلاً من الشرطين ولاسيما الشرط الثاني، إلزامياً، كما هو ظاهر السياق، وهو الحجّة حسب تصريح النص.

قال ابن العربي: كان معنى «حَتَّى يَطْهَرْنَ»: حتى ينقطع دمهنّ، لكنّه تعالى لمّا قال بعد ذلك: «فَإِذَا تَطْهَرْنَ»، معناه: فإذا اغتسلن بالماء، تعلّق الحكم على شرطين: أحدهما: انقطاع الدم. والثاني: الاغتسال. فوقف الحكم - وهو جواز الوطىء - على الشرطين.

وصار ذلك كقوله تعالى: «وَابْتَكَوْا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ، فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ»،^٢ فعلق الحكم - وهو جواز دفع المال - على شرطين: أحدهما: بلوغ النكاح، والثاني: إيناس الرشد. فوقف عليهما ولم يصحّ ثبوته بأحدهما.

وكذلك قوله تعالى في المطلقة ثلاثاً: «فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ، فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا».^٣ وقد وردت السنّة باشتراط الوطىء. فوقف التحليل على الأمرين جميعاً، كما هنا.^٤

أخرج البيهقي بإسناده إلى ابن عباس في قوله تعالى: «فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ» يقول: اعتزلوا نكاحهنّ، ولا تقربوهنّ حَتَّى يَطْهَرْنَ، يقول: إذا تَطْهَرْنَ من الدم وتَطْهَرْنَ بالماء، فأتوهنّ من حيث أمركم الله...

١ - الكشف، ج ١، ص ٢٩٣-٢٩٤ مع شيء من التوضيح. ٢ - النساء ٤: ٦.

٣ - البقرة ٢: ٢٣٠.

٤ - أحكام القرآن لابن العربي (أبي بكر محمد بن عبدالله)، ج ١، ص ١٦٦-١٦٧.

وأخرج عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله عز وجل: «ولا تقربوهنَّ حتىَّ يَطْهُرنَّ» حتى ينقطع الدم، فإذا تَطَهَّرنَّ، قال: اغتسلن.

وأخرج عن هُشَيْم عن يونس عن الحسن في الحائض إذا طهرت من الدم، قال: لا يأتيها زوجها حتى تغتسل.

وعن سالم أنه سمع الحسن يقول: لا بأس أن يغشي الرجل امرأته، وليس بحضرتها ماء إذا طهرت من حيضتها في سفر، إذا تيمَّمت.

وعن ابن بكير عن مالك أنه بلغه عن سالم وسليمان بن يسار، أنهما سُئِلا عن الحائض يصيبها زوجها إذا رأت الطهر قبل أن تغتسل، فقالا: لا، حتى تغتسل...^١
أمَّا الفقهاء فذهب مالك والشافعي والجمهور إلى أن ذلك لا يجوز حتى تغتسل.
وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلى أن ذلك جائز إذا طهرت لأكثر أمد الحيض، وهو عنده عشرة أيام.

وذهب الأوزاعي إلى أنها إن غسلت فرجها بالماء، جاز وطؤها، أي كلَّ حائض طهرت متى طهرت. وبه قال أبو محمد بن حزم...^٢

قال ابن حزم: وأمَّا وطؤ زوجها أو سيدها لها إذا رأت الطهر، فلا يحلَّ إلا بأن تغسل جميع رأسها وجسدها بالماء أو تتيَّمم. فإن لم تفعل فبأن تتوضأ وضوء الصلاة، فإن لم تفعل فبأن تغسل فرجها بالماء. ولا بدَّ أيَّ هذه الوجوه الأربعة فعلت، حلَّ له وطؤها.

قال: وممَّن قال بقولنا في هذه المسألة، عطاء وطاووس ومجاهد. وهو قول أصحابنا... ولم يرو عن أحد من الصحابة في هذه المسألة شيء، ولم نعلم أيضاً عن أحد من التابعين إلا عن سالم بن عبدالله وسليمان بن يسار والزهري وربيعه: المنع من وطئها حتى تغتسل. قال: ولا حجة في قولهم لو انفردوا، فكيف وقد عارضهم من هو مثلهم...^٣

١- السنن الكبرى، ج ١، ص ٣٠٩-٣١٠، باب الحائض لا توطأ حتى تطهر وتغتسل.

٢- بداية المجتهد، ج ١، ص ٥٩.

٣- المحلى لابن حزم الأندلسي، ج ٢، ص ١٧١-١٧٣، مسألة ٢٥٦.

قال العلامة ابن المطهر الحلي: المشهور كراهية وطئها بعد انقطاع الحيض قبل الغسل، فإن غلبته الشهوة أمرها بغسل فرجها استحباباً، ثم يطؤها.
وقال ابن بابويه الصدوق: لا يجوز حتى تغتسل، فإن غلبته الشهوة أمرها بغسل فرجها.

قال العلامة: لنا قوله تعالى: «فاعتزلوا النساء في المحيض»، خصّ النهي بوقت الحيض أو موضع الحيض، وإنما يكون موضعاً له مع وجوده، والتقدير عدمه فينتفي التحريم. وقوله تعالى: «ولا تقربوهنّ حتى يطهرنّ» على قراءة التخفيف. وما رواه علي بن يقطين عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «إذا انقطع الدم ولم تغتسل فليأتها زوجها إن شاء». احتج المخالف بقوله تعالى: «فإذا تطهرنّ فأتوهنّ من حيث أمركم الله» علق الإتيان بفعل الطهارة، والمراد بها الغسل أو غسل الفرج، مع الشبق. وما رواه أبو بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سألته عن امرأة كانت طامثاً فرأت الطهر أيقع عليها زوجها قبل أن تغتسل؟ قال: «لا يصلح حتى تغتسل».

قال: وسألته عن امرأة حاضت في السفر، ثم طهرت فلم تجد ماءً يوماً واثنين، أيحلّ لزوجها أن يجامعها قبل أن تغتسل؟ قال: «لا يصلح حتى تغتسل». وعن سعيد بن يسار عنه عليه السلام قال: قلت: المرأة تحرم عليها الصلاة ثم تطهر فتتوضأ من غير أن تغتسل، أفلزوجها أن يأتيها قبل أن تغتسل؟ قال: لا، حتى تغتسل.

وأجاب العلامة عن احتجاج المخالف بحمل أحاديث المنع على الاستحباب، جمعاً بين الأدلة.

والشاهد على هذا الجمع ما رواه عبدالله بن المغيرة عن سمع عن العبد الصالح عليه السلام في المرأة إذا طهرت من الحيض ولم تمسّ الماء فلا يقع عليها زوجها حتى تغتسل. فإن فعل ذلك فلا بأس به. وقال: تمسّ الماء أحبّ إليّ.

وعن علي بن يقطين عن أبي الحسن عليه السلام قال: سألته عن الحائض ترى الطهر، يقع

عليها زوجها قبل أن تغتسل؟ قال: «لابأس، وبعد الغُسل أحبّ إليّ»^١.
قلت: روايات أصحابنا متعارضة وكان الترجيح مع روايات المنع، لموافقتهما مع صريح الكتاب.

وهكذا ذهب أبوجعفر ابن بابويه الصدوق إلى المنع في غير ضرورة غلبة الشَّبق. وعليه حمل روايات الجواز. قال: ولا يجوز مجامعة المرأة في حيضها، لأنَّ الله - عزَّ وجلَّ - نهى عن ذلك فقال: «ولا تقربوهنَّ حتَّى يطهرنَّ» يعني بذلك الغُسل من الحيض. فإن كان الرجل شَبَقاً وقد طهرت المرأة وأراد أن يجامعها قبل الغُسل أمرها أن تغسل فرجها ثمَّ يجامعها^٢.

إذن ثم يكن اختلاف القراءة هو الموجب لاختلاف الفتاوي، وإنَّما الموجب هو اختلاف الروايات!

١ - المختلف للعلامة الحلي، ج ١، ص ١٨٩-١٩٠، مسألة ١٣٤.

٢ - من لا يحضره الفقيه للصدوق، ج ١، ص ٥٣.

القراءات بين الصحّة والشذوذ

ضابط قبول القراءة

ذكر أئمة الفن لقبول القراءة شروطاً ثلاثة:

١ - صحّة السند.

٢ - موافقة الرسم.

٣ - استقامة وجهها في العربية.

وإذا فقد أحد هذه الشروط تصبح القراءة شاذّة، لاتصحّ القراءة بها، لافي صلاة ولافي غيرها، وتسقط عن اعتبارها قرآناً رأساً، سواء كانت من السبعة أم من غيرهم. قال مكّي بن أبي طالب: «إذا اجتمع في القراءة ثلاثة أشياء: قوّة وجه العربيّة، وموافقة المصحف، واجتماع العامّة عليه. والعامّة هم: أهل المدينة وأهل الكوفة فذلك عندهم حجة قويّة توجب الاختيار.

وربما أريد من العامّة أهل الحرمين، مكة والمدينة، وربّما جعلوا الاعتبار بما اتّفق عليه نافع وعاصم. فقراءتهما أولى القراءات وأصحّها سنداً وأفصحها في العربيّة، ويتلوها في الفصاحة خاصّة قراءة أبي عمرو والكسائي»^١.

وقال أبو شامة: «كلّ قراءة ساعدها خطّ المصحف، مع صحّة النقل فيها، ومجيئها على الفصيح من لغة العرب، فهي قراءة صحيحة معتبرة. فإن اختلفت هذه الأركان الثلاثة، أُطلق على تلك القراءة أنّها شاذّة وضعيفة. أشار إلى ذلك كلام الأئمة المتقدمين ونصّ عليه الشيخ المقرئ أبو محمد مكّي بن أبي طالب القيرواني في كتاب مفرد - هو كتاب «الإبانة» - وقد ذكره شيخنا أبو الحسن في كتابه «جمال القرآن»^١ قال: «ولا يلتزم فيه تواتر، بل تكفي الآحاد الصحيحة مع الاستفاضة»^٢ وتقدّم قوله: «وهناك - أي دون إثبات تواتر كلّ فرد فرد من القراءات إلى النبي ﷺ - تسكب العبرات، فإنّها من ثمّ لم تنقل إلّا آحاداً إلّا اليسير منها»^٣.

وقال الحافظ الضابط، إمام القرآن المتأخّر، أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري: «كلّ قراءة وافقت العربيّة - ولو بوجه - ووافقت أحد المصاحف العثمانيّة - ولو احتمالاً - وصحّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ولا يحلّ إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن. ووجب على الناس قبولها، سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين. ومتى اختلف ركن من هذه الأركان الثلاثة، أُطلق عليها ضعيفة أو شاذّة أو باطلة، سواء أكانت عن السبعة أم عنّ هو أكبر منهم.

قال: هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف، صرّح بذلك الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ونصّ عليه في غير موضع الإمام أبو محمد مكّي بن أبي طالب، وكذلك الإمام أبو العباس أحمد بن عمار المهدوي، وحقّقه الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن إسماعيل، المعروف بأبي شامة. وهو مذهب السلف الذي لا يعرف عن أحد منهم خلافة»^٤.

هذه شروط ثلاثة عبّروا عنها بالأركان، إذا توفّرت في قراءة فهي صحيحة ومقبولة،

١ - المرشد الوجيز، ص ١٧١-١٧٢.

٢ - المصدر، ص ١٧١.

٣ - المصدر، ص ١٧٨.

٤ - النشر، ج ١، ص ٩.

وإذا اختلَّ أحدها فهي شاذّة مردودة.

ورأيت التصريح بها في كلام أئمة الفنّ ممّن يرجع إليهم في هذا الشأن. ومع ذلك فإنّ بعض المؤلفين غير الاختصاصيين أخذ اعتبار التواتر بدل شرط صحّة السند. هكذا جاء في كلام الشيخ أبي القاسم النويري، قال: «عدم اشتراط التواتر قول حادث، مخالف لإجماع الفقهاء والمحدثين».

وقد ردّ عليه الإمام شهاب الدين القسطلاني، بأنّ التواتر إذا ثبت لا يحتاج إلى الركنين الآخرين، من الرسم والعربيّة، لأنّ ما ثبت متواتراً قطع بكونه قرآناً، سواء وافق الرسم أم خالفه.^١

قلت: ولعلّ مشترط التواتر قد خلط عليه مسألة «تواتر القرآن» بمسألة «تواتر القراءات». وقد تقدّم: أنّهما حقيقتان متغايرتان.^٢

وهكذا جعل الأستاذ محمد سالم محيسن - وهو مدرس بمعهد القراءات بالأزهر - شرط التواتر بدل صحّة السند^٣ مخالفاً في ذلك تصريحات الأئمة المحقّقين. ويعذر أمثال هؤلاء بعدم الاضطلاع بأصول الفنّ، ولم يدركوا أنّ اشتراط التواتر في كلّ فرد فرد من أحرف الخلاف يذهب بكثير من القراءات الثابتة عن السبعة وغيرهم. صرّح بذلك الإمام القسطلاني.^٤

تحقيق الأركان الثلاثة

قال ابن الجزري: «وقولنا في الضابط، ولو بوجه، نريد وجهاً من وجوه النحو، سواء كان أفصح أم فصيحاً، مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه، اختلافاً لا يضرّ مثله إذا كانت القراءة ممّا شاع وذاع وتلقّاه الأئمة بالإسناد الصحيح. إذ هو الأصل الأعظم والركن الأقوم. وهذا هو

١ - لطائف الإشارات للقسطلاني، ج ١، ص ٦٩.

٢ - البرهان للزركشي، ج ١، ص ٣١٨. وتقدّم في «القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان».

٣ - المذهب في القراءات العشر، ج ١، ص ٢٧. ٤ - لطائف الإشارات للقسطلاني، ج ١، ص ٧٠.

المختار - عند المحققين - في ركن موافقة العربية.

فكم من القراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم. ولم يعتبر إنكارهم، بل أجمع الأئمة المقتدى بهم من السلف على قبولها، كإسكان «بارئكم» و«يأمركم»^١ ونحوه «سباً» و«يا بُنَيَّ» و«مكر السيِّء» و«نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ» في الأنبياء.^٢ والجمع بين الساكنين في تاءات البزّي، وإدغام أبي عمرو و«اسطاعوا» لحمزة، وإسكان «نِعْمًا»^٣ و«يَهْدِي»^٤. وإشباع الياء في «نرتعي» و«يتقي ويصبر» و«أفئدة من الناس». وضمّ «للملائكة أسجدوا»^٥ ونصب «كن فيكون»، وخفض «والأرحام»^٦ ونصب «لِيُجْزَى قَوْماً»^٧. والفصل بين المضافين في الأنعام^٨ وهمز «سأقيها»^٩ ووصل «وإنّ الياس»^{١٠} وألف «إنّ هذان»^{١١} وتخفيف «وَلَا تَتَّبِعَانِ»^{١٢} وقراءة «ليكة»^{١٣} في الشعراء وص. وغير ذلك.^{١٤}

قلت: انظر إلى هذا التناقض في كلام هذا الرجل المحقق المضطلع بأصول الفن. كيف

١ - يفصلها في الجزء الثاني من النشر، ص ٢١٢-٢١٣: وتقدّم في فصل «قراءات شاذة عن السبعة».

٢ - قرأ ابن عامر بنون واحدة وتشديد الجيم مبنياً للمفعول ونصب المؤمنين. الكشف، ج ٢، ص ١١٣: وتقدّم في «غلو في الأدب».

٣ - البقرة ٢: ٢٧١. والنساء ٤: ٥٨. قرأ أبو جعفر بإسكان العين، ووافقه اليزيدي والحسن. إتحاف فضلاء البشر، ص ١٦٥ وبما أنّ الميم مشددة عند الكل، فيجتمع ساكنان على غير حذو.

٤ - يونس ١٠: ٣٥. قرأ أبو جعفر - أيضاً - بإسكان الهاء مع تشديد الدال. وبذلك يجتمع ساكنان على غير حذو. الإتحاف، ص ٢٤٩.

٥ - قرأ أبو جعفر بضمّ التاء وصلا. في البقرة ٢: ٣٤. والأعراف ٧: ١١. والإسراء ١٧: ٦١. والكهف ١٨: ٥٠، وطه ٢٠: ١١٦. الإتحاف، ص ١٣٤. ٦ - تقدّم، ص ٦٨.

٧ - الجاثية ٤٥: ١٤. قرأ أبو جعفر: مبنياً للمفعول ونصب «قوماً». الإتحاف، ص ٣٩٠.

٨ - الأنعام ٦: ١٣٧. ٩ - نمل ٢٧: ٤٤.

١٠ - الصافات ٣٧: ١٢٣. قرأ ابن عامر بوصل همزة «الياس» في حين أنّ الكلمة أعجمية وهمزتها قطع. الإتحاف، ص ٣٧٠.

١١ - طه ٢٠: ٦٣. تقدّم، ج ١، «مخالفات في رسم الخط» عن التفسير الكبير، ج ٢٢، ص ٧٤.

١٢ - يونس ١٠: ٨٩. قرأ ابن ذكوان بتخفيف النون على النفي. تفسير القرطبي، ج ٨، ص ٣٧٦: وهذه محاولة لتوجيه القراءة، وإلا فظاهر السياق كون «لا» ناهية. وعليه فإن كان النون نون رفع فيجب إمطاطها للجزم. وأما نون التأكيد الخفيفة فلا

تلحق الفعل المثني وجماعة النساء. ١٣ - تقدّم في ص ٦٨.

١٤ - راجع: النشر، ج ١، ص ١٠.

يحابي بحقائق علميّة هنا، ويعترف بها في موضع آخر، إذ كلّ ما ذكره هنا إنّما هي قراءات شاذّة، لا يجوز هو ولا غيره من الأئمّة قراءتها في الصلاة، ومع ذلك فقد استشهد بها تدليلاً على تقديم ما صحّ إسناده إلى القارئ، على قواعد اللغة المقرّرة، وسنتعرّض لذلك.

قال ابن الجزري: «ونعني بموافقة أحد المصاحف: ما كان ثابتاً في بعضها دون بعض، كقراءة ابن عامر: «قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا»^١ بغير واو. و«بِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ»^٢ بزيادة الباء في الاسمين. ونحو ذلك فَإِنَّ ذلك ثابت في المصحف الشامي.^٣

وكقراءة ابن كثير: «جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ»^٤ بزيادة «من». فَإِنَّ ذلك ثابت في المصحف المكي.^٥

وكذلك «فَإِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ»^٦ بحذف «هو».^٧

وكذا «سَارِعُوا»^٨ بحذف الواو.^٩

وكذا «مِنْهُمْ مُتَقَلَّبًا»^{١٠} بتثنية الضمير.^{١١}

إلى غير ذلك من مواضع كثيرة في القرآن، اختلفت المصاحف فيها، فوردت القراءة عن أئمّة تلك الأمصار على موافقة مصحفهم، فلو لم يكن ذلك كذلك في شيء من المصاحف العثمانيّة، لكانت القراءة بذلك شاذّة، لمخالفتها الرسم المجمع عليه.

قال: وقولنا - بعد ذلك - «ولو احتمالاً» نعني به ما يوافق الرسم ولو تقديرًا، إذ موافقة الرسم قد تكون تحقيقاً، وهو الموافقة الصريحة، وقد تكون تقديرًا، وهو الموافقة احتمالاً، فإنّه قد خولف صريح الرسم في مواضع إجماعاً، نحو «السّموات» و«الصلحت»^{١٢}

١ - البقرة ٢: ١١٦.

٢ - آل عمران ٣: ١٨٤.

٣ - وابن عامر شامي أيضاً.

٤ - التوبة ٩: ١٠٠.

٥ - وابن كثير مكي أيضاً.

٦ - الحديد ٥٧: ٢٤.

٧ - في مصحف المدينة والشام.

٨ - آل عمران ٣: ١٢٣.

٩ - في مصحف المدينة والشام.

١٠ - الكهف ١٨: ٣٦.

١١ - في مصحف المدينة والشام.

١٢ - فقد رسمت بلا ألف وقرئت بألف.

و«اليل»^١ و«الصلوة» و«الزكاة»^٢ و«الربوا»^٣ ونحو «لنظر كيف تعملون»^٤ و«جأى»^٥ في الموضوعين.^٦

وقد توافق بعض القراءات الرسم تحقيقاً، ويوافقه بعضها تقديرًا، نحو «ملك يوم الدين» فإنه كتب بغير ألف في جميع المصاحف، فقراءة الحذف تحتمله تحقيقاً كما كتب «ملك الناس». وقراءة الألف محتملة تقديرًا كما كتب «مالك الملك». فتكون الألف حذفت اختصاراً.

وكذلك «النشأة»^٧ حيث كتبت بالألف، وافقت قراءة المدّ تحقيقاً، ووافقت قراءة القصر تقديرًا، إذ يحتمل أن تكون الألف صورة الهمز على غير القياس، كما كتب «موئلاً»^٨.

وقد توافق اختلافات القراءات الرسم تحقيقاً، نحو «أنصار الله»^٩ و«فنادته الملائكة»^{١٠} و«يَغْفِرُ لَكُمْ»^{١١} و«يَعْمَلُونَ»^{١٢} و«هَيْتَ لَكَ»^{١٣} ونحو ذلك»^{١٤}. قال: «وقولنا: وصحّ سندها، فإننا نعني به أن يروي تلك القراءة، العدل الضابط عن

١ - فقد رسمت بلام واحدة، وتقرأ بلامين.

٢ - رسمت بواو، وتقرأ بألف.

٣ - رسمت بواو وألف. ولا تقرأ الواو.

٤ - رسمت بنون واحدة، وتقرأ بنونين «لنظر كيف تَعْمَلُونَ» يونس ١٠: ١٤.

٥ - رسمت بألف بعد الجيم، والصحيح: «وجي» ماض مبني للمفعول.

٦ - الزمر ٣٩: ٦٩، والفجر ٨٩: ٢٣.

٧ - قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالمدّ والهمز بعد الألف: «النشأة» - كالكآبة - وقرأ الباقون بغير مدّ ولا ألف: «النشأة» - كالرافة -

الكشف، ج ٢، ص ١٧٨.

٨ - أي كما كتبت الهمزة في صورة ياء.

٩ - آل عمران ٣: ٥٢. لم يعرف وجه اختلاف القراءة فيه. ولعله «من أنصاري» حيث أماله الدوري عن الكسائي وانفرد

زيد عن ابن ذكوان. راجع: النشر، ج ٢، ص ٢٤٠.

١٠ - آل عمران ٣: ٣٩. قرأ حمزة والكسائي وخلف: «فناديه الملائكة» بألف مماله بعد الدال، وتكتب بصورة ياء. وقرأ

الباقون: «فنادته الملائكة» ببناء التانيث. والخطّ يحتمل كلتا القراءتين. النشر، ج ٢، ص ٢٣٩.

١١ - آل عمران ٣: ٣١. يقرأ بالنون وبالياء.

١٢ - البقرة ٢: ٩٦. يقرأ بالياء وبالياء.

١٣ - يوسف ١٢: ٢٣. قرأ نافع وابن عامر: «هيت» بكسر الهاء وفتح التاء، وياء ساكنة في الوسط. وقرأ هشام بهمزة ساكنة

في الوسط. وقرأ الباقون بفتح الهاء والتاء من غير همز. وابن كثير ضمّ التاء. كل ذلك يتحمّله الخطّ العاري عن النقط

والتشكيل. الكشف، ج ٢، ص ٨.

١٤ - النشر، ج ١، ص ١١-١٢.

مثله، وهكذا حتى تنتهي. وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له، غير معدودة عندهم من الغلط، أو ممّا شذّب بها بعضهم.

قال: وقد شرط بعض المتأخّرين «التواتر» وأنّ ما جاء مجيئ الآحاد لا يثبت به قرآن. وهذا ممّا لا يخفى مافيه، فإنّ التواتر إذا ثبت لا يحتاج فيه إلى الركنين الأخيرين من الرسم وغيره. إذ ما ثبت من أحرف الخلاف متواتراً عن النبي ﷺ وجب قبوله، وقطع بكونه قرآناً، سواء وافق الرسم أم خالفه، وإذا اشترطنا التواتر في كلّ حرف من حروف الخلاف، انتفى كثير من أحرف الخلاف، الثابت عن هؤلاء الأئمة السبعة وغيرهم. ولقد كنت قبل أجنح إلى هذا القول، ثمّ ظهر فسادُه، وموافقة أئمة السلف والخلف»^١.

هذا جلّ ما ذكره القوم بشأن تحقيق الأركان الثلاثة لقبول القراءة ووصفها بالصّحة. وقد نقلنا كلام ابن الجزري بطوله، فإنّ تحقيقه كان هو الفصل الحاسم، المعروف بين أئمة الفنّ خلفاً عن سلف. ولم يزد على تحقيقه أحد فيما أعلم. وقد تلقّته العلماء بالقبول عبر العصور.

وإنّ مناقشتنا التالية - لهذه الأركان - سوف تدور على بنود ذكرها هذا الإمام المحقّق، كمقياس أساسي لملاحظتها وتحقيقها في ضوء الواقعيّة الراهنة، التي ترفض المحاباة في مجال البحث والتمحيص.

مناقشة هذه الأركان

تلك شروط ثلاثة (السند والرسم والعريّة) ذكرها السلف وتبعهم عليها الخلف تقليديّاً، من غير ما تحقيق عن واقع الأمر، وهل تصلح هذه الأركان حلاً لمشكلة «اختلاف القراءات»؟ إنّها مشكلة لا تنحلّ بهكذا مسائل شكلية لا واقع لها، إذا ما جاس الباحث خلال الديار.

وقد لمس الأئمة القدامى قصور هذه الأركان عن التعريف بصحيح القراءة، ومن ثمّ

أخذوا في تحريفها وتحويرها يمينه ويسرة، ولكن من غير جدوى فاستبدلوا من شرط «التواتر» - الذي كان رائجاً على ألسنة غوغاء الناس - كفاية صحة الإسناد، ولكن إذ لم يوجد لبعض القراء إسناد فماذا؟

وكذلك شرط «موافقة الرسم»، رسم أي مصحف؟
أهو مصحف عثمان «الأم»؟، فلم يكن بمعرض العامة.
أم هي المصاحف الأولى المبعوثة إلى الآفاق؟. فلم يعد لها وجود منذ عام «٧٤»
حيث جمعها الحجاج بأمر عبد الملك بن مروان، في مرسوم سلطاني عام. وقد حاول بعض الأئمة (الإمام مالك) العثور على نسخة منها فلم يستطع.
ثم إن قيد: «ولو احتمالاً» يذهب بأثر هذا الاشتراط رأساً.
وأما شرط «العربية» فقيد: «ولو بوجه»، أبطل أثره نهائياً، إذ ما من قراءة شاذة إلا ولها وجه في العربية ولو بعيداً.

هذا إجمال مناقشتنا في هذه البنود، التي اعتبروها شروطاً أساسية لمعرفة صحيح القراءة عن ضعيفها.

وإليك التفصيل:

أما موافقة الرسم - وهو عمدة الشروط - فالمصحف الأم - مصحف عثمان المختص به - أو مصحف المدينة المودع في مسجدتها، فإنه لم يكن بمعرض العموم، فضلاً عن أن المعتمد - في تصريح الجماعة - هو مطلق المصاحف العثمانية الأولى، لا خصوص المصحف الأم.

قال الإمام شهاب الدين القسطلاني: وأما قول القائل: «ووافق لفظه خط المصحف الإمام» ففيه نظر، من جهة تقييده بالإمام، وهو مصحف عثمان الذي أمسكه لنفسه، لأن المعتمد: موافقة أحد المصاحف العثمانية، كما في «النشر» وغيره.^١

ودليلاً على ذلك أنهم اكتفوا بموافقة سائر المصاحف كمصحف الشام ومكة وغيرهما.

فقد أجازوا قراءة ابن كثير - قارئ مكة: «تَجْرِي من تَحْتَهَا الأَنْهَارُ» بزيادة «من» لأنّ مصحف مكة كان مشتملاً عليها^١ وإن كان مصحف المدينة خالياً عن ذلك.

وقرأ ابن عامر - قارئ الشام -: «وَلَدَّارُ الأَخِرَةُ»^٢ بلام واحدة، لأنّ مصحف الشام كان هكذا. وقرأ الباقر بن بلامين «وَلَدَّارُ الآخِرَةُ»^٣.

فلم يكن مقياس «موافقة المصحف» هو المصحف الإمام، بل جميع المصاحف العثمانية - الخمسة أو السبعة - المبعوثة إلى الآفاق.

ولكن كيف الحصول على موافقتها؟ ولم يُعَدَّ لها وجود قبل أن ينتهي القرن الأول، إذ لم يمض على حياتها أقلّ من نصف قرن إلّا وقد أكل عليها الزمان وشرب ولم يبق لها أثر على صفحة الوجود.

وذلك منذ أن تحوّل الخطّ (خطّ المصحف بالخصوص) من حالته البدائية الأولى إلى مراحل جديدة، أيام ولاية الحجاج بن يوسف الثقفي على العراق، ابتداء من سنة ٧٤ فما بعد. فقد أخذت المصاحف في تطوّر وتحسّن في خطّها ونقطها وتشكيلها وسائر المحسّنات.

وقد بعث الحجاج بمصاحف - من الطراز الحديث - إلى الآفاق، وأمر بجمع سائر المصاحف، ومنها المصاحف العثمانية الأولى، وحتى أنّ المصحف الإمام - وكان محتفظاً به في وعاء في المسجد النبوي ﷺ - أخفاه آل عثمان ضناً به.

حكى أبو أحمد العسكري، في كتاب «التصحيف»: أنّ الناس غيروا يقرأون في مصحف عثمان بن عفان نيفاً وأربعين سنة، إلى أيام عبد الملك بن مروان، ثمّ كثر التصحيف وانتشر بالعراق، ففرع الحجاج بن يوسف إلى كتابه وسألهم أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات...^٤

٢ - الأنعام ٦: ٣٢.

١ - الكشف، ج ١، ص ٥٠٥.

٣ - الكشف، ج ١، ص ٤٢٩.

٤ - التصحيف والتحريف، ص ١٣؛ وراجع: وفيات الأعيان لابن خلكان، ج ٢، ص ٣٢، في ترجمة الحجاج.

ويحدثنا محرز بن ثابت، مولى سلمة بن عبد الملك، عن أبيه، قال: كنت في حرس الحجاج بن يوسف، فكتب الحجاج المصاحف (منقطة، ومشكّلة، ومخمّسة، ومعرّشة، على يد نصر بن عاصم الليثي، وصاحبه يحيى بن يعمر، تلميذي أبي الأسود الدؤلي) ثمّ بعث بها إلى الأمصار، وبعث بمصحف إلى المدينة، فكره ذلك آل عثمان: فقليل لهم: أخرجوا مصحف عثمان ليُقرأ. فقالوا - ضنّاً به -: أُصيب المصحف يوم مقتل عثمان.

قال محرز: وبلغني أنّ مصحف عثمان صار إلى خالد بن عمرو بن عثمان.

قال: فلمّا استخلف المهدي العباسي، بعث بمصحف إلى المدينة، فهو الذي يُقرأ فيه اليوم. وعُزل مصحف الحجاج، فهو في الصندوق الذي دون المنبر.

قال ابن زبالة: حدّثني مالك بن أنس - إمام المالكية - (٩٣-١٧٩) قال: أرسل الحجاج إلى أمّهات القرى بمصاحف، فأرسل إلى المدينة بمصحف منها كبير، وهو أوّل من أرسل بالمصاحف إلى القرى، وكان هذا المصحف في صندوق عن يمين الأسطوانة التي عملت علماً لمقام النبي ﷺ وكان يفتح في يوم الجمعة والخميس، ويُقرأ فيه إذا صلّيت الصبح. فبعث المهديّ بمصاحف لها أثمان، فجعلت في صندوق، ونحّي عنها مصحف الحجاج، فوضعت عن يسار السارية، ووضعت لها منابر كانت تقرأ عليها، وحمل مصحف الحجاج في صندوقه، فجعل عند الأسطوانة التي عن يمين المنبر.^٢

قال ابن وهب: سألت مالكا عن مصحف عثمان، فقال: ذهب.^٣

ويروي الشاطبي عن مالك، أنّه قال: «إنّ مصحف عثمان تغيّب فلم نجد له خبراً بين الأشياء».^٤ وفي كلامه هذا: أنّه حاول العثور عليه فلم يستطع، الأمر الذي يدلّ على انقطاع أثره من صفحة الوجود بالكلية، وإلاّ فلو كان له وجود، لما كان يختفي عن مثل مالك.

٢ - وفاء الوفاء للسمهودي، ج ٢، ص ٦٦٧-٦٦٨.

١ - معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٥٨.

٤ - وفاء الوفاء، ج ٢، ص ٦٦٩.

٣ - البرهان للزركشي، ج ١، ص ٢٢٢.

تلك حالة المصاحف العثمانية الأولى لم يعد لها أثر في الوجود، أمّا سائر المصاحف فلا تصلح مقياساً لموافقتها أو مخالفتها. لأنّ قيمة تلك المصاحف الأولى كانت باعتبار انتمائها إلى الصحابة الأولين، أمّا غيرها فلم يثبت لها ذلك الاعتبار.

ولعلّك تقول: يحتمل أنّ تلك المصاحف المتأخّرة كتبت على نفس كتابة المصاحف الأولى حرفياً، قلت: هذا احتمال، ولا يمكننا أن نعتمد احتمالاً نحتمله ما لم نستوثق من تحقّقه واقعاً قطعياً. هذا فضلاً عن التّصريح بأنّها كتبت على أسلوب حديث كان يختلف عن أسلوب المصاحف الأولى بكثير، وإلّا لم تعد حاجة إلى جمعها، فكانت تنقّط و تشكّل فحسب، أمّا إيعادها عن صفحة الوجود فلا سبب له سوى التغيّر الجذري الحاصل فيما بعد.

نعم، أصل إملاء الخطّ - في صورته البدائية - بقي محفوظاً - نسبياً - لم يمسه بيد إصلاح، حسب ما قدّمنا.^١ وسجّل جزئياته أرباب المصاحف كابن الأنباري وابن أبي داوود وغيرهما، وكانوا هم حلقة الاتصال بيننا وبين المصاحف الأولى بعض الشيء، الأمر الذي لانستطيع الاستيثاق بكليّته تماماً.

وأخيراً فإنّ إضافة قيد «ولو احتمالاً» ذهبت بفائدة هذا الاشتراط حيث أكثر القراءات الشاذة، بل والمرفوضة بالإجماع أيضاً، يمكن توفيقها مع ظاهر الرسم حيث لانقّط ولاتشكيل ولاألفات ولاغير ذلك من علائم فارقة حسبما تقدّم.

مثلاً قراءة ابن مقسم: «خلصوا نُجُباً» بالباء^٢ يحتملها الخطّ. وكذا قراءة ابن محيصن: «فلا تشمت بي الأعداء» بفتح تاء المضارعة.^٣ وقراءة أبي حنيفة: «إنّما يخشى الله - بالرفع - من عباده العلماء - بالنصب -»^٤ وقراءة الحسن: «لاريباً فيه» بالنصب والتنوين.^٥ وقراءته:

١ - في الجزء الأوّل «مخالفات في رسم الخطّ». ٢ - إعجاز القرآن للرافعي، ص ٥٧.

٣ - إتحاف فضلاء البشر، ص ٢٣١؛ وتأويل مشكل القرآن، ص ٦١.

٤ - تفسير القرطبي، ج ١٤، ص ٣٤٤. ٥ - مختصر في شواذ القرآن، ص ٢٣.

«ظلمات» بسكون اللام حيثما وقع في القرآن.^١ وقراءته: «يُخِطُّفُ» بكسر الياء والخاء والطاء، مع تشديدها.^٢ وقراءته: «وَعُلِّمَ آدَمَ» بالبناء للمجهول^٣ وقراءة المطوعي: «يسمعون كَلِمَ الله» بلا ألف، وكسر اللام.^٤ وقراءة ابن السميع: «نَحْيِكُ» بالحاء.^٥ وقراءة الحسن: «او تنسها» بتاء الخطاب^٦ وقراءة ابن محيصن: «فأحيا به الأرض» بضم هاء الضمير.^٧ وقراءة قتادة: «فأقبلوا أنفسكم» بالياء.^٨ وقراءة ابن زيد: «فإذا عزمْتُ» بضم التاء.^٩ وقراءة الحسن: «فرغ عن قلوبهم» بالراء المهملة والغين المعجمة.^{١٠} كل ذلك يحتمله الخط العاري عن النقط والتشكيل.

وغير ذلك مما يطول. راجع كتب القراءات الشاذة، تجد غالبية تلكم القراءات يمكن توفيقها مع ظاهر الرسم الأول، فأين «موافقة الرسم» من صلاحية كونها دليلاً على تعيين القراءة الصحيحة عن الشاذة؟!

أمّا شرط «السند» - لتكون القراءات بأسرها متصلة الإسناد إلى النبي ﷺ فهذا شيء لا نستطيع تعقله، فضلاً عن إمكان إثباته.

أولاً: القراء مختلفون في القراءات، وكل قارئ له أسلوب خاص ومنهج يختص به دون من سواه. وله في كل آية فنون من أنواع القراءة، بل في كل كلمة يقرأها على أساليب يبتدعها كفن.

أفهل يصح أن ننسب كل هذه القراءات المتنوعة ذوات الأفنان من كل قارئ، في جميع آي القرآن إلى النبي ﷺ؟!

١ - المصدر.

٢ - المصدر.

٣ - المصدر، ص ٢٤.

٤ - المصدر، ص ٢٦.

٥ - تفسير القرطبي، ج ٨، ص ٣٧٩.

٦ - مختصر في شواذ القرآن، ص ٢٩.

٧ - المصدر، ص ٣١.

٨ - تفسير القرطبي، ج ١، ص ٤٠٢.

٩ - المصدر، ج ٤، ص ٢٥٢.

١٠ - إتحاف فضلاء البشر، ص ٣٦٠.

أفهل نستطيع أن ننسب مثل تاءات البزّي^١ وإدغام أبي عمرو^٢ وإسكان حمزة^٣ ونبر الكسائي^٤ ومدة ورش^٥ وغير ذلك من مبتدعات القراء المستنكرة، إلى رسول الله ﷺ؟ قال ابن قتيبة: «ولا يُجعل لحنُ اللاحنين من القراء المتأخرين حجةً على الكتاب. وقد كان الناس قديماً (على بداوتهم) يقرأون بلغاتهم (وفق لهجاتهم الفطريّة).

ثمّ خلف قوم بعد قوم من أهل الأمصار (المتحضّرين) وأبناء العجم^٦ ليس لهم طبع اللغة (لم تكن اللغة من فطرتهم) ولا علم التكلف (لم يتقنوا علم العربيّة) فهفوا في كثير من الحروف (القراءات) وزلّوا وقرأوا بالشاذّ وأخلّوا.

منهم رجل (حمزة) ستر الله عليه عند العوام بالصلاح، لم أر أكثر تخليطاً وأشدّ اضطراباً منه،^٧ نبذ في قراءته مذاهب العرب وأهل الحجاز، بإفراطه في المدّ والهمز

١ - هو صاحب قراءة ابن كثير من السبعة، توفي ٢٥٠ كان يشدّد التاء التي تكون في أوائل الأفعال المستقبلية حالة الوصل، نحو: «وَلَا تَيْمَمُوا الْحَيْثُ» - البقرة ٢: ٢٦٧ - وهي لغة غربية عن متعارف العرب إطلاقاً. انظر: التيسير، ص ٨٣ والنشر، ج ٢، ص ٢٣٢؛ والكشف، ج ١، ص ٣١٤.

٢ - هو أحد السبعة، توفي ١٥٤ كان يدغم المثلين إذا كان من كلمتين، سواء سكن ما قبله أو تحرّك، نحو: «شَهْرُ رَمَضَانَ» - البقرة ٢: ١٨٥ - وهو من الجمع بين ساكنين على غير حدّه. انظر التيسير: ص ٢٠.

٣ - في قوله تعالى: «وَمَا اسْتَطَاعُوا» - الكهف ١٨: ٩٧ - قرأها: «فما استطاعوا، بإدغام التاء في الطاء مع سكون السين. انظر: التيسير، ص ١٤٦؛ والنشر، ج ٢، ص ٣١٦.

٤ - كان ينبر بالحرف، أي يهزّه، وقريش لم تكن تهمز في كلامها، فلا تقول في «النبّي»: «النبّي». انظر: النهاية، ج ٥، ص ٧ وقد تقدّم ذلك.

٥ - هو صاحب قراءة نافع من السبعة، توفي ١٩٧ كان هو وحمزة أطول القراء مدّاً. راجع: التيسير، ص ٣٠؛ والإتحاف، ص ٣٧.

٦ - يريد غالبية القراء المعروفين، وهم من أبناء العجم. قال الداني: وليس في القراء السبعة من العرب غير ابن عامر وأبي عمرو، والباقون هم موال. التيسير، ص ٥-٦.

٧ - كان يستعمل في الحرف ما يدعه في نظيره، ثمّ يؤصل أصلاً ويخالف إلى غيره لغير ما علّته. قرأ: «وَمَكْرُ السَّيِّءِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» - فاطر ٣٥: ٤٣ - أسكن الهمز والياء في «السيء» الأوّل. وأعرب الثاني. تأويل مشكل القرآن، ص ٦٣. وأصله إسكان جميع الياءات التي اختلف فيها القراء إلا ياء «محيي» فإنّه فتحها وكسر ياء «بمصرخي» وليست ياء إضافة. الكشف، ج ١، ص ٣٢٨. وطعن كثير من النحاة في هذه القراءة، قال القراء: لعلّها من وهم القراء، فإنّه قلّ من سلم منهم من الوهم، ولعلّه ظنّ أنّ الباء في «بمصرخي» خافضة للفظ كلّها، والياء للمتكلم خارجة من ذلك. وقال الأخفش: ما سمعت هذا من أحد من العرب ولا من النحويّين. راجع: البحر المحيط، ج ٥، ص ٤١٩.

والإشباع. وإفحاشه في الإضجاع والإدغام. وقد شغف بقراءته العوام^١. رأوه عند قراءته مائل الشدقين، دارّ الوريدين، راشح الجبينين، فتوهّموا أنّ ذلك لفضيلة وحذق بها.

وليس هكذا كانت قراءة رسول الله ﷺ ولا خيار السلف ولا التابعين.

قال: وما أقلّ من سلم من هذه الطبقة من الغلط والوهم، فقد قرأ بعض المتقدمين (يريد الحسن البصري): «ما تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَأْتُكُمْ بِهِ»^٢ فهمز، وإنّما هو من «دریت بكذا وكذا».

وقرأ (أي الحسن أيضاً): «وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونُ»^٣ توهّم أنّه جمع بالواو والنون.^٤ وقرأ آخر (يريد ابن محيصن): «فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ»^٥ بفتح التاء، وكسر الميم، ونصب «الأعداء». وإنّما هو من أشمت الله العدوّ فهو يشمته، ولا يقال: شمت الله العدوّ. وقرأ الأعمش:^٦ «وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيٍّ»^٧ بكسر الياء، كأنّه ظنّ أنّ الباء تخفض الحرف كلّهُ وأتبعه على ذلك حمزة.^٨

وجعل يسرد من أمثال هذه القراءات الغريبة من أئمة السلف، ممّا لا يمكن استنادها إلى رسول الله ﷺ قطعياً.

وبعد... كيف يصحّ لنا أن ننسب أمثال هذه الغرائب - باسم القراءات السبع أو الحروف

١ - لكن ظاهر الأئمة قبول قراءاته إطلاقاً، فهذا مكّي أشبع كتابه بقراءات حمزة محتجاً بها. وكذا غيره من أئمة القراءات الذين دوّنوا قراءات السبعة أو العشرة وغيرهم. قال الذهبي: قد انعقد الإجماع بأخّرة على تلقّي قراءة حمزة بالقبول، والإنكار على من تكلم فيها. ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٦٠٥.

٢ - راجع: مختصر في شواذ القرآن، ص ٥٦؛ والبحر المحيط، ج ٥، ص ١٢٣.

٣ - يونس ١٠: ١٦. ٤ - الشعراء ٢٦: ٢١٠.

٥ - راجع: مختصر في شواذ القرآن، ص ١٠٨؛ والكشاف، ج ٣، ص ٣٣٩؛ والبحر المحيط، ج ٧، ص ٤٦؛ وتفسير القرطبي،

ج ١٣، ص ١٤٢. ٦ - راجع: البحر المحيط، ج ٤، ص ٣٩٦.

٧ - الأعراف ٧: ١٥٠.

٨ - راجع: البحر المحيط، ج ٥، ص ٤١٩؛ والإتحاف، ص ٢٧٢؛ والكشاف، ج ٢، ص ٥٥١.

٩ - إبراهيم ١٤: ٢٢. ١٠ - تأويل مشكل القرآن، ص ٥٨-٦٤.

السبعة - إلى رسول الله ﷺ. وهل ذاك إلّا جفاء وظلم بساحة قدسه الشريف؟! نعم غاية ما هناك، أنّ أرباب كتب القراءات لقّوا لكلّ قارئ أسانيد متصلة إلى النبي ﷺ، وهذا لا يعني إسناد جميع قراءاته وأفنانها وتنوّعاتها إليه ﷺ.

هذا فضلا عن أنّها أسانيد تشرifiّة مصطنعة، كما لم يعرف لبعض القراء إسناد ظاهر كابن عامر مثلاً، حسبما تقدّم.

ثانياً: كيف خفيت رواية تلك القراءة عبر عشرات السنين، حتى ظهرت على يد أحد هؤلاء القراء؟ فهذا الكسائي (ت ١٩٨) له قراءات خاصّة، وبعضها مستنكرة، كيف خفيت على من تقدّمه لمُدّة قرن ونصف، ثمّ ظهرت على لسانه هو؟

ثالثاً: ما تلك الاستنكارات على كثير من قراءات السبعة، إن كانت قراءاتهم جميعاً مأثورة بالأثر الصحيح عن رسول الله ﷺ؟

وما تلك التعاليل والحجج الاجتهاديّة لتوجيه القراءات؟ إذ لم تعد حاجة إلى تعاليل لو كانت منقولة عن النبي ﷺ بسند صحيح! وقد تقدّم توضيح ذلك جميعاً.

أمّا اشتراط «موافقة العربيّة» فقد حطّ من قيمته، أو ألغى أثره بالمرّة إضافة قيد «ولو بوجه»، ولا سيّما مع تعميم القسطلاني: «سواء كان راجحاً أم مرجوحاً»^١.

إذا ما من قراءة مهما كانت شاذّة، فإنّ لها توجيهها في العربيّة، بعد أن كانت قواعد ذات مطّاطيّة قابلة للانعطاف مع مختلف الوجوه.

نعم لا بدّ لهم من إضافة هذا القيد، بعد أن كانت القراءات ولا سيّما السبع ذات طابع تحميلي، فيجب قبولها ومن ثمّ يجب توجيهها حسب الإمكان.

إنّ هذه الأركان وضعت على ضوء التسالم على القراءات السبع أو العشر، ومن ثمّ يجب تحويرها بما يتّفق معها، فهي علاج للقضيّة بعد وقوعها. فاللازم هو التصرّف في

الشرائط بما يتلائم ووجود القراءات، وليست القراءات هي التي تناقش على ضوء هذه الأركان.

ولذلك تجدهم يعالجون حدود هذه الشرائط حسب ماورد من قراءات هؤلاء السبعة أو العشرة. ولم نرهم يناقشون قراءة مأثورة عن هؤلاء على ضوء الأركان المذكورة! قال الداني -بعد حكاية إنكار سيويه لإسكان أبي عمرو في مثل «بارئكم» و«يأمركم»-: والإسكان أصح في النقل وأكثر في الأداء، وهو الذي أختاره وأخذ به. قال: وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة، والأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر، والأصح في النقل، والرواية إذا ثبتت عنهم لم يردّها قياس عربيّة ولا فُشو لغة، لأنّ القراءة سنّة متّبعة يلزم قبولها والمصير إليها.^١ انظر إلى هذا التزمّت والاختيار التقليدي المحض، وإن دلّ فإنّما يدلّ على مبلغ ضغط التحميل المذكور.

وسنبحت عن مناشئ هذا التحميل الذي تحقّق على يد قارئ بغداد الرسمي «ابن مجاهد» على رأس القرن الرابع، كما أنّ المذاهب الفقهيّة انحصرت -في نفس الوقت- في أربعة، وأغلق باب الاجتهاد وحرية اختيار المذهب خارج الأربعة.

يقول ابن الجزري: «وقولنا في الضابط. ولو بوجه، نريد وجهاً من وجوه النحو، سواء كان أفصح أو فصيحاً، مجمعاً عليه أم مختلفاً فيه، اختلافاً لا يضرّ مثله إذا كانت القراءة ممّا شاع وذاع وتلقاه الأئمة بالإسناد الصحيح، إذ هو (أي الإسناد الصحيح إلى القارئ) الأصل الأعظم والركن الأقوم. وهذا هو المختار عند المحقّقين في ركن العربية، فكم من قراءة أنكرها بعض أهل النحو أو كثير منهم، ولم يعتبر إنكارهم، بل أجمع الأئمة المقتدى بهم من السلف على قبولها»...^٢ ثمّ يذكر أمثلة من قراءات أنكرها أئمة النحو، لكنّها وقعت

١ - نقلاً عن كتابه «جامع البيان»، النشر، ج ١، ص ١٠. ٢ - النشر، ج ١، ص ١٠.

مورد انقبول، لأنّها مأثورة عن القراء بالإسناد الصحيح... وقد تقدّمت الأمثلة.^١
وهكذا يقول القسطلاني: «والمراد باستقامة وجهه في العريّة سواء كان راجحاً أم
مرجوحاً، كقراءة حمزة: «والأرحام» بالجرّ. وقراءة أبي جعفر: «لِيُجْزَى قوماً» بالبناء
للمفعول ونصب «قوماً». والفصل بين المضافين في قوله: «وكذلك زين لكثير من
المشركين... الآية».^٢

انظر إلى هذا التهافت في الاختيار، تراهم لا يتجاوزون حدود تقليد مفروض عليهم
ويزعمونه تحقيقاً في البحث وحرية في الاختيار.

إنّ أكثر القراءات التي جاءت في كلام ابن الجزري وغيره هي من الشواذ المخالفة
لقواعد اللغة رأساً، ولا يجوز الفقهاء قراءتها في صلاة ولا في غيرها، وقد تقدّم إنكار الإمام
أحمد بن حنبل كثيراً من قراءات حمزة، وكذلك غيره، ومع ذلك فإنّ بعضهم يقف من هذه
القراءات موقف المتحمّس الحادّ من غير مبرّر معقول.

يقول ابن السبكي: القراءات السبع التي اقتصر عليها الشاطبي، والثلاثة التي هي
قراءة أبي جعفر، وقراءة يعقوب، وقراءة خلف، متواترة، معلوم من الدين بالضرورة وأنّه
منزل على رسول الله ﷺ لا يكابر في شيء من ذلك إلّا جاهل. وليس تواتر شيء منها
مقصوراً على من قرأ بالروايات، بل هو متواتر عند كلّ مسلم يشهد الشهادتين. وحظّ كلّ
مسلم وحقّه أن يدين الله تعالى ويجزم يقينه بأنّ ما ذكرنا متواتر معلوم باليقين لا تطرّق
الظنون ولا الارتياح إلى شيء منه.

ويتعقّب القسطلاني: فقد علم أنّ السبع متواترة اتفاقاً. وكذا الثلاثة. وأنّ الأربعة بعدها
شاذّة اتفاقاً.^٣

١ - في «تحقيق الأركان الثلاثة».

٢ - لطائف الإشارات للقسطلاني، ج ١، ص ٦٧.

٣ - المصدر، ص ٧٦-٧٧. ويشبه ذلك - أيضاً - اعتذار ابن مطرف في كتاب «القرطين»، ج ٢، ص ١٥ - الذي اختصره عن

انظر إلى هذا التحمّس الأعمى الذي يبدو عليه أثر التحميل بوضوح وإلا فما وجه الانحصار في هؤلاء السبعة وفي غيرهم من هو أفضل منهم وأتقن وأولى.

وفيما يلي عرض موجز عن قراءات شاذة يمكن توجيهها وفق وجه من وجوه العربيّة، الأمر الذي يكفيك دليلاً على سقوط هذا الاشتراط، وعدم صلاحه لتمييز القراءة الصحيحة المقبولة، عن الشاذة المرفوضة:

* - قرأ أبو حنيفة وعمر بن عبد العزيز: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»^١ برفع اسم الجلالة ونصب العلماء.^٢

ويمكن توجيه هذه القراءة بتفسير «الخشية» - هنا - بمعنى الإجلال والتعظيم لا الخوف.^٣

* - وقرأ الحسن: «هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمَصَوِّرُ»^٤ بفتح الواو المشددة والراء.

وتوجّه بتقدير «المصوّر» مفعولاً به للبارئ، مراداً به المخلوق.^٥

* - وقرأ الأعمش والحسن: «وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ»^٦ على بناء الفعل الأوّل للمفعول،

والثاني للفاعل. وتأويل الضمير في «وهو» بإرجاعه إلى «وَلِيّاً».^٧

* - وقرأ جابر بن زيد: «فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ»^٨ بضمّ تاء «عزمت» على تأويل:

→ تأويل مشكل القرآن - حيث يطوي الكلام على حمزة قائلاً: «وباقى الباب لم أكتبه لما فيه من الطعن على حمزة وكان أروع أهل زمانه».

ويعلّق السيد أحمد صقر على هذا الاعتذار الخاطيء: «هكذا قال ابن مطرف، وهو قول يدلّ على عصبية مضلّة، وغفلة عن قيمة الحقائق العلميّة، وأيّ فائدة أعظم من أن يبيّن ابن قتيبة في باقى الباب، أوهام القراء التي وهموا فيها، وسجلها عليهم العلماء الأثبات، ويبنوا خطأهم فيها. وهل طعن ابن قتيبة في حمزة بغير الحق؟». راجع: هامش تأويل مشكل القرآن، ص ٥٩.

١ - فاطر ٣٥: ٢٨.

٢ - راجع: البرهان للزركشي، ج ١، ص ٣٤١.

٣ - تفسير القرطبي، ج ١٤، ص ٣٤٤.

٤ - مختصر في شواذ القرآن، ص ٨٩.

٥ - الحشر ٥٩: ٢٤.

٦ - البرهان للزركشي، ج ١، ص ٣٤١.

٧ - الأنعام ٦: ١٤.

٨ - آل عمران ٣: ١٥٩.

فإذا أرشدتك إليه وجعلتك قاصداً له.^١ وعُزيت هذه القراءة إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أيضاً، لكنها لم تثبت عندنا.

* - وقرأ الحسن: «شَهِدَ اللهُ إِنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ». ^٢ بكسر «إِنَّ» على إجراء «شهد» مجرى «قال».^٣

* - وقرأ الحسن وابن السميع: «وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونُ» قال الفراء: غلط الشيخ، وقال النحاس: هذا غلط عند جميع النحويين. وقال محمد بن يزيد: هذا غلط عند العلماء. وقد رأى الحسن في آخره ياء ونوناً فاشتبه عليه بالجمع السالم فغلط.

هذا... ويمكن توجيه قراءته أيضاً ولو بعيداً: قال المؤرج: إن كان الشيطان من شاط يشيط كان لقراءتهما (الحسن وابن السميع) وجه، وقال يونس بن حبيب: سمعت أعرابياً يقول: دخلنا بساتين من ورائها بساتون.^٤

فإن كان التوجيه في العريّة - ولو بوجه بعيد أو مرجوح - كافياً في تصحيح القراءة، فهذه القراءة التي هي أشدّ القراءات الشاذّة أصبحت ذات وجه في العريّة، قياساً وسماعاً...!

* - ومن السبعة قرأ حمزة: «وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ»^٥ بخفض «الأرحام» عطفاً على الضمير في «به»^٦ والعطف على الضمير وإن كان قبيحاً عند البصريين، لكنه جاء في أشعار العرب، وقد أجازوه الكوفيون على ضعف.^٧

* - وقرأ ابن عامر: «فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ». ^٨ بنصب «فَيَكُونُ». ووافقه الكسائي على النصب في سورة النحل ويس.^٩ وهو مشكل ضعيف.^{١٠} لكنه وجه في العريّة، ومن ثمّ

١ - البرهان للزركشي، ج ١، ص ٣٤١؛ وراجع: تفسير القرطبي، ج ٤، ص ٢٥٢؛ ومجمع البيان، ج ٢، ص ٥٢٧.

٢ - إتحاف فضلاء البشر، ص ١٧٢.

٣ - آل عمران ٣: ١٨.

٤ - النساء ٤: ١.

٥ - راجع: تفسير القرطبي، ج ١٣، ص ١٤٢.

٦ - إملأ ما من به الرحمن، ج ١، ص ١٦٥.

٧ - الكشف، ج ١، ص ٣٧٥.

٨ - النحل ١٦: ٤٠؛ ويس ٣٦: ٨٢.

٩ - البقرة ٢: ١١٧.

١٠ - الكشف، ج ١، ص ٢٦١.

قرأ به الكسائي.

* - وقرأ ابن عامر - أيضاً: «وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ»^١ «زَيْن» مبنياً للمفعول. و«قَتْلُ» مرفوعاً. و«أَوْلَادِهِمْ» منصوباً. و«شُرَكَائِهِمْ» بالخفض.

فقد فصل بين المتضايفين، وقدم المفعول على الفاعل المضاف إليه. وهذه القراءة فيها ضعف، للتفريق بين المضاف والمضاف إليه، وهذا إنما يجوز في الشعر، وأكثر ما يجوز في الشعر مع الظروف لا تساعدهم فيها. وهو مع المفعول به في الشعر بعيد، فإجازته في القرآن أبعد.^٢

* - وقرأ نافع: «فَمِ تُبَشِّرُونَ»^٣ بكسر النون. وغلطه أبو حاتم.^٤ لأن نون الرفع لا تكسر لئلا تصير تابعة. وقد جاء ذلك في الشعر.^٥

* - وقرأ أبو جعفر - هو من العشرة -: «لِيُجْزَى قَوْمًا»^٦ بالياء المضمومة وفتح الزاي مبنياً للمفعول، مع نصب «قوماً». وتأويل ذلك: أن يجعل المصدر نائباً عن الفاعل، أي يجزي الجزاء، وهو ضعيف، لاسيما مع ذكر المفعول به. قاله القاضي.^٧

والقراءات من هذا النمط كثيرة، والمحاولات في توجيههن أكثر، ولقد كان الاهتمام بشأن القراءات وتوجيههن وفق قواعد العربية صنعة أقوى من توجيه القراءة المشهورة.

قال الإمام بدر الدين الزركشي: «وتوجيه القراءة الشاذة أقوى في الصناعة من توجيه المشهورة. ومن أحسن ما وضع فيه كتاب «المحتسب» لأبي الفتح، إلا أنه لم يستوف. وأوسع منه كتاب أبي البقاء العكبري. وقد يستبشع ظاهر الشاذ بادئ الرأي

٢ - الكشف، ج ١، ص ٤٥٣-٤٥٤.

١ - الأنعام ٦: ١٣٧.

٤ - البحر المحيط، ج ٥، ص ٤٥٨.

٣ - الحجر ١٥: ٥٤.

٦ - الجاثية ٤٥: ١٤.

٥ - إملاء ما من به الرحمان، ج ٢، ص ٧٦.

٧ - الإتحاف، ص ٣٩٠.

فيدفعه التأويل»^١ ثم جعل يسرد أمثلة ممّا قدّمنا.

قلت: فما موقعية اشتراط «موافقة العربية» معياراً لتعيين القراءة الصحيحة عن الشاذة؟! وكلّ قراءة مهما شذّت، فإنّ لها تأويلاً ممكناً يتوافق مع وجه من وجوه العربية ولو بعيداً، كما تقدّم.

وقد وضع كثير من القدامى والمتأخرين رسائل لمعالجة القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، الأمر الذي يجعل من اشتراط العربية لغواً محضاً. ولعلّ معترضاً يقول: هب إنّ كلّ واحد من الأركان الثلاثة لا يفي بتعيين القراءة الصحيحة، لكنّها جميعاً صالحة للإيفاء بذلك، حيث لا يمكن اجتماعها إلا في قراءة صحيحة.

قلنا: أمّا اشتراط السند فاقرأه عنّي السلام، إذ لا نملك لأحاد القراءات إسناداً متّصلاً إلى النبي ﷺ واحدة واحدة، فكيف بصحّته أو تواتره. إذ غاية ما هناك أنّ لكلّ قارئ شيخاً، ولشيخه أيضاً شيخ وهكذا، أمّا أنّ آحاد قراءاته جميعاً مأخوذة من شيخه ذاك، فهذا أمر لا يمكن إثباته، حيث كانت اجتهادات القراء أنفسهم هي من أكبر العوامل لاختياراتهم في القراءات. فهذا الكسائي - مثلاً - لم يكن يحسب لمشيخته فيما كان يختاره من وجه حساباً، وكذا غيره من القراء، ولا سيّما النحويين منهم، كما سيأتي.^٢

هذا فضلاً عن الشكّ في أصل تلكم الأسانيد، ولعلّها مصطنعة تشريفاً حسبما تقدّم. وبقي الشرطان الآخران - موافقة الرسم والعربية - غير أنّ قيد: «ولو احتمالاً» و«ولو بوجه» أبطل أثرهما، بعد إمكان التوفيق بين القراءات الشاذة ومرسوم الخطّ والعربية ولو بعيداً. فالصحيح أنّ هذه الشروط الثلاثة لا تفي علاجاً بالموضوع، وإنّما ذكرها من ذكرها ظاهرياً، وتبعه غيره تقليدياً من غير تحقيق.

اختيارنا في ضابط القبول

ونحن إذ كنّا نعتبر القرآن ذاحقيقة ثابتة، ومستقلاً بذاته، متغائراً عن القراءات جملة، فإنّ مسألة «اختيار القراءة الصحيحة» عندنا منحلّة، وهي التي تتوافق مع النصّ المتواتر بين المسلمين، منذ الصدر الأوّل فإلى الآن. ولم يكن اختلاف القراءات سوى الاختلاف في كَيْفِيَّة التعبير عن هذا النصّ، حسب اجتهادات القرّاء ولا عبرة بهم إطلاقاً، وإنّما الاعتبار بالنصّ الأصل المحفوظ كاملاً على يد الأُمَّة عبر الأجيال.

وقد تقدّم كلام الإمام بدر الدين الزركشي: «القرآن والقراءات حقيقتان متغائرتان... الخ».^١

وكلام سيدنا الأستاذ الإمام الخوئي رحمته الله: «تواتر القرآن لا يستلزم تواتر القراءات، لأنّ الاختلاف في كَيْفِيَّة (أداء) الكلمة، لا ينافي الاتفاق على أصلها... الخ».^٢

وهكذا تعاهد المسلمون نصّ القرآن أُمَّة عن أُمَّة، نقلاً متواتراً في جميع خصوصيّاته الموجودة، نظماً وترتيباً، ورسماً وقراءة، بكلّ أمانة وإخلاص عبر العصور، معجزة قرآنية خالدة: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»^٣ أي على يد هذه الأُمَّة مع الأبدية.

وعليه فالقراءة الصحيحة هي التي تتوافق مع هذا النصّ المتفق عليه لدى عامّة المسلمين، وغيرها شاذّة غير جائزة إطلاقاً، ولا سيّما إذا كانت تخالفه جوهرياً فباطلة بالإجماع.

وتوضيحاً لهذا الإجمال لابدّ من تمهيد مقدّمة، نستوضح فيها مسألة «تواتر النصّ القرآني» ثمّ التعرّج إلى مسألة «اختيار القراءة الصحيحة» نظراً للعلاقة القريبة بين المسألتين في صميم هذا البحث، وإليك بإيجاز:

١- في «تصريحات أئمة الفن». وراجع: البرهان للزركشي، ج ١، ص ٣١٨.

٢- في «القرآن والقراءات حقيقتان متغائرتان». وراجع: تفسير البيان، ص ١٧٣.

٣- الحجر ١٥: ٩.

تواتر القرآن

مما يبعث على اعتزاز جانب هذه الأمة، هو تحفظهم على كتاب الله نصّاً واحداً - كما أنزل على النبي محمد ﷺ - طول التاريخ.

المسلمون - على اختلاف نزعاتهم وتباين آرائهم ومذاهبهم - اتفقوا كلمة واحدة، منذ الصدر الأوّل - عهد الصحابة الأوّلين - وهكذا عبر الأجيال، أمةً بعد أمةٍ، حتى العصر الحاضر، وسيبقى مع الدهر، على نصّ القرآن الأصيل، في جميع حروفه وكلماته، ونظمه وترتيبه، وقراءته. تلقّوه من الرسول الأعظم ﷺ وتوارثوه يداً بيد، في حيطة كاملة وحذر فائق.

وما نقرؤه اليوم هو الذي كان يقرؤه المسلمون في العهد الأوّل. وما نجده اليوم من النصّ المثبت بين الدفتين، هو الذي أثبتته السلف الصالح كما أخذوه من فيّ رسول الله ﷺ بلا تحوير ولا تحريف قطاً!

حدّث محمد بن سيرين (ت ١١٠) عن عبيدة السلماني (ت ٧٣) قال: «القراءة التي عرضت على النبي ﷺ في العام الذي قبض فيه، هي القراءة التي يقرؤها الناس اليوم»^١. وقال خلّاد بن يزيد الباهلي (ت ٢٢٠): قلت ليحيى بن عبد الله بن أبي مليكة (ت ١٧٣): إن نافعاً حدّثني عن أبيك، عن عائشة، أنّها كانت تقرأ: «إِذْ تَلَقَّوْهُ» بكسر اللام وضم القاف^٢ وتقول: إنّها من «ولق الكذب»! فقال يحيى: ما يضرّك أن لا تكون سمعته عن عائشة، وما يسرّني أنّي قرأتها هكذا، ولي كذا وكذا. قلت: ولم؟ وأنت تزعم أنّها قد قرأت؟

قال: لأنّه غير قراءة الناس. ونحن لو وجدنا رجلاً يقرأ بما ليس بين اللوحين ما كان بيننا وبينه إلا التوبة أو نضرب عنقه. نجىء به نحن عن الأمة عن النبي ﷺ عن جبرائيل عن الله عزّ وجلّ، وتقولون أنتم: حدّثنا فلان الأعرج عن فلان الأعمى! أن ابن مسعود يقرأ

١ - الإنقان، ج ١، ص ١٤٢.

٢ - والقراءة المشهورة: «تَلَقَّوْهُ» بفتح اللام والقاف المشدّدة. النور ٢٤: ١٥.

ما بين اللوحيين، ما أدري ماذا؟ إنما هو والله ضرب العنق أو التوبة.^١
انظر إلى هذا الوصف الجميل عن تواتر النص وأصالته: يرويه أمة عن أمة عن
رسول الله ﷺ. لا فلان عن فلان!

ويجعل المعيار لمعرفة القراءة الصحيحة هي: «قراءة الناس». ويجعل غيرها شاذة
لاتجوز قراءته بتاتا أو يضرب عنق قارئها، وليس سوى أنه خارج عن قراءة الناس...!
قال هارون بن موسى الأزدي صاحب القراءات (ت ح ٢٠٠): ذكرت ذلك لأبي
عمرو بن العلاء (ت ١٥٤) - أي القراءة المعزوة إلى عائشة - فقال: قد سمعتُ هذا قبل أن
تولد - خطاباً إلى هارون - ولكننا لاناخذ به. وفي رواية أخرى قال أبو عمرو: إني أتهم
الواحد الشاذ إذا كان على خلاف ما جاءت به العامة.^٢

فقد جعل أبو عمرو من «رواية العامة» مقياساً لمعرفة القراءة الصحيحة الجائزة، وأما
غيرها فمردود وغير جائز الأخذ إطلاقاً.

وقال محمد بن صالح (ت ١٦٨): «سمعت رجلاً يقول لأبي عمرو بن العلاء: كيف تقرأ
«لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ»؟^٣ فقال: «لَا يُعَذِّبُ» بالكسر.^٤ فقال له الرجل:
كيف؟ وقد جاء عن النبي ﷺ «لَا يُعَذِّبُ» بالفتح! فقال له أبو عمرو: لو سمعتُ الرجل الذي
قال: سمعت النبي ﷺ، ما أخذت عنه، أوتدري ماذا؟ لأنني أتهم الواحد الشاذ إذا كان
على خلاف ما جاءت به العامة.^٥

هذه الرواية كسابقتها في جعل «ما جاءت به العامة» معياراً لمعرفة القراءة الصحيحة
عن الشاذة.

وقال ابن قتيبة (ت ٢٧٦): «كل ما كان من القراءات موافقاً لمصحفنا، غير خارج من
رسم كتابه، جاز لنا أن نقرأ به. وليس لنا ذلك فيما خالفه. لأن المتقدمين من الصحابة

١ - المرشد الوجيز، ص ١٨٠.

٢ - المصدر، ص ١٨١.

٣ - الفجر ٨٩: ٢٥-٢٦.

٤ - هي القراءة المشهورة. الفجر ٨٩: ٢٦.

٥ - مناهل العرفان، ج ١، ص ٤٥٢ نقلاً عن منجد المقرئين لابن الجزري.

والتابعين قرأوا بلغاتهم، وجروا على عادتهم، وخلّوا أنفسهم وسوّم طبائعهم، فكان ذلك جائزاً لهم، ولقوم من القراء بعدهم مأمونين على التنزيل، عارفين بالتأويل، فأما نحن - معشر المتكلفين - فقد جمعنا الله بحسن اختيار السلف لنا على مصحف هو آخر العرض، وليس لنا أن نعدوه، كما كان لهم أن يفسّروه وليس لنا أن نفسّره. ولو جاز لنا أن نقرأه بخلاف ما ثبت في مصحفنا، لجاز لنا أن نكتبه على الاختلاف والزيادة والنقصان والتقديم والتأخير. وهناك يقع ما كرهه لنا الأئمة الموقّون»^١.

هذا كلام إمام محقق يجعل من «مصحفنا» - معشر المسلمين - مقياساً لمعرفة القراءة الصحيحة، وينبّه على أن اختيار السلف «هو آخر العرض» الذي لا يمكن تغييره بتاتا: «وليس لنا أن نعدوه».

وقال الحجة البلاغي: «ومن أجل تواتر القرآن الكريم بين عامّة المسلمين جيلاً بعد جيل، استمرّت مادّته وصورته وقراءته المتداولة، على نحو واحد، فلم يؤثّر شيئاً على مادّته وصورته ما يروى عن بعض الناس من الخلاف في قراءته من القراء السبعة المعروفين وغيرهم. فلم تسيطر على صورته قراءة أحدهم اتباعاً له ولو في بعض النسخ، ولم يسيطر عليه أيضاً ما روي من كثرة القراءات المخالفة له ممّا انتشرت روايته في الكتب كجامع البخاري ومستدرك الحاكم...

وإنّ القراءات السبع فضلاً عن العشر إنّما هي في صورة بعض الكلمات لزيادة كلمة أو نقصها، ومع ذلك ما هي إلّا روايات آحاد عن آحاد لا توجب اطمئناناً ولا وثوقاً، فضلاً عن وهنها بالتعارض ومخالفتها للرسم المتداول المتواتر بين عامّة المسلمين في السنين المتطاولة...

إذن فلا يحسن أن يعدل في القراءة عمّا هو المتداول في الرسم، والمعمول عليه بين عامّة المسلمين في أجيالهم، إلى خصوصيّات هذه القراءات. مضافاً إلى أنّا - معاصر

الشيعية الإمامية - قد أمرنا بأن نقرأ كما يقرأ الناس، أي نوع المسلمين وعامتهم^١. وكلام شيخنا الإمام البلاغي هو الحكم الفصل في هذا المضمار، وسوف نبني عليه اختيارنا في هذا المجال.

ويدلّك - أيضاً - على تواتر النصّ الموجود، من غير أن يؤثر عليه شيء من اختلاف القراءات: تلك المخالفات في رسم الخطّ وربما كتبت وفق قراءة العامة وثبتت رغم تقلّبات الدهور ومرّ العصور، فلم تغيّر ها قراءة قارئ أو ريشة قلم كاتب.

من ذلك قوله تعالى: «لَمْ يَتَسَنَّه»^٢ الهاء زائدة للوقف. كتبت وقرئت هكذا منذ العهد الأوّل وثبتت على مرّ الدهور، قال عبدالله بن هاني البريزي - مولى عثمان -: كنت عند عثمان وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتف شاة إلى أبيّ بن كعب فيها: «لم يتسن». وفيها: «لا تبديل للخلق الله». وفيها: «فأمهل الكافرين». فدعا بدواة فمحي اللامين وكتب «لخلق الله». ومحي «فأمهل» وكتب «فمهل». وكتب «لم يتسنه» فألحق فيها الهاء^٣.

ولولا أنّه السماع من رسول الله ﷺ لم يكتبها أبيّ بالهاء، كما أنّ اختلاف القراء فيما بعد، وتطوّر الكتابة والخطّ، كليهما لم يؤثر على تغيير الكلمة عمّا كتبها الأوائل وقرأها السلف ومن رآهم عامة المسلمين عبر الأجيال.

وكذلك «بما عاهدَ عَلَيْهِ اللهُ»^٤ و«وما أنسانيه»^٥ بضمّ هاء الضمير في هذين الموضعين فحسب دون ماسواهما من القرآن^٦ لالعلّة مفهومة لنا، ولولا أنّه المأثور خلفاً عن سلف لم يكن ما يدعو إلى التزام المسلمين به طول التاريخ.

ومثله: «سَدْعُ الزَّبَانِيَةِ»^٧ بإسقاط الواو في جميع المصاحف قديماً وحديثاً. وقوله:

١ - آلاء الرحمن، ج ١، ص ٣٠، الفصل الثالث من مقدّمة التفسير.

٢ - البقرة ٢: ٢٥٩.

٣ - الإتيان، ج ٢، ص ٢٧١؛ وراجع: الجزء الأوّل «منجزات مشروع توحيد المصاحف».

٤ - الكهف ١٨: ٦٣.

٥ - الفتح ٤٨: ١٠.

٦ - العلق ٩٦: ١٨.

٧ - راجع: الكشف، ج ٢، ص ٦٦.

«أَكْرَمَنِي» و«أَهَانَنِي»^١ بإسقاط ياء المتكلم لفظاً وخطاً في جميع المصاحف. وقوله: «إِنَّ هَذَا»^٢ هكذا ثبتت في المصاحف وقرأها المسلمون منذ الصدر الأول فالإلى الآن، ولم يجرأ أحد على تغييرها وإن زعم الزاعمون أنها لحن^٣ حتى أن أبا عمرو قال: إني لأستحي أن أقرأ «إِنَّ هَذَا لَسَاحِرَانِ»^٤. يعني: بتشديد إن مع الألف على خلاف قراءة المشهور. الأمر الذي يدلنا - بوضوح - أن للقرآن بذاته حقيقة ثابتة احتفظ عليها المسلمون، بعيداً عن متناول القراء.

وهكذا قوله: «أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ»^٥ بحذف الياء من «الداع» مع كونه معرّفاً باللام. وكذلك حذف ياء المتكلم من «دعان». قرأها المسلمون هكذا عبر العصور، وكذلك أثبتوها في مصاحفهم، وهل يجرأ أحد على تغييرها؟ فليفعل فاعل إن استطاع!! وكذا قوله: «كِتَابِيَّةٌ» و«حِسَابِيَّةٌ» و«مَالِيَّةٌ» و«سُلْطَانِيَّةٌ»^٦ بإثبات هاء السكت لفظاً وخطاً، وفتح ياء المتكلم كذلك. من غير أن تكون للقراء في ذلك يد، وإنما هي متابعة محضة لعامة المسلمين ورثوها كذلك من السلف فلا يمكن تغييرها أبداً. وأمثال ذلك كثير في القرآن الكريم.

وأيضاً فإن قضية تشكيل المصحف على يد أبي الأسود، وتنقيطه على يد تلميذه نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر^٧ لدليل حاسم على أن القرآن كان ذات حقيقة ثابتة في صدور المسلمين، فجاء تقييدها في المصحف على يد زعماء الأمة، خشية تحريف من لا عهد له بالقرآن.

وهاتلك المصاحف المرسومة وفق المصطلح الأول باقية، لا تختلف في إعرابها وحركاتها ومرسوم كلماتها عمّا بأيدينا من المصاحف الحاضرة. ويزيدك وضوحاً: وجود قطع قرآنية جاءت في كلمات السلف، لغرض الاستشهاد

٢ - طه ٢٠: ٦٣.

١ - الفجر ٨٩: ١٥ و ١٦.

٤ - التفسير الكبير، ج ٢٢، ص ٧٤.

٣ - تأويل مشكل القرآن، ص ٢٥.

٦ - الحاقة ٦٩: ١٩ و ٢٠ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٨ و ٢٩.

٥ - البقرة ٢: ١٨٦.

٧ - راجع: الجزء الأول «أول من نقط المصحف».

أو التفسير أو نحو ذلك، لا تختلف عن النص الموجود. الأمر الذي يدلّ على ذلك التعاهد العامّ على نصّ واحد للقرآن، تعا هذه المسلمون في جميع العصور.

كما أنّ مخالفات جرت على ألسن بعض السلف، وقعت موضع إنكار العامة وعرفت منذ العهد الأوّل أنّها غير نصّ الوحي، وسجّلها التأريخ بعنوان الشذوذ أو الخطأ المحض. من ذلك: قراءة أبي بكر لما احتضر: «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ» قال أبو بكر الأنباري: لما احتضر أبو بكر أرسل إلى عائشة، فلمّا دخلت عليه قالت: هذا كما قال الشاعر:

لعمرك ما يُغني الثراء ولا الغنى إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر
فقال أبو بكر: هلاّ قلت - كما قال الله -: «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالْمَوْتِ ذَلِكَ مَا كُنْتُ مِنْهُ تَحِيدُ»^١.

ومنذ ذلك العهد هبّ أرباب التأريخ والمفسّرون والمحدّثون يرمون قراءة ته هذه بالشذوذ المخالف للرسم^٢ فلولوا أنّ للقرآن حقيقة ثابتة معهودة عند الجميع لما كان لهذا الغوغاء سبب واضح.

وقرأ عمر بن الخطاب: «وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ»^٣ قرأ برفع «الأنصار» وبإسقاط الواو من «والذين اتبعوهم» - لزعم زعمه تقدّم^٤ - فهبّ زيد بن ثابت يجادله في قراءة ته هذه الخارجة عن متعا هد العامة، فلم يتنازل عمر لكلام زيد حتى حاكمه إلى أبي بن كعب، فجعل أبي يستشهد بآيات أخرى حتى قبل^٥. وهكذا قراءة أبي حنيفة: «إِنَّمَا يُحِشِّي اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءَ» برفع اسم الجلالة ونصب «العلماء»^٦.

١ - تفسير القرطبي، ج ١٧، ص ١٢-١٣. في أشهر الروايتين.

٢ - راجع: البرهان للزركشي، ج ١، ص ٣٣٥؛ والنشر، ج ١، ص ٢٨-٢٦.

٣ - التوبة ٩: ١٠٠.

٤ - في «عوامل أخرى» من «عوامل نشوء الاختلاف».

٥ - تفسير القرطبي، ج ٨، ص ٢٣٨.

٦ - فاطر ٣٥: ٢٨. وتنسب إلى عمر بن عبد العزيز - أيضاً - راجع: تفسير القرطبي، ج ١٤، ص ٣٤٤.

وأنت إذا لاحظت المصاحف الأثرية القديمة، (ولاسيّما في شرقي البلاد الإسلاميّة حيث محطّ الحضارة والعلم) وقارنتها مع المصاحف الحاضرة، المخطوطة والمطبوعة، فإنّك تجدها جميعاً متّحدة في الأسلوب والخطّ وثبت الكلمات في بنيتها وصورتها وما إلى ذلك. أما اختلاف الحركات فسوف نتعرّض له.

كلّ ذلك دليل واضح على تلك الوحدة المتّفق عليها عند المسلمين جميعاً في جميع الأدوار. الأمر الذي يكشف عن حرص هذه الأمة الشديدة على حراسة كتابها المجيد. تحقيقاً لمعجزة هذا الكتاب السماوي الخالد: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»^١ أي على يد هذه الأمة على مرّ الدهور وكرّ العصور، فلم يزل ولا يزال باقياً ومحفوظاً عن كلّ تغيير أو تبديل حتى يوم النشور.

وإنّ اختلاف القراء - طول التأريخ - لم يستطع تغييراً لا في لفظه ولا في خطّه. فيالها من معجزة خالدة، تبعث على اعتزاز هذه الأمة بكتابها المحتفظ على نصّ الوحي الإلهي عبر الأجيال.

وعليه فالمعيار لتعيين القراءة هي موافقتها مع النصّ الأصل المحفوظ لدى عامّة المسلمين، بشروط نعرضها في الفصل التالي، وهناك نعالج مسألة تعارض الرواية أو اللغة مع القراءة المأثورة.

وهنا سؤال: إذا كانت القراءة الحاضرة هي ماتعاهده المسلمون أمّة عن أمّة فما وجه نسبتها إلى حفص؟ وسنتعرّض للإجابة على ذلك بأنّها نسبة مقلوبة، وأنّ حفص هو الذي حاول الموافقة مع قراءة العامّة، ومن ثمّ قال أرباب التراجم: إنّ قراءة حفص عن عاصم ترتفع إلى أمير المؤمنين عليّ عليه السلام^٢ ولا شك أنّ قراءته عليه السلام هي قراءة عامّة المسلمين المتواترة منذ العهد الأوّل. وسيوافيك تفصيل حلّ هذا الإشكال في فصل قادم.

ملاك صحّة القراءة

وبعد... فإذا قد تبين حديث تواتر القرآن، وثبات نصّه الأصل مدى الأجيال فإنّ ملاك صحّة القراءة هي موافقة ذاك النصّ المحفوظ لدى عامّة المسلمين.

وتتحقق هذه الموافقة في كلّ قراءة إذا ما توفّرت فيها الشروط التالية:

أولاً: موافقتها مع الثبوت المعروف بين عامّة المسلمين، في مادة الكلمة وصورتها وموضوعها من النظم القائم، حسب تعاهد المسلمين خلفاً عن سلف.

ثانياً: موافقتها مع الأفصح في اللغة والأفشى في العربيّة، ويعرف ذلك بالمقارنة مع القواعد الثابتة يقيناً من لغة العرب الفصحى.

ثالثاً: أن لا يعارضها دليل قطعيّ، سواء أكان برهاناً عقلياً أم سنّة متواترة أم رواية صحيحة الإسناد مقبولة عند الأئمة.

فإذا اجتمعت في قراءة هذه الشروط جميعاً، فإنّها هي القراءة المختارة، الجائزة في الصلاة وغيرها. أمّا الفاقدة لجميعها أو لبعضها فإنّها تصبح شاذّة ولأقلّ من الشكّ في ثبوتها قرآناً، فلا تجوز قراءتها في صلاة ولا في غيرها بعنوان أنّها قرآن. وتوضيحاً لهذه البنود الثلاثة نعرض ما يلي:

أمّا موافقة الثبوت المعروف ففي أمور ثلاثة حسبما أشرنا:

١ - (في مادّة الكلمة الأصليّة) ففي مثل قوله تعالى: «فَتَبَيَّنُوا» من التبيين، أو هي «فَتَبَيَّنُوا» من التثبت^١ أيهما النصّ الأصل؟

وكذا قوله: «نُنَشِّرُهَا» بالزاي أو «ننشرها» بالراء.^٢

وقوله: «إِذْ تَلَقَّوْنَهُ» بفتح اللام والقاف المشدّدة من التلقّي بمعنى الأخذ. أو «تَلَقَّوْنَهُ»

بكسر اللام وضمّ القاف، من ولق الكذب.^٣

١ - الحجرات ٤٩: ٦. قرأ حمزة والكسائي بالثاء، وقرأ الباقون بالباء. الكشف، ج ١، ص ٣٩٤.

٢ - البقرة ٢: ٢٥٩. قرأ الكوفيون وابن عامر بالزاي، وقرأ الباقون بالراء. الكشف، ج ١، ص ٣١٠.

٣ - النور ٢٤: ١٥. الثانية قراءة محمد بن السميع. والأولى قراءة الباقيين. تفسير القرطبي، ج ١٢، ص ٢٠٤.

وقوله: «وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ» بضمّ الهمز وتشديد الميم المفتوحة، بمعنى المدّة. أو «بَعْدَ أُمَّةٍ» بفتح الهمز وتخفيف الميم المفتوحة والهاء، بمعنى السفه.^١

وقوله: «فُرِّغَ» بالزاي والعين من التفريع وهو إزالة الفزع بمعنى الخوف، أو «فَرِّغَ» بالراء والغين من التفريغ وهو الإخلاء.^٢

وقوله: «يَقْضُ الْحَقَّ» بالصاد. أو «يقضي الحقّ» بالضاد مع الياء.^٣

وقوله «وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينَ» بالضاد بمعنى «بخيل». أو بالطاء بمعنى «متهم».^٤

وقوله: «وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ» بتقديم الهمز على التاء وتخفيف اللام، بمعنى القصور. أو «يتألّ» بتقديم التاء على الهمز وتشديد اللام، بمعنى الحلف.^٥

وقوله: «فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ» أو «فَامْضُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ».^٦

ومن هذا الباب القراءة بالزيادة والنقصان. نحو قوله تعالى: «وَمَا عَمِلَتْ أَيْدِيهِمْ» أو «وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ» بزيادة هاء الضمير.^٧

وقوله: «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» أو «إِنَّ اللَّهَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» بإسقاط ضمير الفصل.^٨

وقوله: «تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ» أو «مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» بزيادة «من».^٩

وتقدّمت أمثلة كثيرة على ذلك.^{١٠}

- ١ - يوسف ١٢: ٤٥. الثانية منسوبة إلى ابن عباس، والأولى قراء الباقيين. تفسير القرطبي، ج ٩، ص ٢٠١.
- ٢ - سبأ ٣٤: ٢٣. الثانية قراءة الحسن، والأولى قراءة الباقيين. الإتحاف، ص ٣٦٠.
- ٣ - الأنعام ٦: ٥٧. الأولى قراءة نافع وابن كثير وعاصم. والثانية قراءة الباقيين. تفسير القرطبي، ج ٦، ص ٤٣٩.
- ٤ - التكوين ٨١: ٢٤. الثانية قراءة ابن كثير وأبي عمرو والكسائي. والأولى قراءة الباقيين. الإتحاف، ص ٤٣٤.
- ٥ - النور ٢٤: ٢٢. الثانية قراءة أبي جعفر. الإتحاف، ص ٣٢٣.
- ٦ - الجمعة ٦٢: ٩. قراءة ابن الخطّاب وابن شهاب. تفسير القرطبي، ج ١٨، ص ١٠٢.
- ٧ - يس ٣٦: ٣٥. الثانية هي المعروفة وعليها ثبت مصحف الكوفة. الكشف، ج ٤، ص ٤٨٠ والأولى قراءة حمزة والكسائي وأبي بكر. الكشف، ج ٢، ص ٢١٦.
- ٨ - الحديد ٥٧: ٢٤. الثانية قراءة نافع وابن عامر، وكذلك ثبت إسقاطها في مصاحف المدينة والشام. والأولى قراءة الباقيين، وكذلك مصاحف الكوفة والبصرة ومكة. الكشف، ج ٢، ص ٣١٢.
- ٩ - التوبة ٩: ١٠٠. الثانية قراءة ابن كثير وفق ثبت مصحف مكة بالإثبات. الإتحاف، ص ٢٤٤.
- ١٠ - راجع «أنواع اختلاف القراءات».

لاشك أن الصحيح في مثل ذلك هي إحدى القراءتين وتكون الأخرى باطلة لأن المصحف أول ما شكّل ونقّط كان تشكيّله وتنقيطه على أحد الأمرين وهو الذي كان معروفاً ومتعاهداً بين عامّة المسلمين، ولم يكن أبوالأسود ولا تلميذاه متردّدين في وضع العلامات المذكورة، وثبتت الكلمات والحروف وفق مرتكزهم العام، كما تلقّوها يدّاً بيد من غير ترديد أصلاً.

وإنما الاختلاف جاء من قبل اجتهاد القراء المتأخرين، شيئاً خارجاً عن النصّ الأصل المعروف عند عامّة الناس.

ومن ثمّ لمّا سأل الفضيل بن يسار، الإمام الصادق عليه السلام عن حديث: نزل القرآن على سبعة أحرف، قال: كذبوا - أعداء الله - ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد. ثمّ لتعيين هذا الحرف الواحد جعل الإمام عليه السلام المقياس معهود عامّة المسلمين، قال: «اقرأ كما يقرأ الناس». وفي رواية أخرى: «اقرأوا كما علّمتكم»^١.

فجعل المقياس «كما يقرأ الناس» أي عامّة المسلمين، ولم يعتبر من قراءة القراء شيئاً، والرواية الأخرى أصرح «كما علّمتكم» أي تعاهدتموه جيلاً عن جيل وأمة عن أمة، لا قراءة أفرادهم آحاداً.

وعلى ضوء هذا المقياس، فقراءة «ننشزها» بالزاي هي الصحيحة، لأنّ ثبت المصحف قديماً وحديثاً والذي تعاهدته الأمة هو بالزاي.

وهكذا الصحيح «فتبيّنوا»، و«بعد أمة»، و«فزّع»، و«يقصّ» وهكذا لنفس التعليل. والقراءة الأخرى ساقطة عندنا وغير جائزة إطلاقاً.

وكذا الصحيح - عندنا - هي قراءة حفص: «وَمَنْ اتَّبَعِنِ»^٢ بكسر النون دليلاً على حذف الياء. دون قراءة نافع وأبي عمرو: «وَمَنْ اتَّبَعْنِي...» بإثبات الياء. لأنّ قراءة عاصم

١ - راجع: وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٨٢١-٨٢٢ وأخرجه أحمد والحاكم والطبري بسند صحيح عن علي عليه السلام وصحّحه

الحاكم ووافقه الذهبي. المستدرک علی الصحیحین، ج ٢، ٢٢٣-٢٢٤.

٢ - آل عمران ٣: ٢٠.

ورأوييه هي المتوافقة مع رسم المصحف، بلا ياء.^١
 وأيضاً قرأ ورش: «دعوة الدّاعي»^٢ بإثبات الياء، على خلاف ثبت المصحف بلا ياء.
 ومن ثمّ فقراءة عاصم والباقيين: «دعوة الدّاع» هي الحجة.^٣
 وقرأ حمزة والكسائي: «فبهداهم اقتد»^٤ بحذف هاء السكت، المثبتة في رسم
 المصحف الشريف. فكانت قراءة عاصم والباقيين هي المتبعة المتوافقة مع ثبت النصّ...^٥
 وقرأ أبو عمرو: «إنّ هذين لساحران»^٦ بالتشديد والياء... وهو خلاف رسم المصحف
 بالألف ومن ثمّ قرأ عاصم والباقيون بالتخفيف.^٧
 وقرأ حفص وحده: «كُفُوا» بضمّتين فواو. وهكذا ثبت المصحف. وقرأ الباقيون بما
 يخالف رسم الخط. فراجع.^٨
 أمّا الجماعة فحيث وجدوا أنفسهم تجاه أمر واقع، وهو حجّة القراءات - ولاسيّما
 السبعة - جميعاً، ومن ثمّ جعلوا يأولون بركن (موافقة المصحف) بزيادة قيد «ولو
 احتمالاً».
 وما ذاك إلّا تعليل بعد الوقوع، وتطبيق للمقياس على القراءات، لا عرض القراءات
 على المقياس.
 ونحن في فسحة عن هذا المأزق، بعد أن لا نرى من حجّة القراءات سوى واحدة،
 وهي التي وافقت ثبت المصحف المعروف، وغيرها ساقطة رأساً.
 ٢ - (في صورة الكلمة) ونعني بها بنية الكلمة الاشتقاقية، ففي مثل قوله تعالى: «رَبَّنَا
 بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا» بصيغة الطلب، أو «باعد» بصيغة الماضي،^٩ حيث المادّة واحدة،
 والاختلاف في بنية الكلمة الاشتقاقية، يتردّد الأمر - لامحالة - في اختيار إحدى

٢ - البقرة ٢: ١٨٦.

٤ - الأنعام ٦: ٩٠.

٦ - طه ٢٠: ٦٣.

٨ - التيسير، ص ٢٢٦.

١ - حجة القراءات لأبي زرعة، ص ١٥٨.

٣ - حجة القراءات، ص ١٢٦.

٥ - حجة القراءات، ص ٢٦٠.

٧ - حجة القراءات، ص ٤٥٤.

٩ - سبأ ٣٤: ١٩. الثانية قراءة يعقوب من المشرة. والأولى قراءة الباقيين. الإتحاف، ص ٣٣١.

القراءتين.

وكذا قوله: «قَالَ أَعْلَمَ» بصيغة المتكلم، أو بصيغة الأمر.^١

وقوله: «وَهَلْ يُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ» بصيغة المتكلم المعلوم، أو «يجازي» بصيغة الغائب

المجهول.^٢

وقوله: «حَتَّى يَطْهَرُونَ» ثلاثياً بمعنى انقطاع الدم، أو «يَطْهَرُونَ» مزيداً فيه من باب

التفعل على معنى التطهر بالماء.^٣

وقوله: «أَوْ لَمْ يَسْتَمِ النِّسَاءُ» من باب المفاعلة كناية عن الجماع، أو «لَمْ يَسْتَمِ» بمعنى

مطلق المساس.^٤

ومن هذا القبيل اختلاف إعراب الكلمة بما يؤدي إلى اختلاف المعنى، كقوله:

«وَأَرْجُلُكُمْ» بالخفض فيجب المسح، أو بالنصب فيجب الغسل^٥ على احتمال مرجوح

- عطفاً على مدخول «فَاغْسِلُوا» - وقد زيّفه الشيخ أبو جعفر الطوسي بإيفاء وتفصيل.^٦ و

أمّا النصب عطفاً على المحل من مدخول «وَأَمْسَحُوا» فهو الصحيح المختار، حسبما يأتي.

وقوله: «فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ» برفع «آدم» فاعلاً، ونصب «كلماتٍ» مفعولاً به. أو

بنصب «آدم» ورفع «كلمات» بمعنى أن الكلمات استنقذت آدم من سخط ربه.^٧

وقوله: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» برفع اسم الجلالة ونصب العلماء أو

١ - البقرة ٢: ٢٥٩. الثانية قراءة حمزة والكسائي. والأولى قراءة الباقيين. الكشف، ج ١، ص ٣١٢.

٢ - سبأ ٣٤: ١٧. الثانية قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وأبي بكر وأبي جعفر. والأولى قراءة الباقيين. الإتحاف، ص ٣٥٩.

٣ - البقرة ٢: ٢٢٢. قرأ الحرميان وأبو عمرو وابن عامر وحفص مضموم الهاء مخففاً. وقرأ الباقون بفتح الهاء مشدداً. الكشف، ج ١، ص ٢٩٣.

٤ - النساء ٤: ٤٣. الثانية قراءة حمزة والكسائي. والأولى قراءة الباقيين. الكشف، ج ١، ص ٣٩١.

٥ - المائدة ٥: ٦. الثانية قراءة نافع وابن عامر والكسائي وحفص. والأولى قراءة الباقيين. الكشف، ج ١، ص ٤٠٦.

٦ - راجع: تهذيب الأحكام، ج ١، ص ٦٦-٧٥.

٧ - البقرة ٢: ٣٧. الثانية قراءة ابن كثير. والأولى قراءة الباقيين. الكشف، ج ١، ص ٢٣٧.

بالعكس.^١

وفي مثل هذا الاختلاف - أيضاً - تكون إحدى القراءتين صحيحة والأخرى مرفوضة، على أصولنا حسبما تقدّم.

لكن وجه الاختيار هنا يختلف عن صورة اختلاف المادّة، فقد يكون وجه الاختيار هو العرف العامّ كما هناك، وقد يكون بالاعتبار القطعي، وقد يكون بمرجّح رواية صحيحة الإسناد، أو نحو ذلك ممّا سنعرّض له. ففي مثل «باعِدُ» نختار صيغة الطلب لإجماع القراء المعروفين، وإجماعهم طريق إلى معرفة النصّ الأصل المعروف بين عامّة المسلمين. وفي «أَعْلَمُ» نختار صيغة المتكلّم، حيث قراءة الأكثرية، ونظراً لعدم وجود من يطلب منه العلم سوى نفسه.

وفي «نُجَازِي» نرجّح قراءة النون بقرينة صدر الآية: «ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ».^٢

وفي «يَطْهُرْنَ» نرجّح التخفيف، نظراً لأنّ شرط جواز إتيانهنّ بلا كراهة أمران: انقطاع الدم والاعتسال. وأمّا على قراءة التشديد فيبقى أمر انقطاع الدم مسكوتاً عنه. وفي «لَامَسْتُمْ» يكون الترجيح مع الألف، لأنّه إجماع المحقّقين من الفقهاء، وعليه روايات أهل البيت عليهم السلام.

وفي «أرجلكم» نختار النصب، لأنّ وجه الخفض - عطفاً على لفظ المجرور - يتنافى والنظرة الفقهيّة القائلة بوجوب الاستيعاب في مسح الرجلين طوّلاً نظراً لبيان حدّي الممسوح في الآية على ما يأتي في نهاية المقال.

وأما قراءة نصب «آدم» ورفع «كلمات» فيستبشعها الذوق السليم، فضلاً عن مخالفتها لمتبادر أذهان العموم في أمثال هذه التراكيب، ومثلها قراءة أبي حنيفة المستنكرة.

١ - فاطر ٣٥: ٢٨. الثانية قراءة أبي حنيفة. تفسير القرطبي، ج ١٤، ص ٣٤٤.

٢ - فاطر ٣٤: ١٧.

نعم، ليس الاختلاف في مثل قراءة «كفوًّا» أو «هزءً» أو «هيت لك»^١ أو «أف»^٢ أو في مثل الإمالة والإشباع والتخفيف والتحقيق والإشمام والروم وأمثال ذلك، من هذا الباب، إذ أنها اختلافات في اللهجات وفي الأداء والتعبير، وقد أجاز النبي ﷺ للعرب أن تقرأ القرآن بلهجاتها المختلفة، حسبما فسّرنا حديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف» بذلك، كما ورد قوله ﷺ: «فاقرأوا كيف شئتم»^٣.

وعليه فبأيها قرئت كانت صحيحة، اللهم إلا إذا خرجت عن متعارف العامة إلى حد يستبشع منه، كما في أكثر إدغامات أبي عمرو والمدّ الزائد والتحقيق البالغ والنبر ونحو ذلك. فإنها غير جائزة ولا تصحّ القراءة بها في الصلاة إطلاقاً.

٣- (في موضع الكلمة). فالقراءة بالتقديم والتأخير باطلة، لأنها خارجة عن الرسم المعهود بين المسلمين، كما في قوله تعالى: «فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ» قرأ حمزة والكسائي بتقديم المفعول على الفاعل، والباقون بتقديم الفاعل على المفعول، والثانية هي المشهورة^٤ وكقراءة أبي بكر: «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْحَقِّ بِالموتِ» والقراءة المأثورة هي: «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالْحَقِّ»^٥.

ولاشك أن الترجيح في مثل هذا الاختلاف - أيضاً - مع المشهورة، والأخرى باطلة، لمخالفتها الرسم والمتعاهد بين عامة المسلمين جميعاً.

وأما موافقة الأفصح في اللغة والأفشى في العربية فلأن القرآن نزل على درجة أعلى من البلاغة، ويستحيل أن يستعمل كلمة يمجّها الذوق العربي السليم، أو يخالف قياساً تسلّمته العرب الفصحى عادة طبيعياً متعارفة. وإلا لكانت العرب تستغرب من القرآن في بدء أمره أو تستنكر منه ما يبطل به التحدي الذي يصرخ به القرآن علانية وعلى رؤوس

١ - قرئ بكسر الهاء وفتح التاء وفتح الهاء وضَمّ التاء. وفتحهما. وبالهزم بدل الياء مع ضمّ التاء. وفتح الهاء وكسر التاء. وبالجمع بين الياء والهاء. مجمع البيان، ج ٥، ص ٢٢٢.

٢ - قرئ بضم الهزم وفتح الفاء المشددة من غير تنوين. وبكسر الفاء منوثة. وبالكسر من غير تنوين. وبضمّ الفاء من غير تنوين. وبتخفيف الفاء أيضاً. مجمع البيان، ج ٦، ص ٤٠٨.

٣ - راجع: تأويل مشكل القرآن، ص ٣٤. ٤ - التوبة ٩: ١١١. راجع: تفسير القرطبي، ج ٨، ص ٢٦٨.

٥ - ق ٥٠: ١٩. راجع: المصدر، ج ١٧، ص ١٢.

الأشهاد.

إنَّ إجازة القراءات الضعيفة، وإسنادها إلى العهد الأوّل، إجماع بشأن القرآن الكريم وخطّ من عظمتها الغالية.

إنّنا لانجيز مثل تاءات البرّي^١ وإدغامات أبي عمرو^٢ ونبرات الكسائي^٣ ومدّات حمزة وكثير من تكلفات ابتدئها القراء تفنّنا بالقرآن^٤ وابتعاداً عن مألوف العرب، الذين نزل القرآن على لغتهم وعلى أساليب كلامهم الدارج الفصيح.

وقد قال تعالى: «قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ»^٥ «وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا»^٦ «كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ»^٧ فقد شاء الله أن لا يكون في القرآن عوج، ولكن القراء تكلفوا فاعوجّوا بكثير من كلماته المستقيمة!!

وفي ضوء هذا البيان نخطئ - صريحاً - كثيراً من قراءات القراء المعروفين جاءت على خلاف أساليب لغة العرب الفصحى، فإنّ رعاية كتاب، هو لأُمَّة كبيرة، أولى من رعاية نفر كانت تعوزهم المعرفة بأساليب الكلام الفصيح. وقد تقدّم طعن ابن قتيبة في قراء لحنوا في القراءة، ممّن ليس لهم طبع اللغة ولا علم التكلف، فهفّوا في كثير من الحروف وزلّوا وقرأوا بالشاذّ وأخلّوا.

١ - كان يشدّد التاء الواقعة في أوائل الأفعال المستقبلية في حالة الوصل في مثل قوله تعالى: «ولاتنابزوا» و«فإذا هي تلقف» و«لتعارفوا»... إلى أحد وثلاثين موضعاً في القرآن. وهو من الجمع بين الساكنين على غير حدّه وهو تكلف محض خارج عن قانون لغة العرب في سهولة التعبير والأداء. راجع: التيسير، ص ٨٣؛ والنشر، ج ٢، ص ٢٣٢؛ والمرشد الوجيز، ص ١٧٤.

٢ - كان أبو عمرو لا يدغم المثاليين إذا اجتمعا في كلمة واحدة، نحو «جباهم» و«بشرككم» و«أتعداني». سوى موضعين، أحدهما في البقرة ٢: ٢٠٠. «مناسككم» والثاني في المذثر ٧٤: ٤٢ «ما سلككم» فأدغم الكاف في الكاف. أمّا إذا كان المثلان من كلمتين فكان يدغم الأوّل في الثاني، سواء سكن ما قبله أو تحرّك في جميع القرآن، نحو: «لا أبرح حقّ» و«يشفع عنده» و«قل لهم» و«نسبحك كثيراً» و«الناس سكارى» و«خزي يومئذ». وهو من الجمع بين الساكنين وإسقاط لحركة الكلمة الإعرابية أو الحركة القياسية، من غير سبب معروف عند العرب. راجع: التيسير، ص ٢٠.

٣ - تقدّم في «تأثير اللهجة» و«إنكارات على القراء». وقد نهى النبي ﷺ عنه، فضلاً عن كونه كالمتقي، ممّا يستبشعه الذوق وينفر منه الطبع. راجع: النهاية، ج ٥، ص ٧؛ ولطائف الإشارات للقسطلاني، ج ١، ص ٢٠٨.

٤ - الزمر ٣٩: ٢٨.

٥ - راجع: «غلو في الأدب».

٦ - فصلت ٤١: ٣.

٧ - الأحقاف ٤٦: ١٢.

فقراءة الحسن - وهو من الأربعة -: «وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونُ» غلط بلاريب.^١
وكذلك قراءة ابن عامر - وهو من السبعة -: «قَتْلُ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ»^٢ بإضافة «قتل»
إلى «شركائهم» وفصل «أولادهم» - وهو مفعول به - بين المضاف العامل والمضاف إليه
الفاعل.

قال أبو البركات ابن الأنباري: وأما نصب «أولادهم» وجرّ «شركائهم» فهو ضعيف في
القياس جداً... ومثل هذا لا يكون في اختيار الكلام بالإجماع، واختلفوا في ضرورة
الشعر، فأجازوه الكوفيون وأباه البصريون وهذه القراءة ضعيفة في القياس بالإجماع.^٣
وهكذا قراءة حمزة - من السبعة -: «وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ»^٤
بخفض «الأرحام» عطفاً على العائد المجرور. قال أبو محمد: هو قبيح عند البصريين،
قليل في الاستعمال، بعيد في القياس، لأنّ المضمّر في «به» عوض من التنوين، ولأنّ
المضمّر المحفوظ لا ينفصل عن الحرف، ولا يقع بعد حرف العطف، ولأنّ المعطوف
والمعطوف عليه شريكان، فكما لا يجوز «واتقوا الله الذي تساءلون بالأرحام» فكذلك
لا يجوز الخفض عطفاً^٥ لأنّ الضمير المعطوف عليه - على هذا التقدير - عائد، ولا يصلح
المعطوف أن يحلّ محلّ العائد.

وقراءة قبل - صاحب قراءة ابن كثير -: «أَرْسَلُهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعِي وَيَلْعَبُ»^٦ بإثبات
الياء في «يرتعي» وإسكان الباء في «يلعب».^٧ في حين أنّه يجب الجزم في جواب الطلب.
فرفع «يرتعي» وجزم «يلعب» ممّا يدلّ على أن لا معرفة له بأصول العربية إطلاقاً. كما قال
ابن قتيبة: وما أقلّ من سلم من هذه الطبقة في حرفه من الغلط والوهم.^٨

وكذا قراءة ته: «إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ»^٩ بإثبات الياء في الفعل الأوّل وإسكان الثاني^{١٠}

١ - الشعراء ٢٦: ٢١٠. راجع: البحر المحيط، ج ٧، ص ٤٦؛ والكشاف، ج ٣، ص ٣٣٩.

٢ - الأنعام ٦: ١٣٧. ٣ - مجمع البيان، ج ٤، ص ٣٧٠.

٤ - النساء ٤: ١. ٥ - الكشاف، ج ١، ص ٣٧٥-٣٧٦.

٦ - يوسف ١٢: ١٢. ٧ - التيسير، ص ١٣١؛ والمرشد الوجيز، ص ١٧٥.

٨ - تأويل مشكل القرآن، ص ٦١. ٩ - يوسف ١٢: ٩٠.

١٠ - المرشد الوجيز، ص ١٧٥.

ولا وجه لهذا الافتراق في حين أنّهما معاً في حيّز «من» الجازمة، بدليل الفاء بعدها.
وقراءة نافع: «هَلْ عَسَيْتُمْ»^١ بكسر السين، لغة رديئة... قال أبو عبيد: القراءة عندنا هي
الفتح، لأنّها أعرف اللغتين... ولو كان الكسر صحيحاً لقُرئ: «عَسَى رَبُّنَا»^٢. وقد أجمعوا
هناك على الفتح.

قال أبو حاتم: ليس للكسر وجه... قال مكّي: والفتح هو المختار، لإجماع القراء
عليه، وخالفهم نافع وحده.^٣

وقراءته «يَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ»^٤ قياساً على «وَقَالَ نِسْوَةٌ». وهو قياس مع
الفارق، لأنّ السماوات جمع مؤنث سالم... فالصحيح هي قراءة عاصم والباقيين
«تكاد»^٥.

وهكذا قراءته بالنبر - وكذا راوياه ورش وقالون - في مثل «النبيئين» بالهمز في
جميع القرآن. على خلاف صريح نهى النبي ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ والنبر في القرآن»^٦.
ولما حجّ المهدي قدّم الكسائي يصلي بالناس، فهمز... فأنكر عليه عامة أهل
المدينة... وقالوا: إنه ينبر في مسجد رسول الله ﷺ بالقرآن!!^٧

قلت: وكيف بقارئ المدينة ينبر أي يهمز. مع هذا النهي الصريح؟!
وقرأ ابن عامر: «نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ»^٨ بضم النون وتشديد الجيم وسكون الياء. أي نُجِّي
النجاء المؤمنين. قال القراء: ولا نعلم لها جهة إلا احتمال اللحن.^٩
وقرأ ابن كثير: «فَرُّهُنَّ»^{١٠} بضمّتين. ولكن الأقيس في العريّة هو جمع فَعَلَ على
فِعال، نحو بحر وبحار، عبد وعباد، كعب وكعاب...

١ - البقرة ٢: ٢٤٦.

٢ - القلم ٦٨: ٣٢.

٣ - الكشف، ج ١، ص ٣٠٣؛ وحجّة القراءات، ص ١٣٩-١٤٠.

٤ - حجة القراءات، ص ٤٤٨.

٥ - مريم ١٩: ٩٠.

٦ - النهاية، ج ٥، ص ٧.

٧ - وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٨٦٥-٨٦٦.

٨ - معاني القرآن، ج ٢، ص ٢١٠.

٩ - الأنبياء ٢١: ٨٨.

١٠ - البقرة ٢: ٢٨٣.

قال مكِّي: الجمع على فُعْل من النوادر في كلام العرب.^١
وقد تقدّم كثير من قراءات وقعت موضع إنكار أئمة العربيّة، كانت مخالفة لقواعد اللغة التي تجري عليها لغة العرب الفصحى.^٢
وإنّا لنحكم قواعد العربيّة الفصحى على قراءات القراء، حيث لاناأتمن وقوفهم على أصول اللغة ولا معرفتهم النامّة بأساليب الكلام البليغ الفصيح.^٣

دفاع مثلوم

قرأ أبو عمرو بن العلاء: «بارئكم» و«يأمركم» و«ينصركم» و«يشعركم» ونحو ذلك بالإسكان حيث وقع في القرآن.^٤ وهو إسقاط لحركة إعرابيّة من غير سبب معروف. وعلّل بأنّه شبه حركة الإعراب بحركة البناء، فأسكن حركة الإعراب استخفافاً، لتوالي الحركات. تقول العرب: «أراك مُتَنَفِّخاً» بسكون الفاء.

قال أبو محمد: وهو ضعيف مكروه. قال: فإنّه فرق بين حركة الإعراب التي تدلّ على معنى، وبين حركة البناء التي لا تدلّ على معنى. وأيضاً فإنّ حركة الإعراب تتغيّر حسب تغيّر المعنى، فلم يجر أن يلحقها تغيير آخر، وحركة البناء ثابتة فجاز أن تتغيّر بالإسكان استخفافاً، وإسكان حرف الإعراب بعيد ضعيف، وإسكان حركة البناء إذا استثقلت، مستعمل كثير. قال: والاختيار تمام الحركات لأنّه الأصل، وعليه جماعة القراء، ولأنّ الإسكان إخلال بالكلام وتغيير للإعراب.^٥ وقد أنكر سيبويه قراءة الإسكان، ورآها باطلة في مذهب العرب الأصيل.^٦

هذه قراءة أبي عمرو الرديئة، وهذا كلام جهابذة الفنّ وأساطين العربيّة المعترف بهم لدى الأئمة أجمع.

١ - الكشف، ج ١، ص ٣٢٣. ٢ - في «غلو في الأدب» و«إنكارات على القراء».

٣ - راجع: تأويل مشكل القرآن، ص ٦١؛ والمرشد الوجيز، ص ١٧٤.

٤ - النشر، ج ٢، ص ٢١٢. ٥ - الكشف، ج ١، ص ٢٤١.

٦ - راجع: كتاب سيبويه، ج ٢، ص ٣٠٩.

ولكن أبا عمرو الداني - في كتابه «جامع البيان» - بعد أن ذكر إسكان «بارئكم» و«يأمركم» في قراءة أبي عمرو، وبعد حكاية إنكار سيبويه لذلك، قال: «والإسكان أصحّ في النقل وأكثر في الأداء، وهو الذي اختاره وأخذ به... إلى أن قال: وأئمة القراء لا تعتمد في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العريّة، بل على الأثبت في الأثر والأصحّ في النقل. والرواية إذا ثبتت عندهم لا يردّها قياس عربيّة ولا فُشو لغة، لأنّ القراءة سنّة متبّعة يلزم قبولها والمصير إليها».

قال الزرقاني - تعقيباً على هذا الكلام -: «وهذا كلام وجيه، فإنّ علماء النحو إنّما استمدّوا قواعده من كتاب الله وسنّة رسوله وكلام العرب، فإذا ثبتت قرآنيّة القرآن بالرواية المقبولة كان القرآن هو الحَكَم على علماء النحو وما قعدوا من قواعد، ووجب أن يرجعوا هم بقواعدهم إليه، لا أن نرجع نحن بالقرآن إلى قواعدهم المخالفة لحكمها فيه، وإلاّ كان ذلك عكساً للآية، وإهما لا للأصل في وجوب الرعاية»^١.

قلت: عدم اعتماد القراء على الأفشى في اللغة والأقيس في العريّة، إنّما هو لضالة معرفتهم بأصول الكلام الفصيح، ومن ثمّ خلطوا وخطبوا. كما خلط أبو عمرو الداني مسألة «أصالة القرآن» بمسألة «القراءات» وتبعه في هذا التخليط الغريب الأستاذ الزرقاني تقليديّاً من غير تفكير.

إذ المتّبع هو نصّ القرآن الأصل المتواتر بين المسلمين. وعليه اعتمد أئمة العريّة في استقاء القواعد العامّة المعتمد عليها. أمّا القراءات فشيء يرجع إلى اجتهادات القراء، واللحن متفشّ بينهم وما أقلّ من سلم من هذه الطبقة من الغلط والوهم، ولا يجعل لحن اللاحنين حجة على الكتاب، على حدّ تعبير ابن قتيبة^٢.

إنّا إذا وجدنا لحناً في قراءة قارئ، نقوم في وجهه دفاعاً عن سلامة القرآن عن الاعوجاج، علماً بأنّ القرآن نزل على الصحيح الأفصح «قرآناً عربيّاً غيرَ ذي عوج»^٣.

٢ - تأويل مشكل القرآن، ص ٥٨ و ٦١.

١ - مناهل العرفان، ج ١، ص ٤٢٢.

٣ - الزمر ٣٩: ٢٨.

ويعذر القوم حيث حسبوا من أنفسهم تجاه أمر واقع، ومن ثمّ زعموا من كلّ قراءة أنّها سنة متّبعة، وقد فاتهم أن لا مستند لهذا التعبد الأعمى. ولا تثبت قرآنية القرآن بقراءة رؤيت عن فلان أو فلان، وقد أوضحنا أن لا سند لآحاد القراءات متصلاً إلى النبي ﷺ ولا مساس لها بمسألة «تواتر القرآن» إطلاقاً.

إذن فتحكيم القواعد على القراءات، ليس تحكيماً لها على القرآن، بل تحكيماً للتوصل إلى واقع القرآن. فكلّ قراءة وافقت الأفصح في اللغة والأفشى في العربية، وتوفّرت فيها سائر الشرائط، نعتبرها صحيحة ونسلمها قرآناً، بكاشف هذا التوافق.

والقواعد - التي نعتبرها مقاييس لمعرفة القرآن - هي المعترف بها لدى الجميع، والتي تسالمت عليها علماء اللغة والأدب، المستقاة من كلام العرب الأصيل، الأمر الذي يوجد عند نحاة البصرة أكثر وأدقّ ممّا عند الكوفيّين، ومن ثمّ فإنّ وقفة مثل «الداني» المغربي في وجه مثل «سيبويه» غريبة جداً.

ونتساءل القوم: بماذا أنكر الإمام أحمد على حمزة قراءاته؟ لولا أنّه وجدها خارجة عن أساليب التعبير العربي الأصيل في مدّاته وتوالي سكّناته وما إلى ذلك! وهل نتسلم قراءة من قرأ: «قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَأْتُكُمْ بِهِ»^١ بالهمز؟ لمجرد أنّها قراءة بعض المتقدّمين^٢ في حين أنّها تقلب معنى الآية، لأنّها من «درى» بمعنى علم لا من «درا» بمعنى دفع.

وقراءته - أيضاً - : «وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونُ» وهي غلط محض.^٣
وقراءة ابن محيصن: «فَلَا تَشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءُ»^٤ بفتح تاء المضارعة، ونصب «الأعداء». وإنّما هو من: أشمت الله العدو، ولا يقال: شمت الله العدو.^٥
وقراءة ابن عامر: «كُنْ فَيَكُونُ» بالنصب في البقرة. وفي آل عمران. وفي النحل. وفي

١ - يونس ١٠: ١٦. ٢ - هي قراءة الحسن. راجع: البحر المحيط، ج ٥، ص ١٣٣.

٣ - انظر: تفسير القرطبي، ج ١٣، ص ١٤٢. ٤ - الأعراف ٧: ١٥٠.

٥ - تأويل مشكل القرآن، ص ٦١. وانظر: البحر المحيط، ج ٤، ص ٣٩٦.

مريم. وفي يس. وفي غافر. ^١ ومن الغريب أن مثل الكسائي تابعه في النحل ويس. ^٢
وقد أجمع المحققون على أن النصب هنا ضعيف، كما اتفق باقي القراء على الرفع،
لأن «كن» ليس أمراً على حقيقته لأنه ليس خطاباً لموجود، وإنما معناه: فإنما يكونه
فيكون. ^٣

وهكذا قراءات ضعيفة - تقدّم بعضها - من السبعة وغيرهم تشي بضعف مقدرة قرائها،
وأنكرها المحققون من العلماء النقاد، سواء في مجال الفقه أم في حقل الأدب الرفيع،
فكيف نوافق على قرآنيّتها ونضرب بجميع الأصول والقواعد عرض الجدار؟! فالذي
تقتضيه قواعد التمحيص هو النظر في منشأ القراءة، فإن كانت عن مستند وثيق وعن
دراية صحيحة الأصول، تُقبل ويُعترف بقرآنيّتها أيضاً، وكلّ قراءة خالفت أصول
التمحيص الصحيح فهي ضعيفة شاذّة يجب نبذها رأساً. سواء أكانت عن السبعة أم عن
غيرهم، وتقدّم كلام أئمة التحقيق في ذلك.

وأما عدم المعارضة بالأقوى حجة، فلأن القراءة إنّما تكون حجة إذا لم يعارضها
حجة أقوى، حسب قانون «التعادل والترجيح» في باب الأصول.
فمثل «أرجلكم» قراءة بالخفض، وإن قرأ بها بعض كبار القراء، لكنّها حيث كانت
معارضة للدليل الأقوى، فهي مرفوضة، كما رفضها جمهور المسلمين. وكانت علامة الثبوت
الأولى، والتي كان عليها ثبت المصاحف، هي علامة النصب.

أما الدليل الأقوى الذي يرجّح النصب على الخفض، فهو: اعتبار الاستيعاب - طولا -
في مسح الأرجل، نظراً لذكر الحدّ - بدءاً ومنتهاً - في الآية الكريمة (من رؤوس أصابع
الأقدام إلى الكعبين).

ولتوضيح هذا الجانب (من المسألة الفقهية المستنبطة من الآية الكريمة) لابدّ من
تمهيد مقدمة، هي:

١ - البقرة ٢: ١١٧. آل عمران ٣: ٤٧. النحل ١٦: ٤٠. مريم ١٩: ٣٥. يس ٣٦: ٨٢. غافر ٤٠: ٦٨.

٢ - انظر: التيسير، ص ٧٦.

٣ - راجع: البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري، ج ١، ص ١١٩-١٢٠؛ والكشف، ج ١، ص ٢٦١.

إنَّ مادَّةَ «مسح» يتعدَّى بنفسه إلى المفعول به، ولا يحتاج في تعديته إلى إضافة حرف في مدخوله. لكن زيادة الباء في هذا الموضع من الآية كانت لنكتة، وهي أنها لو لم تُزَد هنا لاستدعى إضافة الفعل (مسح) إلى متعلّقه، استيعابَ المسح لمحله استدعاءً بالطبع. كما في كلِّ فعل أُطلق بالنسبة إلى متعلّقه. كما في «فاغسلوا وجوهكم» استدعى استيعاب الغسل لجميع صفحة الوجه طولاً وعرضاً. ومن ثمَّ لو لم يقيّد الغسل في اليدين بقوله «إلى المرافق» لاستدعى استيعاب جميع اليد حتى المنكب.

وعليه فلو لم تُزَد الباء، وقيل: «وامسحوا رؤوسكم» لاستدعى مسح الرأس كلّ نظير الوجه، حرفاً بحرف. فزيدت لتكون دليلاً على كفاية مجرد المسح الملصق بالرأس، فلو وضع المتوضئ رأس أصبعه على رأسه وجرّها جرّاً خفيفاً، فقد صدق «لصوق المسح بالرأس». والامتنال يقتضي الإجزاء - كما في الأصول - ولا امتثال عقيب الامتنال.

هذا في الرأس. أمّا في الرجل، فلمّا جاء ذكر الحدّ للمسح، كان ذلك دليلاً على إرادة استيعاب ما بين الحديّين (رؤوس أصابع القدم - الكعبان) طولاً. ومن ثمَّ فإنّه معطوف على مدخول «وامسحوا» بلا زيادة الباء، أي محلّ المجرور ظاهريّاً، وهو النصب.

نعم ليس النصب عطفاً على مدخول «فاغسلوا» - كما زعمه القائل بغسل الأرجل - استناداً إلى قراءة النص في الآية، وهو فهم مخطئ واستنباط معوجّ، بعد ملاحظة أنّ العطف مع الفصل بالأجنبيّ مرفوض أو مرجوح في اللغة، ولا يحمل عليه القرآن الكريم.

أمّا الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) التي تمسّك بها الشيخ الطوسي (رحمته الله) دليلاً على ترجيح قراءة الخفض، فالصحيح منها لا دلالة فيه على ذلك، لأنّها وردت بلفظ «بأنّ القرآن نزل بالمسح»^٢ وهي تلتئم مع قراءة النص، على ما أوضحنا بيانه. ولا دليل فيها على إرادة قراءة الخفض!

نعم وردت رواية ضعيفة - لاحجية في سندها بعد وجود الضعاف فيه - بأنّها

١ - تهذيب الأحكام، ج ١، ص ٧٠؛ والخلاف، ج ١، ص ٩١ - كتاب الطهارة - رقم ٣٩.

٢ - وسائل الشيعة، ج ١، ص ٢٩٤-٢٩٧.

بالخفض.^١ وهي لاتصلح مستنداً لتأويل الآية على غير وجهها! فتدبر.

وهذا من إفادات شيخنا الأجلّ العلامة الشيخ محمدرضا الإصفهاني (طاب ثراه).

وستأتي قراءة ورش وقالون - راويي نافع - وكذا ابن كثير وأبي عمرو: «وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ»^٢. وهو خطأ فاحش. لأنّ المرء لا يحاول خداع نفسه، نعم قد يخدعها. كما هو شأن المنافقين: يحاولون خدع المؤمنين، ولكن «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ»^٣.

فقد صحّت قراءة عاصم وراوييه شعبة وحفص وسائر الكوفيّين: «وَمَا يُخَدَّعُونَ...» وفق معهود المسلمين الذين توارثوه عن عهد الرسالة.

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: «بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ»^٤ بالتخفيف. وقرأ الباقر بالتشديد.^٥

وقراءة التخفيف هي الأشبه بسياق الآية، لأنّ المنافق لا يُكْذِبُ في ظاهر حاله، وأنما يكذب في مقاله. وقد شهد القرآن بذلك «وَاللّٰهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ»^٦.

وقرأ عاصم وحده: «وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ» بالباء وكذا في سورتي الفرقان والنمل.^٧ وقرأ الباقر: «نَشْرًا...» بالنون.^٨

احتجّ عاصم بأنّ الذي ينشر - أي يحيي الأرض بعد موتها - هو الماء النازل من السماء. أمّا الرياح فمبشّرات، كما في سورة الروم: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ»^٩.

إلى غيرها من آيات لانطيل المقام بذكرها، ففيما ذكر كفاية إن شاء الله.

١ - تهذيب الأحكام، ج ١، ص ٧٠، رقم ١٨٨. ٢ - البقرة ٢: ٩. راجع: حجة القراءات، ص ٨٧.

٣ - فاطر ٣٥: ٤٣. ٤ - البقرة ٢: ١٠.

٥ - حجة القراءات، ص ٨٨. ٦ - المنافقون ٦٣: ١.

٧ - الأعراف ٧: ٥٧. الفرقان ٢٥: ٤٨. النمل ٢٧: ٦٣. ٨ - حجة القراءات، ص ٢٨٥-٢٨٦: والكشف، ج ١، ص ٤٦٥.

٩ - الروم ٣٠: ٤٦.

القراءة المختارة

أمّا القراءة التي نختارها - والتي تجمّعت فيها شرائط القبول أجمع - فهي قراءة عاصم برواية حفص بالخصوص، وذلك لأنّها القراءة التي كانت عليها جماهير المسلمين وتلقّوها يداً بيد منذ الصدر الأوّل حتى توالي العصور. وستأتي مزايا أخرى حوتها هذه القراءة بالذات دون غيرها من سائر القراءات. ولم تزل هذه القراءة موضع عناية العلماء والقراء في جميع أدوار التاريخ، ومن ورائهم عامّة المسلمين في كافة الأقطار الإسلاميّة المترامية.

هذا... ولكن الشائع بين الفقهاء هو جواز القراءة بالسبع في الصلاة وغيرها. الأمر الذي يمكن توجيهه على مشارب فقهاء السنّة، إمّا لأجل تواترها عندهم - كما يراه البعض - أو لانطباق حديث السبعة الأحرف عليها، حسبما زعمه آخرون. لكن الأمر يُشكل على مباني فقهاءنا الإماميّة الذين يرون من القرآن واحداً نزل من عند الواحد!

إذن فما وجه تجويزهم القراءة بالسبع وغيرها؟

ولنذكر كلماتهم أولاً ثمّ دلّلتهم بهذا الشأن:

قال الشيخ أبو جعفر الطوسي: إنّ العرف من مذهب أصحابنا والشائع من أخبارهم ورواياتهم أنّ القرآن نزل بحرف واحد على نبيّ واحد. غير أنّهم أجمعوا على جواز القراءة بما يتداوله القراء وأنّ الإنسان مخير بأيّ قراءة شاء قرأ.^١

وقال الشهيد الأوّل: وتجاوز القراءة بالسبع والعشر لا الشواذ. ومنع بعض الأصحاب

من العشر.^٢

وقال العلامة: يجب أن يُقرأ بالمتواتر من القراءات وهي السبعة ولا يجوز أن يُقرأ بالشواذ ولا بالعشرة.^٣

وهكذا غيرهم من علمائنا الأعلام. ووافقهم على جواز القراءة بإحدى السبع،

٢ - الدروس، ص ٣٥.

١ - التبيان، ج ١، ص ٧.

٣ - تذكرة الفقهاء، ج ١، ص ١١٥.

صاحب الجواهر - في كلام طويل له بشأن إبطال دعوى تواتر القراءات السبع أو العشر - قال: أقصى ما يمكن تسليمه جواز العمل بها، أمّا تعيين ذلك وحرمة التعدي عنه فمحلّ منع.^١

ومن ثمّ قال صاحب العروة: الأحوط القراءة بإحدى القراءات السبع، وإن كان الأقوى عدم وجوبها، بل يكفي القراءة على النهج العربي، وإن كانت مخالفة لهم في حركة بنية أو إعراب.^٢

وعلق عليه سيّدنا الحكيم رحمته الله باشتراط التوافق مع إحدى القراءات المتداولة في عصر الأئمة عليهم السلام، وهو تعليق متين. وهكذا سيّدنا الأستاذ الخوئي رحمته الله قال: الظاهر جواز الاكتفاء بكلّ قراءة متعارفة عند الناس ولو كانت من غير السبع.

ووافق السيّد الاصبهاني - في الوسيلة - صاحب العروة، إلّا أنّ سيّدنا الأستاذ الراحل الإمام الخميني رحمته الله في التحرير زاد عليه بأنّ الأحوط عدم التخلف عمّا في المصاحف الكريمة الموجودة فيما بأيدي المسلمين.^٣ وهذا التقييد أيضاً متين. هذه خلاصة كلمات الأصحاب تُنبؤك عن دقّة في الاختيار. ولننظر في دلائل هذا الاختيار:

قد يقال: إنّ الوجه في ذلك هو اعتقاد تواتر القراءات ولاسيّما السبع، كما تقدّم عن الشهيد الثاني. الأمر الذي لا يلتئم مع وهن قضية تواتر القراءات السبع عند علمائنا الإماميّة، بل وسائر المحقّقين من علماء الإسلام أجمع. وقد رجع عنه الشهيد أيضاً، وأوّل كلامه إلى إرادة وجود المتواتر فيما بأيدينا من القراءات الآن. لكنّه - أيضاً - تأويل بعيد، إذ لازمه الاحتياط في القراءة بكلّ الوجوه، لإحراز الواقع المعلوم. كما نبّه عليه العلامة جاز الله الزمخشري في كلامه الآنف: «والمصلّي لا تبرأ ذمّته

١ - جواهر الكلام، ج ٩، ص ٢٩٨. ٢ - العروة الوثقى، فصل ٢٤ في القراءة، مسألة ٥٠.

٣ - تحرير الوسيلة، مسألة ١٤ من بحث القراءة والذكر، ج ١، ص ١٦٧-١٦٨.

من الصلاة إلّا إذا قرأ - فيما وقع فيه الاختلاف - على كلّ الوجوه».

هذا فضلاً عما يرد على هذا الاحتمال من الإشكال، وهو: عدم إمكان اشتباه المتواتر بغيره. كما أورده عليه سبطه. وأورده أيضاً صاحبُ المفتاح.^١

والمعروف في وجه هذا الاختيار ما أشار إليه الشيخ في كلامه المتقدم، هو انعقاد إجماع الأصحاب على القبول، واتفاق رواياتهم عليه.

قال السيد الجواد العاملي: الدليل على وجوب الاقتصار عليها أن يقين البراءة إنّما يحصل بذلك، لاتفاق المسلمين على جواز الأخذ بها، إلّا ما علّم رفضه وشدوذه، وغيرها مختلف فيه. ومن المعلوم أنّها المتداولة بين الناس، وقد نطقت أخبارنا بالأمر بذلك وانهقدت إجماعات أصحابنا على الأخذ به، كما سمعته عن التبيان ومثله مجمع البيان وكذا المنتهى. فجواز الأخذ بغيرها يحتاج إلى دليل. ولولا ذلك لقلنا كما قال الزمخشري: لا تبرأ ذمّة المصلّي إلّا إذا قرأ بما وقع الاختلاف فيه على كلّ الوجوه.^٢

هذه هي عمدة الاستدلال على جواز الأخذ بالقراءات المعروفة. وتتلخّص في:

١ - سيرة المسلمين على الأخذ بها.

٢ - إجماع الفقهاء على جواز ذلك.

٣ - تظافر النصوص الواردة عن الأئمة عليهم السلام في الأمر بالعمل بما عند الناس والمعروف لدى المسلمين.

وناقش سيّدنا الحكيم - في هذه الوجوه - بأنّ المقطوع به من سيرة المسلمين منذ الصدر الأوّل هو الأخذ بأيّ قراءة صحّت لديهم، وليست من السبعة فحسب، ولا سيّما وتأخّر السبعة المعروفة عن العهد الأوّل.

وأما الإجماع فمستنده الروايات، وهي لاتعني خصوص هذه السبع التي تأخّرت معروفيّتها عن زمن الصادق والكاظم عليهما السلام وهما مصدر تلك النصوص. نعم مقتضاهنّ جواز العمل بكلّ قراءة كانت معروفة على عهدهم عليهما السلام لا غير، فيشكل شمولها لبعض

القراءات السبع ممّا لم تكن متداولة ذلك العهد أو حدثت متأخراً^١.
والمناقشة متينة، سوى أنّ حمل النصوص على إرادة القراءات المتداولة لدى القراء،
والتي كانت مستنداتها - في الأغلب - تعاليل اجتهاديّة وترجيحات نظريّة أو استحسانيّة،
بعيدٌ للغاية.

ومن طريف الأمر أنّ جماعة من محدّثي الفقهاء حملوا تلك النصوص على
الاستصلاح والمجاراة مع العامّة.

قال المولى محسن الفيض: إذا كان اختلاف القراءة ممّا لا يسري إلى اختلاف المعنى،
فهذا موسّع علينا بالقراءات المعروفة. وإلاّ فيُحمل على أنّهم عليهم السلام لمّا لم يتمكنوا من حمل
الناس على القراءة الصحيحة، جوّزوا القراءة بغيرها، كما يشير إليه قولهم: اقرؤا كما
تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم.

قال: وعلى أيّ التقديرين فنحن في سعة منها جميعاً. وقد اشتهر بين الفقهاء وجوب
الالتزام بعدم الخروج عن القراءات السبع أو العشر المعروفة، لتواترها وشذوذ غيرها.
والحقّ أنّ المتواتر من القرآن اليوم ليس إلّا القدر المشترك بين القراءات جميعاً دون
خصوص أحادها، إذ المقطوع به ليس إلّا ذاك، إذ المتواتر لا يشتبه بغيره.^٢

وكلامه هذ الأخير متناقض أو يزيد في إيهام الأمر، إذ لو كان المتواتر من القراءات
هي المواضع التي توافقت عليها القراء، فالمواضع التي اختلفوا فيها، ماذا يكون التكليف
فيها، هل المكلف مخير فيها أم يجب عليه الاحتياط؟

ثمّ أنّ لازم كلامه أنّ المواضع المختلف فيها ليست من القرآن المتواتر!!

وإن كان مراده أنّ المتواتر موجود في هذه السبع من غير تعيين، فهذا يتناقض مع
قوله أنّ المتواتر لا يشتبه بغيره!! ومن ثمّ فكلامه هنا مبهم للغاية.

١ - مستمسك العروة، ج ٦، ص ٢٤٣-٢٤٥.

٢ - الصافي في تفسير القرآن، المقدمة الثامنة، ج ١، ص ٤٠-٤١.

ووافقه على هذا الحمل المحدث البحراني، قال: الذي يظهر من الأخبار هو وجوب القراءة بهذه القراءات المشهورة، لا من حيث مذكروه من ثبوتها وتواترها عنه عليه السلام بل من حيث الاستصلاح والتقية^١.

قلت: الواجب حينئذ النظر في النصوص التي هي عمدة الباب - وسنذكرها ضمن النصوص الضافية الآتية - وهي وردت بتعبيرين:

١ - الأمر بالقراءة على ما يقرؤه الناس.

٢ - الأمر بها كما تعلموه.

وهذا لا يعني سوى الأمر بالقراءة على ما تداوله جمهور المسلمين، لأنهم المعنيون بالناس لا خصوص القراء. إذ لا وجه لهذا الاختصاص. ولا سيما بعدما عرفت أن القرآن شيء والقراءات شيء آخر، والأول سبيله مجرى التواتر. والثاني هي الاجتهادات النظرية. فلا بد أن المراد من قراءة الناس هي القراءة المتواترة المحتفظة لدى عامة المسلمين، والتي توارثوها يداً بيد، وجيلاً بعد جيل.

وبذلك أيضاً تبين أن المقصود من التعلم هو التلقي الجماهيري سواء في البيوت على يد الآباء والأئمة، أم في الكتاتيب على يد المشايخ والمعلمين، أم في سائر الأوساط العامة التي يتداول فيها القرآن على المسرح العام. وسيأتي مزيد توضيح لذلك.

أمّا ماهي هذه القراءة التي تداولتها العامة وتوارثها المسلمون أمةً بعد أمةٍ؟ فسيأتي أنها هي القراءة المتوافقة مع ثبت النص الحاضر حرفياً. وهي التي قرأ بها عاصم بن أبي النجود برواية حفص بن سليمان. وقد توافقت عليها الأمة لميزات وجدوها في قراءته، أشرنا إليها آنفاً وسيوافيك التفصيل، إن شاء الله.

وستأتيك^٢ - أيضاً - مقارنة نموذجية بين قراءة عاصم برواية حفص، وسائر القراءات. لتكون دليلاً قاطعاً على أفضلية هذه القراءة، وصحتها بالذات، وأقوى حجة من غيرها على الإطلاق.

٢ - في ختام البحث عن القراءات. وختامه مسك.

١ - الحدائق الناضرة، ج ٨، ص ٩٩-١٠٠.

فذلكة البحث

والذي يتمخّض من بحوثنا السالفة بشأن ملاك اختيار القراءة الصحيحة هو ما يلي:

١ - مراجعة ثبت المصحف المتواتر خلفاً عن سلف، في مادة الكلمة وصورتها وموضعها الخاص.

٢ - وعند احتمال وجهين أو وجوه، فالمرجع هي قراءة عامّة المسلمين أمّة عن أمّة. وهي محفوظة في الصدور، وفي عامّة المصاحف القديمة والحديثة.

٣ - ومن الطرق إلى معرفة قراءة العامّة هو إجماع القراء المعروفين أو اتفاق أكثرتهم الغالبة.

٤ - وإذا تكافأ الاحتمالان، أو استوت القراءتان، فالترجيح مع الأوفق بالعربيّة والأفصح والأفشى في اللغة.

٥ - وأخيراً فإذا قام دليل قطعيّ على اتباع قراءة، فتكون هي الأفصح والأقوى سنداً لامحالة.

هذه زبدة ملاك اختيار القراءة وتمييز المقبول عن المرفوض. كما تبين أن لاشأن للقراءات - عندنا - بالذات، سوى أنّها طرق إلى معرفة القرآن المتواتر عند عامّة المسلمين، وذلك إذا توفّرت فيها شروط القبول.

ومن ثمّ فإنّ القراءة المختارة عندنا هي قراءة عاصم برواية حفص، لأنّها هي القراءة المعروفة لدى المسلمين وتلقّاها العلماء بالقبول.

نصوص ضافية^١

ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام نصوص ضافية بشأن القرآن الكريم تشير إلى أهمّ مواضيع بحوثنا الآنفة، وتشبي بعق نظر ودقّة تحقيق راعتها الأئمة عليهم السلام بشأن هذا الكتاب

١ - مستخرجة من الكافي الشريف، لثقة الإسلام الكليني رحمته الله، ج ٢، ص ٦٢٧، كتاب فضل القرآن، باب النوادر، ح ٨ و ١٢ و

الخالد. ومدى اهتمامهم ﷺ بحراسة نصّه بعيداً عن التحريف والتأويل:

١ - قال محمد بن الوراق: عرضت على أبي عبد الله ﷺ كتاباً فيه قرآن مختم معشر بالذهب، وكتب في آخره سورة بالذهب، فأريته إيّاه فلم يعب فيه شيئاً إلا كتابة القرآن بالذهب، وقال: «لا يُعجبني أن يُكتب القرآن إلا بالسواد كما كُتب أول مرّة».

انظر إلى هذه الدقّة والحرص الشديد على سلامة القرآن، ليبقى محفوظاً كما كُتب أول مرّة، حتّى في لون الخطّ، لئلا يشتبه بغيره من الزوائد والتحسينات المتأخّرة.

٢ - وقال الإمام محمد بن علي الباقر ﷺ: «القرآن واحد نزل من عند واحد، ولكن الاختلاف يجيء من قبل الرّواة».

يعني: قراءة واحدة، فإنّ القرآن نزل بنصّ واحد، وإنّما الاختلاف في رواية ذلك النصّ حسب اجتهادات القراء. وقد أوضحه الحديث التالي:

٣ - وقال الإمام جعفر بن محمد الصادق ﷺ: «ولكنّه نزل على حرف واحد من عند الواحد».

عنى ﷺ نفي القراءات المتداولة التي كان الناس يزعمونها متواترة عن النبي ﷺ. فأنكر ذلك، حيث القرآن نزل بنصّ واحد. أمّا اختلاف اللهجات - حسبما فسّرنا بها الحروف السبعة - فلا ينفىها الإمام ﷺ كما جاء في روايات أخرى.^١

٤ - قال سالم بن سلمة: قرأ رجل على أبي عبد الله ﷺ وأنا استمع حروفاً من القرآن، نيس على ما يقرؤها الناس. فقال أبو عبد الله ﷺ: «كفّ عن هذه القراءة، اقرأ كما يقرأ الناس...».

لعلّ الرجل كان يقرأ حسب قراءة القراء بأوجه متنوّعة، فنهّره الإمام ﷺ حيث يؤول ذلك إلى التلاعب بنصّ القرآن الكريم، وأمره أن يلازم القراءة المعروفة التي يقرؤها الناس، أي عامّة المسلمين، فالقراءة الصحيحة المأمور بها في الشريعة، هي التي توارثتها الأئمّة عن الأئمّة عن رسول الله ﷺ عن جبرائيل ﷺ عن الله عزّ وجلّ. ولا عبرة بخصوص

١ - تقدّمت في «حديث الأحرف السبعة».

القراء، الذين احترفوا فنّ القراءة كصنعة مبتدعة، سوى التي توافق قراءة العامّة.

٥ - قال سفيان بن السمط: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن تنزيل القرآن. قال: «اقرأوا كما علّمتكم».

سأل عن أصل النص الذي نزل عليه القرآن لأوّل مرّة، حيث وجد القراء مختلفين فيه. فأجابه الإمام عليه السلام بأنّه هو الذي يتعاهده المسلمون اليوم، فقلوه: اقرأوا كما علّمتكم، أي يجب عليكم - خطاباً إلى عامّة المسلمين - أن تقرؤوا القرآن كما ورثتموه خلفاً عن سلف عن رسول الله ﷺ.

وفي ذلك روى أحمد في المسند والطبري في التفسير والحاكم في المستدرک وصحّحه ووافقه الذهبي بالإسناد إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إنّ رسول الله ﷺ يأمركم أن تقرؤوا القرآن كما علّمتكم»^١.

٦ - قال علي بن الحكم: حدّثني عبد الله بن فرقد والمعلّى بن خنيس، قالوا: كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام ومعنا ربيعة الرأي. فذكرنا فضل القرآن. فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن كان ابن مسعود لا يقرأ على قراءتنا فهو ضالّ. فقال ربيعة: ضالّ؟ فقال عليه السلام: نعم، ضالّ. ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: أمّا نحن فنقرأ على قراءة أبيّ.

لعلّهم تذكروا شيئاً من قراءات ابن مسعود غير المتعارفة، فنبّههم الإمام عليه السلام أنّها غير جائزة، وأنّ الصحيح هي قراءة عامّة المسلمين، ومن خرج عن المعهود العامّ فهو ضالّ، لأنّه أخطأ طريقة المسلمين التي توارثوها كابراً عن كابر عن نبيّهم العظيم. فلو كان ابن مسعود يقرأ القرآن على خلاف طريقة المسلمين - على تقدير صحّة النسبة - فهو ضالّ. لأنّ الطريق الوسط، هو الذي مشى عليه جماعة المسلمين، والحائد عن الجادة الوسطى ضالّ لامحالة أيّاً كان.

أمّا قوله: أمّا نحن فنقرأ على قراءة أبيّ، أي أبيّ بن كعب، فإشارة إلى حادث توحيد المصاحف على عهد عثمان، حيث كان المملي أبيعاً، والجماعة يكتبون على إملائه،

ويرجعون إليه في تعيين النصّ الأصل عند الاختلاف.^١ فالمصحف الموجود - الذي عليه عامّة المسلمين - هو من إملاء أبيّ، فالقراءة وفق قراءة أبيّ كناية عن الالتزام بما عليه عامّة المسلمين الآن.

٧ - روى الصدوق عن الإمام جعفر بن محمد الصادق، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلّموا القرآن بعربيّته وإيّاكم والنبر فيه، يعني الهمز».

قال الإمام الصادق عليه السلام: الهمز زيادة في القرآن إلّا الهمز الأصلي مثل قوله: «أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْأَ».^٢ وقوله: «لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ».^٣ وقوله: «فَادَارَأْتُمْ».^٤

جاء في النسخ: «النبر» بالزاي، وهو خطأ هنا، وإنّما هو «النبر» بالراء كما تقدّم عن نهاية ابن الأثير. وأنّ الكسائي كان ينبر بالقرآن.^٥

والأمر بقراءة القرآن قراءة عربيّة خالصة كثير في أحاديث أئمّة أهل البيت عليهم السلام^٦ حرصاً منهم على محافظة لغة القرآن الأصيلة، هي لغة العرب الفصحى ولهجتها الأفشى، فلا يتسرّب إليه لحن ولا يلحقه تغيير.

١ - راجع: الجزء الأوّل «منجزات مشروع توحيد المصاحف».

٢ - النمل ٢٧، ٢٥.

٣ - النحل ١٦، ٥.

٤ - البقرة ٢: ٧٢. راجع: معاني الأخبار للصدوق: ص ٣٢٧، باب معنى النبر.

٥ - تقدّم في «تأثير اللهجة».

٦ - راجع: وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٨٦٥، باب ٣٠ من أبواب قراءة القرآن.

طبقات القراء

معاريف القراء طوال ثلاثة قرون

كان الفصل المتقدم معرضاً خصباً وحافلاً بأنواع القراءات عرضناها لغرض التحقيق من قيمتها تجاه تواتر النصّ القرآني الأصل. وقد تمخّض البحث: أن لاشأن للقراءات - ذاتياً - سوى كشفها عن النصّ الأصل، إذا توفّرت فيها شروط القبول. وسنبحث عن هذه الناحية - في فصل قادم - عندما نعرض موقفنا من القراء والقراءات.

وهنا - في هذا الفصل - نحاول التعرّف إلى شيء من تراجم كبار أئمة القراء منذ العهد الأوّل حتى نهاية القرن الثالث، حيث معرفتهم بالثبوت الأوّل وعهدهم بالنصّ الأصل، ومن ثمّ فإنّ استفادتنا من اختياراتهم في القراءات كثيرة. وهذه الفائدة تنعدم عندما ننتهي من هذا القرن، ونستشرف - بمطلع القرن الرابع - على معالم الضغط السياسي العام^١ حيث انغلاق أبواب الاختيار في القراءات^٢ شأنه شأن الاجتهاد في الأحكام الشرعيّة، حيث انسدّ بابه في نفس القرن وأصبح الفقهاء - ماعدا فقهاء الإماميّة - مقلّدين محضاً،

١ - انظر: الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج ٧، ص ٢٩٩؛ والحضارة الإسلاميّة في القرن الرابع لآدم متر: ج ١، ص ٣٨٧، وستأتي إشارة أخرى إلى ذلك.

٢ - حوالي سنة ٣٢٣. انظر: ترجمة ابن شنبوذ، في «معرفة القراء الكبار»، ج ١، ص ٢٢٤؛ وجمال القراء للسخاوي، ص ١١١؛ والمرشد الوجيز، ص ١٥٣ و ١٦٠؛ والإبانة لمكي، ص ٥-٨.

يقتصرون في الإفتاء - منذ ذلك العهد - على ما أفتى به الأئمة الأربعة فحسب، وهي كارثة عظيمة أوقفت نابضة حياة المسلمين، التي كانت قبلُ تتقدّم إلى الأمام بخطوات واسعة.^١ وهكذا حادث إيقاف حركة الاعتزال وتحكيم العقل في الحياة.^٢

وفائدة أخرى نتوخّاها وراء هذا العرض هو: الوقوف على مدى تأثير الاجتهاد الشخصي في اختيارات القراء، كان أحدهم يتتلمذ على شيخه ليتعرّف إلى أصول القراءة، وهكذا عند غيره وآخر. لكنّه بعد ما اجتمعت لديه معلومات عن أصول الفنّ، كان يستقلّ في الاختيار، ويستند في قراءاته إلى اجتهاده الخاصّ.

قال أبو عبيد - في كتاب القراءات -: كان الكسائي يتخيّر القراءات، فأخذ من قراءة حمزة ببعض وترك بعضاً. وقال أبو عمرو الداني: قرأ الكسائي على محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى واختار لنفسه قراءة... وهكذا.^٣

وهذا شيء طبيعي كثيراً ما يختلف اختيار التلميذ عن شيخه، حيث اختلاف الأنظار والسلايق. وإلاّ لكانت القراءة تقليدية يتداولها شيخ عن شيخ من غير اختلاف مع الأبد. وهكذا نجد اختلاف بعض القراء - وهم في طبقة واحدة - مع البعض. أو نقض أحدهم على صاحبه - وهما يقرآن على شيخ واحد - كلّ ذلك دليل على مدى تحكيم الاجتهاد في اختيار القراءات.

من ذلك ما ذكره ابن مجاهد، قال: قال لي قبل: قال القوّاس - في سنة سبع وثلاثين ومائتين -: الق هذا الرجل (يعني البزّي) ^٤ فقل له: هذا الحرف ليس من قراءتنا، يعني «وما هو بميت» مخفّفاً، وإنّما يخفّف من الميت من قد مات، وأمّا من لم يمت فهو مشدّد. قال:

١ - وقد وصف المؤرخون هذا القرن الرابع بدور ضعف الإسلام وانحطاط المسلمين وشيوع الفوضىّة والاضطراب في

أنحاء البلاد الإسلاميّة، راجع: مروج الذهب، ج ٤، ص ٣٤٠ وما بعد والحضارة الإسلاميّة، ج ١، ص ٢٥.

٢ - يقول الأستاذ أحمد أمين: وفي رأيي أنّه لو سادت تعاليم المعتزلة إلى اليوم لكان للمسلمين موقف آخر في التاريخ غير موقفهم الحالي. وقد أعجزهم التسليم وشلّهم الجبر وقعد بهم التواكل. ضحى الإسلام، ج ٣، ص ٧٠.

٣ - انظر: معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ١٠٠-١٠١. ٤ - قبل والبزّي راويا ابن كثير.

فلقيت البرّي فأخبرته، فقال: قد رجعت عنه.^١

وينبغي أن يجعل ذلك - أيضاً - دليلاً^٢ في وجه القائل بتواتر القراءات كما نبّه عليه سيّدنا الأستاذ فيما سلف.^٣

ولنعرض - هنا - من تراجم القراء، الأئمة المعروفين، من ذوي الاختصاص بأصول القراءة أمّا المنسوب إليهم قراءة - أحياناً - أو ذكر اسمه في أسناد قارئ فليس في التعرّف بشأنهم كثير فائدة في مقصود البحث.
وإليك من أئمة القراء الكبار، حسب الطبقات:

الطبقة الأولى

كان كبار الصحابة - على عهده ﷺ - يتعاهدون القرآن كما أنزل بين أظهرهم، يتلقّونه من رسول الله ﷺ على أصالته غضّاً طريّاً.

وكان النبي ﷺ ربّما بعث بأحادهم إلى القبائل وأطراف البلاد، يدعون الناس إلى الإسلام، ويقرأون عليهم آياً من الذكر الحكيم، ويعلمونهم القرآن. هكذا كان شأن الصحابة الأخيار، ولاسيّما الأجلّاء منهم رضي الله عنهم.

لكن اختصّ من بينهم نفر كانوا هم مراجع الباقيين في نشر القرآن وتعليمه. وهم خمسة: أولهم ورأسهم علي بن أبي طالب عليه السلام ثمّ عبدالله بن مسعود، وأبيّ بن كعب، وأبوالدرداء. وخامسهم: زيد بن ثابت، وكان أصغرهم.

ويذكر المؤرّخون غير هؤلاء - أيضاً - كالمقداد بن الأسود، وأبي ذرّ جندب بن جنادة، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة، وأضرابهم. لكنّهم إلى جمع القرآن في الصدور أو في الصحف، أولى منهم بتصدي إقراء الناس سمة اختصاصيّة.

١ - منجد المقرئين لابن الجزري، بنقل مناهل العرفان، ج ١، ص ٤٥٢.

٢ - مضافاً إلى الأدلة الثمانية السالفة راجع: «وقفة عند مسألة التواتر».

٣ - في «تصريحات أئمة الفن».

١- أمّا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فكان الرأس وأعلم الصحابة جميعاً بشؤون القرآن في شتّى نواحيه، قراءة وتفسيراً وتأويلاً. كان الصحابة طرّاً يرجعون إليه، ولا يرجع إلى أحد منهم إطلاقاً.

وقد سبق حديث يحيى بن سعيد الأموي، عن الأعمش، عن عاصم، عن زرّ بن حبیش، قال: قال عبدالله بن مسعود: تمارينا في سورة من القرآن، فقلنا خمس وثلاثون أو ست وثلاثون آية. قال: فانطلقنا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فوجدنا عليّاً يناجيه. قال: فقلنا: إنّنا اختلفنا في القراءة. فاحمرّ وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: إنّما هلك من كان قبلكم باختلافهم بينهم. قال: ثمّ أسرّ إلى عليّ عليه السلام شيئاً، فقال لنا عليّ عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يأمركم أن تتقروا كما علّمتهم^١ وروي أيضاً عن زيد بن أرقم، قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أقراني عبدالله بن مسعود سورة وأقرانيها زيد، وأقرانيها أبيّ بن كعب، فاختلفت قراءتهم، فبقراءة أيّهم آخذ؟ قال: فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله قال: وعلي إلى جنبه. فقال علي: ليقرأ كلّ إنسان كما علّم، كلّ حسن جميل^٢.

قال الزرقاني - بصدد اختصاص الإمام عليه السلام بشؤون التفسير دون سائر الخلفاء والصحابة -: «وكان لصلته الوثيقة برسول الله صلى الله عليه وآله أثر عظيم في استنارة نفسه، وغزارة مادّته، وسعة علمه، بله ما وهبه الله من فطرة صافية، وذكاء نادر، وعقل موهوب حتى ضرب به المثل في حلّ المشاكل، فقليل: «قضيّة ولا أبا حسنٍ لها»^٣.

وروى معمر، عن وهب بن عبدالله بن أبي الطفيل، قال: شهدت عليّاً عليه السلام يخطب ويقول: «سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء إلّا أخبرتكم. وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلّا وأنا أعلم أبليّل نزلت أم بنهار، أفي سهل أم في جبل».

وعنه عليه السلام قال: «والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت، إنّ ربّي وهب

٢- المصدر.

١- جامع البيان، ج ١، ص ٩-١٠.

٣- مناهل العرفان، ج ٢، ص ١٨؛ وراجع: التفسير والمفسرون لمحمد حسين الذهبي: ج ١، ص ٨٩؛ وأسد الغابة، ج ٤، ص

لي قلباً عقولاً، ولساناً سوءاً».

وعن ابن مسعود قال: «إنَّ القرآنُ أنزلَ على سبعةِ أحرفٍ، ما منها حرفٌ إلَّا وله ظهر وبطن، وإنَّ عليَّ بنَ أبي طالبٍ عنده منه الظاهر والباطن»^١.

قلت: لا غرو، وقد تمثَّلت في شخصيته الفذة شخصية الرسول الأعظم، فكان نفس رسول الله ﷺ الذي تحدَّى به نصارى نجران: «وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ»^٢ يريد علياً عليه السلام.

فقد ربَّاه الرسول الأعظم ﷺ منذ طفولته كما يجب فأحسن تربيته، وأدَّبه مكارم أخلاق الأنبياء فأكمل تأديبه، حتى ساواه وكافاه صنوين، فكان أخاً له ووزيره في حياته، ووصيَّه وخليفته بعد وفاته.

قال عليه السلام: «ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمِّه، يرفع لي في كلِّ يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالافتداء به، ولقد كان يجاور في كلِّ سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشمَّ ريح النبوة، ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ﷺ. فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان قد أيس من عبادته. إنَّك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلَّا أنَّك لست بنبيٍّ. ولكنَّك لوزير، وإنَّك لعلی خير»^٣.

ولعلَّك - أيُّها القارئ - تستغرب لو قلت لك: إنَّ قراءة مصحفنا اليوم هي قراءة

علي عليه السلام!

لقد كان عليه السلام حريصاً على محافظة نصِّ القرآن الأصل، ومرَّ حديث تواتر النصِّ الحاضر، يتعاهده المسلمون جيلاً بعد جيل بكلِّ أمانة وإخلاص، معجزة قرآنية باقية، وقد وجد القوم أنَّ النصَّ الحاضر يتوافق كاملاً مع قراءة حفص، ومن ثمَّ أسندوه إليه، نسبة مقلوبة يأتي تفصيلها.

لكن الشيء الذي نريده هنا: أنَّ هذا النصَّ موافق تماماً مع قراءة حفص. وإذا ضمنا

١ - التفسير والمفسرون للذهبي، ج ١، ص ٩٠ عن حلية الأولياء لأبي نعيم الإصبهاني.

٢ - شرح نهج البلاغة، ص ٣٠١ من الخطبة القاصعة.

٣ - آل عمران ٣: ٦١.

ذلك إلى ما يقول أصحاب التراجم وكتب القراءات: «وكانت القراءة التي أخذها حفص بن سليمان، عن عاصم بن أبي النجود، ترتفع إلى عليّ عليه السلام^١ نستنتج: أن قراءة تنا اليوم هي قراءة عليّ بن أبي طالب عليه السلام ثابتة منذ العهد الأول تتعاهد بها الأمة عن الأمة، وباقية مع الخلود.

٢- عبدالله بن مسعود: كان أول صحابي جهر بالقرآن بمكة وأسمعه قريشاً، وأوذى في الله من أجل ذلك. ولما أسلم أخذه رسول الله ﷺ إليه، فكان يخدمه في أكثر شؤونه، وكان يلج عليه الدار بلا حجاب، حتى ظنّ بعضهم أنه من أهل بيت رسول الله ﷺ وهاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين وحضر المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وكان أحفظ الصحابة بعد علي عليه السلام لكتاب الله. وكان رسول الله ﷺ يحب أن يستمع إلى قراءة ته. وكان عليه السلام يقول: من سرّه أن يقرأ القرآن غصّاً طريّاً كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أمّ عبد، يعني ابن مسعود. كان ابن مسعود إلى علي عليه السلام أميل من غيره. وروى الصدوق أنه أحد الإثني عشر الذين أنكروا على أبي بكر تقدّمه على علي عليه السلام^٢. وهو الذي روى عن النبي ﷺ أن الأئمة إثنا عشر. وقد ندم أخيراً توليته من قبل ظالمي حق الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على مارواه السيد بن طاووس في الطرائف^٣. وشواهد كثيرة تدل على ولائه الكامن لعلي عليه السلام^٤. توفي سنة ٣٣ على أثر ضربة ضربه عثمان فكان فيها حتفه (رحمة الله عليه).

٣- أبيّ بن كعب: هو أول من كتب لرسول الله ﷺ عند مقدمه المدينة. وكان إذا لم يكن أبيّ، دعا زيداً ليكتب له. ولُقّب بـ «سيد القراء». وقال رسول الله ﷺ: «وأقرؤهم أبيّ بن كعب».

وتولّى إملاء القرآن - على عهد عثمان - عندما عجز القوم عن القيام بجدا الأمر في حادث توحيد المصاحف.

١ - معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٧٥ و ١١٧. ٢ - الخصال، ج ٢، ص ٤٦١، أبواب الإثني عشر، ح ٤.

٣ - الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس، ج ١، ص ٣٦، برقم ٢٥.

٤ - راجع: التفسير والمفسرون للمؤلف، ج ١، ص ٢١٨ فما بعد.

وكان أبي بن كعب - أيضاً - ممن عرفوا حق الإمام أمير المؤمنين وتقدمه في الأمر. وقد ذكر الرواة موقفه المشرف بعد وفاة رسول الله ﷺ فقام ضمن الإثني عشر الذين قاموا في وجه أبي بكر، على رواية الاحتجاج وغيره. وذكر ابن أبي الحديد وغيره أئمة فيمن تخلف عن بيعة أبي بكر. وكان أبي - في أواخر حياته - قد عزم على أن يجهر بالحق، ويقول في عثمان ما يقول، فتوفاه الله قبل مواعده بيوم ولعلّ يداً أثيمة عملت في هلاكه.^١

توفي (رحمة الله عليه) عام ٣٠ على أصح الأقوال.

٤ - أبو الدرداء عويمر بن زيد الخزرجي: كان من القراء على عهد النبي ﷺ لكنه إنما تصدر للإقراء اختصاصياً بعد وفاته ﷺ عندما تولّى قضاء دمشق في خلافة عثمان، فكان يقرئ جماعات كل جماعة تحتوي على عشرة قراء، يترأس كل جماعة مقرئ عريف. قال أبو الدرداء: أعددت من يقرأ عندي فعددتهم ألفاً وستمائة ونيفاً. وكان لكل عشرة مقرئ منهم. وكان أبو الدرداء يشرف عليهم بنفسه.

وكان يحمل في نفسه ولاءً كبيراً للإمام أمير المؤمنين عجل الله فرجه كما جاء في تذكرة سبط ابن الجوزي عن الترمذي قال: كان أبو الدرداء يقول: ما كنا نعرف المنافقين - معشَرَ الأنصار - إلا يبغضهم علي بن أبي طالب عجل الله فرجه.^٢ توفي ﷺ سنة ٣٢.

٥ - زيد بن ثابت: كان لقنا فصيحاً، تعلّم العبريّة وكان يكتب بها لرسول الله ﷺ وربّما كان يتصدّى للإقراء على عهده ﷺ وتولّى جمع القرآن بأمر أبي بكر. ثمّ ترأس لجنة توحيد المصاحف على عهد عثمان، لكنه تقاعس عنه أخيراً فاستعانوا بأبي بن كعب على ما سبق في الجزء الأوّل.

١ - راجع: قاموس الرجال، ج ١، ص ٣٥٤.

٢ - تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي، ص ٣٥.

غير أن الحديث في جامع الترمذي (ج ٥، ص ٦٣٥) جاء عن لسان الصحابي أبي سعيد الخدري برواية أبي هارون: قال: «أنا كنا نعرف المنافقين - نحن معاشر الأنصار - يبغضهم علي بن أبي طالب».

وأخرجه الحاكم في المستدرك (ج ٣، ص ١٢٩) عن أبي ذر، قال: «ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله، والتخلف عن الصلوات، والبغض لعلي بن أبي طالب». قال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.

وقف زيد يوم السقيفة موقف المدافع الحادّ عن قريش ومن ثمّ كان موضع ثقة لأبي بكر. وكان عمر يُقدّمه في القضاء والإفتاء. وولاه عثمان بيت المال. وكان يحبه حبّاً شديداً.

وصفه المؤرخون بأنّه كان عثمانيّاً، ومن ثمّ لم يشهد شيئاً من مواقف أمير المؤمنين عليه السلام.

مات أيام معاوية سنة ٥٤ أو ٥٥. وصلى عليه مروان بن الحكم. هؤلاء هم أهل هذه الطبقة الأولى، من قرّاء تصدّوا لإقراء الناس على حياة الرسول ﷺ ودارت عليهم أسانيد القراءات فيما بعد. أمّا غيرهم ممّن جمع القرآن على عهده ﷺ أو بعد وفاته، كأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبي حذيفة وأضرابهم، فليس لهم كبير شأن في أمر القراءات. قال الذهبي: إذ لم يتصل بنا قراءاتهم، ولا انتهى بهم أسانيد قراءات القرّاء فيما بعد.

ومن ثمّ نظوي الكلام عنهم، بعد أن كانت غايتنا الاختصار والاقتصار على الأئمة الكبار المعروفين في هذا الشأن. وإليكم سائر الطبقات:

الطبقة الثانية

وهم الذين أدركوا حياة النبي ﷺ غير أنّهم أخذوا القرآن من صحابته الأولين. منهم:

١ - عبدالله بن عباس: حبر الأئمة وأعرف الناس بكتاب الله. وقد دعا له النبي ﷺ: «اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل» وفي رواية أخرى: «اللهم علّمه الكتاب والحكمة». وكان خصيصاً لأmir المؤمنين عليه السلام يتروّى من منهل علمه النمير عامّة أيامه وكانت عامّة معرفته بالقرآن مأخوذة عن عليّ عليه السلام كما صرح هو بذلك وكان علامة بالأدب وأشعار العرب، حفظاً سريعاً، كان يحفظ خطب عليّ عليه السلام في سماعه الأوّل. وله مواقف مشرّفة مع خصوم أمير المؤمنين، سجّلها التاريخ في صدر القضايا الإسلامية الأولى. توفي ﷺ سنة ٦٨.

٢ - أبو الأسود ظالم بن عمرو الدؤلي: صاحب أمير المؤمنين عليه السلام وخاصته وأول من وضع النحو، أخذ أصوله من سيده ومولاه علي عليه السلام وأول من نقط المصحف أيام الحجاج بن يوسف في قصة سلفت. قال الجاحظ: كان أبو الأسود معدوداً في جميع طبقات الناس، مقدماً في كل منها. كان يعدّ من التابعين وفي الشعراء والفقهاء والمحدثين والأشراف والفرسان والأمراء والنحاة والحاضري الجواب والشيعة... الخ. توفي سنة ٦٩ وهو ابن خمس وثمانين سنة.

قال ابن حجر: وعلى هذا التقدير يكون قد أدرك من الأيام النبوية أكثر من عشرين سنة.

٣ - علقمة بن قيس النخعي الكوفي: كان خصيصاً لابن مسعود، ومن ثقات أمير المؤمنين عليه السلام شهد وقعة صفين وأصيب إحدى رجله بها. وكان أعلم الناس بقراءة ابن مسعود، وأخص أصحابه. قال ابن مسعود بشأنه: ما أعلم شيئاً إلا وعلقمة يعلمه. وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن.

يحدثنا إبراهيم النخعي عن علقمة قال: كنت رجلاً قد أعطاني الله حسن الصوت بالقرآن، فیرسل إليّ ابن مسعود قارئاً عليه، فإذا فرغت قال: زدنا فداك أبي وأمي، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: حسن الصوت زينة القرآن. وكان يقرأ القرآن في ليلة.

قال أبو اسحاق عن مرة الهمداني: كان علقمة من الربانيين. وكان كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يسألون علقمة ويستفتونه. وقال الفضل بن شاذان: من التابعين الكبار ورؤسائهم وزهادهم علقمة. توفي رحمه الله سنة ٦٢.

٤ - عبدالله بن السائب المخزومي: له ولأبيه صحبة. كان قارئ مكة. وأخذ عنه أهل مكة القراءة. قرأ عليه مجاهد وغيره. قال ابن حجر: هو عبدالله بن السائب قائد ابن عباس. وعن أبي مليكة قال: رأيت ابن عباس لمّا فرغوا من دفن عبدالله بن السائب قام على قبره فدعا له وانصرف. وهذا يدلّ على حسن حاله عند أهل البيت عليهم السلام.

قال الذهبي: توفي حدود سنة ٧٠ في إمرة ابن الزبير! قال ابن حجر: حديث أبي

مليكة يدلّ على أنّه توفي قبل ابن الزبير بمدة لأنّ ابن عباس توفي قبل ابن الزبير بخمس سنين.

٥ - الأسود بن يزيد النخعي الكوفي: من كبار أصحاب ابن مسعود. وكان أسنّ من علقمة بسنوات. كان يختم القرآن في كلّ ست. وفي رمضان في كلّ ليلتين، وكان علقمة يختم في خمس. كان يصوم حتى يخضّر جسده، وقد حجّ ثمانين حجة وعمرة، ومن ثمّ عدّ من الزّهاد الثمانية عدّه الشيخ أبو جعفر الطوسي في رجاله من أصحاب عليّ عليه السلام. مات سنة ٧٥.

٦ - أبو عبدالرحمان، عبدالله بن حبيب السلمي: مقرئ الكوفة، ولد في حياة الرسول ﷺ وأخذ القراءة عن ابن مسعود، وعرض القرآن على عليّ عليه السلام فيما ذكره الذهبي.

أخذ عنه عاصم بن أبي النجود ويحيى بن وثاب وعطاء بن السائب والشعبي وخلق كثير.

كان يقرئ الناس في مسجد الكوفة أربعين سنة، أقرأ في خلافة عثمان إلى أن توفي سنة ٧٤ في إمرة بشر على العراق، وقيل: في أوائل ولاية الحجاج.

٧ - عبدالله بن عيّاش بن أبي ربيعة المخزومي: ولد بالحبشة في الهجرة الأولى. قرأ على أبيّ بن كعب وأبيه عيّاش. وقرأ عليه مولاه أبو جعفر يزيد بن القعقاع، ويزيد بن رومان، وشيبة، ومسلم بن جندب وغيرهم. مات سنة ٦٤.

٨ - مسروق بن الأجدع الهمداني: قدم من اليمن بعد وفاة النبي ﷺ كوفي تابعي من أصحاب ابن مسعود. من الذين يقرأون ويفتون، وكان أعلم بالفتوى من شريح القاضي. وهو ابن أخت عمرو بن معدي كرب.

شهد مع عليّ حرب الخوارج، مات سنة ٦٢.

٩ - زرّ بن حبیش الأسدي: يكنّى أبا مريم، وقيل: أبا مطرف. أدرك الجاهليّة ولم ير

النبي ﷺ.

وهو من كبار التابعين، ومن ثقات أمير المؤمنين عليه السلام كان فاضلاً عالماً بالقرآن. أخذ عن علي عليه السلام وابن مسعود. وأخذ عنه الشعبي وإبراهيم النخعي وعاصم. وكان من أعرب الناس، وكان ابن مسعود يراجع في العربية. توفي رحمه الله سنة ٨٣ عن عمر بلغ ١٢٧ سنة.

١٠- أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي: أسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسنتين. وأصبح من كبار التابعين وإماماً في القرآن والتفسير والعلم. أخذ عن علي عليه السلام وابن مسعود وأبي بن كعب وابن عباس وطائفة. كان يأتي ابن عباس وهو أمير على البصرة فيجلسه على سريرته ويحترمه. توفي سنة ٩٣.

١١- عبيد بن فضيلة الخزاعي الكوفي المقرئ: قرأ القرآن على ابن مسعود وعلقمة. وقرأ عليه إبراهيم النخعي وحرمان بن أعين ويحيى بن وثاب. كان مقرئ أهل الكوفة في زمانه. قال عاصم: كان والله قارئاً للقرآن. ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من أهل الكوفة. توفي سنة ٧٤.

١٢- عمرو بن شرحبيل الهمداني: أبو ميسرة الكوفي، أحد الستة الخصيصين من أصحاب ابن مسعود الذين يقرأون القرآن ويصدر الناس عن رأيهم. وكان من العبّاد، وكانت ركبته كركبة البعير من كثرة الصلاة وكان رأساً في القراءة. مات سنة ٦٣.

الطبقة الثالثة

وهم الذين لم يدركوا حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخذوا القرآن عن الصحابة الأولين أو عن التابعين من الطبقة المتقدمة عليهم، وهم - أيضاً - تابعيون لكن في درجة ثانية وإليك من معارفهم:

١- سعيد بن جبيرة: الإمام العابد أبو عبدالله الأسدي الوالبي الكوفي. نزل مكة. قرأ على ابن عباس وكان خصيصاً به. كان من سادات التابعين ومن أفضلهم علماً وصدقاً وعبادة. كان يقال له: جهيد العلماء وكان يقرأ القرآن كله في ركعتين. قيل: وما على وجه الأرض أحد إلا وهو يحتاج إلى علمه.

كان أحد الخمسة المختصين بالإمام زين العابدين علي بن الحسين السجّاد عليه السلام. وعن الإمام الصادق عليه السلام: أن سعيد بن جبير كان يأتّم بعلي بن الحسين، وكان الإمام يثني عليه، وما كان قتل الحجاج له إلا على هذا الأمر.

ولمّا أدخل على الحجاج، قال له: أنت شقيّ بن كسير. قال: أمّي كانت أعرف بي، سمّنتي سعيد بن جبير. فقال له الحجاج: ما تقول في أبي بكر وعمر، هما في الجنة أم في النار؟ قال: لو دخلتهما لعلمت من فيهما. قال: ما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل. قال: أيّهم أحب إليك؟ قال: أرضاهم لخالفه. قال: فأيّهم أرضى للخالف؟ قال: علم ذلك عند الذي يعلم سرّهم ونجواهم. فقال الحجاج: أبيت أن تصدقني، قال بل لم أحب أن أكذبك.

وقد وصفه المؤرّخون بالاستقامة - أي على مذهب أهل البيت عليهم السلام. قتله الحجاج صبراً في سنة ٩٥. وكان آخر قتيل قتله الحجاج، ولم يعيش بعده سوى أربعين يوماً وقيل ستة أشهر، واختلط على إثر هذه القتلّة الشنيعة، وكان يقول: مالي ولسعيد بن جبير. حتى هلك في شرّ موتة ولحق مواليه في بئس القرار.

٢ - نصر بن عاصم الليثي البصريّ: كان شيخ الإقراء في البصرة. أخذ عنه القراءة أكثر القراء من الطبقة الرابعة، وستأتي أسماؤهم. تتلمذ على أبي الأسود الدؤلي صاحب أمير المؤمنين عليه السلام وكان خصيصاً به. وهو - وصاحبه يحيى بن يعمر - أوّل من نقط المصحف وخمّسه وعشره، توفي سنة ١٠٠.

٣ - مجاهد بن جبر المكيّ: أبو الحجاج المخزومي المقرئ. قال مجاهد: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث مرّات، أقف عند كلّ آية أسأله فيم نزلت وكيف كانت. وكان دوره في التفسير أكثر منه في القراءة، ومع ذلك فقد قرأ عليه خلق كثير منهم: عبدالله بن كثير. كما جاء في نصّ ابن حجر. توفي حدود سنة ١٠٢.

٤ - يحيى بن وثاب الأسدي: مقرئ أهل الكوفة المقدّم. أحد الأعلام - على حدّ تعبير الذهبي - قال الأعمش: كان يحيى أقرأ العرب وأحسنهم قراءة. قال: وربّما اشتهيت

تقبيل رأسه، وكان إذا قرأ لم يحسّ في المسجد حركة كأن ليس في المسجد أحد.
أخذ القرآن عن علقمة بن قيس والأسود بن يزيد ومسروق بن الأجدع. وكان غاية
في الزهد والعبادة.

قال أبو محمد بن حيّان الإصبهاني: كان وثّاب من أهل قاسان وقع إلى ابن عباس
وأقام معه فاستأذنه في الرجوع إلى قاسان فأذن له، فرحل مع ابنه يحيى، فلمّا بلغ الكوفة
قال له ابنه يحيى: إنّي مؤثر حظّ العلم على حظّ المال، فأعطني الإذن في المقام فأذن له،
فأقام في الكوفة فصار إماماً. وقدّمه أهل الكوفة للإمامة في المسجد حتى أيام الحجاج بن
يوسف حينما أمر أن لا يؤمّ بالكوفة غير عربيّ، فاعتزل يحيى عن الإمامة بالمسجد. فسأل
عنه الحجاج، فقال: من هذا؟ قالوا: يحيى بن وثّاب.

قال: ماله؟ قالوا: أمرت أن لا يؤمّ إلّا عربيّ! فقال: ليس عن مثل هذا نهيت. فصلّى بهم
يوماً ثمّ قال: اطلبوا إماماً غيري، إنّما أردت أن لا تستذلّوني، فإذا صار الأمر إليّ فإني
لا أوّمّكم. توفي سنة ١٠٣.

٥ - مسلم بن جندب: القارئ المدني، قرأ على ابن عيّاش. وقرأ عليه نافع. وتأدّب
على يديه عمر بن عبدالعزيز. وكان من فصحاء أهل زمانه، وما عرفت له جرحه. توفي
حدود ١١٠.

٦ - طلحة بن مصرف: قارئ كوفيّ، أخذ عن سعيد بن جبير. وكان يسمّى سيّد القراء،
مات سنة ١١٢.

٧ - عبدالرحمان بن هرمز المدني الأعرج: كان وافر العلم بارزاً في القرآن والسنة.
وهو أوّل من أشاع العربية في المدينة، أخذها عن أبي الأسود الدؤلي. وأخذ القراءة عن
ابن عيّاش، وأخذ عنه نافع المدني. خرج إلى الاسكندرية فأدركه الأجل سنة ١١٧.

٨ - عبدالله بن عامر اليحصبي: إمام أهل الشام في القراءة. هو أحد السبعة وأقربهم
عهداً إلى التابعين الأوّلين، قال: قبض رسول الله ﷺ ولي سنتان وانتقلت إلى دمشق ولي
تسع سنين. قال: وقرأت على معاوية بن أبي سفيان. قال يحيى بن الحارث: ولد ابن عامر

سنة ٢١ من الهجرة. كان يزعم أنه من حمير، وكان يغمز في نسبه. وكان قاضي الجند فكان رئيس المسجد لا يرى فيه بدعة سواها. واستأذن أيام عمر بن عبدالعزيز فلم يأذن له، ثم كان رأس المسجد أيام الوليد بن عبد الملك.

كان يؤم الناس بالمسجد فلما استخلف سليمان بن عبد الملك بعث إلى مهاجر وقال: إذا كان أول ليلة من رمضان قف خلف ابن عامر، فإذا تقدّم فخذ بثيابه واجذبه، وقل: تأخر، فلن يتقدّم منّا دعي، وصل أنت يا مهاجر، ففعل. ولا يدري على من قرأ ابن عامر؟ وكل من ذكر له شيخاً فإنما يرويه عنه هو، فقيل: أثبت الأقوال أنه قرأ على المغيرة بن أبي شهاب. لكن من هذا المغيرة؟ قال الذهبي: ولا يكاد يعرف إلا من قراءة ابن عامر عليه. قلت: إن صحّت قراءة ته عليه! مات سنة ١١٨.

٩ - يحيى بن يعمر أبو سليمان البصري: قال ابن سعد: كان نحوياً صاحب علم بالعربية والقرآن. وُلّي قضاء مرو، وكان يقضي باليمن. وكان من فصحاء أهل زمانه وأكثرهم علماً باللغة مع الورع الشديد. هكذا وصفه المؤرخون. تتلمذ هو وصاحبه نصر بن عاصم على أبي الأسود الدؤلي، وكان وجهاً في الشيعة، نفاه الحجاج إلى مرو. فولاه قتيبة بن مسلم قضاءها. مات في حدود ١٢٠.

١٠ - عبدالله بن كثير بن المطّلب: إمام المكيين في القراءة، هو أحد السبعة من أصل فارسي وكان عطّاراً بمكة. قال الذهبي: هو من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى إلى صنعاء فطردوا عنها الحبشة، قرأ على ابن السائب ومجاهد ودرباس مولى ابن عباس. قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء وطائفة. كان فصيحاً بليغاً مفوهاً أبيض اللحية طويلاً جسيماً، أحمر أشهل العينين، يخضب بالحناء، عليه سكينة ووقار. توفي سنة ١٢٠.

١١ - محمد بن عبد الرحمن السهمي ابن محيصن: هو أحد الثلاثة قراء مكة: ابن كثير وابن محيصن وحميد الأعرج. وهو من الأربعة الذين قرأوا بالشواذ المقبولة في مصطلحهم، قال ابن مجاهد: كان لابن محيصن اختيار في القراءة على مذهب العربية فخرج به عن إجماع أهل بلده فرغب الناس عن قراءته وأجمعوا على قراءة ابن كثير

لاتباعه. مات سنة ١٢٣.

١٢ - عاصم بن أبي النجود (بهذلة) الأسدي الكوفي: القارئ الإمام أحد السبعة. قرأ على أبي عبدالرحمان السلمي وزر بن حبيش. وقرأ عليه خلق كثير، وإليه انتهت الإمامة في القراءة بالكوفة بعد شيخه السلمي. وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن. وكان نحوياً فصيحاً إذا تكلم مشهور الكلام، وكان ذا نسك وأدب وعبادة وكان عاصم متشيعاً شديداً الولاء لآل بيت الرسول ﷺ معروفاً بذلك.

ذكر الشيخ عبدالجليل الرازي في كتابه «نقض الفضائح» أن عاصماً كان إمام الشيعة في القراءة على غرار سائر القراء الكوفيين. قال: وأكثر القراء من الحرمين والعراقين هم شيعة آل البيت، مشهورون بالولاء الخاص لهذا البيت الرفيع.

وقد ذكر عاصم أنه لم يخالف أباعبدالرحمان في شيء من قراءته، فإن أبا عبدالرحمان لم يخالف علياً عليه السلام في شيء من قراءته. ثم إن عاصماً أقرأ تلميذه الموالي لآل البيت عليه السلام حفصاً هذه القراءة التي أخذها عن السلمي عن علي عليه السلام.

قال حفص: قال لي عاصم: ما كان من القراءة التي أقرأتك بها فهي القراءة التي قرأتها على أبي عبدالرحمان السلمي، عن علي عليه السلام.

قال الذهبي: وأعلى ما يقع لنا القرآن العظيم من جهته (أي من جهة عاصم) فإنني قرأت القرآن كله على أبي القاسم سحنون المالكي، عن أبي القاسم الصفراوي، عن أبي القاسم بن عطية، عن ابن الفحام، عن ابن نعلس، عن السامري، عن الأثنائي، عن عبيد بن الصباح، عن حفص، عن عاصم، عن أبي عبدالرحمان السلمي، عن علي عليه السلام وزر عن ابن مسعود، كلاهما عن النبي ﷺ عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل^١.

قلت: وجميع المصاحف اليوم (في شرقي البلاد الإسلامية) هي على قراءة حفص عن عاصم عن السلمي عن علي عليه السلام. وسيوافيك شرح ذلك. توفي ﷺ سنة ١٢٧.

١٣ - شيبه بن نصاح بن سرجس المدني: المقرئ الإمام، مولى أم سلمة (رضي الله عنها) وأحد شيوخ نافع وقاضي المدينة ومقرئها مع أبي جعفر. كان بعيد الصيت في القراءة وكان نافع أكثر اتباعاً له منه لأبي جعفر. توفي سنة ١٣٠.

١٤ - حميد بن قيس الأعرج المكي: هو أحد الثلاثة قراء مكة. ولم يكن أحد أقرأ منه ومن ابن كثير. مات سنة ١٣٠.

١٥ - يزيد بن القعقاع: أبو جعفر القارئ، أحد العشرة مدني مشهور، رفيع الذكر، قرأ على مولاه عبدالله بن عياش. وكان أقرأ الناس، وتصدى للإقراء دهرًا طويلاً. مات حدود سنة ١٣٠.

١٦ - يزيد بن رومان المدني: كان فقيهاً قارئاً محدثاً. هو أحد شيوخ نافع في القراءة، توفي سنة ١٣٠.

١٧ - حران بن أعين الشيباني: تابعي كوفي، مقرئ كبير، كما قال الذهبي. وقال أبو عمرو الداني: أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن عبيد بن فضيل وأبي حرب بن أبي الأسود الدؤلي ويحيى بن وثاب. وعرض عليه حمزة بن حبيب الزيات، أحد السبعة.

كان من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليه السلام خَصِيصاً بهما، وعدّه الكشي من حواريهما. وشهد الصادق عليه السلام أنه من أهل الجنة حقاً. وكان من أعلم أهل زمانه وأعبدتهم وأزهدهم. توفي عليه السلام حدود سنة ١٣٠.

الطبقة الرابعة

١ - أبان بن تغلب بن رباح: أبو سعيد البكري الجريري. قال الشيخ أبو جعفر الطوسي: ثقة جليل القدر، عظيم المنزلة في أصحابنا الإمامية، لقي ثلاثة من الأئمة وكان خَصِيصاً بهم: الإمام زين العابدين، والإمام الباقر، والإمام الصادق عليه السلام وكانت له عندهم حظوة وقدم. وقال له الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: اجلس في المسجد وأفت للناس، فإنني أحب أن أرى في شيعتي مثلك.

وكان قارئاً مجيداً ورأساً في القراء، فقيها لغوياً بارعاً. سمع من العرب وحكى عنهم، وصنّف كتاب «الغريب في القرآن» وذكر شواهد من شعر العرب الأصيل.

ولأبان قراءة مفردة مشهورة عند القراء. قال الشيخ: أخبرنا بها أحمد بن محمد بن سعيد، قال: أخبرنا محمد بن يوسف الرازي المقرئ بالقادسية سنة ٢٨١، قال: حدّثني أبو نعيم الأزدي ساكن سواد البصرة سنة ٢٥٥ بالري، قال: حدّثنا محمد بن موسى بن أبي مريم، قال: سمعت أبان بن تغلب: وما أحد أقرأ منه، يقرأ القرآن من أوّله وآخره - وذكر القراءة - وسمعته يقول: إنّما الهمزة رياضة.

وكان إذا دخل على أبي عبدالله احتفل به وأمر له بوسادة. وكان إذا دخل المدينة تقوّضت له الحلق وأُخليت له سارية النبي ﷺ في المسجد. مات أبان سنة ١٤١ في حياة أبي عبدالله ﷺ ولمّا أتاه نعيه قال: أما والله لقد أوجع قلبي موت أبان (رحمة الله عليه).

٢ - سليمان بن مهران الأعمش: الإمام المعلّم أبو محمد الأسدي الكوفي. أصله من أعمال الري. قرأ على ابن وثّاب وزرّ بن حبيش، وعرض على أبي العالية ومجاهد وابن بهدلة. وكان أقرأ الناس في زمانه. قرأ عليه حمزة بن حبيب الزيات وغيره.

قال ابن عيينة: كان الأعمش أقرأهم لكتاب الله وأحفظهم للحديث وأعلمهم بالفرائض. قال ابن القطّان: كان الأعمش علامة الإسلام. كان الأعمش يقرئ الناس، رأساً فيه، وكان فصيحاً، وكان لا يلحن ولا حرفاً واحداً. وكان شعبة يفضّل الأعمش على عاصم في القراءة.

قال ابن يونس: لم نر مثل الأعمش، ولم نر الأغنياء والملوك أحقر عند أحد منهم عند الأعمش مع فقره وحاجته، فقد كان من النساك، ومات يوم مات ولم يخلف أحداً أعبد منه.

وكان صلباً في إيمانه وثباته على المذهب الحقّ. موالياً حرّاً للإمام أمير المؤمنين عليه السلام. قال شريك القاضي: حضرت الأعمش في علّته التي قبض فيها، إذ دخل عليه ابن شبرمة

وابن أبي ليلى وأبو حنيفة، يعودونه. فسأله عن حاله فذكر ضعفاً شديداً وذكر ما يتخوف من خطيئاته وأدركته رقّة فبكى. فأقبل أبو حنيفة، فقال: يا أبا محمد اتق الله وانظر لنفسك، فإنّك في آخر يوم من الدنيا وأوّل يوم من الآخرة، وقد كنت تحدّثت في عليّ بن أبي طالب بأحاديث لو رجعت عنها كان خيراً لك! قال الأعمش: مثل ماذا؟ يا نعمان! قال: حديث عباية «أنا قسيم النار». قال الأعمش: أو لمثلي تقول يا لكّع؟ أقعدوني أسندوني. فقال: حدّثني - والذي مصيري إليه - موسى بن طريف، ولم أر أسدياً خيراً منه، قال: سمعت عباية بن ربعي امام الحيّ، قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: أنا قسيم النار، أقول: هذا وليّ دعيه، وهذا عدوّي خذيّه.

وحدّثني أبو المتوكّل الناجي عن أبي سعيد الخدري، قال: قال النبي ﷺ: إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وعليّ على الصراط، ويقال لنا: أدخلوا الجنة من آمن بي وأحبّكما وأدخلا النار من كفر بي وأبغضكما. قال أبو سعيد: قال النبي ﷺ: ما آمن بالله من لم يؤمن بي، ولم يؤمن بي من لم يتولّ عليّاً، وتلا: «أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ»^١.

فجعل أبو حنيفة إزاره على رأسه، وقال: قوموا بنا، لا يجيئنا أبو محمد بأطم من هذا.^٢ فما أمسى الأعمش حتى مات عليه وأفاض عليه شأبيب رحمته الواسعة. وكانت وفاته سنة ١٤٨.

٣ - أبو عمرو بن العلاء المازني: اسمه زبّان. مقرئ البصرة وأحد السبعة. إليه انتهت

١ - ق ٥٠: ٢٤.

٢ - هذا أبو حنيفة يستغرب حديثاً روته الثقات الأعلام ويراها من الطامّات! فإياه من ضعف ووهن في رأي! ولكن هناك الإمام الأكبر أحمد بن حنبل - الخبير بمواقع السنّة الشريفة - يرى من هذا الحديث صحّة وإتقاناً ومتوافقاً مع متواتر النصوص.

قال محمد بن منصور: كنّا عند أحمد بن حنبل، فقال له رجل: يا أبا عبد الله، ما تقول في هذا الحديث الذي يروى: أنّ عليّاً عليه السلام قال: «أنا قسيم النار»؟ فقال أحمد: وما تنكرون من ذا؟ أليس رويناه أنّ النبي ﷺ قال: لعليّ: «لا يُحبّك إلّا مؤمن ولا يُبغضك إلّا منافق»؟ قلنا: بلى. قال: فأين المؤمن؟ قلنا: في الجنة. قال: وأين المنافق؟ قلنا: في النار. قال أحمد: فعليّ قسيم النار.

راجع: طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى، ج ١، ص ٣٢٠؛ والإمام الصادق والمذاهب الأربعة لأسد حيدر، ج ٤، ص ٥٠٣.

إمامة البصرة. قرأ على جماعات وتعرّف إلى قراءاتهم، فكان يقرأ من كلّ قراءة ما يراها أحسنها وأوفق بالعربية. وكان يقول: لولا أن ليس لي إلّا أن أقرأ إلّا بما قرئ لقرأت كذا وكذا وذكر حروفاً. وكان من الشيعة الأعلام ومن أشرف العرب ووجوههم. روى عن الإمام الصادق عليه السلام وله صحبة معه. توفي سنة ١٥٤.

٤ - يحيى بن الحارث الذماري، إمام جامع دمشق ومقرئ البلد، خلف ابن عامر بدمشق وانتصب للإقراء. وتوفي سنة ١٤٥.

٥ - نافع بن عبدالرحمان أبونعيم. وقيل: أبورويم الليثي، من السبعة. كان مقرئ أهل المدينة، وكان أصله من إصبهان. قرأ على جماعة ربّما بلغوا سبعين تابعياً، وكان يختار من قراءاتهم ما اختص به، وأصبح إمام الناس في القراءة لا ينازع. توفي سنة ١٦٩.

٦ - حمزة بن حبيب الزيات: الإمام، أحد السبعة. قال الذهبي: كان إماماً حجة قيماً بكتاب الله، حافظاً للحديث بصيراً بالفرائض والعربية، عابداً خاشعاً قانتاً لله، ثخين الورع عديم النظير. قرأ على الأعمش وحرمان بن أعين وابن أبي ليلى وتصدّر للإقراء. قرأ عليه الكسائي وجماعة.

كان الأعمش إذا رأى حمزة مقبلاً، قال: هذا حبر القرآن، وقال ابن مندل: إذا ذكر القراء فحسبك بحمزة في القراءة والفرائض. وقال أبو حنيفة لحمزة: شيئان غلبتنا عليهما لسنا ننازعك فيهما: القرآن والفرائض. وقال عبدالله بن موسى: ما رأيت أحداً أقرأ من حمزة. وكان حمزة يقول: ما قرأت حرفاً إلّا بأثر. وشهد بذلك ابن مجاهد أيضاً. وهكذا شهد بحقه سفيان الثوري، قال: هذا - مشيراً إلى حمزة - ما قرأ حرفاً من كتاب الله عز وجل إلّا بأثر.

وعده أبو جعفر الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وعده أرباب السير من وجوه الإمامية المعروفين بالولاء لآل البيت عليهم السلام. توفي سنة ١٥٦.

٧ - عيسى بن عمر الهمداني: قرأ على عاصم والأعمش. وقرأ عليه الكسائي وجماعة. كان يقرئ أهل الكوفة إذ لم يكن حمزة. مات سنة ١٥٦.

٨ - أبو الحارث عيسى بن وردان المدني الحذاء. إمام مقرئ حاذق، وراوٍ ضابط، عرض القراءة على أبي جعفر وشيبة بن نصاح، وكان من أجلّة أصحاب نافع. مات حدود سنة ١٦٠.

٩ - سليمان بن مسلم بن جمار: أبو الربيع الزهري المدني، مقرئ، مجيد ضابط، عرض القراءة على أبي جعفر يزيد بن القعقاع وشيبة بن نصاح، توفي سنة ١٧٠.

١٠ - علي بن حمزة بن عبدالله بن بهمن بن فيروز الكسائي: أبو الحسن الإمام المقرئ النحوي الكوفي أحد الأعلام ومن السبعة. قرأ على جماعات وقرأ عليه طوائف. كان إماماً أليماً يختار لنفسه قراءة من بين القراءات، يأخذ ببعضها ويترك بعضها. قال ابن مجاهد: كان الكسائي من أهل القراءة وكانت علمه وصنعتة، قال: ولم نجالس أحداً أضبط منه وأقوى قراءة من الكسائي. قال خلف: كنت أحضر بين يدي الكسائي وهو يقرأ على الناس، وهم ينقّطون مصاحفهم بقراءته.

كان الكسائي وجهاً من وجوه الشيعة الإمامية، وله أخبار طوال ومواقف كثيرة هي غرر الموسوعات الأدبية والتاريخية. توفي سنة ١٨٧.

١١ - سلام بن سليمان أبو منذر المزني البصري، ثم الكوفي المقرئ النحوي المعروف بالخراساني. شيخ يعقوب الحضرمي. قرأ على عاصم ولم يكن في وقته أعلم منه، وكان قصيحاً نحويّاً، يؤمّ بجامع البصرة. مات سنة ١٧١.

١٢ - أبو بكر شعبة بن عياش الأسدي الكوفي: الإمام، أحد راويي عاصم. ويتّهم بعدم الضبط. على خلاف زميله حفص الضابط. وكان متزلفاً إلى الأمراء، يشهد لذلك حديثه بمحضر الرشيد: كان بنو أمية أنفع للناس، وأنتم أقوم بالصلاة.

رماه الأئمة بالاضطراب في الحديث. قال أبو نعيم: لم يكن في شيوخنا أكثر غلطاً منه. مات سنة ١٩٣.

١٣ - سليم بن عيسى أبو عيسى الكوفي: صاحب حمزة وأخصّ تلامذته به، وأحذقهم بالقراءة وأقومهم بالحرف. خلف حمزة بالإقراء بالكوفة، حتى أن رفقاءه في

القراءة على حمزة، قرأوا عليه أيضاً، لإتقانه. قال الكسابي: كنت أقرأ على حمزة فجاء سليم فتلكأت. وكان يقول: قرأت القرآن على حمزة عشر مرّات. مات سنة ١٨٨.

١٤ - حفص بن سليمان الأسدي، الغاضري الكوفي: المقرئ الإمام صاحب عاصم وريبه. وكان أعلم بقراءة عاصم. وكان الأئمة يعدّونه فوق صاحبه شعبة أبي بكر بن عيَّاش. كما أخذ التشييع عن شيخه عاصم، وعدّه الشيخ أبو جعفر الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام. ومن ثمّ فإنّ القراءة التي أقرأها عاصم لحفص هي التي أخذها عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي عليه السلام.

ولحفص منزلة رفيعة عند القراء مع الأبدية، حيث التزموا بقراءته في المصحف المتعارف بين المسلمين، وعليها كان مدار القراءة العامة، وسنبحث عن هذه الناحية ومرّت الإشارة إلى ذلك في ترجمة عاصم.

عاش حفص تسعين سنة سعيداً، وتوفي سنة ١٨٠.

١٥ - إسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين: أبو إسحاق المخزومي المكي، القارئ المعروف بالقسط. قارئ أهل مكة في زمانه، وآخر أصحاب ابن كثير وفاة. وهو شيخ محمد بن إدريس الشافعي في القراءة. مات سنة ١٧٠.

١٦ - إسماعيل بن جعفر الأنصاري المدني: أخذ القراءة عن شيبه وعرضها على نافع، وبرع في القراءة ونزل بغداد ونشر بها علمه، وأقرأ بها، وأخذ عنه أبو الحسن الكسائي وأبو عبيد القاسم بن سلام وأبو عمرو والدوري وجماعة. توفي ببغداد سنة ١٨٠.

الطبقة الخامسة

١ - أبو محمد إسحاق بن محمد المسيبي المخزومي، المدني المقرئ: قرأ على نافع بن أبي نعيم، وكان من جلة أصحابه المحققين. وأخذ عنه خلف بن هشام البرّاز وطائفة. وحدّث عنه ابن ذكوان وأحمد بن حنبل. توفي سنة ٢٠٠.

٢ - أيوب بن المتوكل البصري الصيدلاني المقرئ: عرض القراءة على سلام القارئ

وأبي الحسن الكسائي، وجماعة. واختار لنفسه مقراً وكان إماماً ضابطاً متنبّعاً للأثر وكان أقرأ زمانه. مات سنة ٢٠٠.

٣ - يحيى بن المبارك اليزيدي: الإمام أبو محمد البصري النحوي المقرئ: وعرف باليزيدي لا تصاله بيزيد بن منصور خال المهدي يؤدّب ولده. جوّد القرآن على أبي عمرو، وقرأ عليه الدوري والسوسي، وكان له اختيار - كما ذكره الذهبي - وكان علامة فصيحاً مفوّهاً بارعاً في اللغات والآداب. أخذ عن خليل بن أحمد الفراهيدي حتى قيل: أنّه أملى عشرة آلاف ورقة، وله عدّة تصانيف. توفي سنة ٢٠٢.

٤ - عثمان بن سعيد أبو سعيد المصري المقرئ: الملقب بـ «ورش» أصله من أفريقية، قرأ القرآن وجوّده على نافع عدّة ختمات في حدود سنة خمس وخمسين ومائة. ونافع هو الذي لقّبه بورش لشدة بياضه. والورش شيء يصنع من اللبن. وقيل: لقّبه بالورشان، وهو طائر معروف، وكان يقول: اقرأ يا ورشان. وهات يا ورشان، ثمّ خفّف فقيل ورش. وكان ورش يعتزّ بهذه التسمية، ويقول: أستاذي نافع سمّاني بذلك.

وإليه انتهت رئاسة الإقراء بالديار المصريّة في زمانه. قال الذهبي: إنّ ورشاً لمّا تعمّق في النحو وأحكمه، اتخذ لنفسه مقراً يسمّى مقراً ورش. مات سنة ١٩٧.

٥ - قالون أبو موسى عيسى بن مينا: قارئ أهل المدينة في زمانه. قيل: كان ربيب نافع. وهو الذي لقّبه بقالون لجودة قراءته. وهي لفظة روميّة معناها: «جيد» ولم يزل يقرأ على نافع حتى مهر وحذق.

وطال عمره وطار صيته. قرأ عليه جماعات. توفي سنة ٢٢٠.

٦ - يعقوب بن إسحاق الحضرمي: قارئ أهل البصرة في عصره. برع في القرآن وطار صيته. قال أبو حاتم: هو أعلم من رأيت بالحروف والاختلاف في القرآن وعلله ومذاهبه. وكان إمام جامع البصرة لا يقرأ إلا بقراءة يعقوب. وكان لا يلحن في كلامه قط. وكان أبو حاتم السجستاني من بعض تلامذته. وقال أبو القاسم الهذلي: لم ير في زمن يعقوب مثله. وكان عالماً بالعربيّة ووجوهاً فاضلاً نقيّاً تقياً. توفي سنة ٢٠٥.

٧ - أبو يوسف الأعشى، يعقوب بن محمد الكوفي: قرأ على ابن عيَّاش وتصدَّر للإقراء بالكوفة، فقرأ عليه الصيرفي والشموني وغيرهما. قال النقَّاش: كان الأعشى صاحب قرآن وفرائض، ولست أفضل عليه أحداً في القراءة على أبي بكر. مات حدود سنة ٢٠٠.

٨ - شجاع بن أبي نصر البلخي: المقرئ الزاهد. قرأ القرآن على أبي عمرو وجوَّده. أخذ عنه القاسم بن سلام ومحمد بن غالب. وسئل أحمد بن حنبل عنه، فقال: بخ، وأين مثله اليوم؟ توفي ببغداد سنة ١٩٠.

٩ - الحسين بن علي الجعفي الكوفي: أبو عبدالله الزاهد، أحد الأعلام. قرأ القرآن على حمزة وبرع فيه وتصدَّى للإقراء بعد حمزة، وأخذ عنه أحمد بن حنبل. قال: ما رأيت أفضل من حسين الجعفي. وقيل لسفيان بن عيينة: قدم حسين الجعفي، فوثب قائماً، وقال: قدم أفضل رجل يكون قط. قال ابن داود: كنت عند ابن عيينة فأتاه حسين الجعفي، فقام سفيان وقبَّل يده. وقال ابن يحيى النيسابوري: إن كان بقي من الابدال أحد فحسين الجعفي. وسأل الرشيد الكسائي عن أقرأ الناس، فقال: حسين الجعفي. وقال أحمد بن عبدالله العجلي: كان الجعفي يقرئ الناس وهو رأس فيه، ولم أر أحداً قط أفضل منه. توفي عن عمر ناهز الأربع والثمانين في سنة ٢٠٣ في ذي القعدة.

١٠ - عبدالله بن صالح العجلي الكوفي: المقرئ أبو أحمد، من كبار المقرئين. قرأ على

حمزة وقرأ عليه جماعة. سكن بغداد في آخر أيامه وأقرأ بها. توفي حدود ٢٢٠.

١١ - يحيى بن آدم: الإمام أبوزكريَّا القرشي، الكوفي الأحول الحافظ المقرئ. روى

حروف عاصم من غير تلاوة على شعبة. قال أبو أسامة: ما رأيت يحيى إلا ذكرت الشعبي، يعني جامعته للعلم ورأس أهل عصره. توفي بقم الصلح في ربيع الأوَّل سنة ٢٠٣ وهو في عشر السبعين.

١٢ - عبدالله بن موسى العبسي الكوفي: أبو محمد المقرئ الحافظ الشيعي، شيخ

البخاري، قرأ القرآن وجوَّده على عيسى الهمداني وعلي بن صالح. وأخذ الحروف من

حمزة والكسائي. قال أحمد العجلي: عالم بالقرآن رأس فيه، وما رأيت رافعاً رأسه، وما رأي ضاحكاً قط. قال أبو داود: كان شيعياً منحرفاً (أي عن مذهب العامة في الولاء للجبب والطاغوت). قال الذهبي: حديثه في الكتب الستة بواسطة، وعند البخاري بلا واسطة. وكان صاحب عبادة وتهجد وزهد. صحب حمزة الزيات وتخلق بسيرته (في الولاء لآل البيت، مذهب عامة المقرئين الكوفيين).

قال ابن سعد: توفي العبيد سنة ٢١٣ في ذي القعدة (رحمة الله عليه).

الطبقة السادسة

١ - أبو عبيد القاسم بن سلام: الإمام أحد الأعلام، ذو التصانيف الكثيرة، أخذ القراءة عن الكسائي وشجاع بن أبي نصر وآخرين.

كان إماماً مجتهداً لا يقلد أحداً فيما يختار. قال ابن راهويه: كنا نحتاج إلى أبي عبيد، وأبو عبيد لا يحتاج إلينا. وقال أحمد بن حنبل: أبو عبيد أستاذ. وسئل ابن معين عنه، فقال: أمثلي يسأل عن أبي عبيد؟!

ولد أبو عبيد بهرة، وكان أبوه سلام عبداً لبعض أهلها، فأخذ القاسم في التعلم حتى برع في الأدب واتصل بثابت بن مالك الخزازي فولاه قضاء طرسوس ثماني عشرة سنة. وكان يتصل بوجهاء الشيعة فيأخذ عنهم العلم الكثير، في الأدب والقرآن وسائر العلوم الإسلامية التي امتازت الشيعة الإمامية بجمعها وتهذيبها ما لا يوجد عند غيرهم. ولذلك رماه أصحاب الحديث بأنه يحسن كل شيء إلا الحديث. وقد نقل الذهبي عن عباس الدوري أن أبا عبيد كان يقول: ما رأيت قوماً أضعف جهة ولا أجمع للعلوم من الرافضة. توفي بمكة سنة ٢٢٤.

٢ - خلاد بن خالد: أبو عيسى الشيباني الصيرفي الكوفي الأحول المقرئ صاحب سليم، وتصدي للإقراء مدة. توفي سنة ٢٢٠.

٣ - خلف بن هشام البزار المقرئ البغدادي: أحد الأعلام. قرأ على سليم عن حمزة،

وكان له اختيار في القراءة يقرئ بها. مات حدود سنة ٢٣٠.

٤ - روح بن عبدالمؤمن الهذلي البصري: المقرئ. قرأ على يعقوب الحضرمي، ذكره ابن حبان في الثقات. مات سنة ٢٣٣.

٥ - رويس، محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري: مقرئ حاذق، وضابط معروف، أخذ القراءة عرضاً عن يعقوب الحضرمي، وكان من أصدق أصحابه. توفي سنة ٢٣٨.

٦ - إسحاق بن إبراهيم أبو يعقوب المروزي المعروف بابن راهويه: نزيل نيسابور، أحد الأئمة، طاف البلاد، وكان أحفظ دهره. قال أبوداود: تغير ابن راهويه قبل أن يموت بخمسة أشهر، وسمعت منه في تلك الأيام فرميت به، مات سنة ٢٣٨.

٧ - الليث بن خالد، أبو الحارث البغدادي: كان ذاحق وضبط. عرض القراءة على الكسائي وكان من أجلة أصحابه. مات سنة ٢٤٠.

٨ - أبو يعقوب الأزرق يوسف بن عمرو، المدني ثم المصري: لزم ورشاً مدة طويلة وأتقن عنه الأداء. قال: إن ورشاً لما تعمق في النحو اتخذ لنفسه مقراءً يسمى «مقرأ ورش»، فلما جئت لأقرأ عليه، قلت له: يا أبا سعيد، إني أحب أن تقرئني مقراً نافع خالصاً وتدعني ممّا استحسنيت لنفسك فقلدته مقراً نافع فقرأت عليه عشرين ختمة بين حدر وتحقيق. وأخيراً انفرد الأزرق عن ورش بتغليظ اللامات وترقيق الراءات. وقد خلف ورشاً في الإقراء بالديار المصرية. توفي حدود ٢٤٠.

٩ - ابن ذكوان عبد الله بن أحمد بن بشير، أبو عمرو الدمشقي: مقرئ دمشق وإمام الجامع. قال أبو زرعة الدمشقي: لم يكن في الأقطار الإسلامية في عصر ابن ذكوان أقرأ منه. توفي سنة ٢٤٢.

١٠ - أحمد بن محمد القواس المقرئ المكي: قال ابن مجاهد: قال لي قنبل: قال لي القواس - في سنة سبع وثلاثين ومائتين -: الق هذا الرجل - يعني البزي - فقل له: هذا الحرف ليس من قراءة تناء، يعني «وما هو بميت» مخففاً، وإنما يخفف من الميت من قد مات، وأما من لم يمت فهو مشدد، قال قنبل: فلقيت البزي فأخبرته، فقال: قد رجعت عنه.

ثم أتى إلى القوَّاس من الغد، فقال قد جاءني أبو عمرو سألتك في هذا الحرف. وكان معه حرفان آخران رددتهما عليه. وقد كان عكرمة بن سليمان أقرأنيهما، وقد رجعت عنهما إلى قولك.

وهذا يدل على مكانة القوَّاس العظيمة، أولى من قبل والبزِّي وهما راويا ابن كثير! توفي القوَّاس بمكة سنة ٢٤٥.

١١ - أبو عمر الدوري حفص بن عمر الأزدي: المقرئ النحوي البغدادي الضرير، نزيل سامراء مقرئ الإسلام وشيخ العراق في وقته. قرأ على إسماعيل بن جعفر والكسائي واليزيدي، ويقال: أنه أول من جمع القراءات وألفها. وقد طال عمره، فقصده من الآفاق رواد العلم، وحذاق الصنعة لعلوَّ سنده وسعة علمه. والدوري نسبة إلى الدور محلة بالجانب الشرقي من بغداد. توفي سنة ٢٤٦.

١٢ - أبو الحسن البزِّي أحمد بن محمد: مقرئ أهل مكة في عصره ومؤذن المسجد الحرام. فارسي الأصل، قيل. من بلدة همدان. قرأ على ابن سليمان وإسماعيل القسطنطيني عن ابن كثير. وقرأ عليه جماعة.

كان مؤذن المسجد الحرام أربعين سنة، وأقرأ الناس بالتكبير من «والضحى». توفي سنة ٢٥٠.

١٣ - أحمد بن يزيد الحلواني: أبو الحسن المقرئ، من كبار الحذاق المجددين، قرأ على قالون وخلف وجماعة وكان كثير الترحال. توفي سنة ٢٥٠.

١٤ - أبو نسيط محمد بن هارون المروزي: قرأ على قالون وكان من أجل أصحابه. وعلى روايته اعتمد الداني في التيسير. وكان من الحفاظ والرحالين فيه. توفي سنة ٢٥٣.

١٥ - محمد بن عيسى الرازي ثم الإصبهاني: المقرئ، أحد الحذاق. قرأ القرآن على نصير وخلاد صاحبي الكسائي. وصنف كتاب الجامع في القراءات. وكتاباً في العدد وفي الرسم. وكان رأساً في النحو. قال أبو نعيم الإصبهاني: ما أعلم أحداً أعلم منه في فنه، يعني القراءات. أخذ عنه الفضل بن شاذان والحسن بن العباس وأبوسهل حمدان وجماعة. توفي سنة ٢٥٣.

١٦ - هشام بن عمار السلمي: أبو الوليد الدمشقي، خطيب المسجد الجامع بها، واجتمع إليه الناس بعد موت ابن ذكوان، وطال عمره وخرف في آخر أيامه، فكان يختلط في الحديث، حتى قال أحمد بشأته: طيَّاش خفيف، وذكر له قصة في اللفظ بالقرآن، أنكر عليه، وقال: من صلى خلفه فليعد صلاته. هلك سنة ٢٥٣.

١٧ - أحمد بن جبير: أبو جعفر الكوفي نزيل أنطاكية. كان من كبار القراء وحذاقهم ومعمّريهم. أخذ القراءة عرضاً وسماعاً عن الكسائي وسليم واليزيدي والمسيبي والأعشى وأضرابهم. قال الداني: إمام جليل ثقة ضابط. أقرأ الناس بأنطاكية، روى القراءة عنه خلق كثير. توفي سنة ٢٥٨.

١٨ - أبو شعيب السوسي: صالح بن زياد المقرئ. قرأ على اليزيدي وسمع بالكوفة من ابن نمير وبمكة من ابن عيينة. مات سنة ٢٦٠ وقد قارب التسعين.

١٩ - الفضل بن شاذان بن عيسى: أبو العباس الرازي المقرئ. أحد الأعلام وشيخ الإقراء بالري. قال أبو عمرو الداني: لم يكن في دهره مثله في علمه وفهمه وحسن اضطلاع.

وهو شيخ ابن أبي حاتم الرازي، ولم يذكر ذلك أرباب تراجم الرجال سواء في كتابه «الجرح والتعديل».

ونعته ابن النديم بعظمة، وذكره من أئمة القرآن والروايات، ومن ثمّ يثق بنقله أكثر ممّا رأى بعينه. وذلك في باب ترتيب مصحف ابن مسعود. ثمّ يذكر في الكتب المؤلفة في القراءات: «كتاب القراءات للفضل بن شاذان». ويقول - في الفنّ ٦ من المقالة ٦ -: «الفضل بن شاذان الرازي وابنه العباس بن الفضل. وهو خاصّي عامّي، الشيعة تدّعيه، والحشويّة - أهل السنة - تدّعيه...».

٢٠ - وهذا غير الفضل بن شاذان بن الخليل أبي محمد الأزدي النيسابوري، العالم الشيعي الكبير، ذي المقام الرفيع والعظمة الشامخة في الكلام والحديث وسائر العلوم الإسلامية الأولى. توفي هذا الأخير سنة ٢٦٠. أمّا المترجم (أبو العباس) فقال ابن الجزري: توفي حدود ٢٩٠.

الطبقة السابعة

- ١ - محمد بن يحيى الكسائي الصغير: هو من أجل أصحاب الكسائي الكبير. قرأ عليه وكيع وأبو بكر بن مجاهد. توفي حدود سنة ٢٩٠.
- ٢ - محمد بن عبدالرحمان: أبو عمر المشتهر بـ «قُتَيْبِل» مقرئ أهل مكة، وقد انتهت إليه رئاسة الإقراء بالحجاز. أخذ عن القوّاس والبرّي. وقرأ عليه خلق كثير، منهم ابن مجاهد وابن شنبوذ.
- تولّى قُتَيْبِل شرطة مكة فحمدت سيرته. واختلط في أواخر حياته وخلط في القرآن، فهجره الناس من ذي وذاك. ومن ثمّ ترك الإقراء قبل موته بسبع سنين نهائياً. ثمّ إنّ طعن في السن وشاخ وبلغ ٩٦ سنة وتغيّر تغيّراً شديداً. مات سنة ٢٩١.
- ٣ - سليمان بن يحيى الضبيّ: أبو أيوب البغداديّ من كبار المقرئين ومن علمائهم، تصدّى للإقراء بجامع المدينة ببغداد ستين عاماً، وطال عمره فوق التسعين. مات سنة ٢٩١.
- ٤ - القاسم بن أحمد الخياط: أبو محمد التميميّ الكوفيّ المقرئ. أحد الحذاق. قرأ على الشموني وأقرأ الناس دهرًا. وقرأ عليه ابن داود النقّار وابن شنبوذ وجماعة وقال النقّار: قرأت عليه أربعين ختمة وسمعت إجماع الناس على تفضيل قاسم في قراءة عاصم. مات حدود ٢٩٢.
- ٥ - هارون بن موسى، ابن شريك الأخفش: شيخ المقرئين بدمشق، قرأ على ابن ذكوان، وقرأ عليه خلق كثير، وقد رحل إليه الطلبة من الأقطار، لإتقانه وتبحّره. منهم جعفر بن أبي داود، وأبو الحسن ابن شنبوذ، والبلخي والبلبكي وغيرهم.
- قال أبو علي الإصبهاني: كان هارون الأخفش من أهل الفضل، صنّف كتباً كثيرة في القراءات والعربيّة. وإليه رجعت الإمامة في قراءة ابن ذكوان، قيل: إنّ رأي أبا عبيد بدمشق وسأله مسألة لغويّة، لقدّم عهده وطول عمره، عاش ٩٢ سنة وتوفي في صفر سنة ٢٩٢.
- ٦ - إدريس بن عبدالكريم الحدّاد: المقرئ، أبو الحسن البغدادي. قرأ على خلف.

ورحل إليه الناس من البلاد لإتقانه وعلوّ سنده. قرأ عليه ابن شنبوذ وابن مقسم. توفي سنة ٢٩٣.

٧- جعفر بن عبدالله الأنصاري الإصبهاني: الإمام المقرئ بجامع إصبهان. كان رأساً في علوم القرآن والتجويد. قرأ على الدوري. وقرأ عليه محمد بن أحمد الكسائي. توفي سنة ٢٩٤.

٨- محمد بن عبدالرحيم: المقرئ الإصبهاني، شيخ الإقراء في زمانه. قرأ لورش على عامر الجرشي، وسمع من يونس صاحب ورش، وحذف في معرفة حرف نافع. أخذ عنه ابن مجاهد. قال المترجم: رحلت إلى مصر بطلب القراءة، وكان معي ثمانون ألفاً، فأنفقتها على ثمانين ختمة. توفي ببغداد سنة ٢٩٦.

٩- الحسين بن علي بن حماد بن مهران: أبو عبدالله الرازي، الأزرق المقرئ. عمّر وأقرأ الناس، وسكن «قزوين» وقرأ عليه ابن شنبوذ وأبوبكر النقاش والمطوّعي. نزل - أخيراً - «الأهواز» وكان محققاً لقراءة ابن عامر. توفي حدود سنة ٣٠٠.

١٠- أحمد بن فرح بن جبرئيل: أبو جعفر البغدادي، قرأ على الدوري والبرّي. تصدر للإفادة دهرًا وبعد صيته واشتهر اسمه لسعة علمه وعلوّ سنّه. قرأ عليه المطوّعي وجماعة. سكن الكوفة مدّة، وحمل أهلها عنه علماً جمًّا، وكان ثقة مأموناً. توفي سنة ٣٠٣ وقد قارب التسعين.

١١- جعفر بن محمد بن أسد: أبو الفضل الضرير النصيبي. قرأ على الدوري وكان من جلة أصحابه. توفي سنة ٣٠٧.

١٢- أحمد بن سهل بن فيروزان: الشيخ الأشناني، أبو العباس المقرئ، بقية المسندين في القراءة، قرأ على عبيد صاحب حفص ثم قرأ بعده على جماعة حتى برع في القراءة. وطال عمره وطار ذكره. قرأ عليه جماعة. توفي ببغداد سنة ٣٠٧.

١٣- أبوبكر بن عبدالله بن مالك المقرئ المصري المعروف بابن سيف: شيخ الإقليم في القراءات في زمانه. قرأ على الأزرق وعمّر دهرًا طويلاً وتوفي سنة ٣٠٧.

١٤ - إسحاق بن أحمد: أبو محمد الخزاعي المكي، الإمام المقرئ بالمسجد الحرام. قرأ على البرقي وابن فليح وكان ثقة حجة رفيع الذكر، قرأ عليه ابن شنبوذ والمطوعي والرسبي وغيرهم. له كتاب اختلاف المكيين واتفاقهم.

وأخذ عنه الحروف أبو بكر بن مجاهد وابن عبد الرزاق وطائفة.

قال الداني: هو من أثبت الناس فهما، مطلع ضابط ثقة مأمون. مات سنة ٣٠٨.

١٥ - العباس بن فضل بن شاذان الرازي: المقرئ. إمام محقق مجيد. كان يقرئ مع والده بالري. قرأ على أبيه، وأخذ قراءة الكسائي عن ابن أبي سرح عن الكسائي. قرأ عليه جماعات. قال الخليلي: أدركت بقزوين ثمانية من أصحابه وبقي إلى سنة ٣١٠.

١٦ - موسى بن جرير بن عمران الرقي: المقرئ. النحوي الضرير. كان بصيراً

بالإدغام، ماهراً في العريضة. وافر الحرمة. كثير الأصحاب. توفي حدود سنة ٣١٠.

١٧ - محمد بن هارون بن نافع التتار: مقرئ أهل البصرة، وأبصرهم بحرف يعقوب،

وهو أحد أصحاب رويس. قرأ عليه خلق. توفي بعد سنة ٣١٠.

١٨ - الحسن بن الحسين بن علي الصواف: بغدادى مقرئ. كبير القدر، عارف بالفن،

متصدّر للإقراء وللإفادة. قرأ على الدوري وجماعة. وقرأ عليه المطوعي وجماعات.

توفي سنة ٣١٠.

١٩ - محمد بن جرير: أبو جعفر الطبري، المفسر المؤرخ، ولد بآمل طبرستان ودخل

في العلم وله عشرون سنة. قرأ على سليمان الطلحي صاحب خلاد وسمع حرف نافع من

يونس والفزاري وابن منيع. أخذ عنه ابن مجاهد والدا جوني وخلق كثير. وله في العلوم

النقلية قدم وفضل. توفي سنة ٣١٠ ببغداد.

٢٠ - الحسن بن علي: أبو بكر العلاف البغدادي، المقرئ الأديب، قرأ على الدوري.

وقرأ عليه الشنبوذي، عمر طويلاً، قال الذهبي: وأظنه آخر من قرأ القرآن على الدوري.

توفي سنة ٣١٨.

الطبقة الثامنة

وهم بقيّة من عاشوا في القرن الثالث، وأدركوا بضعاً من القرن الرابع، وكانوا هم آخر من كان له اختيار في القراءات، وهم عدد كثير، نذكر منهم أهمّ المعروفين في ذلك العهد:

١ - الزينبي: محمد بن سليمان الهاشمي أبوبكر البغدادي، أحد من عنى بالقراءات، وكان إماماً في قراءة المكيين. قرأ على إسحاق الخزاعي وجماعة وقرأ عليه ابن بدهن وأحمد الولي والشذائي وجماعة. قال الداني: توفي قريباً من سنة ٣٢٠.

٢ - نفطويه: إبراهيم بن محمد بن عرفة أبو عبدالله العتكي الواسطي. قال الذهبي: كان من أذكى العالم. قال المرزباني. وكان من طهارة الأخلاق وحسن المجالسة والصدق فيما يرويه، على حال ما شاهدت عليها أحداً. وكان فقيهاً عالماً ومسنداً للحديث.

قال ابن حجر: ثقة صدوق، لا يتعلّق عليه شيء ممّا رواه. وكان جالس الملوك والوزراء، وأتقن الحفظ مع المروءة والفتوة والظرف. وقال مسلمة: كان كثير الرواية للحديث وأيام الناس. وكانت فيه شيعيّة. وحكي: أنّه جلس للإقراء أكثر من خمسين سنة، وكان يبتدئ في مجلسه بشيء من القرآن على قراءة عاصم، ثمّ يقرئ غيره.

قرأ على محمد بن عمرو بواسط وغيره. وأخذ الحروف عن شعيب بن أيّوب ومحمد بن الجهم. وقرأ عليه ابن سعيد القرّاز والشنبوذي وأبوبكر بن شاذان وجماعات. توفي ببغداد سنة ٣٢٣.

٣ - ابن مجاهد: أحمد بن موسى بن العباس، أبوبكر البغدادي العطشي، المقرئ الأستاذ - على حدّ تعبير الذهبي - ولد ببغداد بسوق العطش ومن ثمّ نسب إليه. وهو الذي كتب في القراءات السبع المعروفة، وحصرها في السبعة، ومنذ ذلك العهد شاعت العقيدة العاميّة: أنّ القراءات محصورة في السبع وأنّها التي جاءت الإشارة إليها في حديث السبعة. ومن ثمّ يعود لوم هذه الإشاعة الكاذبة إلى ابن مجاهد، كما قال الدكتور صبحي الصالح.

وهو أوّل من حاول سدّ باب الاجتهاد والاختيار في القراءات. قال ابن أبي هاشم:

سأل رجل ابن مجاهد: لم لا يختار الشيخ لنفسه حرفاً يحمل عليه؟ فقال: نحن أحوج إلى أن نعمل أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أثمتنا، أحوج منا إلى اختيار حرف يقرأ به من يعدنا.

وبهذا المنطق التقليدي المحض حاول جهده في سدّ باب الاختيار إطلاقاً. وكان لمنزلته العالية في الدولة، واجتماع الناس إليه، كبير أثر في تنفيذ رأيه هذا في مرسوم السلطة آنذاك. فقد حكى أن أربعاً وثمانين خليفة كانوا يحضرون حلقاته، ويأخذون على الناس. وسيأتي أن محاكمة ابن شنبوذ والمطوّعي كانت بمحاولة ابن مجاهد وإمضائه. توفي سنة ٣٢٤.

٤ - الداجوني الكبير: محمد بن أحمد، أبوبكر الضرير. أحد من عنى بالقراءات ورحل إلى الشيوخ وجمع القراءات. قرأ عليه ابن مجاهد والقباب الإصبهاني وابن أبي يلال الكوفي والداجوني الصغير العباس بن محمد، وجماعة. مات سنة ٣٢٤.

٥ - موسى بن عبيدالله بن يحيى بن خاقان: الإمام أبو مزاحم الخاقاني. من أولاد الوزراء. كان قد برع في قراءة الكسائي، وكان من جملة العلماء. مات سنة ٣٢٥.

٦ - أحمد بن محمد بن إسماعيل: المقرئ، أبوبكر الآدمي المعروف بالحمزي، لأنه كان عارفاً بحرف حمزة بن حبيب الزيات. أقرأ الناس مدّة ببغداد في بروج المدينة، وحمل الناس عنه لزهده وإتقانه. مات سنة ٣٢٧.

٧ - ابن شنبوذ: محمد بن أحمد، أبو الحسن البغدادي: شيخ الإقراء بالعراق، قرأ على كثير من القراء بالأمصار، وطاف البلاد في طلب العلم. وكان معاصراً لابن مجاهد، وكان أعلم منه بأصول القراءات وحروفها والأخذ من المشايخ الكبار، وكان على عكس ابن مجاهد، يختار في القراءة، وكان يقرأ بالمشهور وربما يقرأ بالشاذ عن مأنوس العامة.

وقرأ عليه عدد كثير. واعتمد أبو عمرو الداني وغيره على أسانيده في كتبهم وكان يرى جواز الصلاة بما صحّ عن أبيّ وابن مسعود في قراءاتهم، وبذلك خالف جمهور الفقهاء.

كان ثقة في نفسه، صالحاً ديناً متبحراً في هذا الفن، وكان يحطّ من ابن مجاهد قلّة علمه وضئالة اطلاعه، فكان يقول: هذا العطشيّ لم تغبّر قدماه في طلب العلم، يعني أنّه لم يرحل من بغداد، وهو كذلك سوى سفرته إلى الحج فحسب.

وكان ابن شنبوذ إذا أتاه رجل من القراء للأخذ عنه، قال: هل قرأت على ابن مجاهد؟ فإن قال: نعم، لم يقرئه.

وقد حقد عليه ابن مجاهد، فجعل يدسّ عليه عند الوزير ابن مقلّة حتى أثاره عليه، وكان الذي أخذه عليه هو قراءته بالشواذ.

قال أبو بكر الأنهري: كنت ذلك اليوم -الذي نوّظ فيه ابن شنبوذ- حاضراً مع جملة الفقهاء، وابن مجاهد بالحضرة وقد أحضر ابن شنبوذ وجرت معه مناظرات في حروف حكي عنه أنّه يقرأ بها وهي شواذ، فاعترف ببعضها، فطلب إليه الوزير أن ينتهي عن القراءة بها وألزمه بشدّة، فأغلظ للوزير في الخطاب، وللقاضي، ولابن مجاهد، ونسبهم إلى قلّة المعرفة، وأنّهم لم يسافروا في طلب العلم كما سافر، فأمر الوزير بضربه سبع درر، وهو يدعو على الوزير بأن يقطع الله يده ويشتت شمله، وأخيراً اضطرّ إلى التوبة غصباً، فكتب ابن مجاهد بذلك محضراً، وفيه: اعترف ابن شنبوذ بما في هذه الرقعة بحضرتي. وكتب ابن مجاهد بيده يوم السبت لسبّ خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة.

قيل: إنّ لما ضرب بالدرة، جرّد وأقيم بين الهبارين، وضرب نحو العشر، فتألّم وصاح وأذعن بالرجوع وقيل: إنّ نفي من بغداد، فذهب إلى البصرة.

وقد استجيب دعاؤه على ابن مقلّة، بعد ثلاث سنين، في منتصف شوال سنة ٣٢٦. وفيها قطعت يده ثمّ قطع لسانه وحبس وضيّق عليه، وذاق الذلّ والهوان ومات في الحبس سنة ٣٢٨. وهي سنة وفاة ابن شنبوذ أيضاً. كما هلك ابن مجاهد بعد سنة من حادثة ابن شنبوذ المؤلمة (أي سنة ٣٢٤).

٨- ابن الأتباري: محمد بن القاسم، أبو بكر المقرئ النحويّ البغداديّ، سمع من جماعة منهم الكريمي وهو أكبر شيخ له. روى عنه الداني كتاب الوقف والابتداء. قال

أبو علي القالي: كان ابن الأنباري يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهداً في القرآن. وكان يملئ من حفظه. قال التنوخي: ما أملئ قط من دفتر. وكان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً للقرآن بأسانيدھا. قيل له: قد أكثر الناس في محفوظاتك فكم تحفظ؟ قال: أحفظ ثلاثة عشر صندوقاً. توفي سنة ٣٢٨.

٩- أبو إسحاق: إبراهيم بن عبدالرزاق الأنطاكي المقرئ أحد الحذاق، صنّف كتاب القراءات الثمان. كان مقرئ الشام في زمانه، معرفة وإسناداً. قال الداني: مقرئ جليل ضابط مشهور. مات سنة ٣٣٨.

١٠- جعفر بن أبي داود: أبو الفضل النيسابوري المقرئ المؤدب، نزيل دمشق. قرأ على هارون الأخفش، وكان من حذاق أصحابه. توفي سنة ٣٣٩ بدمشق.

١١- أحمد بن يعقوب التائب: المقرئ أبو الطيّب الأنطاكي. قال الداني: له كتاب حسن في القراءات، وهو إمام في هذه الصنعة، ضابط بصير بالعربية. توفي بأنطاكية سنة ٣٤٠.

١٢- محمد بن النضر الربعي: الإمام أبو الحسن ابن الأخرم الدمشقي، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالشام، وكانت له حلقة عظيمة. وكان يحفظ تفسيراً كثيراً. وطال عمره وارتحل إليه الناس، وكان عارفاً بعلل القراءات بصيراً بالتفسير والعربية، متواضعاً حسن الأخلاق كبير الشأن. قال محمد بن علي السلمي: قمت ليلة المؤذن الكبير لآخذ النوبة على ابن الأخرم، فوجدت قد سبقني ثلاثون قارئاً، ولم تدركني النوبة إلى العصر. قال أبو علي الإصبهاني: توفي ابن الأخرم الربعي سنة ٣٤١.

١٣- أبو الحسين أحمد بن عثمان بن بويان: مقرئ أهل بغداد في وقته، قال الداني: حافظ ضابط مشهور. توفي سنة ٣٤٤.

١٤- أحمد بن عثمان: أبو بكر الربعي، البغدادي المقرئ المعروف بـ غلام السبّاك، قال عبدالقاهر: سمعت غلام السبّاك يقول: ثقل سمعي، وكان شاب جميل يقرأ عليّ، فكنت أنظر إلى فمه ولسانه مراعاة لقراءته. وكان الناس يقفون ينظرون إليه لحسنه، فاتهمت فيه،

فساءني ذلك فسألت الله أن يردّ عليّ سمعي فردّه عليّ. توفي سنة ٣٤٥.

١٥ - محمد بن أحمد: أبو عبد الله الكسائي الإصبهاني المقرئ، قرأ على جماعة منهم ابن عساكر وابن الصباح. وقرأ عليه جماعات منهم ابن أشتة نزيل مصر. توفي سنة ٣٤٧ بإصبهان.

١٦ - عبد الواحد بن عمر، أبو طاهر البغدادي، المقرئ، أحد الأعلام ومصنّف كتاب البيان ومن انتهت إليه الرئاسة والحدق بأداء القرآن. وقد أطنب الداني في وصفه، في علمه وفهمه وصدق لهجته واستقامة طريقته. قرأ على خلق كثير. وكان ينتحل في النحو مذهب الكوفيّين، بارعاً فيه. ولم يكن بعد ابن مجاهد - شيخه - في القراءات مثله، ولمّا توفي ابن مجاهد أجمعوا أن يقدّموا أبا طاهر، فتصدّر للإقراء في مجلسه وقصده الأكابر من كلّ صوب. مات سنة ٣٤٩.

١٧ - محمد بن الحسن بن محمد: أبو بكر النقّاش، الموصليّ الأصل، البغدادي المولد والمنشأ، المقرئ المفسّر، أحد الأعلام. سافر شرقاً وغرباً في طلب الأسناد، وروى عن جلة من العلماء. وكتب الحديث وصنّف في القراءات والتفسير وطالت أيّامه، فانفرد بالإمامة في صناعته. مع ظهور نسكه وورعه، وصدق لهجته وبراعة فهمه، وحسن اضطلاع به واتساع معرفته. كما ذكره الذهبي. وقد أثنى عليه الداني وزكّاه. قال: وسمعت عبد العزيز بن جعفر يقول: كان النقّاش يقصد في قراءة ابن كثير وابن عامر، لعلّوا إسناده فيهما. وكان له بيت ملآن كتب، وحدث عنه جماعات، منهم شيخه ابن مجاهد.

وكان يعرف بالتشيع لآل البيت عليهم السلام ويروي فيهم الأحاديث عن شيوخه بأسانيد عالية، ومن ثمّ اتهموه في الحديث.

قال ابن القطّان: حضرت أبا بكر النقّاش، وهو يجود بنفسه في ثالث شوال سنة ٣٥١، فجعل يحرك شفّتيه، ثمّ نادى بأعلى صوته: «لَيْلٌ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ»^١ ردّها ثلاث مرّات، ثمّ خرجت نفسه الكريمة عليه السلام.

قال المحدث القمي: الظاهر أن النقاش كان يتشيع، وتحريك شفثيه وقت موته كان إقراراً بالإمامة وولاية أولياء الله. وليس اتهامه في الحديث إلا لنقله الحديث في فضل أهل البيت. وتلك سجيّتهم في محبّي آل بيت الرسول ﷺ «شَسِنَتْ أَعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمِ».

١٨ - بكار بن أحمد بن بكّار: أبو عيسى البغداديّ المقرئ. من كبار أئمة الأداء. أقرأ الثّاس نحواً من ستّين سنة. توفي سنة ٣٥٣.

١٩ - ابن مقسم: محمّد بن الحسن بن يعقوب، الإمام أبوبكر البغدادي، المقرئ التحويّ العطار. كان من أحفظ أهل زمانه لنحو الكوفيّين، وأعرفهم بالقراءات، مشهورها و غريبها و شاذّها. قال الداني: هو مشهور بالضبط والإتقان، عالم بالعربيّة، حافظ للغة، حسن التّأليف في علوم القرآن.

وكان قد سلك مذهب ابن شنبوذ، وقد اختار حروفاً خالف فيها عامة المقرئين، فتوظر عليها واضطرّ إلى الرجوع واستتيب أخيراً بعد أن أوقف للضرب، وسأل ابن مجاهد أن يدرأ عنه ذلك فدرأ عنه، منّة منه عليه، وكان هو الذي عقد له هذا المجلس.

كان يقول: كلّ قراءة وافقت خطّ المصحف، وإن خالفته في المادّة، فالقراءة بها جائزة. وشاع ذلك عنه، فأنكر عليه جماعة، فرفعوا أمره إلى السلطان، فأحضره واستتابه يحضرة الفقهاء والقراء. لكنّه بعد موت ابن مجاهد رجع عن توبته، وكان يقول: لمّا كان لخلف بن هشام وأبي عبيد وابن سعدان، أن يختاروا، وكان ذلك مباحاً لهم غير منكر، كان لمن بعدهم - أيضاً - مباحاً. توفي سنة ٣٥٤.

٢٠ - أحمد بن العباس: إمام مقرئ وهو شيخ بغداد نزل خراسان، وممن قرأ عليه أبو عبد الله الحاكم النيسابوري. وكان أوحد عصره في أداء الحروف في القراءات. دخل مرو وبخارى، وذكروا أنّه وصل فرغانة، وأنّ الأمير نصر بن نوح قرأ عليه ختمة ووصله بأموال. وكان خليعاً يسرف فيما يحصل عليه، وكانت ليايله لا تخلو من الصوفيّة والقوالين. وأخيراً كفّن كما يكفّن الغريب. مات سنة ٣٥٥.

٢١ - زيد بن عليّ بن أحمد: أبو القاسم العجليّ الكوفي: المقرئ، أحد الحدّاق وشيخ

العراق. قرأ على ابن مجاهد وجماعة. قرأ عليه بكر بن شاذان وابن الفحام السامري وابن صقر الكاتب والصابوني وجماعة. وحدث عنه أبو نعيم الحافظ. توفي ببغداد في جمادى الأولى سنة ٣٥٨.

٢٢ - أحمد بن عبدالعزيز: ابن بدهن أبو الفتح البغدادي، المقرئ نزيل مصر. قرأ على ابن مجاهد وابن الأخرم، وحذق ومهر، وطال عمره واشتهر. وكان من أطيب الناس صوتاً بالقرآن، وأفصحهم أداء. توفي سنة ٣٥٩.

٢٣ - أبو عمران: موسى بن عبد الرحمان، البيروتي الصباغ المقرئ، إمام جامع بيروت، كان آخر من أسند في الشام من القراء. وآخر من قرأ القراءات على هارون بن موسى الأخفش. توفي حدود سنة ٣٦٠.

٢٤ - محمد بن عبدالله بن أشته، أبو بكر النحوي المقرئ الإصبهاني. أحد الأئمة. قرأ على ابن مجاهد ومحمد الكسائي وطائفة. وصنف في القراءات. قال الداني: ضابط مشهور، ثقة عالم بالعربية، بصير بالمعاني، حسن التصنيف. توفي بمصر في شعبان سنة ٣٦٠. له كتاب المحبر وكتاب المفيد في الشاذ.

٢٥ - علي بن محمد: أبو الحسن الهاشمي المقرئ. الضرير، شيخ الإقراء بالبصرة وبقية الباقية، قرأ عليه أبو الحسن طاهر بن غلبون، وكان قد رحل إليه. توفي سنة ٣٦٨.

٢٦ - عبدالله بن الحسن أبو القاسم النخاس البغدادي المقرئ. قال الحافظ أبو الحسن بن الفرات: قل ما رأيت في الشيوخ مثله. توفي سنة ٣٦٨.

٢٧ - الحسن بن سعيد «المطوعي»: أبو العباس العباداني، المقرئ المعمر نزيل اصطخر. عنى بهذا الفن وتبحر فيه ولقى الكبار، وأكثر الرحلة في الأقطار، قرأ على محمد بن عبد الرحيم الإصبهاني وجماعة. وصنف وعمر دهرًا طويلاً وانتهى إليه علو الإسناد في القراءات وكان أبوه واعظاً محدثاً وكان السبب في إعانتته على الرحلة في طلب العلم. قدم إصبهان سنة ٣٥٥ وكان رأساً في القرآن وحفظه. قال ابن حجر: كان رأساً في القراءات وروايته مذكورة في المبهم في القراءات الثمانية للشيخ أبي محمد سبط الخياط

البغداديّ. توفي المترجم سنة ٣٧١ عن عمر جاوز المائة.

٢٨ - أحمد بن نصر أبو بكر الشذائي، المقرئ البصري. أحد القراء المشهورين. قال

الداني: مشهور بالضبط والإتقان، عالم بالقراءة، بصير بالعربيّة، توفي سنة ٣٧٣.

٢٩ - عبدالله بن الحسين، ابن سحنون أبو أحمد، السامريّ البغداديّ المقرئ، مسند

القراءة بالديار المصريّة. توفي سنة ٣٨٦.

٣٠ - محمد بن أحمد بن إبراهيم: أبو الفرج الشنبوذّي البغداديّ المقرئ غلام ابن

شنبوذ. قرأ على ابن الأخرم ونفطويه والنقّاش والخاباني وجماعة. وقد أكثر الترحال في

طلب القراءات وتبحّر فيها واشتهر وطال عمره. وكان حفظ خمسين ألفاً من الشعر شواهد

للقراءات. قال الداني: حافظ ماهر حاذق. وكان يدخل على عضد الدولة فيكرمه، وهذا

يدلّ على تشيّع بل وأكثر القراء المعروفين من الشيعة. لاسيّما من كان من أهل العراق.

توفي المترجم سنة ٣٨٨^١.

تلك ثماني طبقات من القراء المعروفين الكبار، عرضنا تراجمهم في اختصار، كما

ولم نستقص عامّة القراء طوال هذه القرون الثلاثة إذ كانت غايتنا عرض نماذج من حياة

قراء مشهورين، تفيدنا في جانب سلوكهم في الاختيار وفي الأخذ عن المشايخ حسب

تسلسل الزمان وستكون نقاط هامّة من حياة هؤلاء، موضع دراستنا في فصل قادم عندما

١ - أهمّ مراجعنا في هذا العرض هي: النهاية في طبقات القراء، لابن الجزري. والنشر في القراءات العشر، له أيضاً. ومعرفة القراء الكبار، للذهبي. وميزان الاعتدال، والمغني في الضعفاء، كلاهما له أيضاً. وتاريخ ابن خلكان. والطبقات لابن سعد. والكامل في التاريخ لابن الأثير. والإصابة لابن حجر. وتهذيب التهذيب، وتقريب التهذيب، ولسان الميزان، له أيضاً. والاستيعاب لابن عبد البر. وأسد الغابة لابن الأثير. والمعجم لكحالة. والأعلام للزركلي. وقاموس الرجال للتستري. والكنى والألقاب للقمي. وروضات الجنات للخوانساري...

مضافاً إلى مجالس المؤمنين للقاضي. وتأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للصدر. والفهرست لابن النديم. والفهرست للشيخ، ورجاله. وسفينة البحار للقمي. والمجمع للقهطاني. والمعجم لأستاذنا الخوئي. والإيضاح لابن شاذان النيسابوري. وبغية الوعاء للسيوطي. والتنقيح للمامقاني. والخلاصة للخزرجي...

نعرض أهم أسباب الجمود القرائي في العصور المتأخرة، والسبب في رواج قراءة واحدة مدى الأجيال، هي قراءة عاصم بن بهدلة، برواية حفص بن سليمان. وقبل أن تنتقل إلى هذا الفصل، ينبغي التكلّم -إجمالياً- عن سبب حصر القراءات في السبع، في حين أنّ القراء الكبار المعروفين أكثر من ذلك، وربما كان بعضهم أرفع شأنًا وأعظم قدرًا وأعلى إسناداً من هؤلاء السبعة الذين حصر ابن مجاهد القراءة المقبولة في قراءاتهم فحسب.

تدوين القراءات المشهورة

كان المسلمون في العهد الأوّل يقرأون القرآن كما يتلقّونه من صحابة الرسول ﷺ ومن بعدهم من التابعين، ممّن حلّ في بلادهم من الأئمّة الكبار. فمّن كان بالمدينة: سعيد بن المسيّب، وعروة بن الزبير، وسالم بن عبدالله العدوي، ومعاذ بن الحارث، وعبدالرحمان بن هرمز، ومحمد بن مسلم بن شهاب، ومسلم بن جندب، وزيد بن أسلم. وبمكة: عبيد بن عمير، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، وعكرمة، وعبدالله بن أبي مليكة...

وبالكوفة: علقمة، والأسود، ومسروق، وعبيدة، وعمرو بن شرحبيل، والحارث بن قيس، والربيع بن خثيم، وعمرو بن ميمون، وأبو عبدالرحمان السلمي، وزرّ بن حبيش، وعبيد بن نضيلة، وأبو زرعة، وسعيد بن جبير، وإبراهيم النخعي، والشعبي... وبالبصرة: عامر بن عبد قيس، وأبو العالية، وأبورجاء، ونصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، وجابر بن زيد...

وبالشام: ابن أبي شهاب، وخليد بن سعد، صاحب أبي الدرداء... هؤلاء وأضربهم، كانوا علماء الأئمّة في البلاد، ومراجع المسلمين في شتّى أنحاء المعارف الإسلاميّة آنذاك. ولكن من غير ما اختصاص بفنّ أو بثقافة خاصّة من أنحاء الثقافات المعروفة ذلك العهد.

ثمّ تجرّد قوم لفنّ القراءة، والأخذ والتلقّي والإقراء، سمة اختصاصيّة، واعتنوا بذلك

أتمّ عناية واشتهروا في قراءة القرآن وإقراءه، حتى صاروا في ذلك أئمة يقتدى بهم ويرحل إليهم ويؤخذ عنهم.

وهكذا أجمع المسلمون من أهل البلاد، وكان أهل كل بلد يأخذون من القارئ الذي حلّ بينهم، ويتلقّون قراءاتهم بالقبول، ولم يختلف عليهم اثنان، ولتصديهم للقراءة نسبت إليهم.

وممن اشتهر منهم بالمدينة: أبو جعفر يزيد بن القعقاع، ثمّ شيبه بن نصّاح، ثمّ نافع بن أبي نعيم.

وبمكة: عبدالله بن كثير، وحميد بن قيس، ومحمد بن محيصن. وبالكوفة: يحيى بن وثّاب، وعاصم بن أبي النجود، وسليمان الأعمش، ثمّ حمزة ثمّ الكسائي.

وبالبصرة: عبدالله بن أبي إسحاق، وعيسى بن عمر، وأبو عمرو بن العلاء، ثمّ عاصم الجحدري ثمّ يعقوب الحضرمي.

وبالشام: عبدالله بن عامر، وعطيّة بن قيس، وعبدالله بن المهاجر، ثمّ يحيى بن الحارث الذماري، ثمّ شريح بن يزيد الحضرمي.

والقرّاء بعد هؤلاء كثروا وتفرّقوا في البلاد وانتشروا، وخلفهم أمم بعد أمم عرفت طبقاتهم - حسبما تقدّم إجمالاً - واختلف صفاتهم وسيرتهم في الأخذ والتلقّي والقراءة والإقراء، فكان منهم المتقن للتلاوة، مشهوراً بالرواية والدراية، ومنهم المقتصر على وصف من هذه الأوصاف. وكثر بينهم لذلك الاختلاف، وقلّ الضبط، واتسع الخرق، وكاد الباطل يلتبس بالحقّ - على حدّ تعبير ابن الجزري^١ - فقام جهابذة علماء الأئمة، وكبار الأئمة، فبالغوا جهدهم في التمهيص وتمييز الصحيح عن السقيم، والمشهور عن الشاذّ بأصول أصلوها وقواعد رصفوها، وأصبحت القراءة، بذلك فناً من الفنون، له قواعد متقنة وأصول محكمة، وفيه الاجتهاد والاختيار. وقد شرحنا طرفاً من ذلك في فصل سابق.

وأول إمام معتبر تصدّى لضبط ما صحّ من القراءات، وجمعها في كتاب بشكل مبسّط وبتفصيل، هو أبو عبيد القاسم بن سلام الأنصاري (ت ٢٢٤) تلميذ الكسائي. قال ابن الجزري: ^١ وجعلهم - فيما أحسب - خمسة وعشرين قارئاً، بما فيهم السبعة الذين اشتهروا فيما بعد.

وجاء بعده أحمد بن جبير بن محمد أبو جعفر الكوفيّ نزيل أنطاكية (ت ٢٥٨) جمع كتاباً في قراءات الخمسة، من كلّ مصر واحدًا. ثمّ القاضي إسماعيل بن إسحاق، صاحب قالون (ت ٢٨٢) ألف كتاباً في القراءات، جمع فيه قراءة عشرين إماماً. وبعده الإمام أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠) جمع كتاباً حافلاً سمّاه «الجامع» فيه نيّف وعشرون قراءة.

وبعده - بقليل - ألف أبو بكر محمد بن أحمد الداجوني (ت ٣٢٤) كتاباً في القراءات، وأدخل معهم أبا جعفر، أحد العشرة. وكان في إثره أبو بكر أحمد بن موسى «ابن مجاهد» (ت ٣٢٤) أوّل من اقتصر على قراءات السبعة فقط.

وقام الناس في زمانه وبعده فألقوا على منواله، كأحمد بن نصر الشذائي (ت ٣٧٠). وأحمد بن الحسين بن مهران (ت ٣٨١) وزاد على السبعة بقية العشرة. ومحمد بن جعفر الخزاعي (ت ٤٠٨) مؤلّف «المنتهى» جمع فيه ما لم يجمعه من قبله. وانتدب الناس لتأليف الكتب في القراءات بحسب ما وصل إليهم وصحّ لديهم.

هذا، ولم يكن بالأندلس، ولا ببلاد المغرب شيء من هذه القراءات، إلى أواخر المائة الرابعة، فرحل منهم من روى القراءات بمصر، وكان أبو عمر أحمد بن محمد الطلمنكي، مؤلّف «الروضة» (ت ٤٢٩) أوّل من أدخل القراءات إلى الأندلس.

ثمّ تبعه أبو محمّد مكي بن أبي طالب القيسيّ (ت ٤٣٧) مؤلّف «التبصرة» و«الكشف

عن وجوه القراءات السبع» وغير ذلك.

ثم الحافظ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤) مؤلف «التيسير» و«جامع البيان» وغير ذلك.

وفي دمشق ألف الأستاذ أبو علي الحسن بن علي الأهوازي (ت ٤٤٦) كتباً في القراءات والطرق إليها.

وفي هذه الحدود، رحل من المغرب أبو القاسم يوسف بن علي الهذلي (ت ٤٦٥) إلى المشرق وطاف البلاد، وروى عن أئمة القراءة حتى انتهى إلى ما وراء النهر، وقرأ بغزنة وغيرها، ألف كتابه «الكامل» جمع فيه خمسين قراءة عن الأئمة المعروفين، و١٤٥٩ رواية وطريقاً إليهم. قال: وجملته من لقيت في هذا العلم ٣٦٥ شيخاً من آخر المغرب إلى باب فرغانة يميناً وشمالاً وجبلاً وبحراً.

ثم كان أبو معشر عبد الكريم بن عبد الصمد الطبري بمكة (ت ٤٧٨)، مؤلف كتاب «التلخيص» في القراءات الثمان، و«سوق العروس» فيه ١٥٥٠ رواية وطريقاً.

قال ابن الجوزي: وهذان الرجلان أكثر من علمنا جمعاً في القراءات، لانعلم أحداً بعدهما جمع أكثر منهما إلا أبا القاسم عيسى بن عبدالعزيز الإسكندري (ت ٦٢٩)، فإنه ألف كتاباً سماه «الجامع الأكبر والبحر الأزهر» يحتوي على ٧٠٠٠ رواية وطريق.

قال: ولا زال الناس يؤلفون في كثير القراءات وقليلها، ويروون شاذها وصحيحها بحسب ما وصل إليهم أو صحّ لديهم، ولا ينكر أحد عليهم، بل هم متّبعون في ذلك سبيل السلف، حيث القراءة سنة متّبعة يأخذها الآخر عن الأول، ويقرأون بما جاء في «الكامل» للهذلي، أو «سوق العروس» للطبري، أو «الإقناع» للأهوازي، أو كفاية أبي العزّ أو مبهج سبط الخياط أو روضة المالكي، ونحو ذلك، على ما فيه من ضعيف وشاذ عن السبعة والعشرة وغيرهم، فلا نعلم أحداً أنكر ذلك ولا زعم أنه مخالف لشيء من الأحرف المأثورة.^١

حصر القراءات في السبع

كان العرض المتقدم نموذجاً كافياً عن اعتناء المسلمين، في عامة أدوارهم، بالقراءات المعروفة عن الأئمة الكبار، وحفظها وتدوينها والقراءة بها أجمع، غير أن أهل كل بلد كانت عنايتهم بمن حلّ في بلدهم من الأئمة أكثر من غيرهم. ولم يكن من أحد من العامة والخاصة نكير على هذه السيرة المستمرة، كما تقدّم في كلام ابن الجزري أخيراً. وهكذا كانت اختيارات القراء واجتهاداتهم في الأخذ والتمحيص، موضع عناية كافة المسلمين، يتلقونها ويقرأون بها. نعم في إطار من محدودية شروط خاصة تقدّمت أيضاً.

لقد جرت هذه السيرة المستمرة في كلا جانبي القراءة والإقراء حتى مطلع القرن الرابع، حيث نبغ نابغة بغداد - في اجتلاب قلوب العامة والنفوذ في عقول الأمراء - أبو بكر «ابن مجاهد». كان قد تصدر كرسي شيخ القراء - رسمياً - من قبل الدولة، واجتمعت عليه عامة الناس في غوغاء وضوضاء، وكان له منافسون أفضل نبلاً وقدماء في القرآن، وكانوا يستصغرونه ضائلة علمه وقلة روايته عن الشيوخ، وعدم رحلته في طلب العلم، وضعف مقدرته في فنون القراءة وأنواعها الماثورة عن الأئمة الكبار.

يقول المعافي أبو الفرج: دخلت يوماً على ابن شنبوذ، وهو جالس بين يديه خزانة الكتب، فقال لي: يا معافي، افتح الخزانة، ففتحتها وفيها رفوف عليها كتب، وكل رفّ في فنّ من العلم، فما كنت آخذ مجلداً وأفتحه إلا وابن شنبوذ يهذه كما يقرأ الفاتحة^١ ثم قال: يا معافي، والله ما أغلقتها حتى دخلت معي إلى الحمام هذا، والسوق للعطشي.^٢

قال ابن الجزري: وكان قد وقع بين ابن شنبوذ وابن مجاهد تنافس على عادة الأقرآن حتى كان ابن شنبوذ لا يقرئ من يقرأ على ابن مجاهد، وكان يقول: هذا العطشي - يعني ابن مجاهد - لم تغبّر قدماءه في هذا العلم.

١ - يقال هذا الحديث يهذه - بتشديد الدال - أي قرأه سريعاً.

٢ - السوق كناية عن رواج الأمر. والعطشي: لقب ابن مجاهد، لأنه ولد بحارة سوق العطش في بغداد، فنسب إليها.

قال العلاف: سألت أبا طاهر: أي الرجلين أفضل، أبو بكر ابن مجاهد، أو أبو الحسن ابن شنبوذ؟ قال: فقال لي أبو طاهر: أبو بكر ابن مجاهد عقله فوق علمه، وأبو الحسن ابن شنبوذ علمه فوق عقله.^١

كان ابن مجاهد حريصاً على التزمّت، والأخذ بتقليد السلف فيما قرأوا، قال عبد الواحد بن أبي هاشم: سألت رجل ابن مجاهد: لم لا يختار الشيخ لنفسه حرفاً يحمل عليه؟ فقال: نحن أحوج إلى أن نعمل أنفسنا في حفظ ماضى عليه أئمتنا، أحوج منا إلى اختيار حرف يقرأ به من بعدنا.^٢

وهو الذي أشار على الوزير ابن مقلة بإحضار ابن شنبوذ^٣ وابن مقسم^٤ في مجلسين ومحاكمة كل واحد منهما بملا من الفقهاء، للضرب على يد الاختيار رأساً.

قال الدكتور صبحي الصالح: وقد انعقد المجلسان بأمر شيخ القراء ابن مجاهد، الذي عرفنا أنه أول من جمع القراءات السبع. وكان ابن مجاهد قد أخذ القراءة عن ابن شاذان الرازي الذي أخذ عنه أيضاً كل من ابن مقسم وابن شنبوذ ولكن اشتراك الثلاثة في التلقي عن شيخ واحد لم يمنع ابن مجاهد من التشدد مع زميليه.^٥

وكان اعتراض ابن شنبوذ لموقف ابن مجاهد هذا شديداً، حسبما ذكرنا بعض كلامه. وهكذا اعترض ابن مقسم على سدّ باب الاختيار في القراءة، قال: لما كان لخلف بن هشام وأبي عبيد وابن سعدان، أن يختاروا، وكان ذلك مباحاً لهم غير منكر، كان لمن بعدهم - أيضاً - مباحاً.^٦

وهكذا جاهد ابن مجاهد قصارى جهده في سدّ باب الاختيار في القراءة وقد توفّق لذلك نسبياً، حيث وافقته الظروف القاسية التي كانت تمرّ بركب الإسلام ذلك القرن

١ - غاية النهاية في طبقات القراء، ج ٢، ص ٥٤-٥٦. ٢ - معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٢١٧.

٣ - محمد بن أحمد بن أيوب بن شنبوذ. راجع: غاية النهاية في طبقات القراء، ج ٢، ص ٥٢.

٤ - محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن بن مقسم. راجع: المصدر، ص ١٢٣.

٥ - مباحث في علوم القرآن، ص ٢٥١-٢٥٢؛ وراجع: معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٢٢١ و ٢٤٧.

٦ - معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٢٤٩.

المضطرب، بالشغب والدسائس، وتفشي الفساد في أرجاء البلاد.
أمّا قضية حصر القراءات في السبع المشهورة، فهو أيضاً من صنع ابن مجاهد، ويعود
أكثر لومه عليه.

قال الدكتور صبحي الصالح: ويقع أكبر قسط من اللوم في هذا الإيهام - إيهام انحصار
القراءات في السبع - على عاتق الإمام الكبير أبي بكر أحمد بن موسى بن العباس المشهور
بابن مجاهد، الذي قام على رأس الثلاثمائة للهجرة في بغداد، بجمع سبع قراءات لسبعة
من أئمة الحرمين والعراقين والشام، واشتهروا بالثقة والأمانة والضبط وملازمة القراءة،
وجاء جمعه لها محض مصادفة واتفاق، إذ كان في أئمة القراء من هم أجلّ منهم قدراً،
وكان عددهم لا يستهان به.^١

هذا... وعبارة «القراءات السبع» لم تكن معروفة في الأمصار الإسلامية، حين بدأ
العلماء يؤلفون في القراءات، كأبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي جعفر الطبري، وأبي حاتم
السجستاني وغيرهم فقد ذكروا في مؤلفاتهم أضعاف تلك القراءات - حسبما تقدّم في
الفصل السابق - وإنما بدأت هذه العبارة تشتهر على رأس المائة الرابعة، من لدن «ابن
مجاهد» ولم يكن متّسع الرواية والرحلة^٢ وتوهم الكثير من عوام الناس وغوغائهم أنّها
هي المرادة من الأحرف السبعة التي جاءت في الحديث النبوي.

ومن ثمّ هبّ الأئمة النُّقاد في توجيه ملامتهم الحادة إلى موقف ابن مجاهد هذا
الموهم، الأمر الذي حطّ من كرامة أئمة آخرين هم أكبر شأنًا وأعظم قدراً من هؤلاء
السبعة!

استنكارات لموقف ابن مجاهد

هذا الإمام - المقرئ المفسّر - أبو العباس أحمد بن عمّار المهدويّ يلوم ابن مجاهد في
عبارة قاسية جداً، يقول: «لقد فعل مُسبِّح هذه السبعة مالا ينبغي له، وأشكل الأمر على

٢ - راجع: البرهان للزركشي، ج ١، ص ٣٢٧.

١ - مباحث في علوم القرآن، ص ٢٤٧-٢٤٨.

العامّة، بإيهامه كلّ من قلّ نظره أنّ هذه القراءات هي المذكورة في الخبر، وليته إذ اقتصر تقصّ عن السبعة أوزاد ليزيل الشبهة. ووقع له أيضاً في اقتصاره عن كلّ إمام على راويين أنّه صار من سمع قراءة راوٍ ثالث غيرهما أبطلها، وقد تكون هي أشهر وأصحّ وأظهر، وربّما يبالغ من لا يفهم فخطأ وكفر»^١.

وقال أبو بكر ابن العربي: «ليست هذه السبعة متعيّنة للجواز، حتى لا يجوز غيرها كقراءة أبي جعفر وشيبة والأعمش ونحوهم، فإنّ هؤلاء مثلهم أو فوقهم». قال جلال الدين السيوطي: «وكذا قال غير واحد، منهم أبو محمد مكّي بن أبي طالب وأبو العلاء الهمداني وآخرون من أئمة القراء»^٢.

وقال أثير الدين أبو حيّان الأندلسي: «ليس في كتاب ابن مجاهد ومن تبعه، من لقراءات المشهورة إلّا النزر اليسير، فهذا أبو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشر راوياً - ثمّ ساق أسماءهم - واقتصر في كتاب ابن مجاهد على اليزيديّ. واشتهر عن اليزيديّ عشرة أنفس، فكيف يقتصر على السوسيّ والدوري، وليس لهما مزيّة على غيرهما! لأنّ لجميع مشتركون في الضبط والإتقان والاشتراك في الأخذ، قال: ولا أعرف لهذا سبباً إلّا صا قضي من نقص العلم»^٣.

وقال الإمام الأستاذ إسماعيل بن إبراهيم بن القّرّاب في أوّل كتابه «الشافعي»: «ثمّ اتمسّك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم، ليس فيه أثر ولا سنّة، وإنّما هو من جمع بعض المتأخّرين - يريد ابن مجاهد - لم يكن قرأ بأكثر من السبع، فصنّف كتاباً وسمّاه «السبعة» وانتشر ذلك في العامّة، وتوهّموا أنّه لا تجوز الزيادة على ما ذكر في ذلك الكتاب، لاشتهار ذكر مصنّفه وقد صنّف غيره كتباً في القراءات وبعده، وذكر لكلّ إمام من هؤلاء الأئمة روايات كثيرة وأنواعاً من الاختلاف، ولم يقل أحد أنّه لا تجوز القراءة بتلك الروايات من أجل أنّها غير مذكورة في كتاب ذلك المصنّف - يريد ابن مجاهد - ...»^٤.

١ - الإتقان، ج ١، ص ٢٢٣.

٢ - المصدر.

٣ - المصدر.

٤ - النشر، ج ١، ص ٤٦.

وقال أبو الحسن علي بن محمد السخاوي - شيخ أبو شامة -: «لما كان العصر الرابع سنة ثلاثمائة وماقاربها، كان أبوبكر ابن مجاهد قد انتهت إليه الرئاسة في القراءة، مقدماً على أهل عصره، اختار من القراءات ما وافق خط المصحف، ومن القراء من اشتهرت قراءته، ورأى أن يكونوا سبعة تأسيساً بعدة المصاحف التي بعثها عثمان إلى الآفاق، ويقول النبي ﷺ: نزل القرآن على سبعة أحرف. فاختار هؤلاء السبعة أئمة الأمصار. فكان أبوبكر ابن مجاهد أول من اقتصر على هؤلاء السبعة، وصنف كتابه في قراءتهم، واتبعه الناس على ذلك، ولم يسبقه أحد إلى تصنيف قراءة هؤلاء السبعة».^١

وقال أبو محمد مكّي بن أبي طالب: «وهذه القراءات كلّها جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، وأمّا من ظنّ أن قراءة كلّ واحد من هؤلاء القراء السبعة هي أحد الأحرف السبعة، فذلك منه غلط عظيم. إذ يجب أن يكون ما لم يقرأ به هؤلاء السبعة متروكاً، إذ قد استولوا على الأحرف السبعة، فما خرج عن قراءتهم فليس من السبعة، ويجب أن لا تروى قراءة عن ثامن فما فوق!».

قال: «وقد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ممّن هو أعلى رتبة وأجلّ قدراً من هؤلاء السبعة، على أنّه قد ترك جماعة من العلماء في كتبهم في القراءات ذكر بعض هؤلاء السبعة وأطرحهم. فقد ترك أبو حاتم وغيره ذكر حمزة والكسائي وابن عامر، وزاد نحو عشرين رجلاً من الأئمة ممّن هو فوق هؤلاء السبعة. وكذلك زاد الطبريّ في كتاب القراءات على السبعة نحو خمسة عشر رجلاً، وكذلك فعل أبو عبيد وإسماعيل القاضي».

قال: «فكيف يجوز أن يظنّ ظانّ أن قراءات هؤلاء السبعة المتأخّرين هي الأحرف السبعة؟! هذا تخلف عظيم، أكان ذلك بنصّ النبي ﷺ أم كيف ذلك؟!».

قال: «وكيف يكون ذلك والكسائي إنّما ألحق بالسبعة بالأمس في أيام المأمون، وقد كان السابع يعقوب الحضرميّ، فأثبت ابن مجاهد في سنة ثلاثمائة أو نحوها الكسائي في

موضع يعقوب؟».

وأطال الكلام في ذلك بإسهاب.^١

وقال الحافظ ابن الجزري: «بلغنا عن بعض من لاعلم له أن القراءات الصحيحة هي التي عن هؤلاء السبعة. بل غلب على كثير من الجهّال أن الصحيحة هي التي في الشاطبيّة والتيسير. وحتى أن بعضهم يطلق على ما ليس فيهما أولم يكن عن هؤلاء السبعة اسم الشاذ. وربّما كان كثير ممّا لم يكن فيهما أولم يكن عن السبعة أصحّ ممّا فيهما أو ممّا عنهم. وإنّما أوقع هؤلاء في الشبهة أنّهم سمعوا نزول القرآن على سبعة أحرف، وسمعوا قراءات السبعة، فظنّوا أنّها هي المشار إليها في الحديث».

قال: «ولذلك كره كثير من الأئمة المتقدّمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء، وخطأوه في ذلك، وقالوا: ألا اقتصر على دون هذا العدد أوزاده، أو بيّن مراده ليخلص من لا يعلم من هذه الشبهة».^٢

قال جلال الدين السيوطي: «وقد اشتدّ إنكار أئمة هذا الشأن على من ظنّ انحصار القراءات المشهورة في مثل ما في التيسير والشاطبيّة. وآخر من صرح بذلك هو الشيخ تقي الدين السبكي...».^٣

تلك استنكارات الأئمة موجّهة إلى ابن مجاهد، باعتباره أوّل من جمع القراءات في السبع واقتصر عليها. أمّا وهل أثّرت تلكم الاستنكارات؟

أمّا العامة فجروا على سيرتهم الأولى منذ مطلع القرن الرابع، مقتصرين على القراء السبعة في تقليد محض.

وأما العلماء والمصنّفون الذين جاؤوا بعد، فلم يستطيعوا الحياد عن مجرى العامة، فنسجوا على منوالهم القصير، وجروا معهم في مهبط المسيل.

فهذا أبو محمد مكّي (ت ٤٣٧) - أشدّ المشنّعين على الحصر في السبع - صنّف كتابه

١ - راجع: الإبانة، ص ٢-١٠؛ والمرشد الوجيز، ص ١٥١-١٥٣.

٢ - النشر، ج ١، ص ٣٦. ٣ - الإبتقان، ج ١، ص ٢٢٥.

«الكشف عن وجوه القراءات السبع» فحسب.

وهذا الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤) ألف كتابه «التيسير» في القراءات السبع.

والإمام أبو عبد الله محمد بن شريح الاشبيلي (ت ٤٧٦) ألف كتابه «الكافي» في السبعة ورواتهم وكذا الإمام أبو حفص عمر بن القاسم الأنصاري الأندلسي صنّف كتابه «المكرّر» فيما تواتر من القراءات السبع وتحرّر.

والإمام أبو محمد القاسم بن فيرة الشاطبي (ت ٥٩٠) نظم قصيدته «الشاطبيّة» المسماة بحرز الأمانى ووجه التهاني، في قراءات السبعة، وذكر لكلّ قارئ راويين، كما جرت عليه العامة تقليداً إلزامياً لابن مجاهد.

وهكذا غيرهم من مؤلفين وغيرها من مؤلفات، جروا وجرّت على نفس المنوال في حصر محصور.

نعم زاد بعض المتأخّرين ثلاثة تنميماً للعشرة، وذكر لكلّ واحد منهم راويين أيضاً، جرياً مع ما فعله ابن مجاهد في السبعة.

من هؤلاء: الإمام شمس الدين أبو الخير ابن الجزري (ت ٨٣٣). صنّف كتابه الكبير «النشر» في القراءات العشر. ثمّ «التحبير» في قراءات الأئمة العشرة. ونظم قصيدة على نفس النمط، أسماها «طيبة النشر» في القراءات العشر.

وجرى مجراه من جاء بعده، حتى العصر الأخير، كالمهذب في القراءات العشر، تأليف المعاصر محمد سالم محيسن.

واختار بعضهم من قارئى الشواذ أربعة، ليضيفوهم على العشرة، ليصبح عدد القراء المعتمدين - حسب تقديرهم - أربعة عشر. وجاء كتاب «إتحاف فضلاء البشر» في قراءات الأربعة عشر تأليف أحمد بن محمد الدميّاطي (ت ١١١٧) على هذا النمط المبتدع.

أما نحن - معاصر الإماميّة أتباع مذهب أهل البيت - فلا نملك دليلاً يسعنا في هذا

الشطط من الرأي والاختيار غير المستند، سوى ما ثبتت لنا صحته وفق الشروط التي تقدّمت، وهي قراءة واحدة، لأنّ القرآن واحد نزل من عند الواحد. والاختلاف إنّما جاء من قبل الرواة، أي القُرّاء حسب اجتهاداتهم الخاصّة. ولا عبرة بهم ذاتياً، سوى الكشف عن القراءة الصحيحة التي هي الأصل، وذلك إذا اتفق القُرّاء عليها، أو كانت الأغلبية معها، مع توفر باقي الشروط.

القُرّاء السبعة ورواتهم

ذكرنا أنّ حصر القراءات في الأئمة السبعة كان محض مصادفة واتفاق، على أثر جمع ابن مجاهد واقتصاره على من وصل إليه من القراءات السبع، ولم يكن متّسع الرواية والرحلة - كما علّله الإمام الزركشي^١ - أو لم يكن له سبب سوى نقص العلم وقلة معرفته بقراءات الأئمة الكبار غيرهم - كما علّله أبو حيان الأندلسي - أو لم يكن قرأ بأكثر من السبع^٢ - كما عليه الإمام القُرّاب^٣. ونحو ذلك من تعاليل تنمّ عن قصور ابن مجاهد في هذا الشأن.

فكان من ثمّ تقصير وإزراء بحقّ آخرين، ممّن هو أعلى رتبة وأجلّ قدراً من هؤلاء السبعة. كما جاء في كلام أبي محمد مكّي^٤ ناقماً على مسبّع السبعة.

وذكر مكّي في تعليل ذلك: أنّ ابن جبير صنّف قبل ابن مجاهد كتاباً في القراءات واقتصر على خمسة، اختار من كلّ مصر إماماً واحداً، باعتبار أنّ المصاحف التي أرسلها عثمان كانت خمسة إلى هذه الأمصار الخمسة. ويقال: إنّ وجه بسبعة، هذه الخمسة واليمن والبحرين. لكن لما لم يسمع لهذين المصحفين خبر، وأراد ابن مجاهد مراعاة عدد المصاحف السبعة، استبدل من غير البلدين قارئين، فاخترهما من الكوفة أيضاً فصادف

١ - البرهان، ج ١، ص ٣٢٧.

٢ - الإتيان، ج ١، ص ٢٢٣.

٣ - النشر، ج ١، ص ٤٦.

٤ - راجع: الإبانة، ص ٥-٨؛ والمرشد الوجيز، ص ١٥١؛ والإتيان، ج ١، ص ٢٢٣-٢٢٤.

بذلك موافقة العدد الذي ورد به حديث الأحرف السبعة.

قال: وكان أحد السبعة المعروفين يعقوب الحضرمي، فأنبت ابن مجاهد اسم الكسائي وحذف يعقوب.^١

قلت: وهو تعليل غريب، وعلى أية حال فإن القراءات المعروفة عبر العصور بعد حادث ابن مجاهد، هي السبع، وغيرها هجرت تدريجياً، وأوشكت أن تذهب أدراج الرياح. وما ذاك إلا أثر سيء من تلك المأساة التي قام بها ابن مجاهد.

ومن ثمّ فإننا - في هذا العصر - نجد أنفسنا مضطرينّ تجاه هذه السبع لاغيرها، فالواجب هو التحفظ عليها ومدارستها وممارستها لئلاّ تضيع كما ضاعت أخواتها من قبل. أمّا القراء السبعة الذين قرأوا بهذه القراءات الباقية فقد تقدّمت تراجمهم في فصل «طبقات القراء حسب القرون» وإليك الآن فهرس أسمائهم وأسماء راويين من روايتهم، حسب ما جاء في كتاب «السبعة» لابن مجاهد، وإلاّ فالرواة عنهم أكثر من ذلك:

١ - عبدالله «ابن عامر» اليحصبي، قارئ الشام (ت ١١٨).

وراوياه هما: «هشام بن عمار» و«ابن ذكوان» ولم يدركاه لأنّ هشاماً ولد عام ٦٥٣ ومات ٢٤٥. وابن ذكوان ولد عام ١٧٣ ومات ٢٤٢. ومن ثمّ لم يعرف السبب في اختيار ابن مجاهد هذين للرواية عن ابن عامر؟!

٢ - عبدالله «ابن كثير» الداري. قارئ مكة (ت ١٢٠).

وراوياه هما: «البرّي» و«قُنبُل». ولم يدركاه أيضاً. لأنّ الأوّل ولد سنة ١٧٠ ومات ٢٥٠. والثاني ولد ١٩٥ ومات ٢٩١.

٣ - «عاصم» بن أبي النجود الأسديّ قارئ الكوفة (ت ١٢٨).

وراوياه هما: «حفص» بن سليمان ربيبه (٩٠-١٨٠) و«شعبة» أبوبكر ابن عيّاش (٩٥-١٩٣). وكان حفص أضبط بقراءة عاصم.

٤ - «أبو عمرو» بن العلاء المازني، واسمه زبّان. قارئ البصرة (ت ١٥٤).

وراوياه هما: «الدوري» حفص بن عمر (ت ٢٤٦) و«السوسي» صالح بن زياد (ت ٢٦١) ولم يدركاه، وإنما رويَا عن اليزيدي عنه.

٥ - «حمزة» بن حبيب الزيّات، قارئ الكوفة أيضاً (ت ١٥٦).

وراوياه هما: «خلف» بن هشام البزار (١٥٠-٢٢٩). و«خلّاد» ابن خالد الشيباني (ت ٢٢٠). رويَا عنه بالواسطة.

٦ - «نافع» بن عبدالرحمان الليثي. قارئ المدينة (ت ١٦٩).

وراوياه هما: «قالون» ربيب نافع، واسمه عيسى بن ميناء (١٢٠-٢٢٠) و«ورش» عثمان بن سعيد (١١٠-١٩٧).

٧ - عليّ بن حمزة «الكسائي» قارئ الكوفة أيضاً (ت ١٨٩).

وراوياه هما: «الليث» بن خالد البغداديّ (ت ٢٤٠). و«الدوري» حفص بن عمر راوي أبي عمرو أيضاً (ت ٢٤٦).

وزاد المتأخرون ثلاثة، تنميماً للعشرة، وهم:

٨ - «خلف» بن هشام، راوي حمزة، وقارئ بغداد (ت ٢٢٩).

وراوياه هما: «أبو يعقوب» المروزي إسحاق بن إبراهيم. ورّاق خلف (ت ٢٨٦). و«أبو الحسن» إدريس بن عبدالكريم (ت ٢٩٢).

٩ - «يعقوب» الحضرمي، ابن إسحاق، قارئ البصرة (ت ٢٠٥).

وراوياه هما: «رويس» محمد بن المتوكل اللؤلؤيّ (ت ٢٣٨) و«روح» بن عبدالمؤمن الهذليّ (ت ٢٣٥).

١٠ - «أبو جعفر» يزيد بن القعقاع المخزوميّ. قارئ المدينة (ت ١٣٠).

وراوياه هما: «ابن وردان» عيسى الحدّاء (ت ١٦٠). و«ابن جمّاز» سليمان بن مسلم الزهريّ (ت ١٧٠).

ولحق هؤلاء أربعة، قرأوا بالشواذ، وقد اعتبرت قراءاتهم وقبلتها العامة، وهم:

١١ - «الحسن البصريّ» بن يسار. قارئ البصرة (ت ١١٠).

ورواياه هما: «شجاع» بن أبي نصر البلخي (١٢٠-١٩٠). و«الدوري» حفص بن عمر (ت ٢٤٦). روى عنه بالإسناد.

١٢ - «ابن محيصن» محمد بن عبدالرحمان. قارئ مكة مع ابن كثير (ت ١٢٣).
ورواياه هما: «البرقي» أحمد بن محمد (١٧٠-٢٥٠) و«ابن شنبوذ» محمد بن أحمد (ت ٣٢٨). روى عنه بالإسناد.

١٣ - «اليزيدي» يحيى بن المبارك. قارئ البصرة (ت ٢٠٢).
ورواياه هما: «سليمان بن الحكم» الخياط (ت ٢٣٥). و«أحمد بن فرج» الضرير (ت ٣٠٣) روى عن الدوري عنه.

١٤ - «الأعمش» سليمان بن مهران الأسدي، قارئ الكوفة (ت ١٤٨).
ورواياه هما: «الشنبوذ» محمد بن أحمد البغدادي (٣٠٠-٣٨٨). و«المطوعي» الحسن بن سعيد البصري (ت ٣٧١). روى عنه بالواسطة.
هؤلاء أربعة عشر قارئاً وثمانية وعشرون راوياً، ذكرناهم تبعاً لما ذكره القوم، ولمسيس الحاجة إلى معرفتهم بالذات، في خصوص القراءات الدارجة الموجودة اليوم.

ملحوظات قصيرة

- ١ - قال أبو عمرو الداني: ليس في القراء السبعة من العرب سوى اثنين: عبدالله بن عامر اليحصبي قارئ دمشق. وأبي عمرو بن العلاء المازني قارئ البصرة.^١
قلت: أمّا ابن عامر فكان يزعم أنه من حمير، غير أن ابن حجر ذكر أنه ممن يغمز في نسبه.^٢ وكذا أبو عمرو بن العلاء قيل: إنه من مازن تميم. لكن حكى القاضي أسد اليزيدي أنه من «فارس» - شيراز - من قرية يقال لها «كازرون» وهي معمورة اليوم.^٣
- ٢ - أربعة من القراء السبعة هم شيعة آل البيت عليهم السلام بالتصريح ومن المحافظين الثقات:

٢ - تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٢٧٤، رقم ٤٧٠.

١ - التيسير، ص ٦-٥.

٣ - غاية النهاية في طبقات القراء، ج ١، ص ٢٨٨.

عاصم بن أبي النجود، وأبو عمرو بن العلاء، وحمزة بن حبيب، وعلي بن حمزة الكسائي^١ وواحد من أشياخ معاوية وهو ابن عامر كان لا يتورّع الكذب والفسوق^٢ واثنان - هما: ابن كثير المكي ونافع المدني - مستور الحال. لكن نسبتهما إلى «فارس» بالخصوص^٣ ربّما تنمّ عن موقفهما من مذهب أهل البيت عليه السلام لأنّهم أسبق من عرف الحقّ ولمسه في هذا الاتجاه.

٣- قال أبو محمد مكي بن أبي طالب: «وأصحّ القراءات سنداً نافع وعاصم وأفصحها أبو عمرو والكسائي»^٤.

وقال ابن خلكان: «كان عاصم المشار إليه في القراءات»^٥.

وقال أحمد بن حنبل: «كان أهل الكوفة يختارون قراءة عاصم، وأنا أختارها»^٦.
وقال الخوانساري: «وظلّت قراءته هي الدارجة بين المسلمين، وكانت تكتب بالسواد، وباقي القراءات تكتب بألوان أخر للتمييز»^٧.

قال يحيى بن معين: «الرواية الصحيحة التي رويت من قراءة عاصم هي رواية حفص»^٨.

قلت: ومن ثمّ فالقراءة المعروفة عن عاصم في جميع الأعصار هي التي برواية حفص، وهو موضوع بحثنا في الفصل التالي.

١ - راجع: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، ص ٣٤٦.

٢ - فقد كذب في سنة ولادته. وفي انتسابه إلى حمير. وفي إسناد قراءته إلى شيوخ لم يلتق بهم. أو إلى أناس لم يكونوا مقرّنين، كعثمان ومعاوية. قال: «قرأت على معاوية...» - معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٦٧ - ومن ثمّ بعث سليمان بن عبد الملك مهاجراً لينجيّة عن إمامة المسجد بدمشق، ويقول له: «تأخّر فلن يتقدّم منّا دعي!» المصدر، ص ٦٩. وراجع: ترجمته في هذا الكتاب، ص ١٨٦، برقم ٨، طبعة ٣.

٣ - فإنّ ابن كثير ينتهي نسبه إلى زاذان بن فيروزان بن هرمز، من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى في أسطول بحريّ لإتقاذ صنعاء من الأحباش، فطردوهم عنها وأقاموا هناك مرابطين. وكان نافع أصله من أصبهان. راجع: التيسير، ص ٤؛ وغاية

النهاية، ج ٢، ص ٣٢٠، وج ١، ص ٤٤٣. ٤ - الإتيان، ج ١، ص ٢٢٥.

٥ - وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٩. ٦ - تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٣٩.

٧ - روضات الجنات، ج ٥، ص ٤. ٨ - النشر، ج ١، ص ١٥٦.

حفص وقراءتنا الحاضرة

كانت ولا تزال القراءة الدارجة بين المسلمين، منذ العهد الأول حتى عصرنا الحاضر، هي القراءة التي تتوافق مع قراءة عاصم برواية حفص. وكان لذلك سببان: الأول: ما أشرنا إليه سابقاً، أنَّ قراءة حفص كانت هي قراءة عامة المسلمين، وأنَّ النسبة مقلوبة، حيث كان حفص وشيخه عاصم حريصين على الالتزام بما وافق قراءة العامة والرواية الصحيحة المتواترة بين المسلمين. وهي القراءة التي أخذها عاصم عن شيخه أبي عبد الرحمن السلمي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ولم يكن علي عليه السلام يقرأ إلا بما وافق نصّ الوحي الأصل المتواتر بين المسلمين. وهذه القراءة أقرأها عاصم لتلميذه حفص، ومن ثمَّ اعتمدها المسلمون في عامة أدوارهم، نظراً إلى هذا التوافق والوئام.

وكانت نسبتها إلى حفص نسبة رمزيّة، تعييناً لهذه القراءة. فمعنى اختيار قراءة حفص: اختيار قراءة اختارها حفص، لأنّها قراءة متواترة بين المسلمين منذ الأول. الثاني: أنَّ عاصماً بين القراء المعروفين، كان فريداً بسمات وخصائص، جعلته علماً يشار إليه بالبنان، فقد كان ظابطاً متقناً للغاية، شديد الحذر والاحتياط فيمن يأخذ عنه القرآن متثبتاً. ومن ثمَّ لم يأخذ القراءة أخذاً إلا من أبي عبد الرحمن السلمي عن علي عليه السلام.

وكان يعرضها على زرّبن حبّيش عن ابن مسعود.

قال ابن عيّاش: قال لي عاصم: ما أقرّاني أحد حرفاً إلاّ أبو عبدالرحمان، وكان أبو عبدالرحمان قد قرأ على عليّ عليه السلام فكنت أرجع من عنده فأعرض على زرّ، وكان زرّ قد قرأ على عبدالله.

فقلت لعاصم: لقد استوثقت. ^١ الأمر الذي جعله مشاراً إليه في القراءات، على حدّ تعبير ابن خلّكان. ^٢

وهكذا في جميع أدوار التاريخ كانت قراءة عاصم هي القراءة المفضّلة التي راجت بين عامّة المسلمين، واتجهوا إليها في صورة جماعيّة.

هذا القاسم بن أحمد الخياط الحاذق الثقة (ت ٢٩٢) كان إماماً في قراءة عاصم. ومن ثمّ كان إجماع الناس على تفضيله في قراءة ته. ^٣

وكان في حلقة ابن مجاهد - مقرئ بغداد على رأس المائة الرابعة - خمسة عشر رجلاً خصّيصاً بقراءة عاصم، فكان الشيخ يقرّئهم بهذه القراءة فقط، دون غيرها من قراءات. ^٤ وكان نفطويه إبراهيم بن محمد (ت ٣٢٣) إذا جلس للإقراء - وكان قد جلس أكثر من خمسين عاماً - يبتدئ بشيء من القرآن المجيد على قراءة عاصم فحسب، ثمّ يقرئ غيرها. ^٥

وهكذا اختار الإمام أحمد بن حنبل قراءة عاصم على قراءة غيره، لأنّ أهل الكوفة - وهم أهل علم وفضيلة - اختاروا قراءته ^٦ وفي لفظ الذهبي: قال أحمد بن حنبل: كان عاصم ثقة، أنا أختار قراءته. ^٧

وقد حاول الأئمّة اتصال أسانيدهم إلى عاصم برواية حفص بالخصوص، قال الإمام شمس الدين الذهبي: وأعلى ما يقع لنا القرآن العظيم فهو من جهة عاصم. ثمّ ذكر إسناده

٢ - وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٩، رقم، ص ٣١٥.

٤ - معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٢١٧.

٦ - تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٣٩.

١ - معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٧٥.

٣ - غاية النهاية، ج ٢، ص ١٦.

٥ - لسان الميزان لابن حجر، ج ١، ص ١٠٩.

٧ - ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٣٥٨.

متصلاً إلى حفص عن عاصم عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عليّ عليه السلام وعن زرّ عن
عبد الله. كلاهما عن النبي صلى الله عليه وآله عن جبرائيل عليه السلام عن الله عزّ وجلّ.^١

هذا من جانب ومن جانب آخر كان حفص هو الذي أشاع قراءة عاصم في البلاد،
وكان معروفاً بالضبط والإتقان، ومن ثمّ أقبل جمهور المسلمين إلى أخذ قراءة عاصم منه
بالخصوص.

هذا فضلاً عن أنّ حفصاً كان أعلم أصحاب عاصم بقراءته، ومفضلاً على زميله
أبي بكر بن عيّاش في الحفظ وضبط حروف عاصم.

قال أبو عمرو الداني: حفص هو الذي أخذ قراءة عاصم على الناس تلاوة، ونزل بغداد
فأقرأ بها، وجاور بمكة فأقرأ بها.^٢

قال ابن المنادي: كان الأولون يعدّون حفصاً في الحفظ فوق ابن عيّاش، ويصفونه
بضبط الحروف التي قرأها على عاصم.^٣

قال الشاطبي: وحفص... وبالإتقان كان مفضلاً.^٤

أمّا أهل النقد والتمحيص فيرون من رواية حفص عن عاصم هي الرواية الصحيحة.
قال ابن معين: الرواية الصحيحة التي رويت من قراءة عاصم هي رواية حفص بن
سليمان.^٥

ومن ثمّ فإنّ القراءة التي راجت بين المسلمين قاطبة، هي قراءة عاصم من طريق
حفص فقط.

هذا فضلاً عن أنّ إسناده حفص إلى شيخه إلى عليّ أمير المؤمنين عليه السلام إسناده ذهبى عال
لأنظير له في القراءات.

أولاً: إنّ عاصماً لم يقرأ - القراءة التامة - على أحد سوى شيخه أبي عبد الرحمن
السلمي الرجل العظيم نبلاً ووجاهة. وإنّما كان يعرض قرائته على غيره لغرض الإتقان

٢ - غاية النهاية، ج ١، ص ٢٥٤.

١ - معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٧٧.

٤ - سراج القارئ (شرح الشاطبي)، ص ١٤.

٣ - النشر، ج ١، ص ١٥٦.

٥ - النشر، ج ١، ص ١٥٦.

فحسب. وقد تقدّم حديث ابن عيَّاش ذلك.^١

ثانياً: إنّه لم يُخطئ شيخه السُّلَميّ في شيء من حروفه، علماً منه أنّ شيخه لم يُخطئ عليّاً عليه السلام في شيء من قراءته.

قال: لم أخالف أبا عبدالرحمان السلمي في شيء من قراءته، فإنّ أبا عبدالرحمان لم يخالف عليّاً في شيء من قراءته.^٢

ثالثاً: إنّ عاصماً خَصَّ بهذا الإسناد الذهبي الرفيع ربيبه حفصاً دون غيره. وهي فضيلة كبرى امتاز بها حفص على سائر القراء إطلاقاً، وهي التي أهلته لإقبال عامّة المسلمين على قرائته فحسب، قال حفص: قال لي عاصم: ما كان من القراءة التي أقرأتُك بها، فهي القراءة التي قرأت بها على أبي عبدالرحمان السُّلَميّ عن عليّ عليه السلام وما كان من القراءة التي أقرأتها أبابكر بن عيَّاش فهي القراءة التي كنت أعرضها على زُرّبن حبّيش عن ابن مسعود.^٣

هذا... ولم يزل علماؤنا الأعلام من فقهاءنا الإماميّة، يرجّحون قراءة عاصم برواية حفص، علماً منهم بأنّها القراءة المفضّلة المتوافقة مع قراءة قريش الذين نزل القرآن بلغتهم ووفق لهجتهم الفصحى التي توافقت عليها العرب والمسلمون جميعاً.

قال أبو جعفر رشيد الدين محمد بن علي بن شهر آشوب (ت ٥٨٨): وأمّا عاصم فقرأ على أبي عبدالرحمان السُّلَميّ. وقال أبو عبدالرحمان: قرأت القرآن كلّهُ على عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فقال: أفصح القراءات قراءة عاصم. لأنّه أتى بالأصل، وذلك لأنّه يُظهر ما أدغمه غيره، ويحقّق من الهمز ما ليّنه غيره، ويفتح من الألفات ما أماله غيره.^٤

وقال العلامة أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف بن المطهر الحليّ (ت ٧٦٢): وأحبّ القراءات إليّ قراءة عاصم.^٥

١ - في ص ٢٢٠ عن: معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٧٥. ٢ - معرفة القراء، ج ١، ص ٧٥؛ وغاية النهاية، ج ١، ص ٣٤٨.

٣ - غاية النهاية، ج ١، ص ٣٤٨. ٤ - المناقب، ج ٢، ص ٤٣.

٥ - منتهى المطلب، ج ٥، ص ٦٤، الفرع السادس.

ولأبي الحسن ثابت بن أسلم الحلبي الشهيد (٤٦٠) من كبار تلامذة أبي الصلاح الحلبي تصنيف لطيف في تعليل قراءة عاصم وأنها قراءة قريش. ذكره الصفدي وعنه الذهبي في تاريخ الإسلام.^١ وللمولى عماد الدين علي شريف القارئ الإسترابادي (من علماء القرن التاسع) في قراءة عاصم وسند قراءته وسند قراءة المؤلف إليه. وهي رسالة فريدة كتبها لبنت الشاه طهماسب الصفوي. وجعل لها خاتمة فيما فات في الشاطبية من قراءة عاصم...^٢

وللمولى مصطفى بن محمد إبراهيم القارئ التبريزي نزيل خراسان (من علماء القرن الحادي عشر، ولد سنة ١٠٠٧) رسالة في سند قراءة عاصم أيضاً.^٣
... وهكذا لم يزل العلماء في جميع الأعصار يواكبون جمهور المسلمين في الاهتمام بشأن قراءة عاصم برواية حفص. الأمر الذي رجّح من قراءته على سائر القراءات أجمع. مضافاً إلى مامر من مزايا أخرى.

وهل خالف حفص شيخه عاصماً في شيء من قراءته؟
قال ابن الجزري: وذكر حفص أنه لم يخالف عاصماً في شيء من قراءته إلا في حرف الروم «الله الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ...»^٤ قرأه بالضمّ وقرأه عاصم بالفتح.^٥
قال أبو محمد مكّي: قرأ أبو بكر وحمزة بفتح الضاد في الثلاثة.^٦ وقد ذكر عن حفص أنه رواه عن عاصم واختار هو الضمّ لرواية ابن عمر، قال: قرأت على رسول الله ﷺ «من ضعف» بالفتح، قال: فردّ عليّ النبي ﷺ «من ضعف» بالضمّ في الثلاثة.
قال مكّي: وروي عن حفص أنه قال: ما خالفت عاصماً في شيء ممّا قرأت به عليه إلا في ضمّ هذه الثلاث كلمات.^٧

١ - راجع: أعيان الشيعة، ج ٤، ص ٧؛ وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ج ١٨، ص ١٧٦ الهامش؛ ومقدمة كتاب الكافي للحلبي، ص ١٨ بقلم العلامة رضا أستاذي.

٢ - الذريعة إلى تصانيف الشيعة للشيخ الطهراني، ج ١٧، ص ٥٥-٥٦، رقم ٣٠٤.

٣ - الروم ٣٠: ٥٤.

٤ - المصدر، ج ١٢، ص ٢٣٦، رقم ١٥٤٢.

٥ - الكلمة مكررة في الآية ثلاث مرّات.

٦ - غاية النهاية، ج ١، ص ٢٥٤.

٧ - الكشف، ج ٢، ص ١٨٦.

لكن الصحيح أنّ هذه النسبة غير ثابتة، ومن ثمّ لم يبتّ مكّي في إسناد ذلك إلى حفص، وإنّما ذكره عن ترديد وشكّ بلفظة المجهول: «ذُكِرَ عن حفص». «روي عن حفص». كأنّه لم تثبت عنده صحّة ذلك قطعياً. وهذا هو الذي نرجّحه نحن، نظراً لأنّ وثوق مثل حفص، بابن عمر الهائم في مذاهبه، لم يكن بمرتبة توجب ترجيحه على الوثوق بشيخه الضابط الأمين، إذ كانت قراءة عاصم ترتفع إلى مثل عليّ عليه السلام في سلسلة إسناد ذهبيّ رفيع، وقد أتقنه عاصم إتقاناً، فأودعه ربيبه وثقته حفصاً. الأمر الذي لا ينبغي الارتباب فيه لمجرّد رواية رواها رجل غير موثوق به إطلاقاً.

إذ كيف يخفى مثل هذا الأمر - في قراءة آية قرآنية - على سائر الصحابة الكبار الأئمّة، ويبيديه النبيّ صلى الله عليه وآله لابن عمر اختصاصاً به؟!

وهل يعقل أن يترك حفص قراءة ضمن شيخه الثقة أنّها قراءة عليّ عليه السلام في جميع حروفها كاملة أخذها عن شيخه السلميّ في إخلاص وأمانة، لمجرّد رواية لم تثبت صحّتها؟!

وإذ كنّا نعرف مبلغ تدقيق الكوفيّين ولاسيّما في عصر التابعين، ومدى ولائهم لآل البيت عليهم السلام واتّهامهم لأمثال ابن عمر تقطع بكذب الإسناد المذكور وأنّ حفصاً لم يخالف شيخه عاصماً في شيء من حروفه إطلاقاً، كما لم يخالف عاصم شيخه السلميّ في شيء من قراءته، لأنّ السلميّ لم يخالف عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام. هذا هو الصحيح عندنا. فالأرجح أنّ حفصاً لم يقرأ بالضم ولم يخالف شيخه عاصماً إطلاقاً.

صلة الشيعة بالقرآن الوثيقة

لم يبعثنا على عقد هذا الفصل سوى أنا وجدنا في كلمات بعض من تُعوزهم الحرّية في التفكير، ويُفضّلون تقليد أسلافهم في الحقد على أُمّة كبيرة من المسلمين لاذنب لهم سوى تمسّكهم بولاء آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله عملاً بوصيّة صلى الله عليه وآله ^١ وإجابة لدعوة القرآن الكريم ^٢.

١ - في حديث الثقلين وحديث السفينة وغيرهما.

٢ - في قوله تعالى: «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا التَّوَدُّ فِي الْقُرْبَى». الشورى ٤٢: ٢٣.

فقد وجَّهوا إلى الشيعة تُهماً كثيرة إفكاً وزوراً هم منها براء، منها: نسبة مصحف خاصٍ إليهم أطلقوا عليه اسم «المصحف الشيعي».^١ في حين أنَّ الشيعة أنفسهم لم يسمعوا بهكذا مصحف في جميع أدوار تأريخهم المجيد.

وقد واجه هذه النسبة بالإنكار الشديد، جماعة من الباحثين المتأخرين^٢ ومن أهمهم جولد تسيهر الذي عالج علاقة الشيعة الخاصة بالنص القرآني الرسمي الموجود بأيدينا.^٣

واستيضاحاً لهذا الجانب (مدى صلة الشيعة بالنص الموجود) نعرض ما يلي:
نحن إذ عرضنا تأريخ القرآن المجيد، والأدوار التي مرّت عليه جيلاً بعد جيل وجدنا أنَّ هذا النصّ الموجود بهذا الوضع الراهن، هو صنيع جهود الشيعة بالذات، وهم الذين سهروا على حفظه وضبطه وإتقانه، وعملوا في تحسينه وتشكيله وتطويره من جميل إلى أجمل في عمل مستمرّ، فالحقيقة - إن كان هناك مصحف شيعيّ - تقضي بأن يطلق هذا الاسم على المصحف الموجود، نسبة إلى أئمة الشيعة وقراءهم وحفاظهم وفنّانهم عبر التاريخ، وإليك بإيجاز:

كان عليّ أمير المؤمنين عليه السلام أوّل من أبدى فكرة جمع القرآن بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله مباشرة. وإن كان جمعه هو رُفض، لكن فكرة الجمع أثّرت أثرها في نفس الوقت. ولم يكن الاختلاف بين الجمعيين في نصّ القرآن.

وكانت المصاحف الرئيسيّة التي جمع فيها القرآن كلّها على ذلك العهد - قبل توحيدها - هي ما جمعه عبدالله بن مسعود وأبيّ بن كعب وأبو الدرداء والمقداد بن الأسود. ممّن عُرفوا بالولاء الخاصّ للبيت النبويّ الرفيع ولم يكن سائر المصاحف بذلك الاعتبار. وكانت صحف أبي بكر غير منتظمة بين دفتين.

١ - راجع: الدكتور عبدالله خورشيد في كتابه «القرآن وعلومه في مصر»، ص ٨١ فإنّه عالج ما بين الشيعة وهذه النسبة من صلة، وفنّدها على أساس تأريخي.

٢ - راجع: تأريخ آداب العرب لمصطفى صادق الرافعي، ج ٢، ص ١٥-١٦؛ ومقدمة حياة محمد لموير: ص ٣٥-٣٦؛ وتأريخ المساجد الأثريّة لحسن عبدالوهاب، ص ٩٢؛ وهامش فضائل القرآن لابن كثير بقلم رشيد رضا، ص ٤٨، رقم

٢ و ٣؛ و القرآن وعلومه في مصر، ص ٨١. ٣ - راجع: مذاهب التفسير لجولد تسيهر، ص ٢٩٣.

وأول من جاء بفكرة توحيد المصاحف على عهد عثمان هو حذيفة بن اليمان في قصة سلفت وكان أبي بن كعب هو الذي تصدّى إملاء القرآن على لجنة استساخ المصاحف الموحدة، وكانوا يراجعونه فيما أشكل عليهم من ثبت الكلمات.

وكان تشكيل المصحف وتنقيطه على يد أبي الأسود الدؤلي وتلميذه نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر. وأول من تنوّق في كتابة المصحف وتجويد خطّه هو خالد بن أبي الهياج صاحب علي عليه السلام ثمّ كان ضبط الحركات على الشكل الحاضر على يد الأستاذ الكبير خليل بن أحمد الفراهيدي، وكان هو أول من وضع الهمز والتشديد والروم والإشمام.^١ أمّا القراءات فإنّ الشيعة هم الذين درسوا أصولها وأحكموا قواعدها وأبدعوا في فنونها وأطوارها في أمانة وإخلاص.

كان أربعة - إن لم نقل ستة - من القراء السبعة شيعة. فضلاً عن غيرهم من أئمة قراء كبار، كابن مسعود وأبي بن كعب، وأبي الدرداء، والمقداد، وابن عباس وأبي الأسود، وعلقمة، وابن السائب، والسلمي، وزرّ بن حبيش، وسعيد بن جبير، ونصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر، وعاصم بن أبي النجود، وحرمان بن أعين، وأبان بن تغلب، والأعمش، وأبي عمرو بن العلاء، وحمزة، والكسائي، وابن عيّاش، وحفص بن سليمان، ونظرائهم من أئمة كبار، هم رؤوس في القراءة والإقراء في الأمصار والأعصار.^٢

أمّا القراءة الحاضرة - قراءة حفص - فهي قراءة شيعيّة خالصة، رواها حفص - وهو من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام^٣ عن شيخه عاصم وهو من أعيان شيعة الكوفة الأعلام^٤ - عن شيخه السلمي -^٥ وكان من خواصّ علي عليه السلام، عن أمير المؤمنين عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله عزّ وجلّ.

١ - كلّ ذلك تقدّم تفصيله في الجزء الأول من هذا الكتاب.

٢ - راجع الطبقات الثمان التي تقدّمت هنا.

٣ - ذكره الشيخ أبو جعفر الطوسي في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام وقال: أسند عنه. راجع: الرجال للطوسي، ص ١٧٦.

٤ - ذكره مؤلف نقض الفضائح شيخ ابن شهر آشوب وأبي الفتوح الرازي. راجع: تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، ص ٣٤٦ ومجالس المؤمنين للقاضي، ج ١، ص ٥٤٨.

٥ - ذكره ابن قتيبة في أصحاب علي عليه السلام وممن حمل عنه الفقه. المعارف، ص ٢٣٠؛ وعدّه البرقي في رجاله من خواصّ الإمام علي عليه السلام من مضر. تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، ص ٣٤٢.

مقارنة نموذجية بين قراءة حفص وقراءات تخالفها

كانت ولا تزال قراءة عاصم - برواية حفص - هي القراءة المفضلة، والتي تقبلها جمهور المسلمين في جميع الأدوار والأعصار، وفي جميع البلدان والأمصار، وذلك لميزات كانت فيها، أهمها:

إنَّ عاصماً جمع بين الفصاحة والإتقان والتحرير والتجويد. الأمر الذي خُصَّ به الوصفُ في كتب تراجم القراء^١. كما اختصَّ بعلوِّ الإسناد وارتفاعه إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بواسطة واحدة، هو التابعي الكبير أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي. وكانت قراءة الإمام هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وآله بلا شك، عن جبرائيل عن الله عز وجل. فكانت هي الحجة المعتبرة.

وحفص كان أتقن أصحاب عاصم وأعلمهم بقراءته. قال ابن معين: الرواية الصحيحة التي رويت من قراءة عاصم رواية حفص بن سليمان^٢.
قال الشاطبي:.... وحفص... وبالإتقان كان مفضلاً^٣.

وفي العرض التالي مقارنة نموذجية بين هذه القراءة وسائر القراءات التي تخالفها، ليتبين مدى قوتها وإتقانها حسب المقاييس أيضاً، فضلاً عن قوة السند وإتقان المأخذ كما عرفت، وإليك ملتقطات من ذلك، حسب ترتيب السور:

فمن سورة الفاتحة

قرأ عاصم والكسائي: «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» بالألف. وقرأ الباقر وغير ألف.
وهكذا روى العياشي بإسناده إلى الحلبي: أن الإمام أبا عبد الله الصادق عليه السلام كان يقرأ: «مالك يوم الدين». والظاهر أنه عليه السلام كان ذلك دأبه. نعم كان كثيراً ما يقرأ بغير ألف أيضاً، لما رواه العياشي بإسناده عن داود بن فرق، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقرأ ما لا أحصي «ملك

٢ - نفس المصدرين.

١ - شرح طيبة النشر، ص ٩؛ والمكرر، ص ٥.

٣ - سراج القارئ (شرح الشاطبية)، ص ١٤.

يوم الدين» بغير ألف.^١

والظاهر جواز القراءة بالوجهين، وإن كان الأرجح بل المتعين قراءة الألف، لكونها هي المحفوظة في صدور المسلمين عامتهم وخاصتهم، ممّا يدلّ على أنّها هي الأصل المأثور متواتراً. ولأنّ الإمام عليه السلام كان يتداوم عليها، وإن قيل إنّ كان قد يقرأ بغير ألف أحياناً، ولعلّ الثانية كانت للموافقة مع قراء الحجاز (مكة والمدينة) آنذاك.^٢ إن لم يكن قد التبس الأمر على ابن فرقد فيما كان الإمام عليه السلام يقرأ بإمالة الألف - كما هي لهجة قريش - فحسبها ابن فرقد بغير ألف كما هي عادة العرب اليوم: لا يُظهرون الألف - في مثل ذلك - إظهاراً، فيظنّ أنّه بالإسقاط.

وقد رجّح الأخفش قراءة الألف، لأنّ «مالكا» يضاف في اللفظ إلى سائر المخلوقات (أي جميعها) يقال: مالك الناس والجن والحيوان، ومالك الرياح والطيور وسائر الأشياء، ولا يقال ملك... قال: فلمّا كان ذلك كذلك، كان الوصف بالملك (بكسر الميم) أعمّ من الوصف بالملك (بضمّ الميم)، لأنّه يملك جميع ما ذكرنا وتحيط به قدرته.

قال أبو زرعة - تعقيباً على هذا الكلام -: قال علماؤنا: إنّما يكون الملك (بالكسر) أبلغ في المدح فيما أُضيف إلى الله، ممّا أُضيف إلى المخلوقين، لأنّ أحدهم إنّما يملك شيئاً دون شيء والله يملك كلّ شيء.^٣

قلت: الملك - بالضمّ - هو السلطة، والأكثر كونها في السياسة الإدارية لأمة أو رقعة من الأرض. ومن ثمّ كان ملكوت السماوات والأرض بيده تعالى «لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ».

١ - تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٢-٢٣.

وممّا يجوز التنبيه له: أنّ القراءة بغير ألف إنّما حدثت في عهد متأخّر عن الصدر الأوّل. يوم كان مروان والياً على المدينة من قبل معاوية ومقيماً بها (٤١-٦١). أخرج وكيع بن الجراح الرؤاسي الكوفي في تفسيره، وعبد بن حميد، وأبو داود وابنه عن الزهري: أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وأبا بكر وعمر - وفي رواية ابن أبي داود عن ابن شهاب: إضافة عثمان - كانوا يقرأونها «مالك يوم الدين» بالألف. وأوّل من قرأها «ملك» بغير ألف، مروان.

وفي رواية ابن شهاب: وأوّل من أحدث «ملك» - بغير ألف - مروان. الدر المنثور، ج ١، ص ٣٥-٣٦.

٢ - ابن كثير قارئ مكة من السبعة مات سنة ١٢٠ ونافع قارئ المدينة مات سنة ١٦٩. وعاش الإمام جعفر بن

٣ - حجة القراءات، ص ٧٩.

محمد الصادق عليه السلام (٨٣-١٤٨).

والمَلِك - بالكسر - أعمّ وأشمل، وهو أساس المُلْك - بالضم - ومنشؤه الأول. وهو في المخلوق عرضي اعتباري. وفيه تعالى أصيل حقيقي، لأنه تعالى إنما ملك الأشياء كلها بالصنع والإيجاد، فكان هو المالك لجميع الأشياء كلها ملكاً حقيقياً، وفي غيره اعتباري محض.

قال الراغب: المُلْك - بالضم - ضبط الشيء المتصرّف فيه بالحكم، والمَلِك - بالكسر - كالجنس للمُلْك - بالضم - فكلّ مُلْك مَلِك، وليس كلّ مَلِك مُلْكاً. قال تعالى: «قُلِ اللّٰهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ»^١. «وَلَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا»^٢ وقال: «أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ»^٣. «قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا»^٤. وفي غيرها من الآيات.

ورُجِّح «مالك» على «مَلِك» بوجوه:

قال تغلب: إنّ مالكا أبلغ من مَلِك، لأنه قد يكون المُلْك على من لا يُمْلِك، كما يقال ملك الروم وإن كان لا يملكهم، ولا يكون مالكا إلا على ما يُمْلِك. وقال آخر: إنّ مالكا أبلغ في المدح للخالق من ملك، وملك أبلغ في مدح المخلوقين من مالك، لأنّ مالكا من المخلوقين يكون غير ملك إلا واحداً في كثير. وإذا كان الله مالكا فهو ملك إطلاقاً.

قال الشيخ: والأقوى أن يكون «مالك» أبلغ في المدح فيه تعالى، لأنه ينفرد بالملك ويملك جميع الأشياء فكان أبلغ.^٥

وقال أبو علي الفارسي: يشهد لمن قرأ «مالك» من التنزيل قوله تعالى: «يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ»^٦. لأنّ قولك: «الأمر له» و«هو مالك الأمر» بمعنى، ألا ترى أنّ لام الجر معناها الملك والاستحقاق.^٧

٢ - الفرقان ٢٥: ٣.

١ - آل عمران ٣: ٢٦.

٤ - الأعراف ٧: ١٨٨.

٣ - يونس ١٠: ٣١.

٦ - الانفطار ٨٢: ١٩.

٥ - التبيان، ج ١، ص ٣٥.

٧ - مجمع البيان، ج ١، ص ٢٤.

وأخيراً، والذي يحسم النزاع: أنَّ المأثور عن السلف هي القراءة بالألف، وقد كان النبي ﷺ وكذا كبار صحابته يقرأون «مالك» بالألف، وأوّل من قرأها «مَلِك» بالألف هو مروان بن الحكم ومن على شاكلته ذلك العهد. ولم يثبت عن غيره من كبار الصحابة والتابعين الأعلام أنّه قرأها بغير ألف.^١

ومن سورة البقرة:

قرأ نافع وراويه (قالون وورش) وابن كثير وأبو عمرو: «وَمَا يَخَادَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ».^٢ واحتجّ أبو عمرو بأنّ الرجل إنّما يخادع نفسه ولا يخدعها. أي يحاول ذلك ولا يتحقّق منه. وقرأ عاصم وراويه (شعبة وحفص) وسائر الكوفيّين وغيرهم: «وَمَا يَخْدَعُونَ». وحجّتهم في ذلك أنّ الله أخبر عن المنافقين أنّهم يخادعون الله والذين آمنوا... بقولهم: «آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ» فأثبت لهم مخادعتهم الله والمؤمنين. فلو كان عقبه بأنّهم لا يخادعون الله والمؤمنين وإنّما يخادعون أنفسهم، كان ذلك تنافياً في الكلام، إذ كان قد نفى في آخر الكلام ما أثبتّه لهم في أوّله. أمّا لو قرئ بغير ألف، كان قد أخبر أنّ المخادعة من فعلهم، لكن الخدع إنّما يحيق بهم خاصّة دون غيرهم من المؤمنين.^٣

توضيح ذلك: أنّ المخادعة هي محاولة الخدع، يجوز أن يقع ويجوز أن لا يقع. قال تعالى: «وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ».^٤ أمّا الخدع فهو تعبير عن تحقّقه ووقوع تأثير الخداع. الأمر الذي ينفيه تعالى بالإضافة إلى نفسه والمؤمنين، وإنّما يحيق المكر السيّء بأهله. وبذلك يتبيّن وهن احتجاج أبي عمرو، لأنّهم لم يحاولوا خداع أنفسهم، وإنّما وقع

١ - قد فضلنا الكلام فيه عند الكلام عن قراءة السلف لسورة الحمد في كتابنا الكبير «التفسير الأثري الجامع». وراجع أيضاً: سنن أبي داود، ج ٤، ص ٣٧، رقم ٤٠٠٠ و ٤٠٠١ كتاب الحروف والقراءات. وجامع الترمذي، ج ٥، ص ١٨٥-١٨٦، رقم ٢٩٢٨، كتاب القراءات عن رسول الله. والمصاحف للسجستاني، ص ٩٢-٩٤. وغيرها من مصادر

ذكرناها هناك.

٢ - البقرة ٢: ٩.

٤ - الأنفال ٨: ٦٢.

٣ - حجة القراءات، ص ٨٧.

تأثير الخداع بأنفسهم من غير أن يكونوا أرادوه، قال تعالى: «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ»^١.

قال مكِّي بن أبي طالب: وقراءة من قرأ بغير ألف أقوى في نفسي، لأن الخداع فعل أنفسهم قد يقع وقد لا يقع. والخدع فعل وقع بلاشك. فإذا قرأت: «وما يخدعون» أخبرت عن فعل وقع بهم بلاشك. وأما إذا قرأت: «وما يخادعون» جاز أن يكون لم تقع بهم المخادعة. فيخدعون، أمكن في المعنى...

قال أبو حاتم: العامة عندنا على قراءة «وما يخدعون»...^٢

* «فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ»^٣.

قرأ عاصم وحمزة والكسائي: «بما كانوا يكذبون» بالتخفيف. وقرأ الباقر بالتشديد. وقراءة التخفيف هي الأشبه بسياق الآية، لأنهم إنما عوتبوا على كذبهم ونفاقهم، ولم يكن ثمة تكذيب في ظاهر الكلام. «والله يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ»^٤. فقد صحت قراءة التخفيف ليكون الكلام على نظام واحد.^٥

* «وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ»^٦.

قرأ نافع وراويه (قالون وورش): «النبئين» بالهمز. وهو من النبر في القرآن المنهي عنه صريحاً عن النبي ﷺ.

روي أن رجلاً قال للنبي ﷺ: «يا نبي الله»، فنهره وقال: «لست نبي الله ولكن نبي الله»، وفي رواية: «إنا معشر قريش لا نبر».

ولما حج المهدي العباسي قدم الكسائي يصلي بالناس، فأنكر عليه أهل المدينة وقالوا: إنه ينبر في مسجد رسول الله ﷺ بالقرآن!!^٧

وقد روى الصدوق بإسناده عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ

٢ - الكشف، ج ١، ص ٢٢٥-٢٢٧.

١ - فاطر ٣٥: ٤٣.

٤ - المنافقون ٦٣: ١.

٣ - البقرة ٢: ١٠.

٥ - حجة القراءات، ص ٨٩؛ والكشف، ج ١، ص ٢٢٨. ٦ - البقرة ٢: ٦١.

٧ - النهاية، ج ٥، ص ٧؛ وتقدم في «إنكارات على القراء».

تعلّموا القرآن بعربيّته، وإيّاكم والنبر فيه، يعني الهمز.^١ قال الصادق عليه السلام: الهمز زيادة في القرآن، إلّا الهمز الأصلي مثل قوله تعالى: «أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ»^٢ وقوله: «لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ»^٣ وقوله: «فَادَارَأْتُمْ فِيهَا»^٤.

وقرأ عاصم وسائر القُرّاء: «النبیین» على الأصل المعهود من لغة قريش. قال أبو محمد مكّي بن أبي طالب: قرأ نافع وحده: «النبيّ، والنبوءة، والأنبياء، والنبیین» بالهمز في جميع القرآن، إلّا في موضعين من سورة الأحزاب.^٥ فإنّ قالون لم يهمزهما^٦ وهذا الكلام يستدعي أنّ ورشا تبع نافع في الهمز بالجميع. وهذا غريب، كيف أنّ نافعاً قارئ المدينة يخالف رأي نبيّها وأهلها والمسلمين في النبر في القرآن؟!

قال سيبويه: ليس أحد من العرب إلّا ويقول: تنبأ مسيلمة، بالهمز، غير أنّهم تركوا الهمز في النبيّ كما تركوه في الذريّة والبريّة والخاوية. إلّا أهل مكة فإنّهم يهمزون هذه الأحرف الثلاثة ولا يهمزون غيرها، ويخالفون العرب في ذلك.^٧

إذن كانت قراءة عاصم وفق لغة قريش الذين نزل القرآن بلغتهم. كما كانت متوافقة مع الفصح من لغة العرب جميعاً، وقد نزل القرآن عربياً وعلى لغتهم ولهجتهم. سوى أنّ «ورشا» وشيخه «نافعاً» خالفا قريشا وسائر العرب أجمعين. وقد قال تعالى: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ»^٨.

❖ «قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا»^٩.

قرأ نافع: هُزءاً. والباقون. هُزءٌ.

١ - في نسخة الوسائل «النبر» بالزاي. وهو تصحيف، والصحيح ما أثبتناه بالراء المهملة.

٢ - النمل ٢٧: ٢٥.

٣ - النحل ١٦: ٥.

٤ - البقرة ٢: ٧٢. راجع: وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٨٦٥، باب ٣٠ من أبواب قراءة القرآن، ح ١.

٥ - الأحزاب ٣٣: ٥٠ و ٥٣.

٦ - الكشف، ج ١، ص ٢٤٣-٢٤٤.

٧ - النهاية، ج ٥، ص ٤.

٨ - الشعراء ٢٦: ١٩٣-١٩٥.

٩ - البقرة ٢: ٦٧.

وقرأ حفص: «هزواً» بغير همز وضميتين، لأنه كره الهمز بعد ضميتين في كلمة واحدة فليتها. وهي المتوافقة مع لغة العرب الفصحى السليسة، وهي القراءة المعروفة عند عامة المسلمين.

قال مكّي: «هزوا، وكفوا، وجزءاً» قرأ حمزة بإسكان الزاي والفاء، وضمها الباكون. وكلهم همز إلا حفصاً فإنه أبدل من الهمزة واواً مفتوحة على أصل التخفيف...^١
* «إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ».^٢
قرأ نافع: «وَلَا تُسْأَلُ» نهياً... ولا وجه له... إلا على مذهب فاسد تركناه.^٣

وقرأ عاصم والباكون: «وَلَا تُسْأَلُ» أي لست مسؤولاً عنهم، كما في قوله تعالى: «فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ. لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ».^٤ ونظيرها من آيات نزلت تسلياً لخاطره ﷺ كانت نفسه الكريمة تذهب عليهم حسرات، أن لا يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً. ولعله ﷺ كان يخشى المسؤولية، التي جاءت الإشارة إليها في قوله تعالى: «فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ».^٥

* «وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرْوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ».^٦

قرأ نافع وابن عامر: «ولو ترى...» خطاباً إلى النبي ﷺ وعليه فجواب الشرط محذوف مقدر، أي لرأيت أمراً فظيماً. وهكذا يبقى «أَنَّ الْقُوَّةَ...» بلامحل للإعراب إلا بتقدير «لأنَّ القوَّةَ...» وهذا كله تكلف.^٧

وقرأ عاصم والباكون «ولو يرى...» جرياً مع ظاهر الكلام من غير تكلف تقدير.

* «أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا».^٨

١ - الكشف، ج ١، ص ٢٤٧؛ وحجة القراءات، ص ١٠٠-١٠١.

٢ - البقرة ٢: ١١٩. ٣ - راجع: حجة القراءات، ص ١١١.

٤ - الغاشية ٨٨: ٢١-٢٢.

٥ - الأعراف ٧: ٦. ٦ - البقرة ٢: ١٦٥.

٧ - راجع: حجة القراءات، ص ١١٩.

٨ - البقرة ٢: ١٨٦.

قرأ ورش عن نافع «الداعي» بالياء. لأنه الأصل.

وقرأ عاصم والباقون: «الداع» بغير ياء، وحجّتهم أنّ ذلك في المصحف كذلك بغير ياء، فلا ينبغي أن يخالف رسم المصحف.^١

* «وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ».^٢

قرأ نافع: «حتى يقول» بالرفع، زعماء أنّها بمعنى «قال» على الماضي.^٣

وقرأ عاصم والباقون بالنصب على الأصل، لأنّ مدخول «حتى» غاية للزلزال، وتكون «حتى» هنا بمعنى «إلى أن».

* «قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا».^٤

قرأ نافع: «هل عَسَيْتُمْ» بكسر السين، لغة رديئة.

وقرأ عاصم والباقون بالفتح، لغة فصحي.

قال أبو عبيد: القراءة عندنا هي الفتح، لأنّها أعرف اللغتين. ولو كان الكسر صحيحاً لقرئ «عسى ربّنا...»^٥ بكسر السين، وقد أجمعوا هناك على الفتح لا غير.

قال مكّي: والفتح في السين هي اللغة الفاشية، وعليها أجمع القراء ونافع معهم في غير ما هنا.

قال: وهو الاختيار، لإجماع القراء عليه مع المضمّر والمظهر، وإنّما خالفهم نافع وحده مع المضمّر. وقد قال أبو حاتم: ليس للكسر وجه.^٦

* «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُومَهَا».^٧

قرأ عاصم: «تجارة...» بالنصب خبراً، والاسم مضمّر، والمعنى: «إِلَّا أَنْ تَكُونَ المعاملة تجارةً حاضرةً».

٢ - البقرة ٢: ٢١٤.

١ - راجع: حجة القراءات، ص ١٢٦-١٢٧.

٤ - البقرة ٢: ٢٤٦.

٣ - حجة القراءات، ص ١٣١.

٦ - حجة القراءات، ص ١٣٩-١٤٠، والكشف، ج ١، ص ٣٠٣.

٥ - القلم ٦٨: ٣٢.

٧ - البقرة ٢: ٢٨٢.

وقرأ الباقر «تجارة...» بالرفع، على أن تكون «كان» تامة، قياساً على قوله: «وإن كان ذو عسرة» قبلها.^١

لكن الرفع هناك كان لأجل الدلالة على عموم الحكم، يشمل كل معسر، وليس مخصوصاً بالمتبايعين فحسب، ومن ثمّ أجمعوا على الرفع هناك. فلا موضع للقياس عليه.^٢

❖ «فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ».^٣

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «فَرُهْنٌ...» بضمّ الراء والهاء، جمع رَهْن. مثل سَقَفٌ وَسُقُفٌ. وقرأ عاصم والباقر: «فَرِهَانٌ»... لأنّ جمع فَعَلَ على فعال أقيس في العريّة، نحو بَحْرٌ وَبِحَارٌ وَعَبْدٌ وَعِبَادٌ، وَكَعْبٌ وَكَعَابٌ، وَنَعْلٌ وَنَعَالٌ. قال مكّي: جمع فعل على فعال كثير، وجمع فَعَلَ على فُعْلٍ قليل، وإنّما أتى منه أشياء نوادر في الكلام. فيحمل القرآن على الكثير الفاشي وهو فعال، وهو الاختيار.^٤

ومن سورة آل عمران:

❖ «قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ».^٥

قرأ نافع: «ترونها...» بالتاء بناء منه على أن الخطاب مع اليهود.^٦ وقرأ عاصم والباقر بالياء. قال أبو عمرو: لو كانت بالتاء لكانت «مثليكم...» قال مكّي: وقد كان يلزم من قرأ بالتاء أن يقرأ «مثليكم» وذلك لا يجوز، لمخالفة الخط...^٧ ❖ «فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ».^٨

قرأ نافع وأبو عمرو: «ومن اتبعني» بالياء على خلاف مرسوم الخط.

١ - البقرة ٢: ٢٨٠.

٢ - الكشف، ج ١، ص ٣٢٢.

٣ - البقرة ٢: ٢٨٣.

٤ - الكشف، ج ١، ص ٣٢٢-٣٢٣.

٥ - آل عمران ٣: ١٣.

٦ - حجة القراءات، ص ١٥٤.

٧ - الكشف، ج ١، ص ٣٢٦.

٨ - آل عمران ٣: ٢٠.

وقرأ عاصم والباقون وفق رسم خط المصحف الشريف.^١

﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾.^٢

قرأ ابن عامر: «والله أعلم بما وَضَعْتُ» بضم التاء.

وقرأ عاصم - برواية حفص والباقون - بسكون التاء. إذ لو كان ذلك من كلامها لكان

الأليق أن يكون «رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ».^٣

ومن سورة النساء:

قرأ نافع: «وَنُذْخِلُكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا»^٤ بفتح الميم مصدراً ثلاثياً.^٥

وقرأ عاصم والباقون بالضم، ليتوافق المصدر مع الفعل، كما في سورة الإسراء «وَقُلْ

رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ»^٦ مصدراً مزيداً باتفاق القراء.

قرأ حمزة والكسائي: «أَوَلَمْ تَسْتُمْ»^٧ بغير ألف.

وقرأ عاصم والباقون بالالف. وحجّتهم ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «لَا مَسْتُمْ

النِّسَاء» أي جامعتم، ولكن الله يَكْنِي.^٨

ومن سورة المائدة:

قرأ عاصم برواية حفص: «أَزْجُلُكُمْ إِلَى الْكَفْبَيْنِ»^٩ بالنصب.

وهكذا قرأ نافع وابن عامر والكسائي.

وقرأ برواية شعبة بالخفض، وهكذا ابن كثير وأبو عمرو وحمزة.^{١٠}

وقد تكلمنا عن قراءة النصب وكونها هي المختارة وفق المذهب الصحيح في مسح

الأرجل.

٢ - آل عمران ٣: ٣٦.

٤ - النساء ٤: ٣١.

٦ - الإسراء ١٧: ٨٠.

٨ - حجة القراءات، ص ٢٠٤-٢٠٥.

١٠ - حجة القراءات، ص ٢٢١ و ٢٢٣.

١ - حجة القراءات، ص ١٥٨.

٣ - حجة القراءات، ص ١٦١.

٥ - حجة القراءات، ص ١٩٩.

٧ - النساء ٤: ٤٣.

٩ - المائدة ٥: ٦.

ومن سورة الأنعام:

قرأ حمزة والكسائي: «فَيُهْدَاهُمُ اقْتَدَ».^١

وقرأ عاصم والباقون: «اقتده...» بهاء السكت وصلًا، وحجّتهم أنّها مثبتة في المصحف، فكرهوا إسقاط حرف من المصاحف.^٢

قرأ ابن عامر: «قتل أولادهم شرّكائهم»^٣ بإضافة القتل إلى الشركاء مع فصل المفعول به. وقد خطّاه الأئمة وسائر العلماء.

وقرأ عاصم والباقون: «قَتَلَ أولادِهِمُ شرّكائِهِمُ» بإضافة القتل إلى الأولاد ورفع الشركاء فاعلا للمصدر. وقد بحثنا عن ذلك بتفصيل.

ومن سورة الأعراف:

«وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ»^٤ وكذا في سورتي الفرقان (٢٥: ٤٨)

والنمل (٢٧: ٦٣) بالباء.

هذه هي قراءة عاصم وحده، قال أبو زرعة: وحجّته قوله تعالى: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ»^٥ وذلك أنّ الريح تبشّر بالمطر، قال: وكان عاصم ينكر أن تكون الريح تُنشر، وكان يقول: المطر ينشر، أي: يحيي الأرض بعد موتها، يقال: نشر وأنشر إذا أحيى.^٦ وقرأ حمزة والكسائي: «نَشْرًا» وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو: «نُشْرًا». وقرأ ابن عامر «نُشْرًا». ودلائلهم في ذلك غير وافية.^٧

ومن سورة هود:

قرأ عاصم وحده: «يَابُنِيَّ ارْكَبْ مَعَنَا»^٨ بفتح الياء، وقرأ الباقيون بالكسر.^٩ ويأتي نظيره

في سورة لقمان.

٢ - حجة القراءات، ص ٢٦٠.

٤ - الأعراف ٧: ٥٧.

٦ - حجة القراءات، ص ٢٨٦.

٨ - هود ١١: ٤٢.

١ - الأنعام ٦: ٩٠.

٣ - الأنعام ٦: ١٣٧.

٥ - الروم ٣٠: ٤٦.

٧ - راجع: الكشف، ج ١، ص ٤٦٥.

٩ - حجة القراءات، ص ٣٤٠.

ومن سورة النحل:

قرأ عاصم وحمزة والكسائي: «فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ»^١ بفتح ياء المضارعة وكسر الدال. وقرأ نافع والباقون: «لا يهدي...» بضم الياء وفتح الدال، بمعنى أن الذي أضله الله فلا هادي له.^٢ لكن يبقى ربط الكلام غير منسجم!

ومن سورة الكهف:

قرأ عاصم وحده: «وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ» «وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ»^٣ بفتحيتين. وقرأ أبو عمرو: «ثُمر... بثمره...» بالضم فسكون.
وقرأ الباقر: «ثُمر... بثمره...» بضميتين.
والقياس مع عاصم بدليل «كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ أَتَتْ أَكْلَهَا...»^٤ والأكل هو الثمر^٥ فضلاً عن موافقة جمهور المسلمين.
قرأ حفص وحده: «وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا»^٦ على وزن مجلس بكسر اللام. وقرأ شعبة بفتح اللام.
وقرأ نافع والباقون: «لمهلكهم...» بضم الميم وفتح اللام.^٧

ومن سورة مريم:

قرأ نافع والكسائي: «يَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ»^٨ بالياء.
وقرأ عاصم والباقون: «تكاد...» بالتاء^٩ وهو الأنسب لأن الاسم جمع مؤنث سالم بالألف والتاء، ولا سيما وضمير الجمع المؤنث العائد عليها.
ولا كذلك لو كان جمع مكسر ولو كان مؤنثاً حقيقياً، كما في «قال نسوة».

٢ - حجة القراءات، ص ٣٨٨.

١ - النحل ١٦: ٣٧.

٤ - الكهف ١٨: ٣٣.

٣ - الكهف ١٨: ٣٤ و ٤٢.

٦ - الكهف ١٨: ٥٩.

٥ - حجة القراءات، ص ٤١٦.

٨ - مريم ١٩: ٩٠.

٧ - حجة القراءات، ص ٤٢١.

٩ - حجة القراءات، ص ٤٤٨.

ومن سورة طه:

قرأ أبو عمرو: «طاء، هـ» بكسر الهاء. وقرأ حمزة والكسائي «ط، هـ» بالكسر فيهما. وقرأ حفص والباقون: «طا، ها» قال أبو زرعة: وهو الأصل، لأن العرب تقول: طاء، هاء.^١ وقرأ أبو عمرو: «إِنَّ هَٰذَيْنِ لَسَاحِرَانِ»^٢ بالتشديد والياء. وقرأ عاصم والباقون: «إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ...» بالتخفيف والألف، لأنه الموافق لرسم المصحف الإمام.^٣ وقد تكلمنا عن تفصيل ذلك في مجاله. ولأبي زرعة أيضاً كلام حول ذلك فراجع.

ومن سورة الأنبياء:

قوله تعالى: «وَكَذَٰلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ».^٤ قال الفراء: القراء يقرأونها بنونين، وكتابها بنون واحدة. وذلك أن النون الأولى متحرّكة والثانية ساكنة، فلا تظهر الساكنة على اللسان، فلما خفيت حذفت.^٥ فقد قرأ عاصم برواية حفص وكذلك سائر القراء، بنونين مع إخفاء الثانية، وفق المعهود من لهجة العرب عند النطق بالنون الساكنة في الحالة السادسة، ممّا ذكره أئمة القراءة، منهم مكّي بن أبي طالب فراجع.^٦ هذا... ولكن ابن عامر وكذا شعبة، قرأ «نُجِّي» بتشديد الجيم وسكون الياء. قال الفراء: ولا نعلم لها جهة إلا احتمال اللّحن، لأنّ ما لم يسم فاعله إذا خلا باسم رفعه. قال أبو زرعة: وقالوا أيضاً: «نَجِّي» فعل لم يسم فاعله وكان الواجب أن تكون الياء مفتوحة كما في «عَزِيٍّ وَقُضِيٍّ».^٧

٢ - طه ٢٠: ٦٣.

١ - المصدر، ص ٤٤٩-٤٥٠.

٤ - الأنبياء ٢١: ٨٨.

٣ - حجة القراءات، ص ٤٥٤.

٥ - أي فلما خفيت لساناً حذفت خطأً أيضاً، وذلك في العهد الأول عندما كان الخط عند العرب في بدايته.

٦ - الكشف، ج ١، ص ١٦٦.

٧ - راجع: معاني القرآن، ج ٢، ص ٢١٠؛ وحجة القراءات، ص ٤٦٩-٤٧٠.

قال مكِّي بن أبي طالب: وحجّة من قرأ بنون واحدة، أنّه بنى الفعل للمفعول فأضمر المصدر (أي نُجِّي النجاء المؤمنين) ليقوم المصدر مقام الفاعل، ونصب «المؤمنين» على أنّه مفعول به.. قال: وفيه بعدٌ من وجهين:

أحدهما: أنّ الأصل أن يقوم المفعول مقام الفاعل دون المصدر، فكان يجب رفع «المؤمنين» وذلك مخالف للخطّ.

والوجه الثاني: أنّه كان يجب أن تفتح الياء من «نُجِّي» لأنّه فعل ماضٍ، كما تقول «رُمي» و«كُلّم»، فأسكن الياء، وحقّها الفتح، فهذا الوجه بعيد في الجواز.

قيل: إنّ هذه القراءة على طريق إخفاء النون الثانية في الجيم! قال مكِّي: وهذا أيضاً بعيد لأنّ الرواية بتشديد الجيم، والإخفاء، لا يكون معه تشديد.

وقيل: أدغم النون في الجيم. قال: وهذا أيضاً لا نظير له، لا تدغم النون في الجيم في شيء من كلام العرب، لبعدهما بينهما.

قال: وإنّما تعلق من قرأ هذه القراءة أنّ هذه اللفظة في أكثر المصاحف بنون واحدة! فهذه القراءة إذا قرئت (بتشديد الجيم، وضّمّ النون، وإسكان الياء) غير متمكّنة في العريّة!¹

ومن سورة الشعراء:

قرأ حفص وأبو عمرو وابن كثير ونافع: «نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ»² بتخفيف «نزل» ورفع «الروح الأمين».

وقرأ الباقر: «نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ» بالتشديد والنصب.³ أي نَزَّلَ الله الروح بالقرآن.. ولا يخفى ما فيه من التعسّف؟!

٢ - الشعراء ٢٦: ١٩٣.

١ - الكشف، ج ٢، ص ١١٣.

٣ - حجة القراءات، ص ٥٢٠.

ومن سورة الروم:

قرأ حفص وحده: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ»^١. بكسر اللام أي العلماء جمع العالم. وهي القراءة المعروفة لدى الجمهور. قال أبو زرعة: وهو المتناسب مع ما قبل الآية: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»^٢ وما بعدها: «لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ»^٣.

ومن سورة لقمان:

قرأ حفص وحده: «يَا بُنَيَّ»^٤ بفتح الياء في جميع القرآن. وقرأ الباكون بكسرهما في الجميع أيضاً. وأراد حفص «يَا بُنَيَّاه» فرخّم... وهو الأصوب في لسان العرب والأسلس تعبيراً في الكلام. راجع الحجة في القراءات لأبي زرعة.^٥

ومن سورة الصافات:

قرأ ابن عامر: «وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ»^٦ بغير همز في «إلياس» زعماً منه أن اسمه كان «ياس» فدخلت عليه الألف واللام.^٧ والصحيح قراءة الباقيين بالهمز، بدليل ما بعدها «سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْيَاسِينَ».

ومن سورة النجم:

قرأ نافع وأبو عمرو: «عَادَ لَوْلَى»^٨ فأدغم نون التنوين من «عاداً» في اللام من «الأولى».

١ - الروم ٣٠: ٢١.

٢ - الروم ٣٠: ٢٢.

٣ - الروم ٣٠: ٢٤. راجع: حجة القراءات، ص ٥٥٧-٥٥٨. ٤ - لقمان ٣١: ١٣.

٥ - حجة القراءات، ص ٥٦٤ وأيضاً ص ٣٤٠. ٦ - الصافات ٣٧: ١٢٣.

٧ - معاني القرآن، ج ٢، ص ٣٩٢؛ وحجة القراءات، ص ٦١٠.

٨ - النجم ٥٣: ٥٠.

قال أبو عثمان المازني: أساء عندي أبو عمرو في قراءته، لأنه أدغم النون في لام المعرفة، واللام إنما تحرّكت بحركة الهمزة وليس بحركة لازمة (أي ليست هي متحرّكة بذاتها).^١

ومن سورة الواقعة:

«يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ - إِلَى قَوْلِهِ - وَحُورٌ عِينٌ».^٢

قرأ حمزة والكسائي: «وَحُورٌ عِينٌ» بالخفض.

وقرأ عاصم والباقون بالرفع. قال الزجاج: الرفع أحسن الوجهين.

وقد اختلف الأئمة في وجه إعراب ذلك خفضاً ورفعاً، ولهم في ذلك تفصيل عريض.

فليراجع.^٣

ومن سورة المعارج:

قرأ حفص وحده: «كَلَّا إِنَّهَا لَأُظَى. نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى»^٤ بالنصب. وقرأ الباقر: «نَزَّاعَةً...»

بالرفع.

فالنصب على أنه حال، وهو ظاهر معروف.

أما الرفع فقد اختلفوا فيه، قال القراء: إنه بدل من لظى. وقال الزجاج: إنه خبر بعد خبر

بلا فصل عاطف، كما تقول: إنه حلو حامض.^٥

وقد ذكر مكّي للرفع وجوها خمسة،^٦ الأمر الذي ينبئك عن ضعفه!

١ - حجة القراءات، ص ٦٨٧.

٢ - الواقعة ٥٦: ١٧ و ١٨ و ٢٢.

٣ - مجمع البيان، ج ٩، ص ٢١٦؛ والكشف، ج ٢، ص ٣٠٤؛ وحجة القراءات، ص ٦٩٥.

٤ - المعارج ٧٠: ١٥-١٦.

٥ - حجة القراءات، ص ٧٢٣-٧٢٤.

٦ - الكشف، ج ٢، ص ٣٣٦.

ومن سورة المدثر:

قرأ حفص وحده: «وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ»^١ بضم الراء، يعني الصنم.
وقرأ الباقر: «الرَّجْز» بالكسر، يعني العذاب^٢ أي موجب، وهو تكلف.

ومن سورة القيامة:

قرأ ابن كثير: «لَأُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ»^٣ بلام تأكيد، وعليه فيبقى عطف «وَلَا أُقْسِمُ
بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ» عطف نفي على إثبات، وهو كما ترى؟!
وقرأ عاصم والباقر: «لَا أُقْسِمُ...» كما هو المعروف.^٤
وقرأ حفص وحده: «وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ»^٥ بإظهار النون، إعلماً بانفصالها من الراء. وقرأ
الباقر بالإدغام.

وأيضاً قرأ حفص وحده «مِنْ مَنِيٍّ يُمْنِي»^٦ بالياء، لأنّ الضمير يعود على المنى.
وقرأ الباقر بالتاء بالعود على النطفة، وهو بعيد.^٧

ومن سورة المطففين:

قرأ حفص وحده: «كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ»^٨ بإظهار اللام، لأنّها من كلمة، و«ران»
كلمة أخرى. وعليه قراءة الجمهور.
وأدغم الباقر.^٩
وأيضاً قرأ حفص وحده: «انْقَلَبُوا فَكِهِينَ»^{١٠}.
وقرأ الباقر: «فاكهين».

٢ - حجة القراءات، ص ٧٣٣؛ والكشف، ج ٢، ص ٣٤٧.

٤ - حجة القراءات، ص ٧٣٥.

٦ - القيامة ٧٥: ٣٧.

٨ - المطففين ٨٣: ١٤.

١٠ - المطففين ٨٣: ٣١.

١ - المدثر ٧٤: ٥.

٣ - القيامة ٧٥: ١.

٥ - القيامة ٧٥: ٢٧.

٧ - حجة القراءات، ص ٧٣٧.

٩ - حجة القراءات، ص ٧٥٤.

لكن قياس باب فَعِلَ يَفْعَلُ كَفَرِحَ يَفْرَحُ، لازماً، هو مجيء الصفة على فَعِلَ مكسور العين كَفَرِحَ. ولا يقاس على «حَذِرَ وحَاذَرَ» أو «طَمِعَ وطَامَعَ»^١ لأنَّهما متعدَّيان.

ومن سورة المسد:

قرأ عاصم وحده: «وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ»^٢ بنصب «حَمَّالَةَ» قطعاً على الذم، لأنها نكرة لا تقع وصفاً للمعرفة - كما قاله الفراء -^٣.
وقرأ الباقيون بالرفع خبراً أو نعتاً، وفيه ضعفٌ وبحاجة إلى تكلف، فراجع.

ومن سورة الإخلاص:

قرأ حفص وحده: «كُفُّوا» بضمَّتين فالواو المفتوحة.
وقرأ حمزة: «كُفُّنَا» بالضمّ فالسكون مهموزاً.
وقرأ الباقيون «كُفُّنَا» بضمَّتين مع الهمز.
وقراءة حفص هي المتوافقة مع خطِّ المصحف الشريف بالواو،^٤ فضلاً عن موافقة الجمهور.

قال أبو زرعة: وتبع في ذلك قول العرب: «ليس لفلان كفؤ ولا مثلاً ولا نظير». والله جلّ وعزّ لا نظير له ولا مثلاً.^٥

هذا آخر ما أردنا ثبته في هذا المجال، ولم تكن الغاية الاستقصاء، والحمد لله وسلام على رسوله والأئمة الميامين.

١ - معاني القرآن، ج ٣، ص ٢٤٩؛ والكشف، ج ٢، ص ٣٦٦؛ وحجة القراءات، ص ٧٥٥.
٢ - المسد ١١١: ٤.
٣ - معاني القرآن، ج ٣، ص ٢٩٨.
٤ - التيسير، ص ٢٢٦.
٥ - حجة القراءات، ص ٧٧٧.

معجم طبقات القراء الكبار المترجمين في هذا الحقل

الرقم	الطبقة	القراء	الرقم	الطبقة	القراء
١١	٨	أحمد بن يعقوب «الثائب»			الف
٦	٧	إدريس بن عبد الكريم «الحذاد»	١	٤	أبان بن تغلب بن رياح «أبو سعيد»
٦	٦	إسحاق بن إبراهيم «ابن راهويه»	٩	٨	إبراهيم بن عبد الرزاق «أبو إسحاق»
١	٥	إسحاق بن محمد «المسيبي»	٢	٨	إبراهيم بن محمد «نظويده»
١٦	٤	إسماعيل بن جعفر «الأصمعي»	١٣	٧	أبريكر بن عبدالله «ابن سيف»
١٥	٤	إسماعيل بن عبدالله «القسط»	٣	١	أبي بن كعب «سيد القراء»
٥	٢	الأسود بن يزيد «النخعي»	١٧	٦	أحمد بن جبير «أبو جعفر»
٢	٥	أيوب بن المتوكل «الصيدلاني»	٢٠	٨	أحمد بن العباس «الخراساني»
		ب	٢٢	٨	أحمد بن عبد العزيز «ابن بدهن»
١٨	٨	بكر بن أحمد بن بكار	١٣	٨	أحمد بن عثمان «ابن بويان»
		ج	١٤	٨	أحمد بن عثمان «غلام السبائك»
١٠	٨	جعفر بن أبي داود «أبو الفضل النيسابوري»	١٢	٦	أحمد بن محمد «البرقي»
٧	٧	جعفر بن عبدالله «الإصبهاني»	٦	٨	أحمد بن محمد «الحمزي»
		ح	١٠	٦	أحمد بن محمد «القواس»
١٨	٧	الحسن بن الحسين «الصواف»	٢	٨	أحمد بن موسى «ابن مجاهد»
٢٧	٨	الحسن بن سعيد «المطوعي»	٢٨	٨	أحمد بن نصر «الشذائي»
٢٠	٧	الحسن بن علي «أبريكر الملاف»	١٣	٦	أحمد بن يزيد «الحلواني»

الرقم	الطبقة	القراء	الرقم	الطبقة	القراء
٣	٧	سليمان بن يحيى «أبو أيوب»	٩	٥	الحسين بن علي «الجعفي»
١٣	٤	سليم بن عيسى «أبو عيسى»	١٤	٤	حفص بن سليمان الكوفي «الغاضري»
		ش	١١	٦	حفص بن عمر «أبو عمر الدوري»
٨	٥	شجاع بن أبي نصر «البلخي»	١٧	٣	حمران بن أعين «الشياني»
١٢	٤	شعبة بن عتياش «أبو بكر ابن عتياش»	٦	٤	حمزة بن حبيب «الزيات»
١٣	٣	شيبه بن نصاح بن سرجس «المدني»	١٤	٣	حميد بن قيس «الأعرج»
		ص			خ
١٨	٦	صالح بن زياد «السوسي»	٢	٦	خلاد بن خالد «الشياني»
		ط	٣	٦	خلف بن هشام «اليزاري»
٦	٣	طلحة بن مصرف «الكوفي»			ر
		ظ	١٠	٢	رفيع بن مهران «أبو العالية»
٢	٢	ظالم بن عمرو «أبو الأسود الدؤلي»	٤	٦	روح بن عبد المؤمن «الهلذلي»
		ع			ز
١٢	٣	عاصم بن أبي النجود «ابن بهدلة»	٣	٤	زيان بن العلاء «أبو عمرو المازني»
١٥	٧	العباس بن الفضل بن شاذان «الرازي»	٩	٢	زَيْن حبيش «أبو مريم»
٧	٣	عبد الرحمن بن مرز «الأعرج»	٥	١	زيد بن ثابت «الخزرجي»
٩	٦	عبد الله بن أحمد «ابن ذكوان»	٢١	٨	زيد بن علي «العجلي»
٦	٢	عبد الله بن حبيب «أبو عبد الرحمن السلمي»			س
٢٦	٨	عبد الله بن الحسن «النخاس»	١	٣	سعيد بن جبير «الوالي»
٢٩	٨	عبد الله بن الحسين «ابن سحنون»	١	٤	سلام بن سليمان «أبو منذر»
٤	٢	عبد الله بن سائب «المخزومي»	٩	٤	سليمان بن مسلم «ابن جمار»
١٠	٥	عبد الله بن صالح «العجلي»	٢	٤	سليمان بن مهران «الأعشى»

الرقم	الطبقة	القراء	الرقم	الطبقة	القراء
		ق	٨	٣	عبدالله بن عامر «ابن عامر»
٤	٧	القاسم بن أحمد «الختاط»	١	٢	عبدالله بن عباس «ابن عباس»
١	٦	القاسم بن سلام «أبو عبيد»	٧	٢	عبدالله بن عتيّاش «ابن عتيّاش»
		ل	١٠	٣	عبدالله بن كثير «ابن كثير»
٧	٦	الليث بن خالد «أبو العارث»	٢	١	عبدالله بن مسعود «ابن مسعود»
		م	١٦	٨	عبدالواحد بن عمر «أبو طاهر»
٢	٣	مجاهدين جبر «أبو الحجاج»	١٢	٥	عبيدالله بن موسى «العيسى»
٧	٨	محمد بن أحمد «ابن شنيذ»	١١	٢	عبيد بن فضيلة «الخزاعي»
١٥	٨	محمد بن أحمد «الإصهاني»	٤	٥	عثمان بن سعيد «ورش»
٤	٨	محمد بن أحمد «الداغوني»	٣	٢	علقمة بن قيس «النخعي»
٣٠	٨	محمد بن أحمد «الشنيذ»	١	١	علي بن أبي طالب «أمير المؤمنين عليه السلام»
١٩	٧	محمد بن جرير «الطبري»	١٠	٤	علي بن حمزة «الكسائي»
١٩	٨	محمد بن الحسن «ابن مقسم الطار»	٢٥	٨	علي بن محمد «الهاشمي»
١٧	٨	محمد بن الحسن «التقّاش»	١٢	٢	عمرو بن شرحبيل «أبو ميسرة»
١	٨	محمد بن سليمان «الزيتي»	٤	١	عويمر بن زيد «أبو الدرداء»
٢٤	٨	محمد بن عبدالله «ابن أشتة»	٧	٤	عيسى بن عمر «الهمداني»
١١	٣	محمد بن عبدالرحمان «ابن محيصن»	٥	٥	عيسى بن ميناء «قالون»
٢	٧	محمد بن عبدالرحمان «قنيل»	٨	٤	عيسى بن وردان «أبو البركات»
٨	٧	محمد بن عبدالرحيم «الإصهاني»			ف
١٥	٦	محمد بن عيسى «الرازي»	١٩	٦	الفضل بن شاذان الرازي «أبو العباس»
٨	٨	محمد بن القاسم «ابن الأتباري»	٢٠	٦	الفضل بن شاذان النيسابوري «أبو محمد»

الرقم	الطبقة	القراء	الرقم	الطبقة	القراء
		هـ	٥	٦	محمد بن المتوكل «رويس»
٥	٧	هارون بن موسى «ابن شريك»	١٢	٨	محمد بن النضر «الريمي»
١٦	٦	هشام بن عمار «أبوالوليد»	١٤	٦	محمد بن هارون «أبونشيط»
		ي	١٧	٧	محمد بن هارون «التقار»
١١	٥	يحيى بن آدم «أبوزكريا»	١	٧	محمد بن يحيى «الكسائي الصغير»
٤	٤	يحيى بن الحارث «الذماري»	٨	٢	مسروق بن الأجدع «الهمداني»
٣	٥	يحيى بن المبارك «اليزيدي»	٥	٣	مسلم بن جندب «المدني»
٩	٣	يحيى بن يعمر «أبوسليمان»	١٦	٧	موسى بن جرير «الضريز»
٤	٣	يحيى بن وثاب «الأسدي»	٢٣	٨	موسى بن عبدالرحمان «البيروتي»
١٦	٣	يزيد بن رومان «المدني»	٥	٨	موسى بن عبيدالله «الخاقاني»
١٥	٣	يزيد بن القعقاع «أبوجعفر»			ن
٦	٥	يعقوب بن إسحاق «الحضرمي»	٥	٤	نافع بن عبدالرحمان «أبونعيم»
٧	٥	يعقوب بن محمد «الأعشي»	٢	٣	نصر بن عاصم «الليثي»
٨	٦	يوسف بن عمرو «الأزرق»			

القرّاء المعروفون بالكنى أو الألقاب

الرقم	الطبقة	القرّاء	الرقم	الطبقة	القرّاء
١٩	٨	ابن مقسم محمد بن الحسن الططار	٢٤	٨	ابن أشتة محمد بن عبدالله
٢	٢	أبو الأسود ظالم بن عمرو	٨	٨	ابن الأتباري محمد بن القاسم
٨	٤	أبو البركات عيسى بن وردان	٩	٤	ابن جماز سليمان بن مسلم
١٢	٤	أبو بكر شعبه بن عتيّاش	٩	٦	ابن ذكوان عبدالله بن أحمد
١٥	٣	أبو جعفر يزيد بن القعقاع	٦	٦	ابن راهويه إسحاق بن إبراهيم
٤	١	أبو الدرداء عويس بن زيد	٢٩	٨	ابن سحنون عبدالله بن الحسين
٥	٤	أبو رويم نافع بن عبدالرحمان	١٣	٧	ابن سيف أبو بكر بن عبدالله
١٠	٢	أبو العالية رفيع بن مهران	٢٠	٦	ابن شاذان الفضل، ابن خليل
٦	٢	أبو عبدالرحمان عبدالله بن حبيب	١٩	٦	ابن شاذان الفضل، ابن عيسى
١	٦	أبو عبيد القاسم بن سلام	٧	٨	ابن شنيوة محمد بن أحمد
٣	٤	أبو عمرو زيان بن العلاء	٨	٣	ابن عامر عبدالله اليحصبي
١٢	٢	أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل	١	٢	ابن عباس عبدالله
٥	٤	أبو نعيم نافع بن عبدالرحمان	٧	٢	ابن عتيّاش عبدالله
١٤	٣	الأعرج حميد بن قيس	١٠	٣	ابن كثير عبدالله
٧	٣	الأعرج عبدالرحمان بن هرمز	٣	٨	ابن مجاهد أحمد بن موسى
٧	٥	الأعشى يعقوب بن محمد	١١	٣	ابن محيصن محمد بن عبدالرحمان
٢	٤	الأعشى سليمان بن مهران	٢	١	ابن مسعود عبدالله

الرقم	الطبقة	القراء	الرقم	الطبقة	القراء
١٩	٨	الطار محمد بن الحسن، ابن مقسم	١٢	٦	البري أحمد بن محمد
٢٠	٧	الملق الحسن بن علي	٦	٨	الحمزي أحمد بن محمد
١٤	٨	غلام السباك أحمد بن عثمان	٤	٨	الداجوني محمد بن أحمد
٥	٥	قالون عيسى بن ميناء	١١	٦	الدوري حفص بن عمر
١٥	٤	التسط إسماعيل بن عبدالله	٢	٢	الدولي ظالم بن عمرو
٢	٧	قنبل محمد بن عبدالرحمان	١٢	٨	الريعي محمد بن النضر
١٠	٦	القواس أحمد بن محمد	٥	٦	رويس محمد بن المتوكل
١٠	٤	الكسائي علي بن حمزة	١	٨	الزيني محمد بن سليمان
١	٥	المستبي إسحاق بن محمد	٦	٢	الملي عبدالله بن حبيب
٢٧	٨	المطوعي الحسن بن سعيد	١٨	٦	السوسي صالح بن زياد
٢	٨	نظويه إبراهيم بن محمد	٢٨	٨	الشذائي أحمد بن نصر
١٧	٨	الثقاني محمد بن الحسن	٣٠	٨	الشنيوي محمد بن أحمد
٨	٣	اليحصي عبدالله بن عامر	١٨	٧	الصواف الحسن بن الحسين
٣	٥	اليزيدي يحيى بن المبارك	١٩	٧	الطبري محمد بن جرير
٤	٥	ورش عثمان بن سعيد	١٢	٥	العبيسي عبدالله بن موسى

تجويد التلاوة

ويلحق بعلم القراءات فنّ تجويد التلاوة، وهو إجادتها وفق قواعد مهّدها لتحسين اللهجة عند قراءة القرآن. وقد يُعبّر عنه بالترتيل المفسّر بأداء الحروف وحفظ الوقوف. وسئل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عن الترتيل في قراءة القرآن، قال: تجويد الحروف ومعرفة الوقوف.^١ وعن عبدالله بن مسعود قال: جوّدوا القرآن وزيّنوه بأحسن الأصوات وأعربوه، فإنّه عربي والله يُحبّ أن يُعرب به.^٢ وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله يُحبّ أن يُقرأ القرآن كما أنزل»^٣ أي عربياً فصيحاً في أحسن لهجة.

قال ابن الجزري: التجويد، عبارة عن الإتيان بالقراءة مجوّدّة الألفاظ، بريئة من الرداءة في النطق ومعناه: انتهاء الغاية في التصحيح وبلوغ النهاية في التحسين.^٤ قال: فالتجويد هو حلية التلاوة وزينة القراءة. وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها مراتبها، وردّ الحرف إلى مخرجه وأصله، وإلحاقه بنظيره، وتصحيح لفظه. وتلطيف النطق به على حال صيغته، وكمال هيأته، من غير إسراف ولا تعسف، ولا إفراط ولا تكلف.

وإلى ذلك أشار النبي صلى الله عليه وآله بقوله: «من أحبّ أن يقرأ القرآن غضّاً كما أنزل، فليقرأ بقراءة ابن أمّ عبد. يعني: عبدالله بن مسعود. وكان عليه السلام قد أعطي حظاً عظيماً في تجويد القرآن وتحقيقه وترتيبه كما أنزله الله تعالى. وناهيك برجل أحبّ النبي صلى الله عليه وآله أن يسمع القرآن منه. ولمّا قرأ أبكى رسول الله صلى الله عليه وآله كما ثبت في الصحيحين. وروينا بسند صحيح عن أبي عثمان النهدي قال: صلّى بنا ابن مسعود المغرب بقل هو الله أحد. ووالله لوددت أنّه قرأ بسورة البقرة من حسن صوته وترتيبه.

قال: وهذه من سنّة الله تبارك وتعالى فيمن يقرأ القرآن مجوّدّاً مصحّحاً كما أنزل، تلتدّ الأسماع بتلاوته، وتخشع القلوب عند قراءته، حتى يكاد أن يسلب العقول ويأخذ بالألباب. سرّ من أسرار الله تعالى يُودعه من يشاء من خلقه!

٢ - المصدر، ص ٢١٠.

١ - النشر، ج ١، ص ٢٠٩.

٤ - المصدر، ص ٢١٠.

٣ - المصدر، ص ٢٠٨.

ثم ذكر شيخاً له، لم يكن له حسن صوت ولا معرفة بالألحان، إلا أنه كان جيّد الأداء، قيماً باللفظ. فكان إذا قرأ أطرب المسامع، وأخذ من القلوب بالمجامع. وكان الخلق يزدحمون عليه، ويجتمعون على الاستماع إليه أمم من الخواصّ والعوامّ، يشترك في ذلك من يعرف العربى ومن لا يعرفه، مع تركهم القراء ذوي الأصوات الحسان، العارفين بالمقامات والألحان، لخروجهم عن التجويد والإتقان.^١

وكان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حسن الصوت، حسن القراءة. وقال يوماً: إن علي بن الحسين عليه السلام كان يقرأ القرآن، فربّما مرّ به المارّ فصعق من حسن صوته. قال الإمام الصادق عليه السلام: كان علي بن الحسين عليه السلام أحسن الناس صوتاً بالقرآن، وكان يرفع صوته حتى يسمعه أهل الدار. وإنّ أبا جعفر الباقر عليه السلام كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن. وكان إذا قام من الليل وقرأ، رفع صوته، فيمرّ به مارّ الطريق من السّقّائين وغيرهم، فيقومون (يقفون) فيستمعون إلى قراءته.^٢

قال المولى الشيخ آغا بزرگ الطهراني: علم التجويد، هو علم تحسين قراءة القرآن وترتيبه، المأمور به في الآية الشريفة «وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً»^٣ وهو من شعب علم القراءة، متّحد معه في الموضوع، لكن البحث في علم القراءة، إنّما هو في موادّ ألفاظ القرآن وصور حروفها، وفي علم التجويد يُبحث عن كميّات أداء تلك الألفاظ وصفات حروفها من الترقيق والتفخيم والإظهار والإخفاء والإشباع والروم والإدغام والغنة والمد والوقف والوصل وغيرها.^٤

ومن هنا يعلم أنّ الاهتمام بعلم التجويد كالاهتمام بعلم القراءة، أمر سابق عاصر حياة المسلمين منذ عهدهم بتلاوة القرآن في عصر الرسالة، ولا يزال.

كان عبدالله بن مسعود يُقرئ رجلاً، فقرأ الرجل «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ»^٥

١ - المصدر، ص ٢١٠-٢١٣.

٢ - بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ١٩٤، رقم ٧ و ٩.

٣ - المزمّل ٧٣: ٤.

٤ - الذريعة إلى تصانيف الشيعة، ج ٣، ص ٣٦١.

٥ - التوبة ٩: ٦٠.

مرسلة (لم يُمدّ الفقراء). فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ فقال: كيف أقرأكها، يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: أقرأنيها: «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ» فمدّها^١.
وسئل أنس عن قراءة رسول الله ﷺ؟ فقال: كانت مدّاً. ثُمَّ قرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم» يمدّ «الله» ويمدّ «الرحمان» ويمدّ «الرحيم»^٢.

وعن ابن مسعود قال: «المدّات دباييج القرآن»، أي مُزيّنات له، يقال: ثوب مُدبَّج أي مزيّن بالدباج، وهو الثيات المتخذة من الإبريسم، فارسي معرّب ويجمع على «دياييج» و«دباييج» بالياء والباء، لأن أصله «دبّاج»^٣.

فمدّ الحرف يزين في التلاوة، ومن ثمّ كثر في القرآن حروف المدّ واللين.
والمدّ إنّما هو في حروف اللين (واو. ألف. ياء) إذا كانت ساكنة، وكانت حركة ما قبلها تجانسها. وهذا في التلاوة حسن وإن كان لا يحسن عند الاسترسال في الكلام المتعارف. فلا يمدّ في قولك: اسقني ماءً. لكنّه يحسن عند تلاوة قوله تعالى: «وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا»^٤. الأمر الذي رغب فيه الأئمة.

وذكروا للمدّ مراتب: أولاًها: فوق القصر قليلاً وقدّرت بألفين. ثانيها: تقدّر بثلاث ألفات. والثالثة: بأربع ألفات. والرابعة: بخمس ألفات. والخامسة: بست. والسادسة: هي حدّ الإفراط. وقد ذهب إلى كلّ جماعة ما بين مُفْرِطٍ ومُفَرِّط. وفي الإفراط بشاعة استنكرها سيدنا الأستاذ الإمام الخوئي - طاب ثراه - ولم يرخص القراءة بها، لأنّها خارجة عن الحدّ المتعارف عند العرب الأوائل حتى عند تلاوتهم للنصوص. وإنّما هي تفنّينات ابتدعتها القراء ولا مبرر لها.

قال الحافظ أبو عمرو الداني - بشأن المدّات المتعارفة غير البالغة حدّ الإسراف -: هذا كلّ جارٍ على طباعهم ومذاهبهم في تفكيك الحروف وتلخيص السواكن وتحقيق القراءة

١ - النشر، ج ١، ص ٣١٥-٣١٦.

٢ - المصدر، ص ٢٠٨.

٣ - سرّ البيان في علم القرآن للأستاذ حسن بيگلري، ص ١٧٨.

٤ - الفرقان ٢٥: ٤٨.

٥ - النهاية، ج ٢، ص ٩٧.

وحدرها، وليس لواحد منهم مذهب يُسرف فيه على غيره إسرافاً يخرج عن المتعارف في اللغة والمتعالم في القراءة، بل ذلك قريب بعضه من بعض، والمشافهة توضّح حقيقة ذلك والحكاية تبيّن كَيْفِيَّتَهُ^١ قالوا: وأطولهم مدّاً ورش وحمزة^٢ ومن ثمّ عيب عليه.

قال: ليس بين التجويد وتركه، إلّا رياضة لمن تدبّره بفكّه^٣.

قال ابن الجزري: ولا أعلم سبباً لبلوغ نهاية الإتقان والتجويد، ووصول غاية التصحيح والتشديد، مثل رياضة الألسن، والتكرار على اللفظ المتلقّى من فم المحسن - وذكر كلام أبي عمرو هذا وعقبه بقوله - فلقد صدّق وبصّر، وأوجز في القول وماقصر، فليس التجويد بتمضيغ اللسان، ولا بتغيير الفم، ولا بتعويج الفكّ، ولا بترعيد الصوت، ولا بتمطيط الشدّ، ولا بتقطيع المدّ، ولا بتطين الغنّات، ولا بحصرمة الرّاءات، قراءة تنفر عنها الطباع، وتمجّها القلوب والأسماع. بل القراءة السهلة العذبة الحلوة اللطيفة، التي لامضغ فيها ولا لوك، ولا تعسّف ولا تكلف، ولا تصنّع ولا تنطّع، ولا تخرج عن طباع العرب وكلام الفصحاء، بوجه من وجوه القراءات والأداء...^٤ ثمّ أخذ في شرح وتفصيل هذا الإجمال مستوفياً، سوف نستقطف منه شذرات!

ولننظر الآن فيما ذكره الفقهاء بشأن إعمال فنون التجويد في القراءات:

فنون التجويد في كفة الفقاهة

ليس ما ذكره الفقهاء بعيداً عمّا ذكره ابن الجزري بترخيص ماوافق سليقة العرب الدّاتية وفي لهجتها، جارياً على طباعهم ومذاهبهم في تفكيك الحروف وتلخيص السواكن وتحقيق القراءة وحدرها، من غير أن يبلغ حدّ الإسراف أو المبالغة في الإفراط. قال السيّد الطباطبائي - في مبحث القراءة -:^٥

٢ - المصدر، ص ٣٣٣.

١ - النشر، ج ١، ص ٣٢١-٣٢٧.

٤ - المصدر.

٣ - المصدر، ص ٢١٣.

٥ - الأرقام تشير إلى رقم المسألة من الفصل ٢٤ في أحكام القراءة من العروة الوثقى.

٣٧- لوأخلّ بشيءٍ من الكلمات أو الحروف، أو بدّل حرفاً بحرف، حتى الضاد ظاءً أو بالعكس، بطلت [قراءته].

وكذا لوأخلّ بحركة بناءً أو إعرابٍ أو مدٍّ واجب أو تشديد أو سكون لازم. وكذا لوأخرج حرفاً من غير مخرجه، بحيث يخرج عن صدق ذلك الحرف في عرف العرب.

٣٨- يجب حذف همزة الوصل في الدرج، فلو أثبتتها بطلت. وكذا يجب إثبات همزة القطع، فلو حذفها حين الوصل بطلت. ٣٩- الأحوط، ترك الوقف بالحركة والوصل بالسكون. ٤٢- المدّ الواجب هو فيما إذا كان بعد أحرف المدّ -وهي: الواو والياء والألف إذا كانت ساكنة ومسبوقة بحركة تجانسها- مثل: سوء وجيء وجاء. أو كان بعد أحدها سكون لازم، لاسيّما إذا كان مدغماً في حرف آخر مثل «الضالّين». ٤٣- إذا مدّ أزيد من المتعارف، لا تبطل، إلّا إذا خرجت الكلمة عن بنيتها العربيّة وعن صياغتها عند العرب.

٤٤- يكفي في المدّ مقدار ألفين. وأكمله إلى أربع ألفات. ولا يضرّ الزائد ما لم تخرج الكلمة عن الصدق (أي كونها كلمة عربيّة).

٤٥- إذا حصل فصل بين حروف الكلمة -اختياراً أو اضطراراً- بحيث خرجت عن الصدق بطلت.

٤٩- الأحوط،^١ الإدغام إذا كان بعد النون الساكنة أو التنوين، أحد حروف «يرملون» مع الغنة، فيما عدا اللام والراء، فلا غنة فيهما.

٥١- يجب إدغام اللام من الألف واللام في أربعة عشر حرفاً، وهي التاء والشاء والذال والذال والراء والزاء والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء واللام والنون. ويجب الإظهار في بقيّة الحروف.

١- قال السيّد الحكيم: لا يترك هذا الاحتياط. أي يجب الإدغام.

٥٢ - الأحوط،^١ الإدغام في مثل «إذهب بكتابي» و«يدرككم» ممّا اجتمع مثلاً في كلمتين مع كون الأول ساكناً.

٥٣ - لا يجب مراعاة المحسنات التجويدية كالإمالة والإشباع والتفخيم والترقيق ونحو ذلك، وإن كانت المراعاة أحسن.

٥٤ - ينبغي مراعاة ما ذكره علماء التجويد بشأن إظهار التنوين والنون الساكنة إذا كان بعدهما أحد حروف الحلق. وقلبهما ميماً إذا كان بعدهما حرف الباء، نحو «مِنْ بَعْد» وإدغامهما إذا كان بعدهما أحد حروف «يرملون». وإخفائهما إذا كان بعدهما بقيّة الحروف.

٥٦ - ينبغي تفخيم اللام من لفظ الجلالة إذا كان قبلها فتحة أو ضمة. والترقيق إذا كان قبلها كسرة.

كلّ ذلك استناداً إلى أنّه قانون اللغة وكان اللهج بها متعارفاً عند العرب ولاسيّما لدى ترتيل النصوص الدينية، حسبما تعارف عند جميع الأمم. وقد نزل القرآن بلغة العرب وعلى أساليب لهجاتهم في ترتيل الكلام. وقد قال النبي ﷺ: «تعلّموا القرآن بعربيّته، وإيّاكم والنبر فيه - يعني الهمز-». قال الصادق عليه السلام: الهمز زيادة في القرآن، إلّا الهمز الأصلي مثل قوله تعالى: «الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّاءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ». وقوله: «لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ». وقوله: «وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا».^٤

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «وأحسنوا تلاوته...».^٥

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «تعلّموا العربيّة، فإنّها كلام الله الذي تكلم به خلقه».^٦

قال الإمام الجواد عليه السلام: «ما استوى رجلان في حسب ودين قطّ، إلّا كان أحدهما عند الله أدبهما! قيل له: قد علمنا فضله عند الناس في النادي. والمجلس، فما فضله عند

١ - قال السيد الحكيم: لا يترك هذا الاحتياط.

٢ - النمل ٢٧: ٢٥.

٣ - النحل ١٦: ٥.

٤ - البقرة ٢: ٧٢. راجع: معاني الأخبار للصدوق، ص ٣٢٧، باب معنى النبر؛ ووسائل الشيعة، ج ٦، ص ٢٢٠.

٥ - نهج البلاغة، الخطبة رقم ١١٠، ص ١٦٤.

٦ - الخصال، باب الأربعة، ص ٢٥٨، رقم ١٣٤.

الله؟ قال: بقراءة القرآن كما أنزل»^١.

إلى غيرها من روايات تنم عن اهتمام الأئمة عليهم السلام بالعربية، حفظاً على القرآن أن يقرأ كما أنزل على عربيته. والعربية إنما هي باللهج والإعراب.

قال سيّدنا الأستاذ - طاب ثراه -: تجب القراءة الصحيحة، بأداء الحروف وإخراجها من مخارجها على النحو اللازم في لغة العرب، كما يجب أن تكون هيئة الكلمة موافقة للأسلوب العربي من حركة البنية وسكونها، وحركات الإعراب والبناء وسكناتها، والحذف والقلب والإدغام والمدّ الواجب وغير ذلك، فإن أخلّ بشيء من ذلك بطلت قراءته^٢.

وكلمات الفقهاء في ذلك متظافرة ومتوافقة على وجوب اللهج وفق المتعارف عند العرب مع الإمكان ولا يجوز الخروج عنه ولو بالإسراف المخلّ، كما نبّهنا عليه.

فنون التجويد في دور التدوين

ذكرنا أنّ قضية التجويد في القراءة وتحسين التلاوة أمرٌ سابقٌ رافقَ تعليم القرآن منذ البدء على عهد الرسالة وهكذا استمرّ الحال عبر الأجيال. ولعلّ أول من عُنِيَ بشأنه إلى جنب العناية بعلم القراءات، هو أبو بكر ابن المجاهد (ت ٣٢٤) في كتاب «السبعة في القراءات». بحث فيه عن إمالة الألف والإشمام. وعن صفات الحروف: المطبقة والمهموسة والمجهورة وحروف الصفير. وعن الإدغام واختلاف القراء فيه. وأحكام النون الساكنة والتنوين (إدغاماً وإظهاراً). وعن الهمزة في الكلمة وفي الكلمتين. وعن المدّ والقصر. وعن الفتح والإمالة.

ثمّ الإمام أبو زرعة عبدالرحمان بن نجلة (ت ٤١٠) في كتابه «الحجة في القراءات». بحث عن جوانب من هذا الفن. بحث عن الإشمام والإشباع والإمالة والإدغام. وعن الوقف والوصل، والقصر والمدّ ونحو ذلك.

١ - أورد: أحمد بن فهد الحلّي في كتابه «عدّة الداعي» ص ١٨.

٢ - منهاج الصالحين، ج ١، ص ١٦٥، المسألة رقم ١٠٩.

وهكذا الإمام العلامة المحقق أبو محمد مكّي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧) في كتابه «الكشف» عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. بحث عن فنون التجويد بحثاً تطبيقيّاً في جميع سور القرآن سورة سورة.

بحث عن المدّ وعلله وأصوله. وعن الهمز بحثاً مستوفى. وعن الرّؤم والإشمام والإدغام. وعن مخارج الحروف. وعن إمالة الألف وأقسامها وعللها. وعن الغنة في النون الساكنة والتنوين. وعن أحكام الرّاءات والوقف عليها. وعن ترقيق وتغليظ اللام والوقف عليه. وغير ذلك في شرح يطول.

والإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤) في كتابه «التيسير»، بحث عن الإدغام والإظهار، والمدّ والقصر، وأحكام الهمزة، وأحكام الوقف، والإمالة والفتح فيما تداول بين القراء أو اختص به بعضهم. وفصل الكلام في فرش الحروف في جميع سور القرآن، وأخيراً ذكر التكبير في قراءة ابن كثير، وبذلك يختم الكتاب.

وبعده أحمد بن علي الغرناطي ابن البازش (ت ٥٤٠) في كتابه «الإقناع». تكلم عن صفات الحروف وعن مخارجها، وفقاً لما ذكره سيبويه في كتابه. وجعل لكل طائفة من الحروف رمزاً، تسهلاً للضبط. وبحث عن الإدغام الكبير والإدغام الصغير وعن أحكام الرّاءات واللامات والهاءات ونحو ذلك. وينتهي إلى البحث عن الحدر والترتيل والتحقيق في التلاوة.

وللمولى الشيخ أحمد بن الحسين الكوفي الهمداني (ت ح ٧٥٣) من أعلام مفسري الشيعة الإمامية ومن أحفاد خضير الهمداني قتيل كربلاء من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام له كتاب ظريف في علم التجويد. وضعه على اثني عشر باباً بحث فيها عن مختلف شؤون فنّ التجويد في القراءات. وتوجد نسخة من هذا الكتاب (مؤرخة ٧٥٣) في مكتبة مجلس النّوّاب بطهران.

وأما الإمام الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري (ت ٨٣٣)، فقد أكمل البحث عن جوانب فنون التجويد وتحسين القراءات. واستقصى

الموضوع استقصاءً. أولاً في كتابه «التمهيد في التجويد» أفردته لذلك. ثم في كتابه الكبير «النشر في القراءات العشر»، فصل الكلام فيه تفصيلاً. قال فيه: فلنذكر فصلاً في التجويد يكون جامعاً للمقاصد، حاوياً للفوائد. وإن كنا قد أفردنا لذلك كتابنا: التمهيد في التجويد. وهو ممّا ألفناه حال اشتغالنا بهذا العلم في سنّ البلوغ، إذ القصد أن يكون كتابنا هذا (النشر) جامعاً ما يحتاج إليه القارئ والمقرئ.^١

بحث فيه عن مخارج الحروف وفق مصطلح الخليل بن أحمد الفراهيدي وفصل الكلام فيه. قال: أوّل ما يجب على مرید إتقان قراءة القرآن، تصحيح إخراج كلّ حرف من مخرجه المختصّ به، تصحيحاً يمتاز به عن مقاربه، وتوفية كلّ حرف صفته المعروفة به (من همس وجهر وشدة ورخوة وغير ذلك) توفية تخرجه عن مجانسه، يعمل لسانه وفمه بالرياضة في ذلك إعمالاً يصير ذلك له طبعاً وسليقة.

فإذا أحكم القارئ النطق بكلّ حرف على حدته، موفّ حقّه، فليعمل نفسه بإحكامه حالة التركيب، لأنّه ينشأ عن التركيب ما لم يكن حالة الأفراد. فكم ممّن يُحسن الحروف مفردةً، لا يحسنها مركبة بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب وقويّ وضعيف ومفخّم ومرقّق، فيجذب القويّ الضعيف، ويغلب المفخّم المرقّق، فيصعب على اللسان النطق بذلك على حقّه، إلّا بالرياضة الشديدة حالة التركيب. فمن أحكم صحة اللفظ حالة التركيب حصل حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب....^٢

وبالغ في ذلك حتى لم يدع مجالاً للتساهل فيه. قال في حرف «الضاد»: وليس في الحروف ما يعسر على اللسان مثله، فإنّ ألسنة الناس فيه مختلفة، وقُلّ من يُحسنه، فمنهم من يُخرجه ظاءً، ومنهم من يمزجه بالذال، ومنهم من يجعله لاماً مفخّمة، ومنهم من يُشَمِّه الزاي. وكلّ ذلك لا يجوز والحديث المشهور على الألسنة «أنا أفصح من نطق بالضاد» لأصل له ولا يصحّ.^٣

٢ - المصدر، ص ٢١٤.

١ - النشر، ج ١، ص ٢٠٩-٢١٠.

٣ - المصدر، ص ٢١٩-٢٢٠. وأهل حمص وحلب والشامات يجعلونه دالاً مفخّمة. والنطق بالضاد خالصة خاصّ بالعرب

نُعمَ بحث عن التفخيم والترقيق والتغليظ، وعن الإدغام والإخفاء والإظهار. وعن الوقف والابتداء. وعن الوقف والقطع والسكت. وعن الإدغام الكبير وشروطه وموانعه. والروم والإشمام في الإدغام. وعن هاء الكناية. وعن المد والقصر. وعن أحكام الهمزة والوقف عليها في مختلف مذاهب القراء. ومسائل متطرّفة في ذلك.

وبحث عن أنواع القراءات من التحقيق والحذر والتدوير والترتيل، وغير ذلك. وأما الكتب المستقلة في ذلك فهي فوق حدّ الحصر، ولا سيما في العهود المتأخرة^١. وأخصّ بالذكر: الإمام الهمام، العلامة المحقق السيد محمد بن علي الحسيني الجرجاني (ت ٨٣٦) من الأعلام البارزين في معرفة علوم القرآن. له كتاب قيّم في فنّ التجويد، وضعه على مقدّمة وستة أبواب وخاتمة، بحث فيها عن جوانب الموضوع بحثاً مستوفى. وهذا الكتاب طبع مردفاً مع القرآن سنة ١٢٨٦ بطهران في قطع رحلي. وطبع مستقلاً عدّة طبعات ولا يزال في متناول أكابر القراء اليوم.

والعالم الفاضل المتكلم الإمامي حسين بن محمد علي البهشتي القارئ، المعاصر للسلطان إسماعيل الصفوي، من أكابر علماء القرنين التاسع والعاشر، له كتاب لطيف في علم التجويد.

وللشريف الإسترآبادي القارئ عماد الدين علي بن عماد الدين - أيضاً من أعلام القرنين - كتاب فصل فيه عن فنون علم التجويد ما يُغني المراجع.

وهكذا لم يزل العلماء يحققون ويصنّفون في القراءات والتجويد ملأ الآفاق. وأحسن رسالة دوّنت أخيراً في علم التجويد وجدتها: رسالة «سرّ البيان في علم القرآن» تأليف الأستاذ المعاصر حسن بيگلري. طبعت عدّة طبعات فاقت العشرة. وهي فارسية جيّدة.

→ العاربة، ولذلك سمّيت لغة العرب بلغة الضاد. والمراد في الحديث: أَنَّهُ ﷺ أفصح العرب لساناً، لا أَنَّهُ أحسنهم نطقاً بحرف الضاد، كما ورد في الحديث: «أنا أفصح العرب، ميد أني من قریش وریبت في حجر من هوازن بني سعد بن بكر». كتاب الاختصاص للمفيد، ص ١٨٧؛ والبحار، ج ١٧، ص ١٥٨.

١ - راجع: في ذلك: الذريعة، ج ٣، ص ٣٦١، فما بعد؛ وكشف الظنون لحاجي خليفة، ج ١، ص ٣٥٣.

الفاسخ والمنسوخ في القرآن

من طبيعة الحركة الإصلاحية الآخذة إلى التقدّم بوجه عام، أن يتوارد على تشريعاتها نسخ متتابع، حسب تدرّجها التصاعدي نحو قمة الكمال. تلك طبيعة الحركة الإصلاحية محتمة، ولاسيّما إذا كانت الأمة التي انبعثت فيها هذه النهضة التقدمية أمة متوغّلة في الضلال وبعيدة عن معالم الحضارة إلى حدّ كبير حيث الانتشال بها من واقعها السحيق والانسجام مع سجيّتها المتوحّشة، لما يبدو متعذّراً ويتطلّب طيّ عقبات ومراحل متلاحقة.

وهكذا استدعت التشريعات الإسلامية نسخاً متتالياً منذ أن ظهرت الدعوة في مكة المكرمة وحتى إلى ما عبد الهجرة إلى المدينة المنورة، وقد انتهت شريعة النسخ - فيما يخصّ أي الذكر الحكيم - بوفاته ﷺ حيث انقطاع الوحي.

وكانت ظاهرة النسخ أمراً لا بدّ منه في كلّ تشريع يحاول تركيز معالمه في الأعماق، والأخذ بيد أمة جاهلة إلى مستوى عالٍ من الحضارة الراقية. الأمر الذي لا يتناسب مع الطفرة المستحيلة، لولا الأناة والسير التدريجي المستمرّ خطوة بعد خطوة.^١

ومن ثمّ فإنّ النسخ ضرورة واقعية تتطلّبها مصلحة الأمة ذاتها، ولم يكد ينكر مال هذه

١ - وسيوافيك بيان الحكمة في شريعة النسخ عند التعرّض للشبهات (الشبهة الرابعة).

الظاهرة الدينية من فائدة وعوائد تعود على الأمة، وأعظم بها من حكمة إلهية بالغة. ولم يخف على العلماء ما لظاهرة النسخ من حكمة واقعية وحقيقة ثابتة لا محيص عنها. ومن ثم احتفلوا بشأنها وبذلوا عنايتهم البالغة نحو الاهتمام بها وأخذوا في دراستها والتحقيق من جميع جوانبها المتنوعة.

وأول من عالج الموضوع ودرسه دراسة فنية، وجمع أصوله في تدوين جامع هو: أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمان الأصم المسمعي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام له رسالة في الناسخ والمنسوخ.

ثم تصدى جماعة من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام للبحث عن ذلك وثبت نتائج بحوثهم في رسائل، منهم: دارم بن قبيصة التميمي الدارمي، وأحمد بن محمد بن عيسى القمي، والحسن بن علي بن فضال.

وفي القرن الثالث: قام المفسر الإمامي الكبير علي بن إبراهيم القمي بتدوين رسالة خاصة بشأن الناسخ والمنسوخ في القرآن. وكذا محمد بن العباس المعروف بابن الحجاج وأبو عبيد القاسم بن سلام «ت ٢٢٤». وجعفر بن مبشر الثقفي «ت ٢٣٥» وأحمد بن حنبل «ت ٢٤١». وسعد بن إبراهيم الأشعري القمي «ت ٣٠١».

وفي القرن الرابع: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن حزم الأندلسي «ت ٣٢٠». وأحمد بن جعفر البغدادي المعروف بابن المنادي «ت ٣٣٤» وأبو جعفر أحمد بن محمد النحاس «ت ٣٣٨». ومحمد بن محمد النيسابوري «ت ٣٦٨». وأبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي «ت ٣٦٨». ومحمد بن الحسن الشيباني الإمامي، أدرجه في مقدمة تفسيره «نهج البيان عن كشف معاني القرآن». ومحمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الشهير بالصدوق «ت ٣٨١».

وفي القرن الخامس: هبة الله بن سلامة «ت ٤١٠». وعبد القاهر البغدادي «ت ٤٢٩». ومكي بن أبي طالب «ت ٤٣٧». وعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي «ت ٤٥٦».

وفي القرن السادس: محمد بن بركات بن هلال السعيدي «الإيجاز في ناسخ القرآن

ومنسوخه» «ت ٥٢٠» ومحمد بن عبدالله المعروف بابن العربي «ت ٥٤٣» وأبو الفرج عبدالرحمان بن الجوزي «ت ٥٩٧».

وفي القرن الثامن: يحيى بن عبدالله الواسطي «ت ٧٣٨». وعبدالرحمان بن محمد العتاتقي «ت ح ٧٧٠». ومحمد بن عبدالله الزركشي «ت ٧٩٤» ضمن كتابه «البرهان». وفي القرن التاسع: أحمد بن المتوج البحراني «ت ٨٣٦» وأحمد بن إسماعيل الالبشيطي «ت ٨٨٣».

وفي القرن العاشر: عبدالرحمان جلال الدين السيوطي «ت ٩١١» ضمن كتاب الإيتقان. ومحمد بن عبدالله الاسفراييني.

وفي القرن الثاني عشر: عطية الله بن عطية الأجهوري «ت ١١٩٠». وفي القرن الثالث عشر: صديق بن حسن القنوجي «ت ١٣٠٧» كتب «إفادة الشيوخ بمقدار الناسخ والمنسوخ».

وفي هذا القرن الأخير «الرابع عشر»: كتب سماحة سيّدنا الأستاذ الإمام الخوئي رحمته الله في الناسخ والمنسوخ في دراسة عميقة وافية ضمن مؤلفه القيم «البيان». وكتب الأستاذ مصطفى زيد: «النسخ في القرآن الكريم» والأستاذ علي حسن العريض: «فتح المنان في نسخ القرآن». والمولى ولي الله السرايبي: «نسخ النسخ عن كرامة القرآن» وغيرهم ممّا يطول.



فإن دلّ ذلك فإنّما يدلّ على مبلغ اهتمام علماء الأُمَّة بشأن وقوع النسخ في القرآن وتمييز الناسخ عن المنسوخ بشكل قاطع، علماً منهم بأنّ ذلك هو أولى مقدّمات فهم التشريع الإسلاميّ الثابت المستمر، ولا يمكن استنباط حكم شرعيّ مالم يعرف الناسخ عن المنسوخ، والثابت الباقي عن الزائل المتروك.

وروى أبو عبدالرحمان السُّلَمي: أن عليّاً عليه السلام مرّ على قاضٍ فقال له: هل تعرف الناسخ

عن المنسوخ؟ فقال: لا. فقال: هلكت وأهلكت، تأويل كلّ حرف من القرآن على وجوده.^١ ولعلّ هذا القاضي هو أبو يحيى المعرف، كما جاء في حديث سعيد بن أبي الحسن، أنّه لقى أبا يحيى هذا، فقال له: أعرفوني أعرفوني يا سعيد، إني أنا هو. قال سعيد: ما عرفت أنّك هو؟ قال: فإنّي أنا هو مربي عليّ عليه السلام وأنا أقضي بالكوفة، فقال لي: من أنت؟ فقلت: أنا أبو يحيى، فقال: لست بأبي يحيى، ولكنك تقول: أعرفوني، ثمّ قال: هل علمت بالناسخ والمنسوخ؟ قلت: لا. قال: هلكت وأهلكت. فما عدت بعد ذلك أقضي على أحد، أنافعك ذلك يا سعيد؟^٢

وقال الإمام الصادق عليه السلام لبعض متفكّهي أهل الكوفة: أنت فقيه أهل العراق؟ قال نعم. قال: فبم تفتيهم؟ قال: بكتاب الله وسنة نبيّه. فقال له الإمام: أتعرف كتاب الله حقّ معرفته، وتعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: نعم. قال: لقد ادعيت علماً، ما جعل الله ذلك إلّا عند أهله.^٣

وفي حديث احتجاجه عليه السلام على الصوفيّة: ألستم علم بناسخ القرآن ومنسوخه؟ إلى أن قال: وكونوا في طلب ناسخ القرآن من منسوخه ومحكمه من متشابهه، وما أحلّ الله فيه ممّا حرّم، فإنّه أقرب لكم من الله، وأبعد لكم من الجهل، دعوا الجهالة لأهلها فإنّ أهل الجهل كثير، وأهل العلم قليل، وقد قال تعالى: «وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ».^٤

ملحوظة: المراد من النسخ في تعابير السلف هو معناه الأعمّ من التخصيص والتقييد والنسخ بمعناه المصطلح الحديث. وذلك، أنّ المراد هو: رفع الحكم السابق إمّا في شموله، وهو التخصيص أو التقييد، أو من أصله، وهو النسخ المصطلح، والذي نحن بصددّه.

وقد أصبح البحث عن النسخ في القرآن - في هذا العصر - مثار جدل عنيف، من جرّاء طعن وجّهها أعداء الإسلام إلى هذا الكتاب السماويّ الخالد: كيف توجد فيه آيات

١ - تفسير العياشي، ج ١، ص ١٢، ح ٩؛ والإتقان، ج ٢، ص ٥٩.

٢ - رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، بهامش الجلالين، ج ٢، ص ١٥٠.

٣ - الصافي في تفسير القرآن، ج ١، ص ١٣، المقدّمة الثانية.

٤ - يوسف ١٢: ٧٦. راجع: وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ١٣٥-١٣٦.

منسوخة الحكم لفائدة في ثبوتها سوى القراءة المجردة؟ وهم غفلوا أو تغافلوا عن أن الثبوت القرآني لم يقيم على أساس التشريع فحسب، إذ ليس في القرآن من آيات الأحكام سوى ما يقرب من خمسمائة آية، من بضع وستة آلاف آية - وسنشرح هذه الناحية في حقل ردّ الشبهات - وربّما وقف بعض الكتاب الإسلاميين عن ردّ هذه الشبهة وأمثالها، فأنكر وجود آية منسوخة في القرآن - على ما نبحت - ومن ثمّ كان من ضرورة الباحث الإسلامي أن يعالج هذه المسألة معالجة فنيّة على أساليب النقد الراهن، بعد أن كانت المسألة ممّا يمسّ أخطر جانب من حياة المسلمين وهو كتابهم المعجز الخالد، فيقوم في وجه المعاندين سدّاً منيعاً، ومدافعاً عن كتاب الله المجيد الذي «لاريب فيه» و«لا يأتية الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد»^١.

وليكن بحثنا الحاضر مقتصرّاً على مسألة «النسخ في القرآن» بصنوفه وشرائطه وليس بحثاً عن مطلق النسخ في الشريعة، الذي هو بحث عامّ أصولي، خارج - بعض الشيء - عن صبغة البحث القرآني الذي هو موضوع كتابنا هذا، ومن الله التوفيق.

التعريف بالنسخ

جاءت تعاريف العلماء للنسخ مختلفة وفاء وقصوراً لهذه الظاهرة الدينيّة، غير أنّها - جميعاً - تشير إلى حقيقة واحدة نلخصها فيما يلي:

«هو رفع تشريع سابق - كان يقتضي الدوام حسب ظاهره - بتشريع لاحق، بحيث لا يمكن اجتماعهما معاً، إمّا ذاتاً، إذا كان التنافي بينهما بيّناً، أو بدليل خاص، من إجماع أو نصّ صريح».

إذن فرفع الحكم عن بعض أفراد الموضوع العامّ، ليس نسخاً - في المصطلح - إذ لم يرتفع التشريع السابق نهائياً، وإنّما اختصّ بسائر الأفراد، ومن ثمّ فهو تخصيص في العامّ، أو تقييد في الحكم المطلق.

وكذلك إذا كان الحكم محدوداً صريحاً من أول الأمر، فارتفاعه بانتهاء أمده لا يكون نسخاً. وإنما النسخ رفع حكم يكون بطبعه ظاهراً في البقاء والاستمرار لولا مجيء الناسخ ببيان جديد.

وهكذا إذا ارتفع تكليف عند مصادفة حرج أو اضطراب أو ضرر شخصي أو لمصلحة وقتية - على ما يفصلها الفقهاء - لا يكون من النسخ في شيء، إذ جميع ذلك لم يكن من ارتفاع التشريع، وإنما هو تبدل الموضوع بطرء أحد هذه العناوين. كما لو جاز للمضطر أن يأكل من الميتة بقدر ما يسد رمقه، فإن مثل هذا الجواز لا يكون نسخاً للحرمة الأصلية، التي كان موضوعها الإنسان المختار، وقد تبدل إلى إنسان مختار.

حقيقة النسخ

النسخ في حقيقته الأولية - بمعنى «نشأة رأي جديد» - مستحيل عليه تعالى. إذ هو بذاك المعنى يستدعي تبدل رأي المشرع، بظهور خطأ أو نقص في تشريعه السابق، عثر عليه متأخراً فأبدل رأيه إلى تشريع آخر ناسخ للأول، ويكون هذا الأخير هو الكامل الصحيح في نظره حالياً، ويجوز تبدل رأيه ثانياً وثالثاً إلى تشريع ثالث ورابع وهكذا، مادام يحتمل خطؤه في كل تشريع.

هذا المعنى إنما يخص أولئك المشرعين غير المحيطين بالمصالح والمفاسد الكامنة وراء الأمور، تلك الإحاطة الشاملة. أمّا العالم بالخفايا المحيط بجوامع الواقعيّات في طول الزمان وعرضه على حدّ سواء، فيمتنع عليه خطأ في إصابة الواقع، أو يفوته نقص كان غافلاً عنه ثمّ وجده، كلّ ذلك مستحيل بشأنه تعالى.

إذن فالنسخ المنسوب إليه تعالى نسخ في ظاهره، أمّا الواقع فلا نسخ أصلاً، وإنما هو حكم مؤقت وتشريع محدود من أول الأمر، وإنّه تعالى لم يشرعه حين شرّعه إلا وهو يعلم أن له أمداً ينتهي إليه، وإنما المصلحة الواقعية اقتضت هذا التشريع المؤقت، وقد

شرّعه تعالى وفق تلك المصلحة المحدودة من أول الأمر. لكن لمصلحة في التكليف أخفى تعالى بيان الأمد، وأجله إلى وقته المحدود. ثم في نهاية الأمد جاء البيان إلى الناس: أن هذا التشريع قد انتهى بهذا الأجل. فالنسخ في حقيقته الدينية ليس سوى تأخير بيان الأمد المضروب من الأول. ولعلّ في تأخير هذا البيان مصلحة للأمة، منها الاختبار بتوطينهم على الطاعة فيما كان التكليف السابق شاقاً - مثلاً - وغير ذلك من مصالح يراها المولى الحكيم. وعليه فالتعبير عن هذه الظاهرة الدينية بالنسخ تعبير ظاهري حسب ما كان يزعمه الناس، حيث فهموا من إطلاق التشريع السابق بقاءه واستمراره، وبعد أن جاء بيان الأمد متأخراً مصحوباً بتشريع لاحق، حسبوه نسخاً واقعياً للتشريع القديم. لما لمسوا من خواصّ النسخ فيه. وهذه استعارة في التعبير وليس من الحقيقة في شيء.

الفرق بين النسخ والبداء

إذا كان النسخ في التشريع - بمعنى نشأة رأي جديد - مستحيلاً بحقّه تعالى، فهكذا البداء في التكوين - بنفس المعنى - مستحيل بشأنه تعالى، على حدّ سواء. إذ لا فرق بين النسخ والبداء، سوى أن الأول خاصّ بالتشريعات - اصطلاحاً - والثاني بالتكوينيّات. فإنّ كلّاً منهما في مفهومهما الأصلي - وهو تبدّل الرأي - ممتنع بالقياس إلى علمه تعالى الأزلي المحيط، بلا فرق. إذن فكما أنّ النسخ إنّما كان بمعناه الظاهري مستعملاً في الشريعة، وهو ظهور الشيء بعد خفاءه على الناس، فكذلك البداء، ظهور أمر بعد خفاء. سوى أن الأول ظهور أمد حكم كان معلوماً عند الله خافياً على الناس، والثاني ظهور أمر أو أجل كان محتماً عنده تعالى من الأزل، وخافياً على الناس ثمّ بدا لهم أي ظهرت لهم الحقيقة. والخلاصة: أنّ للبداء في التكوين - كالنسخ في التشريع - معنيين، يكون بأحدهما مستحيلاً بشأنه تعالى، وجائزاً بالمعنى الآخر.

وبذلك يفسر قوله تعالى: «يَمَحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ»^١ وغيرها من الآيات.

وهناك تفسير للبداء أدقّ شرحناه ضمن مقال حافل بجوانب الموضوع.^٢

بهتان مفضوح

تبيّن أنّ البداء الذي تقول به الشيعة - مستنداً إلى الآية الكريمة - هو بذلك المعنى الجائز، نظير النسخ، من غير فرق.

وأما مانسبه بعض الكتّاب السلف، وتابعهم عليه الخلف من غير تحقيق، من إسناد الشيعة البداء المستحيل إلى الله تعالى، فهو افتراء محض وبهتان زور، وهذه كتب الشيعة الكلاميّة وغيرها من كتب التفسير والحديث، كلّها متّفقة على تفسير البداء - المسند إلى الله - بمعناه الجائز، وهو الظهور للناس بعد خفاء.^٣

ونحن إذ لا نستغرب افتراءات السلف الموجهة إلى الشيعة، حيث البيئة الغاشمة هي التي وجّهتهم ذاك التوجيه الخاطئ، لكننا نستغرب جداً من متابعة الخلف، ونسجهم على نفس ذلك المنوال المعوج، كالأستاذ الزرقاني^٤ والأستاذ العريض^٥ ومن لفّ لفّهما، مشوا على نفس المنهاج الخاطئ من غير تحقيق عن جليّ الأمر، وهذه كتب الشيعة ماثلة بين

١ - الرعد ١٣: ٣٩. راجع: تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٥١٩؛ والبحار، ج ٤، ص ٩٢-١٣٤.

٢ - نشر ضمن بحوثنا عن معارف القرآن في مصنف خاص.

٣ - راجع - بالخصوص - : البيان للإمام الخوئي، ص ٤١٦.

٤ - أنظر: مناهل العرفان، ج ٢، ص ١٨٢-١٨٤.

وهو المعنى الذي فسره ابن حجر البداء في حديث الأقرع والأبرص والأعمى «بدا لله أن يبتليهم» الوارد في صحيح البخاري (كتاب الأنبياء، رقم ٥١، ج ٤، ص ٢٠٨). قال: أي سبق في علم الله فأراد إظهاره. وليس المراد أنّه ظهر له بعد خفاء عليه لأنّه مستحيل بشأنه تعالى. (فتح الباري بشرح البخاري، ج ٦، ص ٣٦٤). وهكذا قال ابن الأثير في كتابه النهاية، ج ١، ص ١٠٩.

٥ - أنظر: فتح المنان في نسخ القرآن لعلي حسن العريض، ص ٥٣-٥٦.

أيديهم يغفلونها^١ ويقتصرون على نقل تلكم الافتراءات الظالمة التي سجلها أسلافهم على إثر ضغط من حكومات غاشمة كانت لاتفسح المجال لجلاء الحقيقة التي كانت تعاكس أهدافهم في سياسة الاغتصاب.

الفرق بين النسخ والتخصيص

إطلاق النسخ على التخصيص كان شائعاً في متداول السلف، ومن ثمّ أكثروا القول في عدد الآي المنسوخة. فمن الضروريّ للباحث المعاصر أن يعرف معرفة دقيقة ما بين المصطلحين من فرق، ليستعمل كلّاً منهما في موضعه الخاصّ، ولا يذهب مذاهب الخلط القديمة.

يفترق النسخ عن التخصيص: أنّ الأوّل قطع لاستمرار التشريع السابق بالمرّة، بعد أن عمل به المسلمون في فترة من الزمن طويلة أم قصيرة. أمّا التخصيص فهو قصر الحكم العام على بعض أفراد الموضوع وإخراج البقيّة عن الشمول، قبل أن يعمل المكلفون بعموم التكليف.

فالنسخ اختصاص للحكم ببعض الأزمان. والتخصيص اختصاصه ببعض الأفراد. ذاك تخصيص أزمني وهذا تخصيص أفرادى ولا يشتبه أحدهما بالآخر.

نعم يشتركان في جامع بينهما هو: ارتكاب خلاف ظاهر بدائي في كلّ منهما، كان التشريع الأوّل ظاهراً بطبعه في الاستمرار، فجاء الناسخ ليزيل هذا التوهّم، ويبين أنّ الحكم كان محدوداً من الأوّل، وإن كان لا يعلم به الناس.

وهكذا التخصيص بيان للمراد الحقيقي من اللفظة الظاهرة بطبعها في العموم. فجاء

١ - هذا «البيان» لسيدنا الأستاذ الإمام الخوئي رحمته الله عرض فيه مسألة «البداء» على مستوى علمي دقيق وشامل، في مقال ضاف جامع بين الإيجاز والوفاء، راجع: مقال «البداء في التكوين»: ص ٤٠٥-٤١٨.

وقد فصل القول فيه العلامة المجلسي (طاب رسمه) في موسوعته القيّمة «بحار الأنوار» وبحث عن مسألة البداء بحثاً تحقيقيّاً على ضوء مذهب الشيعة المستقي من نصوص صادرة عن أهل البيت عليهم السلام وكلمات كبار العلماء المحقّقين السلف. راجع: الجزء الرابع، ص ٩٢-١٣٤.

المخصّص كاشفاً عن الواقع المقصود. فكان كلّ من النسخ والتخصيص أداة كشف عن المراد الحقيقيّ للمشرّع الأوّل الحكيم.

شروط النسخ

نستطيع - على ضوء ما تقدّم - أن نحدّد «النسخ في القرآن» تحديداً يميّزه عن كلّ ما يشبهه من نظائر، بالشروط التالية:

أولاً: تحقّق التنافي بين تشريعين وقعاً في القرآن، بحيث لا يمكن اجتماعهما في تشريع مستمرّ، تنافياً ذاتياً، كما في آيات وجوب الصّبح مع آيات القتال.^١ أو بدليل قاطع دلّ على نقض التشريع السابق بتشريع لاحق. كما في آية الإمتناع إلى الحول مع آية الاعتداد بأربعة أشهر وعشرة أيّام وآية المواريث، فقد قام الإجماع على نسخ الأولى بالأخيرتين.^٢

أمّا في صورة عدم التنافي بين آيتين، كما في آية الإنفاق وآية الزكاة، فلا نسخ - اصطلاحياً - وإن توهّمة البعض.^٣ حيث تشريع الإنفاق في سبيل الله ثابت مستمرّ، مندوب إليه في الإسلام مع الأبد. والزكاة واجبة كذلك ولا تنافي بين استحباب الأوّل ووجوب الأخيرة أبدياً.

ثانياً: أن يكون التنافي كلياً على الإطلاق، لاجزئياً وفي بعض الجوانب، فإنّ هذا الثاني تخصيص في الحكم العامّ، وليس من النسخ في شيء. فآية القواعد من النساء^٤ لا تصلح ناسخة لآية الغض^٥ بعد أن كانت الأولى أخصّ من الثانية^٦ والخاصّ لا ينسخ العامّ، بل يخصّصه بما عداه من أفراد الموضوع. وهكذا تحليل السمك والجراد لا يكون نسخاً لآية تحريم الميتة^٧ حتى ولو فرضنا صدق الميتة على السمك الذي أخرج من الماء

١ - راجع: اختيارنا في النسخ الآية، ٦.

٢ - راجع: اختيارنا في النسخ الآية، ٦.

٣ - راجع: قائمة المنسوخات الآتية برقم، ١٥.

٤ - النور ٢٤: ٦٠.

٥ - النور ٢٤: ٣١.

٦ - راجع: قائمة المنسوخات برقم، ١٤٠.

٧ - البقرة ٢: ١٧٣.

حيّاً فمات والجراد المأخوذ حيّاً ثم يموت.^١ فإنّ هذا تخصيص في الآية على الفرض لانسح.^٢

ثالثاً: أن لا يكون الحكم السابق محدّداً بأمّد صريح، حيث الحكم بنفسه يرتفع عند انتهاء أمده، من غير حاجة إلى نسخ، فمثل قوله تعالى: «فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ»^٣ لا يصدق عليه النسخ عندما تفيء الفئة الباغية وترجع إلى رشدّها والتسليم لحكم الله.

نعم في مثل قوله تعالى: «أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا»^٤ يصدق النسخ عندما يأتي البيان، لأنّ التلميح إلى تحديد الحكم معلقاً على بيان جديد، لا يوجب ارتفاع الحكم إلّا بعد أن يأتي حكم جديد وما لم يأت البيان فالحكم الأوّل ثابت ومستمرّ على إحكامه. إذن فالتحديد الذي يتنافى مع النسخ هو ما إذا كان الحكم بنفسه يرتفع بانقضاء الأمّد المضروب له من الأوّل.

رابعاً: أن يتعلّق النسخ بالتشريعيّات، فلا نسخ فيما يتعلّق بالأخبار. فقوله تعالى: «ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ»^٥ لا يصلح ناسخاً لقوله: «ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ»^٦ فيما زعمه مقاتل بن سليمان^٧ لأنّ الآية إخبار عن واقعيّة لا تتغيّر بالوجود والاعتبار.

وهكذا الإباحة الأصليّة ترتفع بحدوث التشريع من غير أن يكون ذلك نسخاً، حيث تلك الإباحة لم تكن بتشريع، وإنّما كانت بحكم العقل الفطري (البراءة العقليّة) موضوعها:

١ - بل هذا في المصطلح الأصولي حكومة، فإنّ تذكية السمك والجراد شرعاً هو إخراج السمك وأخذ الجراد حيّين ثم يموتان.

٢ - راجع: رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٦١.

٣ - النساء: ٤: ١٥.

٤ - الحجرات ٤٩: ٩.

٥ - الواقعة ٥٦: ١٣-١٤.

٦ - الواقعة ٥٦: ٣٩-٤٠.

٧ - راجع: قائمة المنسوخات برقم، ٢٠٢.

عدم التشريع فترتفع بالتشريع. فقلوله: «فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ»^١ لا يصلح ناسخاً لقلوله: «وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ»^٢ لأن جواز القعود قبل نزول آية النساء لم يكن مستفاداً من آية الأنعام، بل كان وفق الإباحة الأصلية ونزلت آية الأنعام دفعاً لتوهم الحظر، حيث كان النهي خاصاً بالنبِيِّ ﷺ فتوهم المسلمون شموله للمؤمنين أيضاً.^٣

خامساً: التحفظ على نفس الموضوع، إذ عندما يتبدل موضوع حكم إلى غيره، فإنَّ الحكم يتغيّر لامحالة، حيث الحكم قيد موضوعه. وليس هذا نسخاً. فمثل قوله تعالى: «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا...»^٤ لا يصلح ناسخاً لقلوله: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ...»^٥ لأنَّ الذي يبيّن غير الذي يكتُم^٦ وهكذا كل استثناء أو تخصيص ورد على حكم عام، فقد زعموهما نسخاً على خلاف المصطلح - فيما سيأتي.

ومن هذا الباب ما إذا طرأ عنوان ثانوي يختلف حكمه عن العنوان الذاتيّ الأوّلِي، كالاضطراب والحرّج والتقية، تعرّض شيئاً فتجعله جائزاً بعد أن كان بعنوانه الذاتيّ حراماً مثلاً، كالخمر تحلّ إذا اضطرّ إلى شربها، وهذا لا يسمّى نسخاً في الاصطلاح، نظراً لأنَّ الحكم الأوّل ثابت للخمر بعنوانها الذاتيّ ولا يزال. وأمّا الحكم الثاني العارض فهو طارئ بعنوان الاضطراب، ويرتفع برفع الاضطراب، وهذا من قبيل تبدل الموضوع بالنسبة إلى حالاته الطارئة التي يختلف الحكم الشرعي بحسبها. وعليه فقلوله تعالى: «فَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ»^٧ ليس ناسخاً لقلوله: «إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ»^٨ الأمر الذي اشتبه على كثير ممّن كتب في النسخ.^٩

٢ - الأنعام ٦: ٦٩.

١ - النساء ٤: ١٤٠.

٤ - البقرة ٢: ١٦٠.

٣ - راجع: قائمة المنسوخات برقم، ٦٥.

٦ - راجع: رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٦٠.

٥ - البقرة ٢: ١٥٩.

٨ - البقرة ٢: ١٧٢.

٧ - البقرة ٢: ١٧٣.

٩ - راجع: قائمة المنسوخات برقم، ٦.

صنوف النسخ في القرآن

النسخ في القرآن يتصوّر على أنواع، تعرّض لها القدامى والمُحدّثون، وقد مرّ عليها أكثرية الباحثين مرور الكرام، في حين أنّ منها ما هو مرفوض على مسرح التحقيق، بعيد عن كرامة القرآن، كتاب الله العزيز الحميد، وكلّ البعد، ونحن نجري على منوالهم في ذات التقسيم، مع تعقيب كلّ نوع بما تقتضيه أداة النقد والتمحيص النزيه بحوله تعالى:

١- نسخ الحكم والتلاوة معاً

بأن تسقط من القرآن آية كانت ذات حكم تشريعيّ، وكان المسلمون يتداولونها ويقرؤونها ويتعاطون حكمها، ثمّ نسخت وبطل حكمها ومحيت من صفحة الوجود رأساً. هذا النوع من النسخ مرفوض عندنا، ويتحاشاه الكتاب العزيز، الذي «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»^١.

وقد حاول بعض القدامى من أهل الحديث،^٢ وهكذا لفيف من المُحدّثين غيرالمحقّقين^٣ إثبات هذا النوع من النسخ في القرآن، بحجّة مجيئه في حديث صحيح الإسناد إلى عائشة، قالت: كان فيما أنزل من القرآن: «عشر رضعات يحرم من» ثمّ نُسخن بخمس معلومات. قالت: وتوفي رسول الله ﷺ وهنّ فيما يُقرأ من القرآن.^٤

قلت: هذا شيء غريب، كيف يلتزم به من لا يرى التحريف في القرآن! إذ يرجع إثبات هذا النوع من النسخ إلى القول بالتحريف، بأن تكون آية ذات حكم تشريعيّ، وكانت تُتلى حتى وفاة رسول الله ﷺ ثمّ نُسيت، وليس ذلك سوى إسقاط آية بعد وفاته ﷺ الأمر الذي تنكره جماعة المسلمين إطلاقاً.

والغريب أن الشيخ الزرقاني حاول إثباته بإجماع القائلين بالنسخ من المسلمين

١- فصلت ٤١: ٤٢.

٢- راجع: الإتيان، ج ٣، ص ٦٢-٦٣.

٣- راجع: مناهل العرفان، ج ٢، ص ٢١٤.

٤- راجع: صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٦٧؛ وسنن الترمذي، ج ٣، ص ٤٥٦.

بدليل وقوعه سمعاً^١.

غير أن المحققين من العلماء أبطلوا هذا النوع من النسخ رأساً، وحاول بعضهم تأويل الحديث، بينما الآخرون ضربوا به عرض الجدار، لأنه حديث واحد يرجع إلى التلاعب بالقرآن الكريم.

قال الإمام الزركشي: وقد تكلموا في قولها: «وهن ممّا يُقرأ» فإنّ ظاهره بقاء التلاوة، وليس كذلك. فمنهم من أجاب بأنّ المراد قارب الوفاة، والأظهر أنّ التلاوة نسخت أيضاً ولم يبلغ ذلك كلّ الناس إلّا بعد وفاته ﷺ فتوفي وبعض الناس يقرؤها.

قال: وحكى القاضي أبوبكر في «الانتصار» عن قوم إنكار هذا القسم، لأنّ الأخبار فيه أخبار آحاد، ولا يجوز القطع على إنزال قرآن ونسخه بأخبار آحاد لاحجة فيها.^٢ وهكذا زعمت أنّ لفظة «متتابعات» كانت في المصحف وأسقطت منه.

أخرج البيهقي والدارقطني وصحّحه بالإسناد إلى ابن شهاب عن عروة عن عائشة، قالت: نزلت الآية «فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ مُتَّابِعَاتٍ»،^٣ فسقطت «متتابعات».^٤

وحمله ابن حزم والبيهقي على إرادة النسخ، أي نسخ الحكم والتلاوة معاً. وهو حمل غير وجيه. وظاهر كلامها - إن صحّ الحديث - إرادة الإسقاط على عهد الصحابة ولاسيما عهد عثمان فيما أسقط من المصحف كما زعموا وقد زيّفناه آنفاً.

وجعل الواحدي من هذا النوع - أيضاً - ما روي عن أبي بكر، قال: كنّا نقرأ «لا ترغبوا عن آباءكم فإنّه كفر».^٥

قال الإمام السرخسي: لا يجوز هذا النوع من النسخ في القرآن عند المسلمين، وقال

١ - مناهل العرفان، ج ٢، ص ٢١٤. ٢ - البرهان للزركشي، ج ٢، ص ٣٩ - ٤٠.

٣ - البقرة ٢: ١٨٤.

٤ - أخرجه عبدالرزاق في المصنّف، ج ٤، ص ٢٤١ - ٢٤٢؛ والدارقطني من طريقه في السنن، ج ٢، ص ١٩٢ وقال: هذا إسناد صحيح. والبيهقي في السنن الكبرى: ج ٤، ص ٢٥٨؛ وابن حزم في المحلّى، ج ٦، ص ٢٦١، م: ٧٦٨.

٥ - البرهان للزركشي، ج ٢، ص ٣٩.

بعض الملحدين ممن يتستّر بإظهار الإسلام - وهو قاصد إلى إفساده -: هذا جائز بعد وفاته ﷺ أيضاً واستدلّ في ذلك بما روي أنّ أبا بكر الصديق كان يقرأ «لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم». وأنس كان يقول: قرأنا في القرآن «بلغوا عنا قومنا إنّنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا». وقال عمر: قرأنا آية الرجم في كتاب الله ووعيناها. وقال أبي بن كعب: إنّ سورة الأحزاب كانت مثل سورة البقرة أو أطول منها!!

قال: والشافعي، لا يظنّ به موافقة هؤلاء في هذا القول، ولكنّه استدلّ بما هو قريب من هذا في عدد الرضعات،^١ فإنّه صحّ ما يروى عن عائشة: وإنّ ممّا أنزل في القرآن «عشر رضعات معلومات يحرّم من» فنسخن بخمس رضعات معلومات، وكان ذلك ممّا يتلى في القرآن بعد وفاة رسول الله ﷺ.

قال: والدليل على بطلان هذا القول قوله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ».^٢ ومعلوم أنّه ليس المراد الحفظ لديه تعالى، فإنّه يتعالى من أن يوصف بالغفلة أو النسيان، فعرفنا أنّ المراد الحفظ لدينا... وقد ثبت أنّه لانسوخ لهذه الشريعة بوحي ينزل بعد وفاة رسول الله ﷺ ولو جوّزنا هذا في بعض ما أوحى إليه لوجب القول بتجويز ذلك في جميعه، فيؤدّي ذلك إلى القول بأن لا يبقى شيء ممّا ثبت بالوحي بين الناس في حال بقاء التكليف. وأيّ قول أقبح من هذا؟! ومن فتح هذا الباب لم يأمن أن يكون بعض ما بأيدينا اليوم أو كلّ مخالف لشريعة رسول الله ﷺ بأن نسخ الله ذلك بعده، وآلف بين قلوب الناس على أن ألهمهم ما هو خلاف شريعته. فلصيانة الدين إلى آخر الدهر أخبر الله تعالى أنّه هو الحافظ لما أنزله على رسوله. وبه يتبيّن أنّه لا يجوز نسخ شيء منه بعد وفاته. وما ينقل من أخبار الآحاد شاذ لا يكاد يصحّ شيء منها.

قال: وحديث عائشة لا يكاد يصحّ، لأنّه (أي الراوي) قال في ذلك الحديث: وكانت الصحيفة تحت السرير فاشتغلنا بدفن رسول الله ﷺ فدخل داجن البيت فأكله. ومعلوم أنّ

١ - وهكذا أبو محمد بن حزم استدلّ بذلك، انظر المحلى: ج ١، ص ١٥.

٢ - الحجر ١٥: ٩.

بهذا لا ينعدم حفظه من القلوب، ولا يتعذر عليهم إثباته في صحيفة أخرى، فعرفنا أنه لأصل لهذا الحديث.^١

قلت: في كلام هذا المحقق كفاية في إبطال هذا الزعم، وأن لاحتجّة في خبر واحد في هذا الشأن، ولاسيّما جانب مساسه بكرامة القرآن، واستلزام التلاعب بآيه الكريمة بعد وفاته ﷺ الأمر الذي تبطله آية الحفظ وضمانه تعالى في حفظ كتابه عن التحريف والزيادة والنقص. لأنّه كلامه المجيد يجب أن يبقى معجزة خالدة لدين الإسلام الخالد مع الأبدية.

قال الجزيري -ردّاً على الزعم المذكور-: إنّ المسلمين قد أجمعوا على أنّ القرآن هو ما تواتر نقله، فكيف يمكن الحكم بكون هذا قرآناً، فمن المشكل الواضح ما يذكره المحدثون من روايات الآحاد المشتملة على أنّ آية كذا كانت قرآناً ونسخت. على أنّ مثل هذه الروايات قد مهّدت لأعداء الإسلام إدخال ما يوجب الشكّ في كتاب الله، من الروايات الفاسدة... فهذه وأمثاله -إشارة إلى حديث عائشة- من الروايات التي فيها الحكم على القرآن المتواتر بأخبار الآحاد، فضلاً عن كونه ضاراً بالدين، فيه تناقض ظاهر.^٢

وقال الأستاذ السائيس: مارواه مالك وغيره عن عائشة أنّها قالت: كان فيما أنزل الله من القرآن عشر رضعات... إلخ، حديث لا يصح الاستدلال به، لاتفاق الجميع على أنّه لا يجوز نسخ تلاوة شيء من القرآن بعد وفاته ﷺ وهذا هو الخطأ الصراح.^٣

وقال تلميذه الأستاذ العريض: وهذا هو الصواب الذي نعتقده، وندين الله عليه، حتى نقفل الباب على الطاعنين في كتاب الله تعالى من الملاحدة والكافرين، الذين وجدوا من هذا الباب نقرة يلجون منها إلى الطعن في القرآن الكريم، وحتى ننزّه كتاب الله تعالى عن شبهة الحذف والزيادة بأخبار الآحاد، فما لم يتواتر في شأن القرآن إثباتاً وحذفاً لا اعتداد

٢ - الفقه على المذاهب الأربعة، ج ٤، ص ٢٥٧.

١ - الأصول للسرخسي، ج ٢، ص ٧٨-٨٠.

٣ - فتح المنان، ص ٢١٦-٢١٧.

به، ومن هذا الباب نسخ القرآن بالسنة الأحاديّة، بل حتى المتواترة عند بعضهم، ونرفض كلّ ماورد من الروايات في هذا الباب، وما أكثرها، كما ورد في بعض الأقوال عن سورة الأحزاب وبراء وغيرها.^١

٢ - نسخ التلاوة دون الحكم

بأن تسقط آية من القرآن الحكيم، كانت تقرأ، وكانت ذات حكم تشريعي، ثمّ نسيت ومحيت هي عن صفحة الوجود، لكن حكمها بقي مستمراً غير منسوخ. وهذا النوع من النسخ أيضاً عندنا مرفوض على غرار النوع الأوّل بلافراق، لأنّ القائل بذلك إنّما يتمسّك بأخبار آحاد زعمها صحيحة الإسناد، متغفلاً عن أنّ نسخ آية محكمة شيء لا يمكن إثباته بأخبار آحاد لا تفيد سوى الظنّ، وإنّ الظنّ لا يغني عن الحقّ شيئاً. هذا فضلاً عن منافاته لمصلحة نزول نفس الآية أو الآيات، إذ لو كانت المصلحة التي كانت تقتضي نزولها هي اشتغالها على حكم تشريعيّ ثابت، فلماذا ترفع الآية وحدها، في حين اقتضاء المصلحة بقاءها لتكون سنداً للحكم الشرعي المذكور. ومن ثمّ فإنّ القول بذلك استدعى تشنيع أعداء الإسلام وتغييرهم على المسلمين في كتابهم المجيد.

وأخيراً فإنّ الالتزام بذلك - حسب منطوق تلك الروايات - التزام صريح بتحريف القرآن الكريم، وحاشاه من كتاب إلهيّ خالد، مضمون بالحفظ مع الخلود. ولذلك فإنّ هذا القول باطل عندنا - معاشرة الإماميّة - رأساً، لا مبرّر له إطلاقاً فضلاً عن مساسه بقداسة القرآن المجيد.

قال سيّدنا الأستاذ عليه السلام: أجمع المسلمون على أنّ النسخ لا يثبت بخبر الواحد كما أنّ القرآن لا يثبت به. وذلك لأنّ الأمور المهمّة التي جرت العادة بشيوعها بين الناس وانتشار الخبر عنها، لا تثبت بخبر الواحد، فإنّ اختصاص نقلها ببعض دون بعض بنفسه دليل على

كذب الراوي أو خطئه. وعلى هذا فكيف يثبت بخبر الواحد أن آية الرجم من القرآن وأنها نسخت؟! نعم جاء عمر بآية الرجم وادّعى أنها من القرآن، لكن المسلمين لم يقبلوا منه. لأن نقلها كان منحصراً به، فلم يثبتوها في المصاحف، لكن المتأخرين التزموا بأنها كانت آية منسوخة التلاوة باقية الحكم.^١

هذا... ولكن جلّ علماء أهل السنة بما فيهم من فقهاء كبار وأئمة محققين، التزموا بهذا القول المستند إلى لفيف من أخبار آحاد زعموها صحيحة الإسناد، وهذا إيثار لكرامة القرآن على حساب روايات لاحجية فيها في هذا المجال، وإن فرضت صحيحة الإسناد في مصطلحهم، إذ صحة السند إنما تجدي في فروع مسائل فقهية، لا إذا كانت تمسّ كرامة القرآن وتمهد السبيل لإدخال الشكوك على كتاب المسلمين.

هذا الإمام السرخسي - المحقق الأصولي الفقيه - بينما شدّد النكير على القائل بالنسخ من النوع الأوّل، إذا هو يلتزم به في هذا النوع، في حين عدم فرق بينهما فيما ذكره من استدلال لبطلان الأوّل.

قال: وأما نسخ التلاوة مع بقاء الحكم فبيانه فيما قال علماؤنا: إن صوم كفارة اليمين ثلاثة أيام متتابة، بقراءة ابن مسعود: «فصيام ثلاثة أيام متتابعات». وقد كان هذه قراءة مشهورة إلى زمن أبي حنيفة، ولكن لم يوجد فيها النقل المتواتر الذي يثبت بمثله القرآن، وابن مسعود لا يشكّ في عدالته وإتقانه، فلا وجه لذلك إلا أن نقول: كان ذلك ممّا يتلى في القرآن - كما حفظه ابن مسعود - ثمّ انتسخت تلاوته في حياة رسول الله ﷺ بصرف القلوب عن حفظها إلا قلب ابن مسعود ليكون الحكم باقياً بنقله، فإنّ خبر الواحد موجب للعمل به، وقراءته لا تكون دون روايته، فكان بقاء هذا الحكم بعد نسخ التلاوة بهذا الطريق.^٢

قلت: غير خفيّ ضعف هذا الاستدلال ووهن هذا التأويل!
وفيما يلي عرض لما أسهبه ابن حزم الأندلسي بهذا الشأن، وهو الإمام المحقق

٢ - الأصول للسرخسي، ج ٢، ص ٨١

١ - البيان في تفسير القرآن، ص ٣٠٤.

صاحب مذهب واختيار، ومن ثمّ فإنّ ذلك منه غريب جداً.

قال: فأما قول من لا يرى الرجم أصلاً فقول مرغوب عنه، لأنّه خلاف الثابت عن رسول الله ﷺ وقد كان نزل به قرآن، ولكنّه نسخ لفظه وبقي حكمه - ثمّ يروي عن سفيان عن عاصم عن زرّ - قال: قال لي أبيّ بن كعب: كم تعدّون سورة الأحزاب؟ قلت: إمّا ثلاثاً وسبعين آية أو أربعاً وسبعين آية. قال: إن كانت لتقارن سورة البقرة أو لهي أطول منها، وإن كان فيها لآية الرجم. قلت: أبا المنذر، وما آية الرجم؟ قال: «إذا زنى الشيخ والشيخة فارجموهما ألّبتة نكالا من الله والله عزيز حكيم».

قال: هذا إسناد صحيح كالشمس لا مغمز فيه.

ثمّ روى بطريق آخر عن منصور، عن عاصم، عن زرّ، وقال: فهذا سفيان الثوري ومنصور شهدا على عاصم، وما كذبا، فهما الثقتان الإمامان البدران، وما كذب عاصم على زرّ، ولا كذب زرّ على أبيّ.

قال أبو محمد: ولكنّها نسخ لفظها وبقي حكمها، ولو لم ينسخ لفظها لأقرأها أبيّ بن كعب زرّاً بلا شكّ، ولكنّه أخبره بأنّها كانت تعدل سورة البقرة ولم يقل له: إنّها تعدل الآن، فصحّ نسخ لفظها.

ثمّ يروي آية الرجم عن زيد وابن الخطاب ويقول: إسناد جيد.

ويروي عن عائشة، قالت: لقد نزلت آية الرجم والرضاعة، فكانتا في صحيفة تحت سريري، فلمّا مات رسول الله ﷺ تشاغلنا بموته فدخل داجن فأكلها. قال: وهذا حديث صحيح. وليس هو على ما ظنّوا، لأنّ آية الرجم إذ نزلت حفظت وعرفت وعمل بها رسول الله ﷺ إلّا أنّه لم يكتبها نسخ القرآن في المصاحف، ولا أثبتوا لفظها في القرآن، وقد سأله عمر بن الخطاب ذلك فلم يجبه. فصحّ نسخ لفظها، وبقيت الصحيفة التي كتبت فيها كما قالت عائشة، فأكلها الداجن ولا حاجة بأحد إليها.^١

قلت: وإنّي لأستغرب هذا التملّح الفاضح في كلام مثل هذا الرجل المعروف

بالتحقيق ودقة النظر والاختيار.

كيف يقول: لا حاجة إليها وهي سند حكم تشريعي ثابت! ثم كيف لا يعلم بالآية أحد من كتبة الوحي ولم يكتبوها سوى أنها كتبت في صحيفة وأودعت عند عائشة فحسب، وكيف أنها تركتها تحت سريرها ليأكلها داجن البيت؟! كل ذلك لغريب يستبعده العقل السليم.

والذي غرّ هؤلاء: أنها أحاديث جاءت في الصحاح الستة وغيرها،^١ ولا بدّ لهم - وهم متعبدون بما جاء فيها - أن يتقبلوها على علّاتها مهما خالفت أساليب النقد والتحقيق. هذا... وقد أكثر جلال الدين السيوطي^٢ من نقل هكذا روايات ساقطة، ومن قبله شيخه بدر الدين الزركشي ولكن مع شيء من التردد،^٣ وقد أخذها بعض الكاتبين المحدثين أدلة قاطعة من غير تحقيق. قال - متشدّقاً - وإذا ثبت وقوع هذين النوعين كما ترى، ثبت جوازهما، لأنّ الوقوع أعظم دليل على الجواز كما هو مقرر. وإذن بطل ما ذهب إليه المانعون له من ناحية الشرع كأبي مسلم ومن لفّ لفّه، ويبطل كذلك ما ذهب إليه المانعون له من ناحية العقل، وهم فريق من المعتزلة شذّ عن الجماعة، فزعم أنّ هذين النوعين الأخيرين مستحيلان عقلاً.^٤

قلت: ما أشرف حكم العقل لولا أنّ أمثال الزرقاني حصروه في أصحاب الاعتزال، وجعلوا من أنفسهم بمعزل عن نور العقل الحكيم.

وأما الأستاذ العريض فقد ذهب هنا مذهباً تحقيقياً وأسهب في الردّ على هذا القول الفاسد، دفاعاً عن كرامة القرآن. ونقل عن جماعة من معاصريه مواكبته على هذا الرأي السديد.^٥

١ - راجع: البخاري، ج ٨، ص ٢٠٩-٢١٠؛ ومسلم، ج ٥، ص ١١٦ و ج ٤، ص ١٦٧؛ والمستدرک علی الصحیحین، ج ٤، ص ٣٥٩؛ ومسنّد أحمد، ج ١، ص ٢٣ و ج ٢، ص ٤٣؛ وسنن الترمذی، ج ٤، ص ٣٩ و ج ٣، ص ٤٥٦.

٢ - راجع: الإتيقان، ج ٣، ص ٧٢-٧٥؛ والدرّ المنتور، ج ٤، ص ٣٦٦ تحت الآية ٥٢ من سورة الحج.

٣ - راجع: البرهان للزركشي، ج ٢، ص ٣٥-٣٧. ٤ - راجع: مناهل العرفان، ج ٢، ص ٢١٥-٢١٦.

٥ - راجع: فتح المنان، ص ٢٢٤-٢٣٠.

٣- نسخ الحكم دون التلاوة

بأن تبقى الآية ثابتة في الكتاب يقرأها المسلمون عبر العصور، سوى أنها من ناحية مفادها التشريعي منسوخة، لا يجوز العمل بها بعد مجيء الناسخ القاطع لحكمها. هذا النوع من النسخ هو المعروف بين العلماء والمفسرين، واتفق الجميع على جوازه إمكاناً، وعلى تحققه بالفعل أيضاً، حيث قالوا بوجود آيات منسوخة في القرآن، مع اختلافهم في عددها!

نعم كانت لهذا النوع من النسخ أنحاء ثلاثة، وقع الكلام في إمكان بعضها، نعرضها فيما يلي:

(الأول): أن ينسخ مفاد آية كريمة، بسنة قطعية أو إجماع محقق، كآية الإمتاع إلى الحول بشأن المتوفى عنها زوجها^١ فإنها - بظاهرها - لا تتنافى وآية العدد والمواريث، غير أن السنة القطعية وإجماع المسلمين أثبتا نسخها بآية العدد والمواريث، كما قيل، وسوف نعرض لها.

واستشكل بعضهم نسخ القرآن بالسنة، نظراً لأن الأول قطعي والثانية ظنية. والجواب: أن مفروض الكلام ما إذا كانت السنة متواترة وقطعية الصدور أيضاً، ودعمها إجماع الأمة في جميع العصور، على ما سنبحث في آيات منسوخة من هذا النمط.

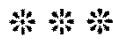
(الثاني): أن ينسخ مفاد آية بآية أخرى، بحيث تكون الثانية ناظرة إلى مفاد الأولى ورافعة لحكمها بالتنصيص، ولولا ذلك لم يكن موقع لنزول الثانية وكانت لغواً. وهذا كآية النجوى^٢ أوجبت التصديق بين يدي مناجاة الرسول ﷺ، ونسختها آية الإشفاق: «ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ...»^٣.

وهذا النحو من النسخ لم يختلفوا فيه.

(الثالث): أن تنسخ آية بأخرى من غير أن تكون إحداها ناظرة إلى الأخرى سوى

أنهم وجدوا التنافي بين الآيتين، بحيث لم يمكن الجمع بينهما تشريعياً، ومن ثم أخذوا من الثانية المتأخرة نزولاً ناسخة للأولى.

ويجب أن يكون التنافي بين الآيتين كلياً - على وجه التباين الكلي - لاجزئياً وفي بعض الوجوه، لأن الأخير أشبه بالتخصيص منه إلى النسخ المصطلح، وقد تسامح بعض الباحثين، فأخذ من ظاهر التنافي - ولو جزئياً - دليلاً على النسخ، فقال بنسخ العام بالخاص ونسخ الإطلاق بالتقييد^١ ولكن عمدة عذره هبوط مستواه العلمي في مبادئ علم الأصول.



(ملحوظة): يشترط في هذا القسم الثالث، وجود نص صحيح وأثر قطعي صريح، يدعمه إجماع القدامى. إذ من الصعب جداً الوقوف على تأريخ نزول آية في تقدمها وتأخرها، ولا عبرة بثبت آية قبل أخرى في المصحف، إذ كثير من آيات ناسخة هي متقدمة في ثبوتها على المنسوخة، كما في آية العدد برقم: ٢٣٤ من سورة البقرة، وهي ناسخة لآية الإمتاع إلى الحول برقم: ٢٤٠ من نفس السورة، وهذا إجماع.

كما أن التنافي - على الوجه الكلي - لا يمكن القطع به بين آيتين قرآنيتين سوى عن نص معصوم، لأن للقرآن ظاهراً وباطناً ومحكماً ومتشابهاً، وليس من السهل الوقوف على كنه آية مهما كانت محكمة.

هذا... وقد أخذ سيدنا الأستاذ رحمته الله من هذا الأخير مستمسكاً لنكران هذا النحو - الثالث - من النسخ، قال: والتحقيق أن هذا القسم من النسخ غير واقع في القرآن، كيف وقد قال الله عز وجل: «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً»^٢.

لكن سنبين: أن لاتنافي بين الناسخ والمنسوخ في متن الواقع، وإنما هو تناف ظاهري، إذ الحكم المنسوخ هو في الحقيقة حكم محدود في علم الله من أول تشريعه،

١ - سيدو ذلك عندما تستعرض الآيات المنسوخة. ٢ - النساء ٤: ٨٢. راجع: البيان في تفسير القرآن، ص ٣٠٦.

غير أن ظاهره الدوام. ومن ثمّ كان التنافي بينه وبين الناسخ المتأخّر شكلياً محضاً، إن ثبت النسخ. وسيبدو ذلك بتوضيح أكثر عند الجواب عن الشبهة الثالثة الآتية.

النسخ المشروط^١

هناك من أنواع النسخ ما نصلح عليه بالنسخ المؤقت أو النسخ المشروط. وهو ما إذا كان الحكم المنسوخ رهن ظروف وأحوال تغيّرت إلى حالة أخرى استدعت تشريع حكم جديد، لكنّها مع ذلك صالحة للعود على حالتها الأولى، إمّا في رقعة أخرى من الأرض أو في فترة آتية من الزمان، فإنّ من الحكمة أن يعود الحكم المنسوخ إلى ساحة الوجود. فكلّ من الناسخ والمنسوخ، هو رهن حالة تخصّه، وقيد مصلحة تلتئم معه. فمادامت فالحكم يدوم معها، ولو زالت فالحكم يزول معها، وإذا مارجعت فإنّ الحكم يرجع معها... وهكذا..

مثاله: الصدقات الواجبة في سبيل الله: كان على المسلمين أن يقوموا بتجهيز بنية الدولة الماليّة مهما كلف الأمر، وهو الوارد في القرآن كثيراً باسم الإنفاق في سبيل الله. كان ذلك واجباً حتماً مادامت الحاجة باقية. ثمّ لما فرضت الزكاة وأخماس الغنائم والخراج ونحو ذلك، وزالت حاجة الدولة إلى مؤونة غيرها، زال ذلك التكليف. لكن إذا مدهمت الأُمّة حادثة أو كارثة تحتاج إلى مؤونة زائدة، أو عرض ما يستدعي صرف مال أكثر، فإنّ المصلحة تقتضي فرض ضرائب متناسبة مع حاجة الدولة، ويكون على عهدة المسلمين القيام بوظيفتها.

وعليه فمثل هذه الأحكام لا تعدّ منسوخة بقول مطلق، بل هي باقية مستمرة، لكن قيد شروط وأحوال، متى تحقّقت تنجّزت أحكامها، كسائر الأحكام المترتبة على مواضعها، على نحو القضايا الحقيقيّة، حسب مصطلحهم.

وهكذا مسألة الصفح والمداراة مع الكفّار، كانت فريضة واجبة في صدر الإسلام يوم

كان المسلمون في حالة ضعف. فإذا ما عاد الإسلام غريباً - لاسمح الله - كما بدئ غريباً، فإن ذلك الحكم يعود لامحالة. فليكن على ذكرٍ من أرباب الفن! والله العالم.

الفسخ المتدرج^١

وهو نوع آخر من النسخ، لم يُنسخ الحكم فيه صريحاً وفي بداية الأمر، وإنما عُرض للنسخ بتمهيد أسبابه المؤاتية نسخاً تدريجياً. وذلك فيما إذا دعت المصلحة الإقرار على شريعة كانت سائدة على الحياة العامة، بحيث لا يمكن قلع جذورها بسهولة، إلا بتمهيد مقدمات هي توهن من شأنها وتزعزع من شأوتها، لتنهار بنفسها نهائياً وفي نهاية المطاف، نظير التدرج في التشريع في مسألة محاربة الخمر وغيرها.

وهذا في مثل تشريع جواز ضرب النساء عند النشوز: «وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ...»^٢

هذا إقرار لتشريع جاهلي سابق، كان الرجال يتحكمون في أمر النساء ومن غير مبالاة. فجاء الإسلام ليحد من تلك السنة الجاهلة، بتضعيفها أولاً شيئاً فشيئاً، ثم هدمها رأساً وبقلع جذورها من الأساس.

كان أبناء الجاهلية يرون في ضرب النساء وإيلاهن مندوحة تأديبهن. وكان ذلك من حق القوامة عليهن فيما حسبوا. وهي فكرة قديمة كانت سائدة ومنتشرة في الأعماق، وحتى الآن في أوساط قبليّة، بل وفي كثير من أهل المدن الراقية، يرى الرجال من حقهم الشرعي أن يؤدّبوا نساءهم ولو بالضرب والإيلا، ولا حرج!

فكان في قلع جذور مثل تلك العادة الراسخة صعوبة وبحاجة إلى مرونة في العمل المستمر. الأمر الذي قام به الإسلام ضمن مكافحته لكثير من عادات جاهليّة كانت ساطية.

١ - تنبّهنا له أخيراً ضمن تحقيقنا عن شؤون المرأة في الإسلام.

٢ - النساء ٤: ٣٤.

فقد أقرّ شريعة ضرب النساء لاثبتتها، بل ليمهّد السبيل إلى رفعها وقمعها. وقد نجح بالفعل - إذا ما لاحظنا سيرته الكريمة وسيرة أصحابه المرضيين ومن تبعهم بإحسان من المؤمنين في طول التاريخ.

ذلك أنّه لما نزلت الآية هرعت جماعات من المسلمين إلى رسول الله ﷺ يستشفون حقيقة الأمر، فهناك أوضح لهم النبيّ أن ليس هناك ما حسبوا، وإنّما هي ظاهرة شكلية وليست رخصة في ضرب النساء وإبراحهنّ. وأنّ الرجل إذا كان خيراً لا يجد في نفسه مبرراً دون تكريم زوجته. وأنّ الكريم من اتّخذ من الرسول قدوة في حياته الزوجية، وهو ﷺ أبرّ الناس بنسائه.

قال ﷺ موبّخاً من أهان زوجته: «أما يستحي أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب العبد، يضربها أوّل النهار ثمّ يضاجعها آخره؟!».

ثمّ قال: «ولن يضرب خياركم» - وهو نفي تأييد تأكيداً على تلازمه مع الإيمان - وقال فيمن ضربوا نساءهم: «ليس أولئك خياركم»^١.

وفي جامع الأخبار - للصدوق - عن النبيّ ﷺ: «إنّي أتعجب ممّن يضرب امرأته وهو بالضرب أولى منها. لا تضربوا نساءكم بالخشب فإنّ فيه القصاص، ولكن اضربوهنّ (أي أدبوهنّ) بالجوع والعري، حتى تريحوا في الدنيا والآخرة». وفي حديث آخر: «احفظوا وصيّتي في أمر نساءكم حتى تنجوا من شدّة الحساب، ومن لم يحفظ وصيّتي فما أسوأ حاله بين يدي الله!»^٢.

وفي هذا الحديث صراحة بأنّ المراد من الضرب - في الآية - هو التأديب، ولكن لا بالعصا والسوط - كما يفعل مع البهائم - ولكن بالتضييق في المطعم والملبس ونحوهما وهو أوفق بتعديل المعيشة معها.

وفي حديث أبي جعفر الباقر عليه السلام عن النبيّ ﷺ: «أيضرب أحدكم المرأة ثمّ يظلّ

١ - الدرّ المنثور، ج ٢، ص ١٥٥.

٢ - البحار، ج ١٠٣، ص ٢٤٩، رقم ٢٨، عن جامع الأخبار للصدوق (ط نجف)، ص ١٥٨.

صعانتها؟!». وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الْمَرْأَةُ لَعْبَةٌ، مَنْ
 اتَّخَذَهَا فَلَا يُضَيِّعُهَا»^١. وقال عليه السلام: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي». وفي رواية
 أخرى: «أَلَا خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِنِسَائِي»^٢.
 وقال: «ملعون ملعون من ضيَّع من يعول»^٣. وفي حديث آخر: «كفى بالمرء هلاكاً أن
 يضيَّع من يعول»^٤. وفي حديث الحولاء، قال عليه السلام: «لَمْ يَزَلْ يُوَصِّينِي جِبْرَائِيلُ بِالنِّسَاءِ
 حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْ لَا يَحِلَّ لَزَوْجِهَا أَنْ يَقُولَ لَهَا: أَفٌّ»^٥.
 أمّا ترخيص الضرب فقد فسّره النبي ﷺ ضرباً غير مبرّح^٦. والمبرّح: المتعب المجهد.
 وبرّح به الأمر: آذاه شديداً. والبرّحاء: الشدة والأذى.
 قال الحسن وغيره: ضرباً غير مبرّح، غير مؤثّر. أي لا يكون له أثر حمرة ولا سواد.
 ومن ثمّ فهو ضرب خفيف لا يوجب الإيلام.
 قال قتادة: ضرباً غير مبرّح أي غير شائن. والشائن: ما يغيّر لون الجلد.
 وسئل ابن عباس: ما الضرب غير المبرّح؟ قال: السّواك وشبهه يضربها به^٧.
 وهكذا روي عن الإمام أبي جعفر عليه السلام^٨.
 وجاء في فقه الرضا - لابن بابويه -: «والضرب بالسواك وشبهه ضرباً رفيقاً أي
 برفق ومدارة»^٩ إذن فهي ضربة عتاب يُنبؤك عن وداد، لا ضربة عقاب يتعقّبها شقاق!
 قال الشيخ أبو جعفر الطوسي: وأمّا الضرب، فإنّه غير مبرّح، بلا خلاف^{١٠}. وهذا دليل
 على إجماع الفقهاء على هذا التفسير!

١ - وسائل الشيعة، ج ١٤، ص ١١٩. ٢ - المصدر، ص ١٢٢.

٣ - من لا يحضره الفقيه للصدوق، ج ٣، ص ١٠٣، برقم ٤١٧.

٤ - دعائم الإسلام للقاضي نعمان المصري، ج ٢، ص ١٩٣، برقم ٦٩٩.

٥ - مستدرك الوسائل، ج ١٤، ص ٢٥٢، رقم ١٦٦٢٦.

٦ - في خطبته في حجة الوداع. سيرة ابن هشام: ج ٤، ص ٢٥١.

٧ - جامع البيان، ج ٥، ص ٤٣-٤٤. ٨ - مجمع البيان، ج ٣، ص ٤٤.

٩ - البحار، ج ١٠٤، ص ٥٨، باب النشوز والشقاق، رقم ٧.

١٠ - التبيان، ج ٣، ص ١٩١.

وعليه فالحكم في الآية ترخيص ظاهري في الضرب، تمهيداً للتأكيد على المنع منه نهائياً، حيث مقتضى الإيمان الصادق هي متابعة النبي سنةً وسيرةً «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا»^١ فضلاً عن وجوب إطاعته فيما يقول.

إذن فالآية في ظاهرها منسوخة. وكان تفسيرها من قبل النبي هو الناسخ لهذا الظهور البدائي في واقع الحال. وهكذا الأمر بشأن ملك اليمين، أقره الإسلام في ظاهره ليعترف به كنظام، بل ليمهد السبيل إلى إلغائه في نهاية المطاف.

جاء الإسلام، والرقّ نظام معترف به في جميع أنحاء العالم، بل كان عملةً اقتصادية واجتماعية متداولة تعارفها الجميع ولا يستنكرها أحد، ولا يفكر في إمكان تغييرها - فضلاً عن إلغائها - أحد. لذلك كان تغيير هذا النظام أو محوه أمراً في حاجة إلى تدرّج ومهل وربّما في فترة غير قصيرة.

كان الرقيق - في عرف الرومان - شيئاً، لا بشراً. شيئاً - كسائر الأمتعة - لاحقوق له البتة، وإن كان عليه كلّ ثقل من الواجبات.

جاء الإسلام ليرفع بالرقيق إلى مستواه الإنساني أولاً، وليجعله ردفاً مساوياً للسادة في جميع حقوقه الإنساني ثانياً، ثم تمهيد السبيل إلى تحريره نهائياً وإلغاء نظام الرّق طبيعياً في نهاية الأمر.

جاء في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين (عليه السلام): «وأما حق مملوكك فإن تعلم أنّه خلق ربك وابن أبيك وأمك ولحمك ودمك...»^٢. ورغب في مخاطبتهم خطاب الإخاء وأن يقول السيّد لعبده: يا أخي^٣. فلا يقول أحدهم: هذا عبدي وهذه أمتي، وليقل فتاي وفتاتي^٤.

٢ - الخصال، أبواب الخمسين فما فوق، ص ٥٦٨.

١ - الأحزاب ٣٣، ٢١.

٤ - مسند أحمد، ج ٢، ص ٤٢٣ وفي غير موضع.

٣ - مسائل علي بن جعفر، ص ١٨٨، برقم ٣٧٩.

ويساهمهم في العمل المضني ويساووهم في الملبس والمأكل وسائر معاش الحياة، كما كان يفعل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مع غلامه قنبر.^١

قال الصادق عليه السلام: «من افترى على مملوكٍ عزّز، لحرمة الإسلام».^٢ وبذلك أصبح الرقيق في ظلّ الإسلام إنساناً كاملاً له كرامته الإنسانية ومتمتعاً بحقوق سائر المسلمين على سواء. وبذلك جازت إمامته^٣ وتصديّه المناصب الرسميّة من الدرجة العالية في الإسلام.^٤ كما وأخى النبي صلى الله عليه وآله بين بلال وأبي رويحة الخثعمي وبين زيد وعمّه حمزة.^٥

كلّ ذلك خطوات واسعة لتحرير الرقيق روحياً، برده إلى الإنسانيّة ومعاملته على أنّه بشر كريم. وأن لا فرق بين السّادة والعبيد من حيث أصالة النسب، كلّهم بنو آدم، وآدم من تراب. ولكنّ الإسلام لم يكن ليكتفي بهذا المقدار، لأنّ قاعدته الأساسيّة العظمى هي المساواة الكاملة بين البشر، وهي التحرير الكامل لكلّ بشر. وكلّ الذي تقدّم كان تمهيداً للوصول إلى هذه الغاية الكريمة، والتي كان النبي صلى الله عليه وآله يترقبها ترقّباً: قال صلى الله عليه وآله: «ما زال جبرائيل يوصيني بالممالك حتى ظننت أنّه سيجعل لهم وقتاً إذا بلغوا ذلك الوقت أعتقوا».^٦

والأمر الأساسي الذي قام به الإسلام منذ البدء، أن جفّف منابع الرّق كلّها، فيما عدا منبعاً واحداً لم يكن من المصلحة تجفيفه آنذاك، وذلك هو: رِقّ الحرب. فقد كان العرف السائد يومئذٍ هو استرقاق أسرى الحرب أو قتلهم وكان هذا العرف قديماً جداً. وجاء الإسلام والناس على هذا الحال، ووقعت بينه وبين أعدائه الحروب، فكان الأسرى المسلمون يُسترقّون عند أعداء الإسلام فتُسلب حرّياتهم ويعاملون الذلّ والهوان، فلم يكن في وسع الإسلام أن يطلق سراح من يقع في يده من أسرى الأعداء، فليس من حسن

١ - بحار الأنوار، ج ٧٤، ص ١٤٣-١٤٤، برقم ١٩. ٢ - البحار، ج ٧٩، ص ١١٩، برقم ١٥.

٣ - قرب الإسناد للحميري: ص ٩٥ (ط نجف). راجع: البحار، ج ٨٨، ص ٤٣.

٤ - في حديث تأمير زيد وابنه أسامة قيادة الجيش وفيه كبار الأصحاب.

٥ - راجع: سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ١٥١-١٥٣. ٦ - من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٧.

السياسة أن تشجع عدوك بإطلاق أسراه، بينما أهلك وعشيرتك وأتباع دينك يسامون الخسف والعذاب عند الأعداء. والمعاملة بالمثل هنا هي أعدل قانون تستطيع أن تستخدمه أو هي القانون الوحيد.

ومما هو جدير بالإشارة هنا، أن الآية الوحيدة التي تعرّضت لأسرى الحرب: «فَأَمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ. حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا»،^١ لم تذكر الاسترقاق للأسرى، حتى لا يكون هذا تشريعاً دائماً للبشرية، وإنّما ذكرت الفداء أو إطلاق السراح بلا مقابل. لأنّ هذا وذاك هما القانونان الدائمان، اللذان يريد القرآن للبشرية أن تقصر عليهما معاملتهما للأسرى في المستقبل القريب أو البعيد. وإنّما أخذ المسلمون حينذاك بمبدأ الاسترقاق خضوعاً لضرورة وقتية قاهرة لا فكاك عنها، وليس خضوعاً لنصّ في التشريع الإسلامي. إذن فلم يلجأ الإسلام إلى هذا الطريق، ولم يسترقّ الأسرى لمجرد اعتبار أنّهم ناقصون في آدميتهم، وإنّما لجأ إلى المعاملة بالمثل فحسب. فعلق استرقاقه للأسرى على اتفاق الدول المتحاربة أو تبادل الأسارى كما تعارف فيما بعد وجرّت عليه الدول جميعاً. وهكذا يجد الباحث كثيراً من أعراف جاهليّة جاراها الإسلام، ولكن لغرض إمحاءها، لا ليسايرها، كما في مثل الظهار والإيلاء واللعان، وضع لها الإسلام أحكاماً شديدة ليكافحها ويقلع جذورها، وكذا مسألة ولاء العتق وولاء ضمان الجريرة والإمتاع بالميراث وغيرها.

شبهات حول المنسوخ في القرآن

وقبل أن تنتقل إلى استعراض آيات وقع فيها المنسوخ أو قيل فيها بالمنسوخ، يجب أن نتعرّض لشبهات أوردها ناكروا المنسوخ، فزعموا عدم إمكان المنسوخ في شريعة الله، وبالتالي عدم وقوعه في القرآن، وهي شبهات متنوعة ومختلفة المستوى، غير أنّنا نذكر - هنا - منها الأهم:

(الأولى): أنَّ النسخ في التشريع كالبدء في التكوين مستحيل بشأنه تعالى، لأنَّهما عبارة عن نشأة رأي جديد، وعثور على مصلحة كانت خافية في بدء الأمر. والحال أنَّ علمه تعالى أزلي، لا يتبدّل له رأي ولا يتجدّد له علم. فلا يعقل وقوفه تعالى على خطأ في تشريع قديم لينسخه بتشريع جديد.

(الجواب): أنَّ النسخ كالبدء ليس على معناه الحقيقي، الذي هو عبارة عن نشأة رأي جديد وإنَّما هو ظهور للناس بعد خفاء عليهم، لمصلحة في هذا الإخفاء في بدء الأمر، حسبما تقدّم تحقيقه.

فالشارع تعالى يشرّع حكماً يكون بظاهره الدوام والاستمرار، حسبما ألفه الناس من دوام الأحكام المطلقة، لكنّه في الواقع كان من الأوّل محدوداً بأمد معلوم لديه تعالى، ولم يظهره للناس إلّا بعد انتهاء الأمد المذكور. لمصلحة في ذلك الإخفاء وفي هذا الإظهار اُمتأخّر.

ولعلّ معترضاً يقول: لماذا كان تحديد في الأحكام، فإذا كانت في أصل تشريع الحكم مصلحة فلتقتض الدوام، وإن لم تكن مصلحة فلا مقتضى لأصل التشريع. قلنا: إنّ المصالح تختلف حسب الظروف والأحوال. كصفات طبيب حاذق تختلف حسب اعتوار أحوال المريض واختلاف بيئته والمحيط الذي يعيش فيه، فربّ مصلحة تستدعي تشريعاً متناسباً مع بيئة خاصّة وفي مستوى خاصّ، فإذا تغيّرت الواقعيّة فإنّ لمصلحة تستدعي تبديل تشريع سابق إلى تشريع لاحق يلتئم مع هذا الأخير.

أمّا لماذا لم ينبّه الشارع تعالى على هذا التحديد من أوّل الأمر؟ فلعلّ هناك مصلحة صستدعية لهذا الإخفاء، منها توطين نفوس مؤمنة وترويضها على الطاعة والانقياد، ولا سيّما إذا كان التشريع الأوّل أشدّ وأصعب، فيتبدّل إلى تشريع أسهل وأخفّ، تسهيلاً على الأمّة وتخفيفاً عليهم رحمة من الله.

(الشبهة الثانية): أنّ وجود آية منسوخة في القرآن ربّما يسبّب اشتباه المكلفين، فيظنّونها آية محكمة يعملون بها أو يلتزمون بمفادها، الأمر الذي يكون إغراء الجهل، وهو

قبيح.

(الجواب): أنّ مضاعفات جهل كلّ إنسان تعود إلى نفسه، ولم يكن الجهل يوماً ما عذراً مقبولاً لدى العقلاء. فإذا كانت المصلحة تستدعي نسخ تشريع سابق بتشريع لاحق، فعلى المكلفين أن يتنبّهوا هم على هذا الاحتمال في التشريع، ولاسيّما إذا كان التشريع في بدء حركة إصلاحية آخذة في التدرّج نحو الكمال.

وهكذا كان في القرآن ناسخ ومنسوخ، وعامّ وخاصّ، وإطلاق وتقييد، ومحكم ومتشابه، وليس لأحد التسرّع إلى الأخذ بآية حتى يعرف نوعيّتها، كما ورد التنبيه على ذلك في أحاديث مستفيضة عن أئمة الدين، قال عليّ عليه السلام لقاض مرّ عليه: هل تعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقال القاضي: لا. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إذن هلكت وأهلك.^١

(الشبهة الثالثة): أنّ الالتزام بوجود آيات ناسخة وآيات منسوخة في القرآن يستدعي وجود تناف بين آياته الكريمة، الأمر الذي يناقضه قوله تعالى: «أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيراً»^٢ وبهذا الاستدلال تمسك سيّدنا الأستاذ رحمه الله في نكران وجود هكذا نسخ في القرآن الكريم.^٣

(الجواب): أنّ الاختلاف الذي تنفيه الآية الكريمة، هو ما إذا كان حقيقياً في ظرف الواقع. أمّا إذا كان شكلياً وفي ظاهر الأمر - كما بين الناسخ والمنسوخ - فلا تناقضه الآية إطلاقاً.

مثلاً يشترط في الاختلاف الحقيقي (التناقض) أمور ثمانية^٤ منها وحدة الزمان ووحدة الملاك والشرط، وإذا تخلّف أحدها فلا تنافي ولا اختلاف، كما في الناسخ، ظرفه متأخّر، وملاكه مصلحة أخرى، تبدّلت عن مصلحة سابقة كانت مستدعية لذلك الحكم المنسوخ.

١ - الإتقان، ج ٣، ص ٥٩؛ ومناهل العرفان، ج ٢، ص ١٧٥؛ والبحار، ج ٩٢، ص ٩٥.

٢ - النساء، ٨٢: ٤. ٣ - راجع: البيان في تفسير القرآن، ص ٣٠٦.

٤ - راجع: المنطق للعلامة المظفر، الفصل الثاني في أحكام القضايا، ج ٢، ص ٤٢.

إذن فالتنافي بين الناسخ والمنسوخ بدويّ ظاهريّ، أمّا بعد التعمّق وملاحظة فترتي نزولهما والمناسبات المستدعية لنزول الأولى ثمّ الثانية، فإنّ هذا التنافي والاختلاف يرتفع نهائياً.

(الشبهة الرابعة): ماهي الحكمة وراء ثبت آية في المصحف، هي منسوخة الحكم، لتبقى مجرّد ألفاظ يلوّكها القراء عبر القرون؟

(الجواب): الحكمة في وجود هكذا آيات منسوخة في القرآن هي الوقوف على مرونة الشريعة واتباع سياسة المجازاة مع حركة الزمان، ولاسيّما في بدء تشريعها ومجابهة الصعوبات في طريق تنفيذها ومكافحتها تدريجياً. الأمر الذي كابده الإسلام منذ نشأته فالإله ظهوره التّام. ذلك أنّ الأُمّة الإسلاميّة في بدايتها - حين صدعها الرسول بدعوته - كانت تعاني فترة انتقال شاقّ، بل كان أشقّ ما يكون عليها في ترك عقائدها وموروثاتها وعاداتها، خصوصاً مع ما هو معروف عن العرب الذين شوفهوا بالإسلام، من التّحمّس لما يعتقدون أنّه من مفاخرهم وأمجادهم. فلو أخذوا بهذا الدين الجديد فُجاءةً، لأدّى ذلك إلى تقيّض المقصود، ولفشلت الدعوة منذ بزوغها، ولم تجد أنصاراً يعتنقونها ويدافعون عنها. لأنّ الطفرة، من نوع المستحيل الذي لا يطيقه الإنسان. من هنا جاءت الشريعة إلى الناس تمشي على مهلّ، متألّفة لهم، متلطّفة في دعوتهم، متدرّجة بهم إلى الكمال رويداً رويداً، صاعدة بهم في مدارج الرّقّيّ شيئاً فشيئاً، منتبهة فرصة الإلف والمران والأحداث الجادّة عليهم، لتسير بهم من الأسهل إلى السهل. ومن السهل إلى الصعب، ومن الصعب إلى الأصعب، حتى تمّ الأمر ونجح الإسلام نجاحاً باهراً لم يُعهد مثله في سرعته وامتزاج النفوس به، ونهضة البشريّة بسببه.

خذ لذلك مثلاً تدريجيّة تحريم الخمر، وموقف الإسلام الحكيم تجاه مشكلة عرب الجاهليّة بالأمس. وقد كان مشكلة معقّدة كلّ التعقيد، يحتسّونها بصورة تكاد تكون إجماعيّة، ويأتونها لأعلى أنّها مجرّد عادة، بل على أنّها أمارّة القوّة ومظهر الفتوّة وعنوان الشّهامة!

فهل من المعقول أن ينجح الإسلام في فطامهم عنها، لولم يتألفهم ويتلطّف بهم، إلى درجة أن يمتنّ عليهم بها أول الأمر، كأنه يشاركهم في شعورهم، وفي حدّ أنه أبى أن يحرّمها عليهم في وقت ربما استعدّت فيه بعض النفوس لتسمع كلمة التحريم حين سألوهُ ﷺ «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخُمْرِ وَالْمَيْسِرِ»^١!

وبهذه الطريقة المؤتلفة مع النفوس استطاع الإسلام أن يتغلّب على عادات جاهليّة كانت راسخة في الأعماق، فقطع فروعها أولاً ليتمكّن من قلع جذورها. وهكذا فليعمل الدعاة إلى الإسلام، في قمع مناشئ الفساد والحوول دون تفشيّه بين العباد.

فتلك كانت طريقة الإسلام في دعوته إلى الصلاح في مرونة وعلى مهلٍ كان قد ضمن له النجاح، فلتكن موضع دراسة أهل البصائر وليعتبر بها المعتبرون.

ملحوظة

ولعلّك تستغرب بكلمة هي الأخيرة من رأينا في مسألة النسخ في القرآن، وهو: أن لا نسخ في آية قرآنيّة إطلاقاً، نسخاً بمعناه المصطلح، أي زوال حكم آية نهائياً ليخلفه حكم آخر من جديد أديّاً. هذا ليس في القرآن ولا شاهد له، حسبما تقرّر الكلام حول آيات قيل بنسخها.

نعم الذي يوجد في القرآن هو النسخ بمعناه العامّ القديم، أي التخصيص لعموم أو التقييد لإطلاق، وهذا معروف لا ضير فيه. وعليه فتقطع جذور الشبهة رأساً.

عرض آيات قيل بنسخها

كان البحث لحدّ الآن متّجهاً نحو إمكان وقوع النسخ في القرآن، ودفع شبهات أوردها

الناكرون. والآن جاء دور عرض آيات قيل بتحقيق نسخها، بأن رُفِعَ حكمها وبقي نصّها ثابتاً في القرآن. ودار الجدل عنيفاً بين المثبتين والناكرين، فلننظر لمن الغلب؟

١ - آية النجوى

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»^١.

كان المسلمون يكثرّون السؤال عن مسائل غير ذوات شأن، شاغلين أوقاته الكريمة ﷺ على غير طائل. فنزلت الآية بفرض صدقة درهم واحد عند كلّ مسألة، فرضاً على الأغنياء دون الفقراء. فأشفق أكثرية الصحابة عن المسألة، ضناً بالمال.

قال المفسّرون: لم يعمل بهذه الفريضة سوى الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كان له دينار فباعه بعشرة دراهم وجعل يتصدّق بها واحدة واحدة إزاء كلّ مسألة حتى جاء النسخ:^٢
«ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ. فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ»^٣.

وأقرّ سيدنا الأستاذ (طاب ثراه) نسخ فرض الصدقة في الآية الأولى، ولأنّه من القسم الناظر الذي ارتضاه السيّد الأستاذ.^٤

قيل: ولعلّ حكمة هذا التشريع ثمّ نسخه فور تقاعس المسلمين عن مسائل الرسول، هي بيان وهن عزيمتهم حينذاك وبذلك امتحنهم الله ليُفَيِّقُوا عن غفوة الخمول. ومن ثمّ أنكر أبو مسلم أن تكون الآية منسوخة، بعد أن كانت مؤقتة لغرض الامتحان. «وَلِيُخَصَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا»^٥. قال: وقد انتهى أمده عند حصول الغاية، فلا يكون هذا نسخاً.

١ - المجادلة ٥٨: ١٢.

٢ - راجع: جامع البيان، ج ٢٨، ص ١٥؛ وتفسير البرهان، ج ٤، ص ٣٠٩.

٣ - المجادلة ٥٨: ١٣. ٤ - راجع: البيان في تفسير القرآن، ص ٣٩٨.

٥ - آل عمران ٣: ١٤١.

قال الإمام الفخر الرازي: وهذا الكلام حسن مابه بأس.^١
قلت: ما ذكره أبو مسلم دقيق للغاية، إذ الآية تربية للمسلمين، فلا يشغلوا أوقات أولياء الأمور بمراجعات أكثرها لا طائل تحتها. اللهم إلا إذا كانت من ذوات الأثمان. وقد تنبّه المسلمون - مع الأبد - لهذا الأدب السياسي في سلوكهم مع الأولياء، وهم أحرص على مصالحهم في الشؤون العامة، دون إشغالها في مسائل خاصة وغالبيتها لغرض التفكّه والمؤانسة لا غير.

قال سيّد قطب: كذلك يعلمهم القرآن أدباً في علاقتهم برسول الله ﷺ فيبدو أنّه كان هناك تراحم على الخلوة برسول الله، ليحدّثه كلّ فرد في شأن يخصّه، ويأخذ فيه توجيهه ورأيه، أو ليستمع بالانفراد به، مع عدم التقدير لمهامّ رسول الله الجماعيّة، وعدم الشعور بقيمة وقته، وبجدّيّة الخلوة به، وأنّها لا تكون إلّا لأمر ذي بال.^٢
فقد كان هذا الفرض والرفع كمسرحيّة تبدّت خلالها ضرورة دور التربية الجماعيّة وأدب السلوك مع الأئمّة، وكانت تجربة ناجحة في حياة المسلمين ذلك العهد ولتبقى دستوراً عامّاً مع الأبد.
فلم يكن هناك نسخ، وفق مصطلحه الخاصّ.

٢ - آية عدد المقاتلين

«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ».^٣
كانت قوّة الإيمان بالله والثقة به تستوجب مقابلة كلّ مؤمن بعشرة من الكفّار، ونزلت الآية بذلك، وفرضت الجهاد فيما إذا بلغ المسلمون عشر عدد المقاتلين الكفّار. لكن المسلمين أبدوا آنذاك ضعفاً فخفف الله عنهم، وفرض الجهاد فيما إذا بلغوا نصف الكفّار

٢ - في ظلال القرآن، المجلد الثامن، ج ٢٨، ص ٢١.

١ - التفسير الكبير، ج ٢٩، ص ٢٧٢، مسألة ٥.

٣ - الأنفال ٨: ٦٥.

المقاتلين.

والناسخ هو قوله تعالى: «الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ».^١

وهكذا روي عن الإمام الصادق عليه السلام أن الواحد بالاثنتين نسخ الواحد بالعشرة.^٢ ولا بد أن النسخ - على فرضه - من القسم الناظر. كما قال سيدنا الأستاذ رحمته الله لكنه أنكر أصل النسخ هنا بحجة عدم فصل زمني بين الآيتين ولظاهر السياق.^٣

لكنه رحمته الله لم يبين وجه دلالة السياق، مع أنه على العكس أدلّ، نظراً للتعبير بقوله: «الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا»، ممّا يدلّ على تأخر نزول الآية الثانية بفترة ربما غير قصيرة مرّت خلالها تجربة قاسية ظهر منها ضعف المسلمين آنذاك عن مقابلة أضعافهم بعشرات وتناقلهم عن القيام بمثل ذاك التكليف الشاقّ في نظرهم لفتور عزمهم وضعف مقدرتهم الإيمانية. كما لا وجه لحمل الآية الأولى على الاستحباب!^٤

نعم هاتان الآيتان، كالآيتين السابقتين، من الأحداث والتجارب الحادة التي مرّت على حياة المسلمين آنذاك، ولتكون نموذجاً تربوياً للأمة مع الأبد: إن كانوا على أهبة واستعداد وإخلاص صادق، كان أحدهم يقابل العشرة، وإلا فباثنتين. ذلك لأنّ المؤمن يجاهد على وضع الحق وفي سبيل العقيدة والإيمان، وأمّا الكافر فهو في عَمَلِهِ باهت «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ».^٥

فهنا أيضاً عرض مسرحيّة تناوب عليها مختلف حالة المسلمين من ضعف إلى قوّة ومن قوّة إلى ضعف، على مدى الحياة.

فإذا قووا شملهم التكليف الأرقى، وإذا ضعفوا جاءهم التخفيف، أيّ وقت كان. وأنّ اتني حكمتها الآية، كانت التجربة الأولى وستبقى مستمرّة أبداً، فلا نسخ ولا منسوخ.

٢ - تفسير الصافي، ج ١، ص ٦٧٦.

١ - الأنفال ٨: ٦٦.

٣ - راجع: البيان في تفسير القرآن، ص ٣٧٥-٣٧٦. ٤ - المصدر.

٥ - الحشر ٥٩: ١٣.

٣- آية الإمتاع

«وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»^١

كانت عدّة المتوفى عنها زوجها - في الجاهليّة - سنة كاملة، وكان إذا مات الرجل ألقت المرأة خلف ظهرها شيئاً - بعة أو ما شاكلها - فتقول: البعل (تريد المتجدّد) أهون عليّ من هذه. فلا تكتحل ولا تتمشّط ولا تنطيّب ولا تتزوّج إلى سنة، وكان ورثة الميت لا يخرجونها من بيتها، وكانوا يجرون عليها من تركة زوجها طول تلك السنة، فكان ذلك هو إرثها من مال زوجها المتوفى.^٢

وهذه الآية نزلت تُقرّر جانباً من هذه العادة إلى أن نسخت بآية المواريث وآية العدد. ولعلّه من النسخ الممهّد، كما نبّهنا.

قال السيد عبد الله شبر^٣: هذه الآية منسوخة بالإجماع.^٤

وفي الحديث عن الإمام أمير المؤمنين^{عليه السلام} وعن الإمامين الصادقين^{عليهما السلام} في روايات متظافرة: هي منسوخة، نسختها آية «يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا»^٥. ونسختها آية المواريث.^٦

وربّما تبلغ مجموع روايات العامّة والخاصّة بهذا الصدد مبلغ التواتر.^٨ والعمدة: إجماع علماء الأئمة واتفاق كلمة المفسّرين، لم يشذّ منهم أحد.

هكذا كنت أحسب حساب الآية فيما سلف، وقد جادلت فيه سيّدي الأستاذ^٩ كثيراً، حيث رفضه لهذا المعنى وكان يرى إحكام الآية من غير نسخ! والآن وقد تنبّهت إلى

١ - البقرة ٢: ٢٤٠.

٢ - رسالة أصناف القرآن للنعمانى، بنقل العلامة المجلسي في البحار، ج ٩٣، ص ٦.

٣ - تفسير شبر: ص ٧٦. ٤ - رسالة النعماني. (البحار، ج ٩٣، ص ٦).

٥ - الصافي في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٠٤. ٦ - البقرة ٢: ٢٣٤.

٧ - النساء ٤: ١٢.

٨ - راجع: وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٤٥١، باب ٣٠ من أبواب العدد؛ والدرّ المنثور، ج ١، ص ٣٠٩.

دقيقة في الآية تجعل الترجيح مع رأي الأستاذ، وهي: أن الآية فرضت على الورثة أن لا يخرجوا زوجة أبيهم من عيشتها الأولى لمدة حول، ولكن الآية لم تجعل البقاء لها حتماً عليها: «فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ». الأمر الذي يتنافى وكون بقائها مدة الحول عدّة لها. إذ ظاهر الآية أن لها أن تخرج خلالها وأن تتزوج متى شاءت.

والذي يبدو من ظاهر الآية: أن ذلك حكم أخلاقي، فلا يتسرّعوا إلى إخراج زوجة أبيهم من إلف عيشتها الأولى فور وفات أبيهم، فلا بدّ - أخلاقياً - أن تتنعم بعيشتها ويكون مفارقتها لها عن طيب نفسها، حيث لا تجد أواصر الصلة بينها وبين الأولياء. وذلك إذا لم يكن لها ولد منه.

والدليل على هذا المعنى: أن آية التبرّص بأربعة أشهر وعشراً نزلت قبلها «وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا، فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ»^١.

وقرينة أخرى: جاء في آية الحول: الوصية للمطلقات أيضاً: «وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ»^٢.

ولاشك أن متعة المطلقات غير واجبة^٣ وإنما هي منحة أخلاقية يتصدّق بها الزوج على زوجته حتى بعد مفارقتها له، كذلك متعة المتوفى عنها زوجها حولاً كاملاً أمرٌ ندب إليه الشارع، رحمةً بها، وليست فريضة واجبة، كي ينسخها فرض الإرث وشرعية العدّة، التي لا محيص عنها.

١ - البقرة ٢: ٢٣٤.

٢ - البقرة ٢: ٢٤١.

٣ - في الآية: ٢٣٦ من سورة البقرة، والآية: ٤٩ من سورة الأحزاب، إيجاب المتعة لها خاصاً بما إذا طلقها من غير أن يمسّها ولم يفرض لها فريضة المهر. أمّا هنا فالآية عامّة، ومن ثمّ فإنّها تحمل على الاستحباب. والشاهد عليه تعليق الحكم على الوصف «حقاً على المتقين»، كما قال سيّدنا الطباطبائي رحمته الله. الميزان، ج ٢، ص ٢٥٩. وراجع كلامه في الآية ٢٣٦: ص ٢٥٧. وفي الحديث: أن الحسن عليه السلام لم يطلق امرأة إلا متّعها. الصافي في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٠٥. وفي الحديث عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لكلّ مطلقة متعة إلا المختلعة، فإنّها اشترت نفسها». وسائل الشيعة، ج ١٥، ص ٥٠٤.

وقد أكد سيدنا الأستاذ ﷺ على الاستحباب، وهو الصحيح.
وهكذا ذهب أبو مسلم إلى أن الآية غير منسوخة وإنها إيحاء بشأن المتوفى عنها زوجها من غير أن يكون إلزامياً.
وقد فصل الإمام الرازي الكلام في شرح قول أبي مسلم، وأخيراً يقول: فهذا تقرير قول أبي مسلم، وهو في غاية الصحة.^١

٤- آية جزاء الفحشاء

«وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا. وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَأَذَوْهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا، إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا».^٢

كانت المرأة إذا فجرت وقامت عليها الشهود، حبست في بيت وهو جرت إلا من يأتي إليها بطعام وشراب حتى تموت.^٣

وكان الرجل إذا فجر أُوذي بالتعير والسباب والكلام القبيح حتى يتوب.^٤

قال الإمام الصادق عليه السلام: هي منسوخة. والسبيل هي الحدود: الجلد والرجم.

والأحاديث بهذا المضمون متظافرة، متفق عليها عند المفسرين. وهذا ممّا لا شك فيه ولا سيما بعد ملاحظة أن التشريع الإسلامي القائم بشأن الزناة هو الجلد أو الرجم، بإجماع من الفقهاء، قديماً وحديثاً. أمّا ما ذكرته الآية الكريمة فلم يفت به أحد من الفقهاء إطلاقاً، وهو دليل على إجماعهم على النسخ.

والفاحشة هي الزنا بإجماع المفسرين، وباتفاق الروايات المفسرة للآية.^٥

نعم شذّ أبو مسلم بقوله: المراد بالفاحشة في الآية الأولى هي المساحقة، وفي الآية الثانية هي اللواط.

١- راجع: التفسير الكبير، ج ٦، ص ١٥٨-١٥٩. ٢- النساء ٤: ١٥ و ١٦.

٣- في حديث الإمام الصادق عليه السلام برواية العياشي، ج ١، ص ٢٢٧-٢٢٨؛ والصافي في تفسير القرآن، ج ١، ص ٣٣٩.

٤- الدر المنثور، ج ٢، ص ١٣٠؛ والصافي في تفسير القرآن، ج ١، ص ٣٣٩.

٥- مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٠.

قال الطبرسي: «وهذا القول (يعني مذهب أبي مسلم) مخالف للإجماع ولما عليه المفسرون، فإنهم أجمعوا على أن المراد بالفاحشة هنا الزنا».^١

وقال الجصاص: «إن الأمة لم تختلف في نسخ هذين الحكمين عن الزانيين».^٢
 وذهب سيدنا الأستاذ رحمه الله إلى إحكام الآيتين، وفسر الفاحشة هنا وفق مذهب أبي مسلم، بدليل تثنية الموصول في الآية الثانية، فتكون هي بدورها قرينة على إرادة المساحقة في الآية الأولى أيضاً.

قال: أما الإجراء المتخذ في الآية بشأن الفاجر والفاجرة فليس حداً لهما، بل هو من قبيل دفع المنكر، الثابت وجوبه في جميع الأمور المهمة، بل في مطلق المنكرات الشرعية، إذن لا تنافي بين الآيتين وبين آيات الرجم والجلد الواردة بشأن الزناة.^٣

٥ - آية التوارث بالإيمان

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ».^٤

كان المسلمون الأوائل يتوارثون بالمؤاخاة في الدين، دون التقارب النسبي. فكان إذا مات المؤمن ورثه أخوه في الإيمان والهجرة دون أخيه في النسب والرضاع، حتى نسخ ذلك بآية أولي الأرحام. هذا مما اتفق عليه المفسرون.

قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: كان المسلمون يتوارثون بالمؤاخاة الأولى.^٥

وقال علي بن إبراهيم: كان إذا مات الرجل ورثه أخوه في الدين دون ورثته، فإن الحكم كان في أول النبوة التوارث بالأخوة لا بالولادة.^٦

٢ - أحكام القرآن، ج ٢، ص ١٠٧.

١ - المصدر.

٤ - الأنفال ٨: ٧٢.

٣ - البيان في تفسير القرآن، ص ٣٢٩-٣٣٢.

٥ - مجمع البيان، ج ٤، ص ٥٦١.

٦ - الصافي في تفسير القرآن، ج ١، ص ٦٧٨؛ وتفسير القمي، ج ١، ص ٢٨٠.

وقال ابن عباس: جعل الله الميراث للمهاجرين والأنصار دون الأرحام.^١
 وقال السيّد عبدالله شبّر: كان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والإيمان دون
 القرابة والرحم.^٢
 وقال السيّد الطباطبائي: كان التوارث في صدر الإسلام بالهجرة والموالاتة في
 الدين.^٣

وقال السيوري: كانوا يتوارثون بالإسلام والهجرة لا بالقرابة.^٤
 ثم لما وقعت الهجرة كانت المهاجرة شرطاً في التوارث زيادة على شرط الإيمان.
 قال تعالى - تعقيباً على الآية الأولى -: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ
 وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ».^٥
 وبعد واقعة بدر الأولى نزلت: «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ
 الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ».^٦

فنسخت التوارث بالإيمان والهجرة، إلى التوارث بالقرابة والرحم.^٧
 قد يقول البعض: لادليل في لفظ الآية على إرادة التوارث، ولعلّها تعني النصرة
 والمعاونة الودّية - كما يراه الأصم -^٨ ولاسيما إذا ضعّفنا روايات التفسير بالتوارث، ولعلّه
 الأرجح، والله العالم.

٦- آيات الصفح

«قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ».^٩
 «وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ

١ - الدرّ المثور، ج ٣، ص ٢٠٦.

٢ - راجع: تفسير شبّر، ص ١٩٨ و ٣٩٧.

٣ - كنز العرفان، ج ٢، ص ٣٢٤.

٤ - تفسير الميزان، ج ١٦، ص ٢٩٢.

٥ - الأنفال ٨: ٧٢.

٦ - الأحزاب ٣٣: ٦.

٧ - راجع: رسالة النعماني (البحار، ج ٩٣، ص ٨) وغيرها من التفاسير.

٨ - راجع: مجمع البيان، ج ٤، ص ٥٦١.

٩ - الجاثية ٥٥: ١٤.

حِينَ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْبُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ»^١.

الآية الأولى أمر بالصفح عن المشركين، إذ كان المؤمنون بمكة في ضعف شديد، والآية الثانية أمر بالصفح عن أهل الكتاب في بدء الهجرة حيث لم تلتئم بعد عرى شوكة المسلمين.

فنسخت الأولى بالإذن في القتال أولاً: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ تَصْرِيهِمْ لَقَدِيرٌ»^٢. ثم التحريض عليه:

«يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ»^٣ وأخيراً باستئصال المشركين عامة: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ»^٤.

وكذا نسخت الثانية بمناذرة أهل الكتاب: «حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ»^٥.

وقال سيّدنا الأستاذ رحمه الله: هاتان الآيتان (الجاثية: ١٤ والبقرة: ١٠٩) محكمتان، غير منسوختين: أمّا الأولى فإنّ مفادها أدب أخلاقي وسلوك عاطفي مع الخصوم، وهو حكم تهذيبي لا يزال^٦ وأما الثانية فهي بمعزل عن النسخ المصطلح، حيث فيها تلميح بالتوقيف. ولأنّ أهل الكتاب لا يجوز مقاتلتهم لمجرد أنّهم أهل كتاب، إلّا مع ضمّ موجب آخر من إقدام منهم على حرب المسلمين أو إلقاء فتنة بينهم أو امتناعهم عن دفع الجزية^٧. وقد أسبقنا الكلام عن آيات الصفح وأنها من النسخ المشروط.

٧- آيات المعاهدة

هناك آيات تقرّر المعاهدات التي كانت بين رسول الله ﷺ وطوائف المشركين من قريش وغيرهم نسختها سورة براءة في العام التاسع الهجري:

- | | |
|-------------------|-----------------------------------|
| ١- البقرة ٢: ١٠٩. | ٢- الحج ٢٢: ٣٩. |
| ٣- الأنفال ٨: ٦٥. | ٤- التوبة ٩: ٥. |
| ٥- التوبة ٩: ٢٩. | ٦- البيان في تفسير القرآن، ص ٣٨٦. |
| ٧- البيان، ص ٣٠٨. | |

فمن الآيات التي تقرّر المعاهدة قوله تعالى: «فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا. إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ»^١.
ومنها قوله: «وَأِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ»^٢ وذلك أن من قتل مؤمناً خطأ من قوم لهم عهد، كان يجب دفع ديته إلى أهله الكفار بموجب العهد.

ومنها قوله: «وَأِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ»^٣.

ومنها قوله: «وَأَتَوْهُمْ مَا أَنْفَقُوا... وَلَيْسَ أَلْوَا مَا أَنْفَقُوا»^٤.

لَمَّا صَالَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْحَدِيثِ مَشْرُكِي قُرَيْشٍ عَلَى أَنْ مِنْ أَتَاهُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، وَمِنْ أَتَى مَكَّةَ مِنْ أَصْحَابِهِ فَهُوَ لَهُمْ لَا يَرُدُّونَهُ جَاءَتْ سَبِيعَةُ الْأُسْلَمِيَّةُ مُهَاجِرَةً لَائِذَ بِالنَّبِيِّ ﷺ فَأَقْبَلَ زَوْجَهَا يَطْلُبُهَا وَهُوَ مُشْرِكٌ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ارْجِعْ عَلَيَّ زَوْجَتِي وَهَذِهِ طِينَةُ الْكِتَابِ لَمْ تَجِفْ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَأَمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتَوْهُمْ (أَي وَلَكِنْ أَعْطَوْا أَزْوَاجَهُنَّ) مَا أَنْفَقُوا»^٥ مِنْ مَهْوَرٍ وَأَصْدَاقٍ.
قال الزهري: لولا الهدنة لم يرد إلى المشركين صداق.^٦

قال قتادة: ثم نسخ هذا الحكم بنزول براءة، فنبت كل عهد إلى صاحبه.

وهكذا نسخت جميع الآيات التي كانت تقرّر تلکم المعاهدات.

نسختها سورة براءة «بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ...»
فأخذها عليّ رضي الله عنه وقرأها على ملأ المشركين بالموسم، معلناً: من كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فعهد إلى مدته. ومن لم تكن له مدة فمدته أربعة أشهر... ولم يجز بعد

١ - النساء ٤: ٨٩-٩٠.

٢ - النساء ٤: ٩٢.

٣ - الأنفال ٨: ٧٢.

٤ - الممتحنة ٦٠: ١٠.

٥ - الممتحنة ٦٠: ١٠.

٦ - مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٧٤.

ذلك عقد معاهدة مع المشركين.

لكن نبهنا على أن مثل هذا التدرج أو التحول في التشريع كانت سياسة ترتبط مع شروطها الخاصة، ولا يمكن إعفاؤها رأساً، فلو عادت الظروف عادت الأحكام على حالتها الأولى، لا سمح الله.

٨ - تدريجية تشريع القتال

كان المسلمون - وهم بمكة - ممنوعين عن مناوشة المشركين، نظراً لموقفهم المتأرجح غير الثابت، وكذلك بدء هجرتهم إلى المدينة، بعد لم تتماسك عرى شوكتهم. ثم لما قوى جانبهم وترسخت مركزيتهم كأمة متماسكة لها كيان ولها حق إثبات الوجود، أذن لهم في منابذة من يحاول هدم هذا الكيان، دفاعاً عن حقهم الإنساني العام. وقد اجتاز تشريع الجهاد مراحل، ابتداءً بمجرد الإذن بعد تحريم سابق، وانتهت باستئصال المشركين: «أَيُّهَا تَقِفُوا أَخْذُوا وَقَتُّلُوا تَقْتِيلًا»^١.

المرحلة الأولى: الإذن المجرد، ترخيصاً في الدفاع عن حقهم الإنساني: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ...»^٢.

المرحلة الثانية: منابذة من كان يتعرض لهم من المشركين: «فَإِنْ لَمْ يَعْزِلُواكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُرُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ»^٣ «وَأِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ»^٤.

المرحلة الثالثة: مقاتلة من يليهم من الكفار دون من يبعد عنهم: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ»^٥. قال

٢ - الحج ٢٢: ٣٩-٤٠.

٤ - الأنفال ٨: ٦١.

١ - الأحزاب ٣٣: ٦١.

٣ - النساء ٤: ٩١.

٥ - التوبة ٩: ١٢٣.

الحسن: كان هذا قبل الأمر بقتال المشركين كافة.^١

المرحلة الأخيرة: إعلان حرب عوان على عامة المشركين لغاية استئصالهم، لا يعقد معهم عهداً ولا تقبل منهم ذمة: «وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً». ^٢ «فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصُرُواهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ». ^٣

وأما أهل الكتاب فقتال أو قبول جزية: «قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ». ^٤ ولا شك أن كل مرحلة لاحقة نسخت سابقتها وأصبح كل ناسخ بالأمس منسوخاً في غده وهكذا.

وقد أسبقنا أن هذا من النسخ المشروط والذي يدور مدار الشرائط والظروف وليس من النسخ الثابت المصطلح.

قائمة المنسوخات

تلك التي قدّمنا من آيات قيل بنسخها حسب المصطلح، وهي لم تتجاوز بضع عشرات. وهناك من أنهى الآيات المنسوخة إلى ما يربو على المائتين، وهي غاية في المبالغة، ولعلّه من النسخ بمعناه العامّ الشامل للتخصيص والتقييد أيضاً. ونحن نتابعهم في هذا التعداد حسب نظم القرآن، ونعقب كل آية بما صحّ لدينا من نظر:

من سورة البقرة - ستّ وعشرون آية

١ - «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

٢ - التوبة ٩: ٣٦.

١ - مجمع البيان، ج ٥، ص ٨٤.

٤ - التوبة ٩: ٢٩.

٣ - التوبة ٩: ٥.

وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»^١.

قال ابن عباس: نسختها «وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ»^٢.

قال الطبرسي: هذا بعيد، لأنّ النسخ لا يجوز أن يدخل الخبر الذي هو متضمّن للوعد، وإنما يجوز دخوله في الأحكام الشرعية التي يجوز تغييرها وتبديلها بتغيير المصلحة، فالأولى تنفيذ هذه النسبة إلى ابن عباس^٣.

والآية الأولى تعني: أنّ الذين آمنوا بأفواههم وكذا اليهود والنصارى والصابئون جميعاً إن آمنوا بالله صدقاً، وسلّموا الرسول الله إخلاصاً فلهم أجرهم... وهذا المعنى ثابت غير منسوخ، ومتوافق مع الآية الثانية أيضاً.

٢ - «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا»^٤.

عن قتادة: أنّها منسوخة بآية السيف^٥.

لكنّه غريب بعد أن كان الكلام الجميل والخلق الكريم ممّا حبّذ إليه الإسلام بصورة عامّة. «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»^٦ «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ»^٧ هذا فضلاً عن كونها حكاية عن ميثاق سابق أخذه تعالى على بني إسرائيل، فلا مجال للقول بنسخها بتشريع القتال مع المشركين المناوئين للإسلام.

٣ - «فَاعْزُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ»^٨.

نسختها آية «قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ»^٩.

٢ - آل عمران ٣: ٨٥.

١ - البقرة ٢: ٦٢.

٤ - البقرة ٢: ٨٣.

٣ - مجمع البيان، ج ١، ص ١٢٧.

٦ - النحل ١٦: ١٢٥.

٥ - التوبة ٩: ٥. راجع: مجمع البيان، ج ١، ص ١٥٠.

٨ - البقرة ٢: ١٠٩.

٧ - الأنعام ٦: ١٠٨.

٩ - التوبة ٩: ٢٩.

وتقدّمت صحّة هذا النسخ برقم ٦. لكن من النسخ المشروط.

٤ - «فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمَّ وَجْهُ اللَّهِ»^١.

عن قتادة: أنها منسوخة بقوله تعالى: «فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ»^٢.

لكن الآية ردّ على اليهود في إنكارهم تحويل القبلة إلى الكعبة، فإنّ التوجّه إلى الله في العبادة ليس وقفاً على جهة دون أخرى، لأنّ الله لا يحويه مكان دون مكان، فالتوجّه إلى جهة خاصّة أمر تعبدي صرف لحكمة اجتماعيّة. فالتوجّه إلى القدس أو الكعبة كلاهما توجّه إلى الله، غير أنّ المصلحة اقتضت هذا التحويل، من غير أن يكون الله قابلاً في زاوية بيت المقدس أو في الكعبة المكرّمة.

٥ - «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ»^٣.

قال ابن حزم: نسختها الآية التالية: «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»^٤.

لكنّه استثناء وخروج موضوعي، وليس من النسخ في شيء.

٦ - «إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ»^٥.

قال ابن حزم: نسخها قوله ﷺ: أحلّت لنا ميتتان ودمان: السمك والجراد، والكبد والطحال.

وهذا تخصيص في الحكم بالنسبة إلى بعض أفراد العام، وليس من النسخ.

قال: وكذا نسخها قوله: «فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ»^٦.

وهذا أيضاً تبدّل موضوعي بطروء حالة غير اختيارية يتبدّل معها الحكم الثابت أولاً

١ - البقرة ٢: ١١٥.

٢ - البقرة ٢: ١٤٤. راجع: مجمع البيان، ج ١، ص ١٩١.

٣ - البقرة ٢: ١٥٩.

٤ - البقرة ٢: ١٦٠. راجع: رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٦٠.

٥ - البقرة ٢: ١٧٣.

٦ - رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٦١.

من غير أن يكون ذلك نسخاً.

٧- «وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى»^١.

عن ابن عباس: نسختها آية «النَّفْسُ بِالنَّفْسِ»^٢.

ظاهر الآية أن الرجل لا يقتل بالمرأة، وهذا عام إلا فيما إذا أدى أهل المقتولة نصف دية الرجل، كما رواه الطبري في تفسيره عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام والعيّاشي في تفسيره عن الإمام الصادق عليه السلام^٣ فهو تخصيص لانسخ.

٨- «كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ

بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ»^٤.

قيل: إنها منسوخة بآية المواريث. وقيل بحديث «ألا لا وصية لوارث». وقيل

بالإجماع.^٥

قال الطبرسي: والصحيح عند المحققين من أصحابنا أنها غير منسوخة أصلاً، إذ لا منافاة بين آية الوصية وآية المواريث، والحديث لم يصحّ عندنا، والإجماع لم يتحقق.^٦ نعم قام الإجماع على أن الوصية ليست بفرض، فبذلك نرفع اليد عن ظاهر الوجوب في الآية، أمّا الاستحباب المؤكّد فباق لا يزال، والأحاديث بذلك من طرقنا متظافرة،^٧ فهذا رفع لظاهر إطلاق الآية، لا لأصل حكمها، فليس من باب النسخ.

٩- «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ»^٨.

قال جلال الدين: إنها منسوخة بقوله تعالى: «أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى

نِسَائِكُمْ» وبقوله تعالى: «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ»^٩.

أخذ القائل بالنسخ بعموم التشبيه لتكون الآية الأولى فرضت الصيام على المسلمين

١- البقرة ٢: ١٧٨. ٢- المائدة ٥: ٤٥. راجع: الدر المنثور، ج ١، ص ١٧٢.

٣- راجع: جامع البيان، ج ٢، ص ٦١-٦٢؛ وتفسير العيّاشي، ج ١، ص ٧٥.

٤- البقرة ٢: ١٨٠. ٥- الإتيان، ج ٣، ص ٦٥.

٦- مجمع البيان، ج ٢، ص ٢٦٧. ٧- راجع: وسائل الشيعة، ج ١٣، ص ٣٧٣.

٨- البقرة ٢: ١٨٧. راجع: الإتيان، ج ٣، ص ٦٥.

٩- البقرة ٢: ١٨٣.

بالكيفية التي كانت على الأمم السالفة طابق النعل بالنعل فلا يجوز لهم مقارنة النساء، ولا تناول الطعام والشراب إذا قاموا بعد العشاء الآخرة. وهذا الحكم منسوخ بالآية الثانية لامحالة.

لكن على فرض التسليم فهو تخصيص للحكم لانسخ له رأساً. والعمدة أن التشبيه هنا ينظر إلى ناحية أصل وجوب الصوم، تخفيفاً لو طئة هذا التكليف، أمّا الآية الثانية فهو ترخيص في مقام توهم الحظر، أو هو رفع لحكم ثبت بالسنة، فإن حرمة مقارنة النساء والأكل والشرب بعد عشاء الآخرة ليست ممّا تستفاد من الآية الأولى.

١٠ - «وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ»^١.

قال ابن حزم: نسخها قوله: «فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ»^٢.

هؤلاء فسّروا الإطاقة هنا بالقدرة، فكان ظاهر الآية تخيير المتمكّن بين الصوم والفداء. لكن الإطاقة هنا بمعنى بلوغ غاية الجهد، كناية عن المشقة البالغة في الصوم، فهذا مرخص له في الإفطار والفداء، إذن فهذه الآية تخصيص في الحكم المستفاد من الآية الثانية، كما هو تخصيص في الحكم المستفاد من صدر الآية الأولى أيضاً.

١١ - «وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا»^٣.

لما نزلت كان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتله من المشركين ويكفّ عمّن كفّ عنه، فنسخت بقوله تعالى: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ»^٤.

وقد تقدّم أنّه من التدرّج في أمر القتال.

١٢ - «وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ»^٥.

قال ابن حزم: نسختها «فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ» وهذا غريب بعد أن كان هذا تفريعاً على مفهوم الغاية، أي تصريح بالمفهوم، فهو تثبيت لما يستفاد من السابقة لانسخ لحكمها كما لا يخفى.

١ - البقرة ٢: ١٨٤.

٢ - البقرة ٢: ١٨٥. رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٦٢؛ وراجع: مجمع البيان، ج ٢، ص ٢٧٤.

٣ - البقرة ٢: ١٩٠.

٤ - مجمع البيان، ج ٢، ص ٢٨٤.

٥ - البقرة ٢: ١٩١.

١٣ - «فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».^١

إن كان المراد هو الانتهاء عن الشرك بقبول الإسلام فالآية محكمة، وقد تبدل الموضوع.^٢ وإن كان المراد الانتهاء عن القتال فهي منسوخة بآية السيف:^٣ «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ» وعليه فهو تدرّج في أمر القتال.

١٤ - «وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ».^٤

قال ابن حزم: نسختها «فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ».^٥

وهذا استثناء وخروج ببعض أفراد العام، وليس من النسخ في شيء.

١٥ - «يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ».^٦

قال السدي: إنها نسخت بآية «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ».^٧

لكن لامنافاة بين الآيتين، بعد أن كانت الأولى ندباً في مطلق الصدقات المستحبة، وكانت الثانية فرضاً في الزكاة الواجبة خاصة.

١٦ - «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ».^٨

قيل: إنها منسوخة بآية السيف وبقوله تعالى: «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ».^٩

والصحيح أنها بالنسبة إلى مبادأة القتال محكمة، أمّا إذا ابتدأ الكفار بالقتال فتجوز مقاتلتهم في الأشهر الحرم، نظير مقاتلتهم عند المسجد الحرام. نعم شرّعت المبادأة عام الفتح فقط ثم رجع الحكم إلى ماسبق أبداً، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَحْلَاهَا لِي فِي هَذِهِ السَّاعَةِ وَلَمْ يَحْلَاهَا لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».^{١٠} فالآية إذن ليست منسوخة، ولا سيّما إذا قلنا بأنّ ناسختها هي آية السيف، وذلك لأنّها مشروطة بانسلاخ الأشهر الحرم^{١١} الأمر الذي نستغربه من ابن حزم.

١ - البقرة ٢: ١٩٢. ٢ - مجمع البيان، ج ٢، ص ٢٨٦.

٣ - رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٦٢. ٤ - البقرة ٢: ١٩٦.

٥ - البقرة ٢: ١٩٦. ٦ - البقرة ٢: ٢١٥.

٧ - التوبة ٩: ٦٠. راجع: مجمع البيان، ج ٢، ص ٣١٠. ٨ - البقرة ٢: ٢١٧.

٩ - البقرة ٢: ١٩٣. راجع: مجمع البيان، ج ٢، ص ٣١٢. ١٠ - المصدر.

١١ - «فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ» التوبة ٩: ٥.

١٧ - «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ»^١.

قال ابن حزم: نسختها «وإِثْمُهَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهَا»^٢. وكذا قوله: «لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى»^٣. وأخيراً قوله تعالى: «فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ»^٤.

أقول: ليس هذا نسخاً، بل هو من التدرّج في الأحكام إلى اللحن الأشدّ، وإلا فالخمر كانت محرّمة منذ البدء، غير أنّ لحن التحريم اشتدّ شيئاً فشيئاً إزالة لما تمكّن في نفوس القوم من هذه العادة الخبيثة.

١٨ - «وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ»^٥.

العفو: ما فضل عن نفقة الأهل والعيال. كان المسلمون قد أمروا في بدء الهجرة بإنفاق ما يفضل لديهم من مال من غير تعيين للمقدار. ثمّ نسخت هذه الشريعة بتشريع الزكاة المفروضة «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً»^٦ كذا روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام^٧.

لكن هذا رفع لظاهر إطلاق الآية في الوجوب، أمّا أصل استحباب إنفاق العفو فتأبّت غير منسوخ، وقد مرّ نظيره في آية الوصيّة برقم ٨. فهو نسخ جانبي لا كلي.

١٩ - «وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ»^٨.

قال مجاهد: إنّها منسوخة بآية «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ»^٩ هذا بناء على شمول لفظ «المشركات» للكتايبات^{١٠} وعليه فآية المائدة تخصيص في آية البقرة لا نسخ.

٢٠ - «وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ»^{١١}.

قال ابن حزم: إنّها منسوخة بقوله تعالى: «الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ»

٢ - البقرة ٢: ٢١٩.

٤ - المائدة ٥: ٩١.

٦ - التوبة ٩: ١٠٣.

٨ - البقرة ٢: ٢٢١.

١٠ - مجمع البيان، ج ٢، ص ٣١٨.

١ - البقرة ٢: ٢١٩.

٣ - النساء ٤: ٤٣.

٥ - البقرة ٢: ٢١٩.

٧ - مجمع البيان، ج ٢، ص ٣١٦.

٩ - المائدة ٥: ٥.

١١ - البقرة ٢: ٢٢٨.

بِإِحْسَانٍ».^١ فبعد الطلقة الثالثة ليس للزوج أن يرجع إلا بمحلل. كما أن جواز الرجوع مخصوص - أيضاً - بالرجعيات دون البائنات.

وهذا تخصيص في الحكم من غير أن يكون نسخاً له.

٢١ - «وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَتْكُمْوهُنَّ شَيْئاً».^٢

قال ابن حزم: نسختها قوله بعد ذلك: «إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ».

ولا يخفى أن الاستثناء تخصيص في عموم الحكم لانسخ له.

٢٢ - «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ».^٣

قال ابن حزم: هذه الآية نسخت بالاستثناء بقوله: «فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا»^٤ فصارت هذه الإرادة باتفاق الجانبين ناسخة للحولين وقد مرَّ أن الاستثناء تخصيص في الحكم لاغير.

٢٣ - «وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ

إِخْرَاجٍ».^٥

نسختها «وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً».^٦ ونسختها آية المواريث. كما قيل.^٧

وقد مضى شطر من الكلام حولها وأنه لانسخ بعد كون الحكم في الآية الأولى استحبابياً.^٨

٢٤ - «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ».^٩

قال ابن مسعود: «إِنَّهَا مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ السَّيْفِ».^{١٠}

١ - البقرة ٢: ٢٢٩. راجع: رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٦٥.

٢ - البقرة ٢: ٢٢٩.

٣ - البقرة ٢: ٢٣٣.

٤ - البقرة ٢: ٢٣٣.

٥ - البقرة ٢: ٢٤٠.

٦ - البقرة ٢: ٢٣٤.

٧ - راجع: تفسير شبر، ص ٧٦.

٨ - «عرض آيات منسوخة» برقم ٣.

٩ - البقرة ٢: ٢٥٦.

١٠ - روح المعاني، ج ٢، ص ١١.

والصحيح: أن الآية تعني أمراً لا يقبل نسخاً ولا تخصيصاً.

إنَّ دين الله دين فطرة وعقيدة، منبعث من الأعماق، فتبعث على الاستقامة في مجالي العقيدة والسلوك «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا...»^١ قولاً منبعثاً من أعماق فطرتهم، واستقامة في جميع اتجاهاتهم. وهذا لا بد أن يسبقه يقين صادق وإيمان جازم راسخ، الأمر الذي تعجز القوة القاهرة عن تكوينه إلا ببرهان رشيد وبيان رصين. وهناك فرق كبير بين الإسلام والاستسلام، «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا»^٢ - أي استسلمنا -.

والمطلوب الأقصى هو الإيمان الصادق. وهو أمر قلبي، ولا سلطة لسوى البرهان على القلوب، ومن ثم فإنَّ من طبيعة الدين الذاتية هو الاختيار لا جبر ولا إكراه. ومن ثم قال تعالى تفرعاً على الآية المذكورة «قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ»^٣. قال السيّد شبر^٤: لم يجر الله أمر الدين على الإيجاب بل على الاختيار، «فَنُ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ»^٥ وليست المشيئة في الاختيار ترخيصاً شرعياً، بل تنويهاً بشأن هذا الدين الحق الذي لا يعالجه سوى وضوح البرهان وقدرة البيان. وماذكروه سبباً لنزول هذه الآية شاهد آخر على إرادة هذا المعنى.^٥

٢٥ - «وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ»^٦.

قال ابن حزم: نسختها «فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضاً فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِنَ أَمَانَتَهُ»^٧.

قلت: هذا تخصيص في الحكم العام. وليس من النسخ المصطلح.

٢٦ - «وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ»^٨.

روي عن أبي هريرة - في حديث - : أنها منسوخة بآية «لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا

٢ - الحجرات ٤٩: ١٤.

١ - فصلت ٤١: ٣٠.

٤ - الكهف ١٨: ٢٩. راجع: تفسير شبر، ص ٧٩.

٣ - البقرة ٢: ٢٥٦.

٦ - البقرة ٢: ٢٨٢.

٥ - مجمع البيان، ج ٢، ص ٣٦٣-٣٦٤.

٨ - البقرة ٢: ٢٨٤.

٧ - البقرة ٢: ٢٨٣.

وُسْعَهَا».^١

قال الطبرسي رحمته الله: وهذا لا يصح، لأنّ تكليف ما ليس في الوسع غير جائز فكيف نسخ؟!^٢

والصحيح: أنّ الآية تهدف المحاسبة على نيّة السوء لافي أمثال الوسواس، والخواطر اللاختيارية، فالمرء محاسب على ما يعزم من السوء بأخيه أو بأُمّته، ومن ثمّ قيل: نيّة الكافر شرّ من عمله. وأنّ مناوي السوء لتؤثّر على الأقوال والأعمال كما هي تؤثّر على التفكير والسلوك وأنّ هكذا إنساناً ليتّجه بكلّيته حسب ما توجّهه عقيدته وعزماته. وأنّ شخصية كلّ إنسان مختبئة طي مناويه وعزماته، فتتجلّى على مسارب سلوكه واتجاهاته.

وإذا كانت النيّة - وهي عقد القلب الجازم - هي ركيزة بناء شخصيّة الفرد عقيدة وسلوكاً، فجدير بها أن يحاسب عليها «لكلّ امرء مانوى». «إنّما الأعمال بالنيّات». قال أمير المؤمنين عليه السلام: وبما في الصدور يجازى العباد.^٣

فهكذا نيّة، توجّه مصير الإنسان في الحياة، لاغربة أن يؤاخذ الإنسان عليها، والآية الكريمة تهدف إلى هذا المعنى، أمّا النيّة العابرة غير المؤثّرة على السلوك فمعفو عنها والآية لاتعنيها.

من سورة آل عمران - خمس آيات

٢٧ (١) - «وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ».^٤

قال ابن حزم: منسوخة بآية السيف «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ».^٥

قلت: أولاً: هذه الآية حديث عن نصارى نجران جاء وفدhem يحاجّون النبي صلّى الله عليه وآله.

١ - البقرة ٢: ٢٨٦. راجع: الدر المنثور، ج ١، ص ٣٧٤. ٢ - مجمع البيان، ج ٢، ص ٤٠١.

٣ - الصافي في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٣٧. ٤ - آل عمران ٣: ٢٠.

٥ - التوبة ٩: ٥. راجع: رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٦٦-١٦٧.

وآية السيف تعني قتال المشركين.

وثانياً: إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ لئلا تذهب نفسه حسرات عليهم^١ حيث مسؤوليته ﷺ تنحصر في إطار الدعوة والتبليغ، أما وقبول أولئك للإسلام وعدم توليهم أو إعراضهم فليس من بنود مسؤوليته كي يضيق صدره الشريف «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ»^٢.

٢٨، ٢٩، ٣٠، (٢، ٣، ٤) - «كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ» إلى تمام الآية

الثالثة.^٣

نزلت في رهط ارتدوا عن الإسلام.^٤

ثم استثنى واحد منهم - وهو الحارث بن سويد بن الصامت - في الآية الرابعة «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا»^٥.

قال ابن حزم: هذه الآية الرابعة نسخت الآيات الثلاث قبلها.

وقد عرفت أن الاستثناء تخصيص لانسخ.

٣١ (٥) - «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ»^٦.

قال ابن عباس: لما نزلت شق ذلك على المسلمين وانزعجوا انزعاجاً عظيماً، وقالوا:

يا رسول الله ﷺ ومن يطيق ذلك؟! فنزلت: «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ»^٧ فنسخت الأولى.^٨

قال ابن حزم: لما شكى المسلمون إلى رسول الله ﷺ وثقل هذا التكليف، نزلت آية

أخرى أشد وهي: «وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ»^٩ فكادت تنفطر قلوبهم وتطير عقولهم،

فلما علم الله ما قد نزل بهم خفف عنهم بنزول الناسخ، فكان تيسيراً بعد تعسير وتخفيفاً

بعد تشديد.^{١٠}

١ - «فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ» فاطر ٣٥: ٨.

٢ - القصص ٢٨: ٥٦.

٣ - آل عمران ٣: ٨٦ و ٨٧ و ٨٨.

٤ - الدر المنثور: ج ٢، ص ٤٩.

٥ - آل عمران ٣: ٨٩.

٦ - آل عمران ٣: ١٠٢.

٧ - التغابن ٦٤: ١٦.

٨ - الدر المنثور، ج ٢، ص ٥٩.

٩ - الحج ٢٢: ٧٨.

١٠ - رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٦٧.

قال الطبرسي: في الآية قولان: أحدهما: أنها منسوخة. عن السدي وقتادة والربيع. وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليه السلام. والآخر أنها غير منسوخة. عن ابن عباس وطاووس. وأنكر الجبائي نسخ هذه الآية لما فيه من إباحة بعض المعاصي.^١

قال أبوبصير: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الآية؟ فقال: منسوخة. قلت: وما التي نسختها؟ قال: «اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ».^٢ أقول: لا مجال للقول بالنسخ المصطلح في الآية الكريمة - أولاً - لأن الالتزام بالنسخ هنا، يستدعي أن تكون الآية الأولى قد أوجبت تكليفاً فوق المستطاع حتى نسخت بالتكليف وفق المستطاع! وهذا محال على الله سبحانه.

وثانياً: لا تنافي بين الآيتين كي تكون إحداهما ناسخة للأخرى، وذلك لأن القدرة شرط عام لكل تكاليف الشريعة، والأمر بالتقوى - العمل بالوظائف المقررة - في الآية الأولى متقيد بالاستطاعة عقلاً وإجماعاً بلا شك، لاسيما بعد ماورد في تفسيرها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعن الإمام الصادق عليه السلام أن يطاع ولا يعصى^٣ والإطاعة مشروطة بالاستطاعة لا محالة.

إذن فالآية الثانية جاءت مفسرة للآية الأولى وموضحة لفحواها فكيف تكون ناسخة لها؟!!

نعم في بادئ البدء قد يفهم من الآية وجوب العمل بجميع التكاليف الواردة في الشريعة كملاً. كما أنزلها الله وكما أرادها تامة كاملة استفادة من إضافة التقى إلى الله. ولعل المسلمين الأوائل هكذا فهموا من الآية الكريمة. غير أن النظر الدقيق - وبعد أن حرر المحققون من الفقهاء أصول أحكام التشريع - يقتضي فهماً غير هذا. وأن لافرق بين الآيتين في تقييد التكليف بالاستطاعة.

ولعل النسخ في كلام الإمام - على فرض صحة الرواية - وكذا في كلام السلف يعني إزالة ما كانت تتوهمه أفهام العامة في ظاهر الآية الأولى من التكليف المطلق.

١ - مجمع البيان، ج ٢، ص ٤٨٢. ٢ - تفسير العياشي، ج ١، ص ١٩٤.

٣ - الدر المنثور، ج ٢، ص ٥٩؛ والصابي في تفسير القرآن، ج ١، ص ٢٨٤.

من سورة النساء - اثنتان وعشرون آية

٣٢ (١) - «وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ»^١.

قال سعيد بن المسيّب: إنّها منسوخة بآية المواريث: ٢١١^٢ وكذا روي عن الإمامين

الصادقين عليهما السلام^٣.

قال ابن عباس: والله ما نسخت هذه الآية، ولكنه ممّا تهاون به الناس. أمر الله المؤمنين عند قسمة موارثهم أن يصلوا أرحامهم وأيتامهم ومساكينهم من الوصيّة، فإن لم تكن وصيّة وصلوا إليهم من موارثهم^٤.

قال أبو بصير: سألت الإمام الباقر عليه السلام عن هذه الآية أمنسوخة هي؟ قال: لا، إذا حضروك فأعطهم^٥.

قلت: ظاهر الوجوب منسوخ، أمّا الاستحباب فباق^٦ بمعنى أن الأمر في الآية لم يرد به من الأوّل سوى الندب المؤكّد إلى منح هؤلاء شيئاً من التركة، ولكنّ القوم فهموا منه الوجوب على ظاهر إطلاق الأمر، فجاءت الآية الثانية مبينة لذلك وليس نسخاً مصطلحاً. ٣٣ (٢) - «وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً»^٧.

قال ابن حزم: إنّها منسوخة بآية «فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ»^٨.

أقول: أيّ منافاة بين تحريم الحيف في الوصيّة وترخيص الإصلاح حسب قانون الشريعة؟ فإذا كان الموصي قد أوصى بما يزيد عن الثلث فهو حيف على الورثة فللموصي حينئذ أن يصلح بين الورثة والموصي لهم، فإن رضوا بذلك وإلا بطلت الوصيّة فيما زاد.

٢ - مجمع البيان، ج ٣، ص ١١.
٤ - الدر المنثور، ج ٢، ص ١٢٣.
٦ - الصافي في تفسير القرآن، ج ١، ص ٣٣٤.
٨ - البقرة ٢: ١٨٢.

١ - النساء ٤: ٨.
٣ - تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٢٢-٢٢٣.
٥ - تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٢٢، رقم ٣٥.
٧ - النساء ٤: ٩.

وكان الأولى أن تكون آية الإصلاح نسخاً لآية حرمة تبديل الوصية^١ كما في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام^٢ ولكن نسخاً لإطلاق الآية لالأصلها وليس من النسخ المصطلح.

٣٤ (٣) - «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا»^٣.

قال ابن حزم: لما نزلت هذه الآية امتنع المسلمون من التصرف في أموال اليتامى واعتزلوا عنهم، فدخل الضرر على الأيتام فنزلت: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحُ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ»^٤ فكان ترخيصاً في المخالطة. ثم نزلت: «وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ»^٥ فهذه الآية نسخت الأولى^٦.

قلت: لا نرى تنافياً بين تحريم أكل مال اليتيم ظلماً وجواز أكله بالمعروف إزاء ما يقوم به من خدمات. فلا مبرر للقول بالنسخ هنا، بل الآية الأولى باقية على أحكامها كالأية الثانية.

ولعل ابن حزم اشتبهت عليه هذه الآية - هنا - بآية «وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا - أَيْ إِثْمًا - كَبِيرًا»^٧. فقد روي أنه لما نزلت هذه الآية كره المسلمون مخالطة اليتامى فشق ذلك عليهم فشكوا إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله سبحانه: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحُ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ» وهذا هو المروي عن الإمامين الباقر والصادق عليه السلام^٨.

وليس هذا أيضاً من النسخ المصطلح، وإنما جاءت الثانية لبيان جوانب الرخصة من مخالطة اليتامى، ليكون النهي في الأولى موجّهاً إلى أولئك الطامعين في أموال الصغار، أمّا مريد الإصلاح فهو محسن لا ملامة عليه ولم يشمل ذلك التحريم أصلاً، فهو ترخيص في مقام توهّم الحظر، لأنها إجازة بعد تحريم، فلا نسخ بتاتاً.

١ - البقرة ٢: ١٨١.
 ٢ - النساء ٤: ١٠.
 ٣ - النساء ٤: ٦.
 ٤ - النساء ٤: ٢.
 ٥ - رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٦٨-١٦٩.
 ٦ - مجمع البيان، ج ٣، ص ٣-٤.
 ٧ - الصافي في تفسير القرآن، ج ١، ص ١٦٣.
 ٨ - البقرة ٢: ٢٢٠.

٣٥ (٤) - «وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ»^١.

روى جابر عن الإمام الباقر عليه السلام أنها منسوخة بفرض الحدود^٢. وتقدّم الكلام في ذلك مفصلاً فراجع^٣.

٣٦ (٥) - «وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا»^٤.

قال أبو مسلم: الفاحشة في الآية الأولى - ١٥ - هو السحق. وفي الآية الثانية - ١٦ - هو اللواط، فالآيتان محكمتان.

قال الطبرسي: وهذا بعيد، لأنّ الذي عليه جمهور المفسّرين أنّ الفاحشة في الآية الزنا، وأنّ الحكم في الآية منسوخ بالحدّ المفروض في سورة النور: ٢-٣. ذهب إلى ذلك الحسن ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك وغيرهم. أو بفرض الحدود رجماً أو جلدًا. كما عن بعضهم^٥ وقد تقدّم كلامنا في ذلك.

٣٧ (٦) - «وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا»^٦.

قال الربيع: إنها منسوخة بقوله تعالى: «وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»^٧.

قلت: لامنافاة بين الآيتين، لأنّ الآية الأولى تعني أنّ التوبة الحقيقية التي تجعل من صاحبها كمن لا ذنب له وتنجيه من العقاب بتأهي التي تقع قبل معاينة الموت، أمّا وبعد المعاينة فإنّها توبة اضطرارية لا تفيده شيئاً، فهو ومن يموت بلا توبة سواء.

هذا هو مفاد الآية الأولى. ثمّ الذي يموت بلا توبة أو يتوب في وقت لا تنفعه هل يخلد في النار من غير أن يكون له رجاء المغفرة والخلاص أبداً؟ هذا شيء لا تتعرّض له الآية الأولى. نعم تتعرّض له الآية الثانية بالتفصيل بين معصية الإشراك وسائر المعاصي، فمع الشرك مخلّد في العذاب أبداً. وأمّا مع سائر المعاصي فإنّ له رجاء الخلاص والغفران إن شاء الله.

١ - النساء: ٤، ١٥. ٢ - تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٢٧.

٣ - فيما اخترناه من النسخ برقم ٤.

٤ - النساء: ٤، ١٦.

٥ - مجمع البيان، ج ٣، ص ٢١.

٦ - النساء: ٤، ٤٨ و ١١٦. راجع: مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٣.

٧ - النساء: ٤، ١٥.

والخلاصة: أن الآية الأولى تتعرض لشروط التوبة النافعة الناجعة. والآية الثانية تتعرض لمن يموت بلا توبة. فأين المنافاة؟

٣٨ (٧) - «وَلَا تَعْظُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ».^١

قال ابن حزم: نسخها الاستثناء بعدها: «إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ».

وقد مرّ عليك أن الاستثناء تخصيص في عموم العام لا النسخ.

٣٩ (٨) - «وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ».^٢

قال ابن حزم: نسخها الاستثناء: «إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ».^٣

وقد سلف تغاير الاستثناء والنسخ.

٤٠ (٩) - «وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ».^٤

قال: نسخها «إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ». وهذه كسابقتيها.

٤١ (١٠) - «فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ»^٥ إنها تعني متعة النساء.

قال محمد بن إدريس الشافعي: نسختها «وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ».^٦

قال: وأجمعوا على أن المتمتع بها ليست بزوجة ولا ملك يمين، فدخلت فيمن ابتغى وراء ذلك.^٧

وروي عن ابن مسعود: نسختها آيات «الطلاق» و«الصداق» و«الاعتداد» و«الميراث»^٨ إذ ليست للمتمتع بها هذه الأمور الأربعة، فليست بزوجة، ويجب حفظ الفرج على غير الزوجة.

وقد تقدّم الكلام عن هذه الآية وأنها باقية على إحكامها غير منسوخة.

١ - النساء ٤: ١٩.

٢ - النساء ٤: ٢٢.

٣ - رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٧٠. ٤ - النساء ٤: ٢٣.

٥ - النساء ٤: ٢٤. ٦ - المؤمنون ٢٣: ٥-٧.

٧ - رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٧٠-١٧١.

٨ - الدر المنثور، ج ٢، ص ١٤٠.

٤٢ (١١) - «لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ».^١

عن عكرمة والحسن: لما نزلت هذه الآية تحرّج الرجل أن يأكل عند أحد من الناس، حتى نسخت بقوله تعالى: «وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ...».^٢
وعن ابن مسعود: أنها محكمة ما نسخت ولن تنسخ إلى يوم القيامة. وهذه الرواية صحيحة عندهم.^٣

ولا يخفى أن آية النور تخصيص في عموم آية النساء من غير أن تكون نسخاً لها. هذا على فرض إرادة الأكل المتعارف من الآية الأولى. والصحيح أن المراد به تداول المال والتعامل به.

ومن ثمّ كان الاستثناء «إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ». إذن فآية النساء تعني المعاملات، وآية النور تعني تناول الطعام، من غير أن يكون تناسب بينهما أصلاً.

٤٣ (١٢) - «وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيْبَهُمْ».^٤

قال عليّ بن إبراهيم القميّ: نسختها آية «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ».^٥
أقول: هذه الآية واردة بشأن ميراث ضامن الجريرة، قال الصادق عليه السلام: «إذا والى الرجل الرجل فله ميراثه وعليه معقلته».^٦

نعم ميراث ولأء الضمان مشروط بعدم وجود وارث نسبي ولا زوجية ولا ولأء عتق، فهو آخر أسباب الإرث - على ما يفصله الفقهاء في كتاب الموارث -.

فالنسخ في كلام القميّ وغيره يراد به القيد والشرط لأكثر.
فإذا كان هناك رحم فلا ميراث للضامن، فالآية تقيدت بآية أولي الأرحام.

٤٤ (١٣) - «فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ».^٧

٢ - النور ٢٤: ٦١.

١ - النساء ٤: ٢٩.

٤ - النساء ٤: ٣٣.

٣ - الدرّ المنثور، ج ٢، ص ١٤٣.

٥ - الأنفال ٨: ٧٥. راجع: الصافي في تفسير القرآن، ج ١، ص ٣٥٣.

٧ - النساء ٤: ٦٣.

٦ - تهذيب الأحكام، ج ٩، ص ٣٩٦، ح ٢٠.

قال ابن حزم: إنها منسوخة بآية السيف.^١

قلت: الآية تعني المنافقين بالمجاملة معهم والمداراة، ولم يؤمر ﷺ أن يصارحهم أو يفضحهم حتى آخر حياته، فلم تنسخ الآية مدة بقائه ﷺ ومن ثم فإن القول بنسخها بآية السيف عجيب.

٤٥ (١٤) - «وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا».^٢

قال ابن حزم: نسختها آية براءة: «اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ».^٣

قلت: الآية الأولى تعني أولئك النادمين المستغفرين. والثانية تعني أولئك المعاندين ممن أصرّوا على الاستهزاء بالمؤمنين، ومن ثم جاء التعقيب: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» ليكون تبييس الرسول من المغفرة لهم ناظرًا إلى عدم قابليّتهم لشمول الرحمة والغفران، بسبب تمردهم العاتي، وصمودهم على الغواية والضلال. «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ».^٤

٤٦ (١٥) - «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا».^٥

قال ابن حزم: نسختها «وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً».^٦

قلت: ثبات جمع ثبت بمعنى مجموعة.

فالآية الأولى تحذّر المؤمنين من الخروج إلى الجهاد فرادى، بل يخرجون إمّا بصورة كتل صغار وهي السرايا المبعوثة إلى الجهات. أو في كتلة كبيرة وهو الجيش كلّ في مقابلة عسكر العدو في الغزوات.

والآية الثانية تحذّر المؤمنين من الخروج بكلّيتهم لتركوا النساء والأطفال في

١ - رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٧١. ٢ - النساء ٤: ٦٤.

٣ - التوبة ٩: ٨٠. ٤ - التوبة ٩: ٨٠.

٥ - النساء ٤: ٧١.

٦ - التوبة ٩: ١٢٢. راجع: رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٧٢.

المدينة بلا رجال فيخلوا الجو للعدو الغادر.

فلا منافاة بين الآيتين فيما تستهدفه كل واحدة.

٤٧ (١٦) - «وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا»^١.

قال ابن حزم: نسختها آية السيف.

قلت: الآية تعني مسؤولية الرسول ﷺ المحدودة، فهو مسؤول عن التبليغ وليس

مسؤولاً عن قبول هؤلاء أو إعراضهم. «إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ. لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ»^٢.

٤٨ (١٧) - «فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ»^٣.

قال ابن حزم: نسختها آية السيف.

قلت: الآية تعني المنافقين بين أظهر المؤمنين ولم يؤمر ﷺ بفضحهم ومقاتلتهم مدة

حياته.

٤٩ (١٨) - «إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ - إِلَىٰ قَوْلِهِ - فَمَا جَعَلَ اللَّهُ

لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا»^٤.

نسختها آية براءة وآية السيف.

حيث لم يصحّ بعد ذلك عهد للمشرّكين ولا ذمّة أبداً. وقد تقدّم الكلام في ذلك وأنه

من النسخ المشروط.

٥٠ (١٩) - «سَتَجِدُونَ آخِرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ»^٥.

نزلت في منافقي المشركين فكان عدم ترخيص التعرّض لهم مشروطاً باعتزالهم

وإلقاء السلم إلى المسلمين، ثمّ نسخ ذلك بآية السيف نسخاً مشروطاً.

٥١ (٢٠) - «وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدْيَةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ

مُؤْمِنَةٍ»^٦.

٢ - الغاشية ٨٨: ٢١-٢٢.

٤ - النساء ٩٠: ٤.

٦ - النساء ٩٢: ٤.

١ - النساء ٤: ٨٠.

٣ - النساء ٤: ٨١.

٥ - النساء ٤: ٩١.

هنا ثلاثة أحكام:

- ١- من قتل مؤمناً خطأ فعليه تحرير رقبة مؤمنة - كفارة - ودية مسلّمة إلى أهله.
- ٢- من قتل مؤمناً خطأ من قوم كفّار لهم عهد، فعليه تحرير رقبة مؤمنة - كفارة - ودية مسلّمة إلى أهله.

٣- من قتل مؤمناً خطأ من قوم كفّار ليس لهم عهد فعليه تحرير رقبة مؤمنة من غير دفع دية. والآية الكريمة تعني الحكم الثاني، ومن ثمّ فهي منسوخة بآية براءة في حينه على غرار النسخ المشروط.

٥٢ (٢١) - «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا».^١

قال ابن حزم: هي منسوخة بقوله تعالى: «وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»^٢ وبآيات قبول التوبة.^٣

قلت: الآية الأولى تعني من قتل مؤمناً قصداً لإيمانه، لالعداوة شخصيّة، فهذا محارب للدين ومخلّد في النار، فإن مات قبل أن يتوب، فهو داخل في قوله: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ». نعم هي مخصوصة بأدلة قبول التوبة، وليس ذلك نسخاً. كما أن آية عدم غفران الشرك أيضاً مخصوصة بما إذا مات على الإشراك.

٥٣ (٢٢) - «إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ».^٤

قال ابن حزم: منسوخة بما بعدها «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ»^٥ قلت: هذا استثناء وليس بنسخ ومعنى الاستثناء هنا: أن المنافقين بصورة عامّة محكومون باللعة الأبدية، ويستمرّ عليهم هذا الحكم ما استمروا على النفاق. اللهمّ إلّا إذا انقطعوا وتابوا وأصلحوا فإنّ هذا الحكم - أيضاً - ينقطع ويرتفع بطبعه، نظراً لتبدّل الموضوع.

٢ - النساء ٤: ٤٨.

١ - النساء ٤: ٩٣.

٣ - رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٧٢. ٤ - النساء ٤: ١٤٥.

٥ - النساء ٤: ١٤٦.

من سورة المائدة - تسع آيات

٥٤ (١) - «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ. وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَتَعُونِ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا... وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ»^١.

قال أكثر المفسرين: إنها منسوخة بآية السيف وبآية «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا»^٢.

وقال قوم: إنها لم تنسخ. وهو المروي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.^٣ قلت: أمّا المقطع الأول من الآية إلى قوله: «ورضواناً» فلا يعقل نسخها، بعد أن كان حكماً ثابتاً في الشريعة لا يزال. فلا تحلّ شعائر الله أبداً ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد. ولا يمسّ القاصدون لبّيت الله بسوء أبداً. لاسيّما وهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، ولا شك أنّهم بهذه السمة مسلمون مؤمنون، فيجب أن يكونوا آمينين، حكماً إسلامياً مع الأبد.

وأما المقطع الثاني فظاهر الآية البدائي أنّ المقصود بالقوم هم المشركون، فقد أمر المسلمون أن لا يتعرّضوا لهم ولا يمنعوهم عن المسجد الحرام، ولا يقوموا بعملية الانتقام والمقابلة بالمثل إزاء صدّ المشركين بوجه المسلمين قبل ذلك.

وهذا المعنى قد نسخ بآية السيف وآية «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ». لكن نسخاً على غرار ما سبق من النسخ المشروط.

نعم للآية مسحة عموم: لا ينبغي للمسلم أن تأخذه حمية جاهليّة فيتذكّر عداً قديماً ويقوم بعملية انتقاميّة وهو في طريق عبادة الله. إذ يجب أن يتناسى حينئذ جميع ما بينه وبين ما سواه تعالى، ويتفانى في الله عزّ شأنه. ومن ثمّ عبّر بقوله: «أَنْ تَعْتَدُوا» وعقبه بكليّة «وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ» تأكيداً على أنّ القيام بأيّ عملية انتقاميّة حينذاك إثم

١ - المائدة ٥: ٢.

٢ - التوبة ٩: ٢٨. راجع: مجمع البيان، ج ٣، ص ١٥٥؛ والدر المنثور، ج ٢، ص ٢٥٤.

٣ - تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٨٨.

وظلم، وهذا المعنى لا يقبل نسخاً أبداً.

فعلل المقطع الثاني - أيضاً - يعني من أسلم من المشركين، فيجب أن يتناسى المسلمون وشائج العداة القديم التي فتّها الإسلام، فإن الإسلام يجب ما قبله، والمسلمون جميعاً إخوان على صعيد الإيمان وهذا نظير قوله تعالى بعد خمس آيات: «وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ». روي: أنها نزلت بعد فتح مكة، أمر الله المسلمين أن لا يكافئوا أهل مكة بما سلف منهم.

وفي رواية أهل البيت (عليهم السلام) أن سورة المائدة هي آخر السور نزولاً. وأن ما فيها من أحكام كلّها محكمة وناسخة لما قبلها، وليس فيها حكم منسوخ، إذ لم ينزل بعدها سورة. قال عليّ (عليه السلام): كان القرآن ينسخ بعضه بعضاً، وإنما كان يؤخذ من أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بآخره. فكان من آخر ما نزل عليه سورة المائدة، فنسخت ما قبلها ولم ينسخها شيء... فعمل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعملنا.^١

٥٥ (٢) - «فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ»^٢ بشأن اليهود. نسختها: «قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ... مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ»^٣ وقد تقدّم ذلك.

وقال الجبائي: نسختها: «وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ»^٤ لكن سورة الأنفال ثانية سورة نزلت بالمدينة. والمائدة من آخر ما نزل. فكيف تكون آية من تلك ناسخة لهذه؟ - هذا على تقدير صحة روايات الترتيب - أو لعل هذه الآيات من المائدة نزلت قبل ثم سجّلت في سورتها. وهذا أيضاً محتمل.

٥٦ (٣) - «إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا»^٥.

٢ - المائدة ٥: ١٣.

١ - المصدر، ص ٢٨٨.

٤ - الأنفال ٨: ٥٨. راجع: مجمع البيان، ج ٣، ص ١٧٣.

٣ - التوبة ٩: ٢٩.

٥ - المائدة ٥: ٣٣.

قال ابن حزم: نسختها الآية بعدها: «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ».^١

وهذا استثناء بتبدل موضوع الحكم، وليس بنسخ.

٥٧ (٤) - «فَإِنْ جَاؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ

شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ».^٢

قال الطبرسي رحمته الله: والظاهر في روايات أصحابنا أن هذا التخيير ثابت في الشرع للأئمة

والحكام. قال: وهو قول قتادة وعطاء والشعبي وإبراهيم.

وقال الحسن ومجاهد وعكرمة: إنها منسوخة بقوله تعالى: «وَأَنْ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ

الله».^٣

لكن ليست الآية الثانية بصدد وجوب تعيين الحكم، بل بصدد وجوب كون الحكم

وفق ما أنزل الله. وهذا لا يتنافى مع كون وجوب أصل الحكم تخييرياً كما في الآية الأولى،

فلا نسخ.

٥٨ (٥) - «مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ».^٤

قال ابن حزم: نسختها آية السيف.

وقد سبق أن أمثال الآية تعني محدودية مسؤولية الرسول ﷺ بالتبليغ والإنذار. أمّا

القبول والامتنال فهو من شأن المبعوث إليهم، من غير أن يدخل في إطار مسؤولية الرسول

«إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ»^٥ فهو ﷺ مسؤول عن التبليغ وليس مسؤولاً عن

التأثير. وهذا المعنى لا يرتبط ونفي مسؤوليته عن القيام بجهاد، بل الجهاد داخل في نطاق

التبليغ الواجب، فإنه رفع الحواجز عن طريقه بلوغ الدعوة.

٥٩ (٦) - «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ».^٦

قال بعضهم: إنها منسوخة بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.^٧

٢ - المائدة ٥: ٤٢.

١ - المائدة ٥: ٣٤.

٣ - المائدة ٥: ٤٩. راجع: مجمع البيان، ج ٣، ص ١٩٦. ٤ - المائدة ٥: ٩٩.

٦ - المائدة ٥: ١٠٥.

٥ - الغاشية ٨٨: ٢١-٢٢.

٧ - آل عمران ٣: ١١٠. راجع: رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٧٤.

قلت: مسؤولية الجماعة المؤمنة عن تكوين مجتمع إيماني، لتبتدئ بالمسؤولية عن النفس أولاً، ثم عن الأهل والعشيرة ثانياً، وتنتهي بالمسؤولية عن الأمة والناس جميعاً. فإنه يجب على كل مسلم - أولاً وبالذات - أن يهتمّ بتهديب نفسه وإصلاح شؤونه الأخلاقية، وهي اللبنة الأولى لبناء هيكل المجتمع الصالح. ثم بذوي قرابته وأهله ممن يعولهم وتشملهم سلطته، في تكوين مجتمع صغير يتألف منه المجتمع الكبير. وأخيراً مسؤولية الدعاء العام إلى سائر الناس.

وهذه الآية الكريمة تعني المرحلة الأولى التي لاتمسّ مسالك الآخرين في حدّ ذاتها، إذ ليس ضلال الآخرين مبرراً للانشغال عن تربية النفس وتهذيبها. كما ليس معنى هذا أن يتخلّى الإنسان عن وظيفته ومسؤوليته في الاهتمام بشؤون غيره وفي سبيل دعوة الناس إلى الهدى. فلم تكن سائر الآيات ناسخة لهذه الآية، وإثما وقعت في طولها حسب الترتيب الطبيعي للأمر.

فالآية: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ»^١ تشير إلى المرحلة الثانية. وأما المرحلة الثالثة فتشير إليها الآية الكريمة: «وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا»^٢.

والمراحل الثلاث مندمجة في بعضها ومتشابكة مع بعضها، من غير فصل بينها بتاتاً، إنّها مسؤوليات متلازمة وفي نفس الوقت متلاحقة، ولكن تلاحقاً حسب الترتيب الطبيعي، حيث المسؤولية عن النفس أولى المسؤوليات ثم المسؤولية عن الأهل، وأخيراً المسؤولية عن الجماعة. وهذا لا يعني تفكّكها حسب الوجود والفعليّة.

٦٠ (٧) - «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ»^٣.

٢ - البقرة ٢: ١٤٣.

١ - التحريم ٦٦: ٦.

٣ - المائدة ٥: ١٠٦.

قال جلال الدين السيوطي: منسوخة بقوله: «وَأَشْهِدُوا ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ»^١.

وقال أبو عبيدة: جلّ العلماء يتأولونها في أهل الذمة ويرونها محكمة.

وقال الطبرسي: ويقوي هذا القول تنابع الآثار بقلّة النسخ في سورة المائدة وأنها من محكم القرآن وآخر ما نزل.^٢

قلت: التشريع الوارد في هذه الآية ثابت عندنا لم ينسخ. فتقبل شهادة غير المسلمين في باب الوصية في السفر إذا لم يوجد مسلم. قال الإمام الصادق عليه السلام: إذا كان الرجل في بلد ليس فيه مسلم جازت شهادة من ليس بمسلم على الوصية^٣ وبه قال أبو حنيفة على الشروط التي جاءت في الآية وكذا أحمد بن حنبل. نعم ذهب مالك والشافعي إلى عدم القبول وأن الآية منسوخة.^٤

وأما آية الطلاق فلا تصلح ناسخة لآية الوصية.

أولاً: لأنّ اشتراط العدالة في شهود الطلاق لا ينافي جواز شهادة الكافر في الوصية في السفر إذا لم يوجد مسلم. فإنّ هذا باب له أحكام وذاك باب آخر له أحكام ولا تلازم بين البابين في الحكم والموضوع.

وثانياً: آية الطلاق مطلقة وآية الوصية مقيدة، ولا يصلح المطلق ناسخاً للمقيّد.

وثالثاً: سورة المائدة من آخر ما نزل وآياتها هي التي تنسخ ما سبقها لا العكس.^٥

٦١ (٨) - «فَإِنْ عُرِيَ عَلَىٰ أَهْلِهِمَا اسْتَحَقَّ إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ

عَلَيْهِمُ الْأُولَيَانِ»^٦ أي اثنان من أولياء الميت يشهدان بدل شهادة الخائنين.

قال ابن حزم: نسختها آية الطلاق: ٢.

قلت: الأولى أن يعبر بالتقييد بدل النسخ. إذ آية الطلاق تشترط العدالة في الشاهد.

وآية الوصية في هذا الفرض مطلقة. وقد تقدّم أنّ لا مناسبة بين الآيتين.

١ - الطلاق ٦٥: ٢. راجع: الإتيان، ج ٣، ص ٦٦. ٢ - مجمع البيان، ج ٣، ص ٢٥٧.

٣ - وسائل الشيعة، ج ١٣، ص ٣١٩.

٤ - بداية المجتهد لابن رشد، ج ٢، ص ٥٠٠؛ وروح المعاني، ج ٧، ص ٤٥.

٥ - راجع: تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٨٨. ٦ - المائدة ٥: ١٠٧.

٦٢ (٩) - «ذَلِكَ أَذْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ

أَيْمَانِهِمْ»^١ باعتبار جواز تحليف الشاهد إذا لم يوجد من يزكّيه.^٢

قال: هي منسوخة بشهادة أهل الإسلام (الطلاق: ٢).^٣ وقد تقدّم وهنه.

من سورة الأنعام - ثلاث عشرة آية

٦٣ (١) - «قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ».^٤

قال ابن حزم: منسوخة بقوله: «لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ».^٥

قلت: هذا كلام غريب! فإن الآية تعريض بالمشرّكين، نظير قوله تعالى: «وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ».^٦ يقول قبل ذلك: «قُلْ أَعِزَّ اللَّهُ أَتَّخِذُ وَلِيًّا... قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ... ثم يقول: قُلْ إِنِّي أَخَافُ...»^٧ كما يأتي أيضاً من قوله: «قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَ كُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا مَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ».^٨

وهذا كله تعريض بالمشرّكين وتأنيب لموقفهم العاتي. فليس المقصود احتمال تحقق المعصية منه ﷺ ولو مشروطاً.

ثم إن العصيان في هذه الآية يعني الإشراك، وهو ممّا ليس يغفر أبداً. فكيف يتصور أنه ﷺ لو أشرك - والعياذ بالله - يغفر له؟!

وأخيراً فإنّ الذنب المغفور له ﷺ في سورة الفتح لا يراد به الذنب الحقيقي الذي هو معصية لله تعالى بل الذنب في أعين الناس، وهو الخروج على تقاليدهم ونبذ أعرافهم. فإذا فتح الله على يده وأظفره على أعدائه، وحقق له أمانيه وأهدافه، فإنّ هذا النجاح الباهر سوف يبرّر جميع ما انتقده خصومه منه، حيث كان ذاك التهديم مقدّمة لهذا البناء الشامخ.

٢ - روح المعاني، ج ٧، ص ٤٥.

١ - المائدة ٥: ١٠٨.

٣ - رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٧٤. ٤ - الأنعام ٦: ١٥.

٦ - يس ٣٦: ٢٢.

٥ - الفتح ٤٨: ٢.

٨ - الأنعام ٦: ٥٦.

٧ - الأنعام ٦: ١٤-١٥.

وهكذا كل عملية إصلاحية عامة تتخللها مسارب للانتقاد، سوف ترمم بما يحققه المصلح العظيم من إصلاحات هامة.

قال الإمام الرضا عليه السلام: لم يكن أحد عند مشركي قريش أعظم ذنباً من رسول الله، سفه أحلامهم ونبد آلهتهم. فلما فتح الله عليه صار ذنبه مغفوراً بظهوره عليهم^١

٦٤ (٢) - «قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ»^٢.

قال الزجاج: أي لم أؤمر بحربكم^٣ ومن ثمّ فهي منسوخة بآية السيف^٤.

قلت: نفي للمسؤولية خارج إطار التبليغ، فليس عليه السلام مسؤولاً عن التأثير والقبول.

٦٥ (٣) - «وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ»^٥ رخص للمؤمنين في

مجالسة المشركين كما في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام^٦.

قال ابن جريج: نسختها «فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ»^٧.

قلت: ليس هذا نسخاً مصطلحاً، لأنّ المنسوخ لم يكن حكماً تشريعياً جاءت به

الشريعة ثمّ تنسخه. بل كانت مجالسة المؤمنين إلى المشركين باقية على إباحتها الأصلية،

لم يرد بها نهى عندما نهى النبي صلى الله عليه وآله بالخصوص.

نعم أوهم نهى النبي صلى الله عليه وآله تعميماً في الحكم، فتحرّج المؤمنون عن مجالسة المشركين

وذلك عندما نزلت: «وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي

حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»^٨ نهى موجه

إلى النبي صلى الله عليه وآله خاصة فزعمه المؤمنون من باب «إِيَّاكَ أَعْنِي واسمعي يا جارة» قالوا: كيف

نصنع إن كان كلّما استهزأ المشركون بالقرآن قمنا وتركناهم فلا ندخل إذن المسجد الحرام

ولا نطوف بالبيت؟!

فنزلت: «وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» أي

٢ - الأنعام ٦: ٦٦.

١ - الصافي في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٥٧٨.

٤ - الناسخ والمنسوخ لابن العناتقي، ص ٢٠١.

٣ - مجمع البيان، ج ٤، ص ٣١٦.

٦ - مجمع البيان، ج ٤، ص ٣١٦.

٥ - الأنعام ٦: ٦٩.

٨ - الأنعام ٦: ٦٨.

٧ - النساء ٤: ١٤٠. راجع: الدر المنثور، ج ٣، ص ٢١.

هذا النهي لا يمتكّم، ولستم بمسؤولين عن عمل المشركين، ولكن إذا قعدتم إليهم أو التقيتم بهم فنصحاً ووعظاً لعلهم يرشدون.

إذن كان المؤمنون من ناحية مجالسة المشركين على الإباحة الأولى. وعليه فالنهي في سورة النساء: ١٤٠ هو أول تشريع جاء بهذا الصدد، لانسح لتشريع سابق.

٦٦ (٤) - «وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِبَآءٍ وَهُوَ»^١.

قال قتادة: منسوخة بآية السيف.

وقال مجاهد: ليست بمنسوخة، وإنما هي تهديد ووعيد.^٢

٦٧ (٥) - «ثُمَّ ذَرِهِمْ فِي خَوْضِهِمْ يُلْعَبُونَ»^٣.

قال ابن حزم: نسختها آية السيف.

قال الطبرسي: ليس هذا على إباحة ترك الدعاء والإنذار، بل على ضرب من التوعّد والتهديد.^٤

٦٨ (٦) - «فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ»^٥.

قال الطبرسي: وهذا قبل الأمر بقتالهم، فلمّا أمر بالقتال صار حفيظاً عليهم ومسيطرًا

على كلّ من تولّى.^٦

قلت: إذا كانت الآية بصدد نفي مسؤولية النبي ﷺ عن القبول والتأثير، فالآية غير

منسوخة بآية السيف. وقد تقدّم نظير ذلك.

٦٩ (٧) - «وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ»^٧.

قال ابن عباس: نسختها آية السيف.

قال الطبرسي: قيل معناه أهجرهم ولا تخالطهم ولا تلاطفهم، ولم يرد به الإعراض

عن دعائهم إلى الإسلام. فحكمه ثابت غير منسوخ.^٨

٢ - مجمع البيان، ج ٤، ص ٣١٨.

٤ - مجمع البيان، ج ٤، ص ٣٣٣.

٦ - مجمع البيان، ج ٤، ص ٣٤٦.

٨ - مجمع البيان، ج ٤، ص ٣٤٦.

١ - الأنعام: ٧٠.

٣ - الأنعام: ٩١.

٥ - الأنعام: ١٠٤.

٧ - الأنعام: ١٠٦.

٧٠ (٨) - «وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ»^١.

قيل: نسختها آية السيف. وقد مرّ الكلام في نظيرتها برقم ٦٨.

٧١ (٩) - «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ»^٢.

قال ابن حزم: نسختها آية السيف.^٣

قلت: بل هي محكمة مادام التعليل قائماً. فإنه تسبیب في هتك مقدّسات الدين وهو حرام مع الأبد.

٧٢ (١٠) - «فَذَرُّهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ»^٤.

قال ابن حزم: نسختها آية السيف.

قال الطبرسي: هي كما قال: اعملوا ما شئتم، تهديد لا ترخيص.^٥

٧٣ (١١) - «وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ»^٦.

قال ابن حزم: نسختها «وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ»^٧.

قلت: على فرض التسليم فهو تخصيص لانسح، لأن الآية الأولى حرّمت ذبائح الكفار من مشركين وأهل كتاب. وهذه الآية الثانية أحلت ذبائح أهل الكتاب فقط. فهو استثناء من ذلك العموم و تخصيص فيه، لانسح.^٨

وأما على مذهبن فالآية باقية على أحكامها. ولا تحلّ ذبائح الكفار إطلاقاً من غير استثناء. وكذا لو ترك الذابح المسلم التسمية قصداً فإنّ ذبيحته محرّمة عندنا أيضاً وفق نصّ الآية الكريمة.^٩

ثم إنّ الطعام في آية المائدة ليس نصاً في الذبيحة - وإن فسّرتة بذلك جماعة - بل وكلّ ما يتناول من الغذاء، ولعلّ الآية ترخيص في تناول ما يهيئه أهل الكتاب من أنواع الأغذية، وربّما تحرّج المسلمون عن تناولها خشية نجاستها عندما يعالج تهيئتها أو طهيها

١ - الأنعام ٦: ١٠٧.

٢ - الأنعام ٦: ١٠٨.

٣ - رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٧٦.

٤ - الأنعام ٦: ١١٢.

٥ - مجمع البيان، ج ٤، ص ٣٥٣.

٦ - الأنعام ٦: ١٢١.

٧ - المائدة ٥: ٥.

٨ - راجع: بداية المجتهد، ج ١، ص ٤٧١.

٩ - راجع: وسيلة النجاة لآية الله الإصهاني، ج ٣، ص ٣٩ و ٤٢.

من لا يتقيد بأحكام الإسلام. فجاءت الآية بالترخيص، نظراً لأصالة الطهارة في الأشياء
صالم يعلم نجاستها يقيناً.

وبذلك يفتي فقهاؤنا في جميع ما يستجلب من بلاد الكفر من الأدوية والأغذية غير
الذبائح.

والطعام في اللغة: الحبوب، وقد يختص بالبرّ (الحنطة). فقد روى أبو سعيد «أن
النبي ﷺ أمر بصدقة الفطر صاعاً من طعام أو صاعاً من شعير». ^١ هذا ولم يعهد استعمال
الطعام في نفس الذبيحة.

٧٤ (١٢) - «قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ
عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ». ^٢
قال ابن حزم: إنها منسوخة بآية السيف.

قلت: إنه أكبر تهديد موجه إلى المشركين، فكيف يكون منسوخاً؟
٧٥ (١٣) - «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ
ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ». ^٣

قال الكلبي: يعني لست مأموراً بقتالهم حينئذٍ في شيء. ومن ثم نسختها آية
السيف. ^٤

قلت: الآية تهديد لاذع بالمشركين بمستقبل سيئ، وتبرئة لساحة قدس الرسالة عن
أن تكون على شاكلة هؤلاء الخبثاء أو من جنسيتهم اللئيمة، وكناية عن لزوم ابتعاد
مخالطتهم ومقاربتهم خارجاً عن سبيل الدعوة.

من سورة الأعراف - آيتان

٧٦ (١) - «وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ» ^٥.

٢ - الأنعام ٦: ١٣٥.

٤ - مجمع البيان، ج ٤، ص ٣٦٨.

١ - المفردات للراغب، ص ٣٠٤.

٢ - الأنعام ٦: ١٥٩.

٥ - الأعراف ٧: ١٨٠.

قال ابن حزم: نسختها آية السيف.

قلت: هي تهديد صارم.

٧٧ (٢) - «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ»^١.

قال السدي: نسختها آية الزكاة وآية القتال: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا»^٢.

والصحيح أن الآية محكمة، تأمر بمكارم أخلاق هي من المثل العليا في الإسلام. إنه أدب كريم في معاملة الناس ومعاملة الجاهلين. وقد فسّره جبرائيل للنبي ﷺ فقال: يا محمد إن الله يأمرك أن تغفو عمّن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك^٣.

وقال النبي ﷺ: ألا أدلكم على مكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة، فذكر مثل ذلك، ثم تلا هذه الآية^٤.

والآية نظيرة قوله تعالى: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالنِّبَاتِ هِيَ أَحْسَنُ»^٥.

من سورة الأنفال - ست آيات

٧٨ (١) - «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ»^٦.

فسّروا الأنفال بغنائم الحرب مطلقاً، ومن ثم قالوا: هي منسوخة بآية الخمس: «وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى»^٧.

فالأية الأولى جعلت الغنائم كلّها لله وللرسول. والثانية خصّصت خمسها فقط، وعمّمت المستحقّ إلى ذوي القربى واليتامى... الخ.

وهذا تفسير خطأ، لأنّ الأنفال غير الغنائم، وهي تخصّ الرسول دون سائر المسلمين. أمّا الغنائم فخمسها للرسول ووصفه والباقي للمحاربين.

٢ - الحج ٢٢: ٣٩. راجع: الدر المنثور، ج ٣، ص ١٥٤.

١ - الأعراف ٧: ١٩٩.

٤ - الدر المنثور، ج ٣، ص ١٥٤.

٣ - مجمع البيان، ج ٤، ص ٥١٢.

٦ - الأنفال ٨: ١.

٥ - النحل ١٦: ١٢٥.

٧ - الأنفال ٨: ٤١. راجع: روح المعاني، ج ٩، ص ١٤٢-١٤٣.

والأنفال - على ما في تفسير أهل البيت - كل ما أخذ من دار الحرب بغير قتال، وكل أرض انجلى أهلها عنها بغير قتال - وهو المعروف عند الفقهاء بالفية - كذلك ميراث من لا وارث له. وقطائع الملوك من غير غصب. والآجام وبطون الأودية والأرضون الموات. ونحو ذلك.^١

والغنائم: ما أخذ من معسكر العدو بعد هزيمتهم، من المنقول نقوداً وأمتعة. أو أخذ من دار الحرب - من المنقول - بعد الاستيلاء عليها بقتال.

فآية الأنفال تعني شيئاً وآية الغنيمة تعني شيئاً آخر. فلانسح حينئذ.

٧٩ (٢) - «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ».^٢

قال ابن حزم: نسختها الآية بعدها: «وَمَا لَهُمْ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ».^٣

قلت: الآية الأولى نزلت جواباً عن تحدّي المشركين «إِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ».^٤

فقد علّلت الآية امتناع نزول العذاب بأمرين - على سبيل مانعة الخلو:

الأول: وجود النبي ﷺ بين أظهرهم، وجوده ﷺ رحمة تمنع نزول العذاب.

الثاني: وجود من يستغفر من مؤمني قريش في مكة، فإنّ المؤمن لا يعذب بعذاب المشركين.

فهم مأمونون عن العذاب في ظلّ هذين أو أحدهما.

والآية الثانية أوضحت استحقاق المشركين - في حدّ ذاتهم - لنزول العذاب عليهم، بسبب ما يقومون من أعمال اعتدائية ظالمة.

فهم في حدّ ذاتهم مستحقّون للعذاب لولا الأمانان. إذن فالآية الثانية ذكرت أصل

١ - مجمع البيان، ج ٤، ص ٥١٧؛ والشافعي في تفسير القرآن، ج ١، ص ٦٣٦؛ وراجع: وسائل الشيعة، ج ٦، ص ٣٦٤.

٢ - الأنفال ٨: ٣٤.

٣ - الأنفال ٨: ٣٣.

٤ - الأنفال ٨: ٣٢.

الاستحقاق والاقتضاء. والآية الأولى ذكرت المانع من النزول، جواباً للتحدي المذكور. ومن ثم لما هاجر النبي ﷺ من مكة، وهاجر المؤمنون، ارتفع الحاجر ونزل العذاب على المشركين بأيدي المؤمنين، وعمهم الخزي والفضيحة والعار. وعليه فالآية محكمة وعامة وجارية من الأبد: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «كان في الأرض أمانان من عذاب الله وقد رفع أحدهما فدونكم الآخر. فتمسكوا به - وقرأ الآية -»^١.

٨٠ (٣) - «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ»^٢. قال ابن حزم: نسختها الآية بعدها: «وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ»^٣.

قلت: الآية الأولى تعني الانتهاء عن الكفر والإشراك بقبول الإسلام، وهذا المعنى غير منسوخ قطعاً، فإن الإسلام يجب ما قبله، ولا يجوز قتال من اعتنق الإسلام وتاب إلى الله. فالأمر بالقتال في الآية الثانية إنما هو في صورة عدم الانتهاء وعدم التوبة. ٨١ (٤) - «وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا»^٤.

قال الحسن وقتادة: إنها منسوخة بآية السيف وآية القتال^٥. قال الطبرسي: آيتا التوبة نزلتا في سنة تسع. وقد صالح رسول الله ﷺ وفد نجران بعدها. الأمر الذي يدل على أن آية السلم غير منسوخة بهاتين^٦. وعلق الشعراني على كلام الطبرسي هذا - بأن النبي ﷺ عاقد وفد نجران على قبول الذمة، وليس هذا صلحاً.

قلت: قد سبق أن تشريع القتال اجتاز مراحل، نسخت كل تالية سابقتها، وفي رسالة النعماني: أن التي نسختها هي قوله: «فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكُمُ أَغْمَالُكُمْ»^٧.

٢ - الأنفال ٨: ٣٨.

١ - مجمع البيان، ج ٤، ص ٥٣٩.

٣ - الأنفال ٨: ٣٩. راجع: رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٧٧.

٥ - التوبة ٩: ٥ و ٢٩.

٤ - الأنفال ٨: ٦١.

٧ - محمد ٤٧: ٣٥. راجع: البحار، ج ٩٣، ص ٧.

٦ - مجمع البيان، ج ٤، ص ٥٥٥.

٨٢ (٥) - «إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ».^١

نسختها الآية بعدها: «الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ»^٢ وقد تقدّم ذلك برقم ٢ فيما اخترناه من النسخ.

٨٣ (٦) - «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ».^٣

نسختها: «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ».^٤

وقد تقدّم الكلام في ذلك وأنه لانسح هنا.

من سورة التوبة - ثماني آيات

٨٤ (١) - «فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ».^٥

قال ابن حزم: نسختها «فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ».^٦

قلت: من شرط النسخ أن لا يكون الحكم المنسوخ محدوداً أو مشروطاً. ينتهي بانتهاؤه أمدّه، أو ينتفي بانتفاء شرطه.

٨٥ (٢) - «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ».^١

قال ابن العنّاقى: نسختها «فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ» قال: وهذا من عجائب القرآن، إذ آية السيف تنسخ مائة وأربعاً وعشرين آية، ثم هي تنسخ بذيلها.^٧

قلت: إذا اختلف الشرط وتبدّل الموضوع فلا نسخ حينذاك.

١ - الأنفال ٨: ٦٥.

٢ - الأنفال ٨: ٦٦.

٣ - الأنفال ٨: ٧٢.

٤ - الأحزاب ٣٣: ٦.

٥ - التوبة ٩: ٢.

٦ - التوبة ٩: ٥.

٧ - التوبة ٩: ٥.

٧ - رسالة الناسخ والمنسوخ لابن العنّاقى، ص ٢٠٥.

٨٦ (٣) - «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^١.

قال ابن حزم: نسختها آية الزكاة الواجبة.

قلت: لامنافاة بين تحريم كنز المال دون تصريفها وإنفاقها، ووجوب الزكاة عند توفر شروطها، فإذا كان المقصود بسبيل الله هو الجهاد المقدس فالإنفاق في سبيله فرض واجب على المتمكّنين الأثرياء، مستقلاً عن وجوب الزكاة، التي يجب صرفها على الفقراء وفي المصالح العامة.

٨٧ (٤) - «إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً»^٢.

قال ابن حزم: نسختها «وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً»^٣.

قلت: الآية الأولى تشريع يوجب أصل النفر. والآية الثانية تقييد في كَيْفِيَّتِهِ وتخصيص في عمومته، من غير نسخ.

٨٨ (٥) - «عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ»^٤.

فزعها منسوخة بقوله: «فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنُ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ»^٥ في حين أن آية النور نزلت قبل آية التوبة بأعوام. وليته - وهو يحاول تكثير جانب النسخ هنا - عكس القضية.

والتحقيق: أن مورد آية التوبة يختلف عن مورد آية النور اختلافاً كلياً، وذلك: أن آية النور تصف اجتماع المؤمنين والتفافهم حول رسول الله ﷺ لا يفارقونه فيما يهمّ من أمور عامة، اللهم إلا عرضت لهم عارضة فيستأذنون النبي ﷺ في ترخيص معالجتها، فأمره الله بالإذن لهم:

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنُ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ».

٢ - التوبة ٩: ٣٩.

١ - التوبة ٩: ٣٤.

٤ - التوبة ٩: ٤٣.

٣ - التوبة ٩: ١٢٢.

٥ - النور ٢٤: ٦٢. راجع: رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٧٩.

فموضوع الترخيص استئذان المؤمنين حقاً.

وأما آية التوبة فتعني أولئك المنافقين المتعنتين، كانوا يلتمسون المعاذير للفرار عن

الزحف:

«لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ».

«عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ».

«لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ. إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ».

«وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ

الْقَاعِدِينَ»^١.

«وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ»^٢.

«وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ»^٣.

هذه جملة الآيات، ليستبين منها الباحث مدى ما بين موردها ومورد آية النور من

اختلاف.

ولعلَّ النبي ﷺ أذن لبعضهم استناداً إلى الاختيار الذي خوله الله في آية النور، جرياً على ظاهر إسلامهم. فجاءته آية التوبة معاتبة في عتاب لطيف، بدأتها بالعفو والسماح ثم العتاب الودّي الرقيق. وموضحة أن مورد الإذن المجاز غير هؤلاء الذين «مَرَدُّوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ»^٤.

فليس هنا نسخ البتة. وإنما هو تنبيه على تشابه حصل في تطبيق حكم على غير

مورده اللائق.

٢ - التوبة ٩: ٤٩.

١ - التوبة ٩: ٤٢-٤٦.

٤ - التوبة ٩: ١٠١.

٣ - التوبة ٩: ٥٦.

٨٩ (٦) - «اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ».^١

قال ابن حزم: منسوخة بآية «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ

لَهُمْ».^٢

ولعله نظر إلى ما ورد من قوله ﷺ: سأزيده على السبعين^٣ فنزلت الثانية بعدم جدوى الاستغفار للكفار إطلاقاً. غير أن الأحاديث بذلك مضطربة ولا مستند صحيحاً لها عندنا. وحاشا النبي ﷺ وهو من صميم العرب، أن يأخذ من عدد السبعين في أمثال هذا الكلام خصوصية العدد، دون المبالغة في الكثرة!

والتحقيق: أن الآية الأولى إخبار بصورة الطلب، كقول كثير عزة: «أسيئي بنا أو أحسنني لاملومة». أي سواء أسأت أم أحسنت. فكانت الآية الأولى كالثانية من غير فرق، فلا اختلاف ولا نسخ.^٤

٩٠ (٧) - «الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ».^٥

٩١ (٨) - «وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الدَّوَائِرَ».^٦

قال ابن حزم: نسختها «وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ».^٧

أقول: هذا استثناء وتخصيص بعد تعميم. فالأعراب بنوعيتهم أهل كفر ونفاق، إلا البعض ممن اهتدى إلى الإيمان والإسلام. وهذا لا يمس باب النسخ بشيء.

من سورة يونس - ثماني آيات

٩٢ (١) - «إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ».^٨

٢ - المنافقون ٦٣: ٦.

١ - التوبة ٩: ٨٠.

٣ - راجع: صحيح البخاري، ج ٦، ص ٨٥.

٤ - راجع: مجمع البيان، ج ٥، ص ٥٥؛ والكشاف - الهامش - ج ٢، ص ٢٩٥.

٦ - التوبة ٩: ٩٨.

٥ - التوبة ٩: ٩٧.

٨ - يونس ١٠: ١٥.

٧ - التوبة ٩: ٩٩.

قال ابن حزم: نسختها «لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ».^١
وقد تقدّم: أَنَّ الذنب في آية الفتح يراد به الخروج على عادات الناس وأعرافهم، فإنه يغفر بالظفر وتحقق الأهداف الإصلاحية التي يحاولها المصلح الموفق. وأين ذا وعصيان الله تعالى في آية يونس، مراداً به مخالفة الوحي ومتابعة أهواء الناس.
ومن المحتم أنه ﷺ - في الفرض المحال - لو خان ربه وبدّل القرآن حسب أهواء المشركين لم يكن يغفر الله له ذلك أبداً. ونحن نستغرب كيف وهم ابن حزم في شمول المغفرة لمعصية فيها تبديل كلمات الله وتحريف شريعته؟!

٩٣ (٢) - «فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ».^٢

قال ابن حزم: نسختها آية السيف.

قلت: الآية تهديد بعذاب عاجل. فهو تمهيد لآية السيف، فكيف تنسخ بها؟

٩٤ (٣) - «وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ».^٣

قال: نسختها آية السيف.

قال الطبرسي: لامنافاة بين الآيتين، لأنّ هذه براءة ووعيد. وهي لاتنافي الجهاد.^٤

٩٥ (٤) - «وَأَمَّا نُرْيِكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعُكَ فَاِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ».^٥

قيل: هي وعد للنبي ﷺ بالانتقام من عدوّه إمّا في حياته أو بعد وفاته، من غير

تحديد بوقت. ومن ثمّ فهي منسوخة بآية الفتح وآية السيف.^٦

قلت: الوفاء بالوعد ليس نسخاً.

٩٦ (٥) - «أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ».^٧

قال ابن العنّاقى: نسختها آية السيف.

قلت: الآية تسلية للنبي ﷺ وتأيس كما في نظائرها: «لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ».^٨ «وَمَا

٢ - يونس ١٠: ٢٠.

١ - الفتح ٤٨: ٢.

٤ - مجمع البيان: ج ٥، ص ١١١.

٣ - يونس ١٠: ٤١.

٦ - رسالة الناسخ والمنسوخ لابن العنّاقى، ص ٢٠٧.

٥ - يونس ١٠: ٤٦.

٨ - الغاشية ٨٨: ٢٢.

٧ - يونس ١٠: ٩٩.

أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ مُؤْمِنِينَ»^١ «فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ»^٢.

٩٧ (٦) - «قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ»^٣.

قال: نسختها آية السيف. قلت: هي تهديد ووعد شديد، تمهيداً لنزول السيف.

٩٨ (٧) - «وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ»^٤.

قال ابن حزم: نسختها آية السيف.

قلت: قد سبق أن أمثال الآية تعني محدودية مسؤولية الرسول بالإبلاغ والإنذار، أما

التأثير والقبول، فهذا شيء خارج عن إطار مسؤوليته ﷺ.

٩٩ (٨) - «وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ»^٥.

قال ابن العناتقي: نسختها آية السيف^٦.

قلت: إنها تصبير للنبي ﷺ ووعد له بالنصر، كما هو وعيد للمشركين. والصبر شيمة

الأنبياء، وكانت آية السيف بالنسبة إلى هذه تحقيقاً للوعد. والوفاء بالوعد ليس نسخاً.

من سورة هود - أربع آيات

١٠٠ (١) - «إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ»^٧.

قال: نسختها آية السيف. قلت: هي أيضاً تحديد للمسؤولية في التبليغ دون التأثير.

١٠١ (٢) - «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا

يُبْخَسُونَ»^٨.

قال ابن حزم: نسختها «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ»^٩.

قلت: الآية الثانية تخصص الأولى وتقيدها بما يتوافق والمصلحة التي يراها الله.

١ - يوسف ١٢: ١٠٣.

٢ - فاطر ٣٥: ٨.

٣ - يونس ١٠: ١٠٢.

٤ - يونس ١٠: ١٠٨.

٥ - يونس ١٠: ١٠٩.

٦ - رسالة الناسخ والمنسوخ لابن العناتقي، ص ٢٠٧.

٧ - هود ١١: ١٢.

٨ - هود ١١: ١٥.

٩ - الإسراء ١٧: ١٨.

فليس كل من يريد الدنيا حصل عليها. وقد سبق أن التخصيص غير النسخ.

١٠٢ (٣) - «وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ».^١

قال ابن حزم: نسختها آية السيف.

قلت: سبق أنها تهديد ووعد تمهيداً للجهاد.

١٠٣ (٤) - «وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ».^٢

قال: نسختها آية السيف. لكنّها كسابقتها غير منسوخة.

من سورة الرعد - آيتان

١٠٤ (١) - «وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ».^٣

قال ابن حزم: الظلم - هنا - الشرك. ومن ثمّ فالآية منسوخة بقوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ

لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ».^٤

قلت: الظلم مطلق العصيان، فهو ظلم على النفس بحرمانها سعادة الطاعة وظلم على

الله بكفران نعمه. لكنّه تعالى واسع المغفرة: إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً ما عدا شركاً يموت

عليه الكافر. فهو تخصيص لانسخ.

١٠٥ (٢) - «فَأِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ».^٥

قال: هي منسوخة بآية السيف.

لكنّها تحديد لمسؤولية الرسول في التبليغ دون التأثير. وقد سبق ذلك.

من سورة إبراهيم - آية واحدة

١٠٦ - «وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ».^٦

٢ - هود ١١: ١٢٢.

٤ - النساء ٤: ٤٨.

٦ - إبراهيم ١٤: ٣٤.

١ - هود ١١: ١٢١.

٣ - الرعد ١٣: ٦.

٥ - الرعد ١٣: ٤٠.

قال ابن زيد: منسوخة بقوله تعالى: «وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ»^١.

قال ابن حزم: لكن جمهور المفسرين على أنها محكمة^٢ إذ لا منافاة بين ظلم العباد وغفران المولى تعالى.

من سورة الحجر - خمس آيات

١٠٧ (١) - «ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ»^٣.

قال ابن حزم: نسختها آية السيف.

لكنه تهديد بمستقبل أسود، وليس معناه ترك الدعاء إلى الإسلام. وقد مرّ نظيره.^٤

١٠٨ (٢) - «فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ»^٥.

قال مجاهد: منسوخة بآية القتال.^٦

١٠٩ (٣) - «لَا تَمْدَنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ»^٧.

قال ابن حزم: نسخت بآية السيف.

لكنه نهى أن يحفل الرسول ﷺ بما أعطى الله من يريد امتحانه وابتلائه، وهذا معنى لا يقبل نسخاً أبداً.

١١٠ (٤) - «وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ»^٨.

قال: نسختها آية السيف.

قلت: إثبات النذارة لا يستدعي نفي ماعداها، فلا تنافي بينها وبين تشريع الجهاد.

١١١ (٥) - «وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ»^٩.

٢ - رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٨١.

٤ - الأنعام ٦: ٩١. برقم ٦٧.

٦ - الحج ٢٢: ٣٩. وقد سبق ذلك في آيات الصّفْح برقم ٦.

٨ - الحجر ١٥: ٨٩.

١ - النحل ١٦: ١٨.

٣ - الحجر ١٥: ٣.

٥ - الحجر ١٥: ٨٥.

٧ - الحجر ١٥: ٨٨.

٩ - الحجر ١٥: ٩٤.

قال الطبرسي: أي لا تخصمهم حتى تؤمر بقتالهم^١ وهي من آيات الصفح المنسوخة بالنسخ المشروط.

من سورة النحل - خمس آيات

١١٢ (١) - «تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا».^٢

روى العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام: أنها نزلت قبل تحريم الخمر، ثم نسخت بآية التحريم.^٣

والآية توطئة لتحريم الخمر، لأنها تلميح إلى أن الرزق الحسن غير الخمر، والخمر ممّا حرّمت بصورة تدريجيّة في أربعة مواقف انتهت إلى آية المائدة. والتشريع التدريجي يستدعي نسخ كلّ مرتبة تالية لمرتبة سابقة. وهذا ليس من النسخ المصطلح، إذ لم تكن المرحلة السابقة مرحلة ترخيص لتتبدّل إلى تحريم بل توطئة وتمهيد لهذا التحريم النهائي. ومن ثمّ قال المحدث الفيض: ومعنى النسخ هنا نسخ السكوت، حيث لم تكن الخمر حلالاً في وقت.^٤

١١٣ (٢) - «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ».^٥

قال ابن حزم: نسخت بآية السيف.

وقد سبق مكرراً أنها تسلية للنبي صلى الله عليه وآله بأنه ليس مسؤولاً عن تأثير الدعوة، فلا عتب عليه ولا لوم في إعراض قريش عن قبول الإسلام. وليس في الآية دلالة على منع التعرّض لهم بالخصومة.

١١٤ (٣) - «مَنْ كَفَرَ بِاللّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ».^٦

قال: نسختها «إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» في ذيل الآية.

٢ - النحل ١٦: ٦٧.

١ - مجمع البيان، ج ٦، ص ٣٤٦.

٣ - المائدة ٥: ٩١. راجع: تفسير العياشي، ج ٢، ص ٤٢٦٣ - الصافي في تفسير القرآن، ج ١، ص ٩٣٠.

٦ - النحل ١٦: ١٠٦.

٥ - النحل ١٦: ٨٢.

وهذا عجيب من مثل ابن حزم، لأنَّ المستثنى والمستثنى منه كلام واحد، ولا معنى لنسخ المستثنى للمستثنى منه. فإنَّه تخصيص.

على أنَّ الاستثناء هنا منقطع، لأنَّ موضوع الحكم أولاً هو الكفر بالله حقيقة. وموضوع الحكم الثاني هو الكفر بالله ظاهرياً، فهو استثناء على حسب ظاهر الكلام. وعلى أيِّ تقدير فإنَّ الحكم الأول لم ينسخ.

١١٥ (٤) - «وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»^١.

١١٦ (٥) - «وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ»^٢.

قال ابن حزم: نسختها آية السيف.

قلت: المجادلة بالطريقة الحسنى، والصبر في سبيل أداء الرسالة، هما من أوليات واجب الرسول «وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ»^٣. الأمر الذي لا يقبل النسخ أبداً.

من سورة الإسراء - ثلاث آيات

١١٧ (١) - «وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا»^٤.

قال ابن حزم: إنَّ جانباً من هذه الآية منسوخ بقوله تعالى: «مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى»^٥.

وهذا تخصيص لانسخ.

١١٨ (٢) - «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا»^٦.

قال: نسختها آية السيف.

قلت: قد سبق أنَّها تسلية للنبيِّ وتحديد لمسؤوليته ﷺ.

٢ - النحل ١٦: ١٢٧.

٤ - الإسراء ١٧: ٢٤.

٦ - الإسراء ١٧: ٥٤.

١ - النحل ١٦: ١٢٥.

٣ - آل عمران ٣: ١٥٩.

٥ - التوبة ٩: ١١٣.

١١٩ (٣) - «أَيَّ مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى».^١

قال نسختها «وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ».^٢
قلت: لامنافاة بين الآيتين، فإن الأولى ترخيص في تسميته تعالى - عند الدعاء -
بأي أسمائه الحسنَى. والثانية تشترط أن يكون الدعاء بتضرّع وخيفة فهي قيد للأولى
لأناسخة.

ففي سورة الإسراء: «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَانَ أَيَّ مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى
وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا».
وفي سورة الأعراف: «وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ
بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ».

من سورة الكهف - آية واحدة

١٢٠ - «فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ».^٣

قال السدّي: إنها منسوخة بقوله تعالى: «مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ».^٤
قلت: أولاً: إن آية الكهف تهديد لاذع، وليس تعليقاً على مشيئة المكلف. نظراً
لتعقيبه بقوله: «إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ
يَشْوِي الْوُجُوهُ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا».

وثانياً: إن التعليق على مشيئة الله في آية الأنعام يراد به الإلجاء والإكراه تيئيساً
للنبي عن تأثير الدعوة فيهم، وهي قضية خاصة معهودة، وليست بعامة، يقول تعالى: «وَلَوْ
أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ
يَشَاءَ اللَّهُ» أي إلا أن يجبرهم على الإيمان، وإلا فهم حسب اختيارهم لا يؤمنون أبداً.^٥

٢ - الأعراف ٧: ٢٠٥.

١ - الإسراء ١٧: ١١٠.

٣ - الكهف ١٨: ٢٩.

٤ - الأنعام ٦: ١١١. راجع: رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٨٣.

٥ - راجع: مجمع البيان، ج ٤، ص ٣٥١.

من سورة مريم - أربع آيات

١٢١ (١) - «وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ»^١.

قال ابن حزم: نسختها آية السيف.

قلت: لا منافاة بين وجوب الإنذار أولاً ثم وضع السيف فيهم.

١٢٢ (٢) - «فَسَوْفَ يُلْقَوْنَ غَيًّا»^٢.

قال: نسخها الاستثناء «إِلَّا مَنْ تَابَ»^٣.

قلت: في الاستثناء يتبدل الموضوع، وبذلك ينتفي شرط تحقق النسخ.

١٢٣ (٣) - «قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا»^٤.

قال: نسختها آية السيف.

قلت: الآية تعني الاستدراج بالكافر المعاند، مضافاً إلى كونها تهديداً صريحاً

بالاستئصال، وبقية الآية: «حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَائُودُونَ إِمَّا الْعَذَابَ» وهو الاستئصال على

أيدي المؤمنين «وَأَمَّا السَّاعَةُ» - أي عذاب الآخرة فيما إذا ماتوا على إثر ظفر المؤمنين

بهم «فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا».

وهذا التهديد بهذا الأسلوب الصارم توطئة للأمر بقتالهم المباشر قريباً، فهو إيذان

بالقتال لا منسوخ به.

١٢٤ (٤) - «فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعِدُّهُمْ عِدًّا»^٥.

قال ابن حزم: نسختها آية السيف.

قلت: هي كالآية السابقة تهديد بقتال مباشر قريب.

من سورة طه - ثلاث آيات

١٢٥ (١) - «وَلَا تَعْجَلِ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ»^٦.

٢ - مريم ١٩: ٥٩.

٤ - مريم ١٩: ٧٥.

٦ - طه ٢٠: ١١٤.

١ - مريم ١٩: ٣٩.

٣ - مريم ١٩: ٦٠.

٥ - مريم ١٩: ٨٤.

قيل: كان النبي ﷺ يملئ بالقرآن على أصحابه فور نزوله قبل الانتهاء منه، حرصاً على التبليغ وخوفاً من النسيان. فجاءت الآية تؤيِّبه على ذلك، وهكذا قوله: «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ»^١. قالوا: غير أن هذه الآيات لم تؤمِّن عليه الحفظ، فلم يزل ﷺ يخشى النسيان، فكان يتعب نفسه الشريفة في حفظ ما ينزل عليه من القرآن. خوف أن يصعد جبرائيل وقد نسي شيئاً ممَّا نزل به.

كذا روي عن السدي^٢ حتى نزلت: «سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى»^٣ فزال قلقه ﷺ. قال ابن حزم: فكانت هذه الأخيرة ناسخة للأولتين، لكن نسخاً معنوياً، أي أزال سبب خوفه ﷺ ممَّا لم تزل الآيتان بصراحة^٤.

قلت: سورة الأعلى من أوليات ما نزل بمكة، ولعلها السورة الثامنة في ترتيب نزولها. وأمَّا سورة طه فنزلت بعد الأربعين^٥. وهكذا سورة القيامة كانت الواحدة والثلاثين. فكيف تكون المتقدِّمة ناسخة للمتأخِّرة؟!

ثم في تعقيب آية طه جاء قوله: «وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً»^٦ ممَّا تؤمِّن عليه الحفظ يقيناً. وهكذا جاء التأمين في سورة القيامة.

والظاهر: أن الآيات الثلاث تعني شيئاً واحداً. وجاءت كل واحدة مؤكدة للأخرى مؤمنة على النبي ﷺ ما كان يخشاه الأمر الذي يشي بمبلغ اهتمام النبي ﷺ بهذا القرآن وحرصه على هذا الدين. وأخيراً فقد ارتاح ﷺ عندما نزل «إِنَّا نَحْنُ الذِّكْرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»^٧.

١٢٦ (٢) - «فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ»^٨.

٢ - الدر المنثور، ج ٤، ص ٣٠٩.

١ - القيامة ٧٥: ١٦ - ١٩.

٤ - رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٨٤.

٣ - الأعلى ٨٧: ٦.

٥ - وهي الخامسة والأربعون حسب ترتيب نزولها. راجع: الجزء الأول، قائمة «ترتيب النزول».

٧ - الحجر ١٥: ٩.

٦ - طه ٢٠: ١١٤.

٨ - طه ٢٠: ١٣٠.

١٢٧ (٣) - «قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبِّصُوا».^١

قال ابن حزم: منسوختان بآية السيف.

قلت: الصبر من شيمة الأنبياء لا يزالون عليه مادام الجهل متحكماً في نفوس الأمة. وأما الأمر بالترَبُّص في الآية الثانية فهو تهديد ووعيد. فكلتا الآيتين محكمتان.

من سورة الأنبياء - آيتان

١٢٨ (١) - «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ».^٢

١٢٩ (٢) - «وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ. لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ».^٣

قال ابن حزم: نسختهما «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ».^٤

هذا بناء على شمول الآيتين لمثل عيسى بن مريم وعزير والملائكة الذين عبدتهم الناس جهلاً واتخذوهم أرباباً من عند أنفسهم. وعليه فالآية الأخيرة تخصيص واستثناء لانسح، كما لا يخفى.

لكن الظاهر: أن هذه الآية تعني طائفة المؤمنين، تجاه طائفة المشركين، كما في قوله: «فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ».^٥ وقوله: «فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ. فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ... وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا».^٦

من سورة الحج - خمس آيات

١٣٠ (١) - «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ».^٧

قال ابن العناتقي: منسوخة بآية السيف.^٨ قلت: هي نفي للمسؤولية في خارج إطار

التبليغ.

٢ - الأنبياء ٢١: ٩٨.

١ - طه ٢٠: ١٣٥.

٣ - الأنبياء ٢١: ٩٩-١٠٠.

٤ - الأنبياء ٢١: ١٠١. راجع: رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٨٥.

٦ - هود ١١: ١٠٥-١٠٨.

٥ - الشورى ٤٢: ٧.

٨ - رسالة الناسخ والمنسوخ لابن العناتقي، ص ٢١٣.

٧ - الحج ٢٢: ٤٩.

١٣١ (٢) - «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلَقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ»^١.

قال ابن حزم: نسختها «سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى»^٢.

قلت: سورة الحج مدنيّة. وسورة الأعلى مكّيّة. ولا يجوز أن يتقدّم الناسخ على المنسوخ بعشرات السنين!

والصحيح: أن آية «سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى» وآية «كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ»،^٣ وآية «نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ»،^٤ وآية «وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً»،^٥ كل ذلك دلائل واضحة على عصمة النبي ﷺ من أحابيل إبليس. «وَأَمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ»^٦.

فقد كان النبي ﷺ بنص هذه الآيات في عصمة الله وفي كنفه القويم منذ أن كان بمكة، قبل أن تنزل عليه سورة الحج بالمدينة.

أما آية الحج فتعني محاولة الشيطان بأساليبه الخداعة في انحراف الأمة عن جادة الهدى وانقلابهم على أعقابهم بعد وفاة الرسول ﷺ كما جاءت الإشارة إليه في سورة آل عمران آية: ١٤٤ والتفصيل نؤجله إلى مجال التفسير.

١٣٢ (٣) - «الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ»^٧.

قال: نسختها آية السيف.

قلت: ليس معنى الآية أنه تعالى لا يحكم عليهم في هذه الدنيا أبداً، ويؤجله إلى يوم القيامة فحسب. ليكون تشريع قتالهم نسخاً لها.

فالحكم الفصل بين المؤمن والكافر يوم القيامة ثابت لامحالة، من غير منافاة لوجوب منابذتهم في هذه الحياة أيضاً.

١٣٣ (٤) - «وَإِنْ جَادُلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ»^٨.

٢ - الأعلى ٨٧: ٦.

٤ - هود ١١: ١٢٠.

٦ - فصلت ٤١: ٣٦.

٨ - الحج ٢٢: ٦٨.

١ - الحج ٢٢: ٥٢.

٣ - الفرقان ٢٥: ٣٢.

٥ - الإسراء ١٧: ٧٤.

٧ - الحج ٢٢: ٥٦.

قال ابن العناتقي: نسختها آية السيف^١ نظراً لأنّ هذا كان قبل الأمر بالقتال.^٢
قلت: كان اليهود أو المشركون يعيرون شريعة الأكل من ذبيحة الهدى، فنزلت «لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٌ. وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ. اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ»^٣
فنهى الله نبيه أن يفتح في وجه خصومه باب المجادلة في أنحاء التشريع، حيث الدين تعبد كَلِّهِ، وما تستطيع البشريّة من الوقوف على أسرار التشريعيّات ولاسيّما في باب العبادات فلكلّ أُمَّة شريعة ومنهاج يسلكونه انقياداً لله، فكما أنّ في شريعة الإسلام أسراراً خافية كذلك في شرائع سلفت، وليس حكم تلك الشرائع بذلك الوضوح الذي تستوضحونه في أحكام الإسلام.

فأمر النبي ﷺ في مواصلة دعوته، غير آبه بتغيير خصومه، مادام مستيقناً بهدى طريقته المستقيمة. وعليه فالآية محكمة.

١٣٤ (٥) - «وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ»^٤.

قال: نسختها «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ»^٥.

قلت: القدرة شرط عقلي في التكليف، ولا تكليف مع العجز أصلاً. وعليه فلا يعقل أن تكون الآية الأولى أوجبت فوق المستطاع كي تنسخها الآية الثانية، وإنّما الثانية بيان للأولى، وإنّ حقّ الجهاد هي المجاهدة على قدر المستطاع، نهياً عن التواني والتكاسل في أمر الدين، فلاتنافي بين الآيتين أصلاً، وقد سبق نظير هذا الكلام.^٦

من سورة المؤمنون - آيتان

١٣٥ (١) - «فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ»^٧.

١٣٦ (٢) - «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ»^٨.

١ - رسالة الناسخ والمنسوخ لابن العناتقي، ص ٢١٣. ٢ - مجمع البيان، ج ٧، ص ٩٤.

٣ - الحج ٢٢: ٦٧-٦٩.

٤ - الحج ٢٢: ٧٨.

٥ - التغابن ٦٤: ١٦.

٦ - آل عمران ٣: ١٠٢، برقم ٣١.

٧ - المؤمنون ٢٣: ٥٤.

٨ - المؤمنون ٢٣: ٩٦.

قال ابن حزم: نسختها آية السيف.

قلت: أمّا الآية الأولى فتعني الاستدراج بالمعاندين، وهذا تهديد ووعيد بليغ. والآية الثانية تعني المجاملة الحسنة التي هي شيمة خاصّة بالأنبياء ومن يحذو حذوهم من مصلحين محنّكين. بشاهد أنّها جاءت في سورة «فصّلت» قبل نزول سورة «المؤمنون» بزيادة هي توضح هذا المعنى، قال تعالى: «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ»^١.

من سورة النور - ست آيات

١٣٧ (١) - «الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ»^٢.

قال سعيد بن المسيّب: منسوخة بقوله تعالى: «وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ»^٣. وبالإجماع على جواز التزويج والتزوّج بالزاني والزانية - نعم على كراهية في الشريعة -^٤.

قلت: الآية الأولى ليست بصدد تشريع حكم، بل بصدد تفضيع عمليّة الزنا والتشجيع عليها، إنّها فعلة تستبشعها نفسيّة المؤمن الكريمة، ولا يرتكبها من يرتكبها وهو مؤمن، وإنّما هي حالة نفسيّة قذرة بعيدة عن حوزة الإيمان الطاهرة.

وفي ذلك ترغيب بنفوس مؤمنة عن الانسجام مع هذا الصنف المدنّس من الناس، فلا ترغب نفس صالحة في عقد رباط مع نفس خرجت عن وشائج الإيمان بارتكاب هذه الشنعة. فإنّ الطيور على أشكالها تقع.

قال السيد عبدالله شبر: أي الذي من شأنه الزنا لا يرغب فيه الصلحاء، وحرّم ذلك على المؤمنين أي نزّهوا عن الرغبة في نكاح زانية.

وعليه فالآية محكمة. لأنّ من شرط النسخ أن يكون المنسوخ ذاحكاً تشريعي.

٢ - النور ٢٤: ٣.

١ - فصّلت ٤١: ٣٤.

٣ - النور ٢٤: ٣٢. راجع: مجمع البيان، ج ٧، ص ١٢٥. ٤ - وقد أخذ أحمد بن حنبل بظاهر التحريم في الآية.

١٣٨ (٢) - «وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا».^١

قال ابن حزم: نسختها «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا».^٢

وقد سبق أن الاستثناء يغير النسخ.

١٣٩ (٣) - «لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا».^٣

قال ابن حزم: نسختها «لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ

لَكُمْ».^٤

قلت: الموضوع في الآيتين مختلف، والشرط أيضاً مختلف.

١٤٠ (٤) - «وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ

زِينَتَهُنَّ».^٥

قال: نسختها «وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ

يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ».^٦

وهذا تخصيص في الحكم الأول حسب المصطلح.

١٤١ (٥) - «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى

الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ».^٧

قال: نسختها آية السيف.

قلت: الآية بيان لحدود مسؤولية كل من المنذر والمُنذر إليهم، فمسؤوليته في إطار

التبليغ والدعوة الصريحة. ومسؤوليتهم هو القبول والرضوخ للحق. ولا يتحمل أحد تبعة

مسؤولية الآخر. «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى».^٨

١٤٢ (٦) - «لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ».^٩

٢ - النور ٢٤: ٥.

٤ - النور ٢٤: ٢٩.

٦ - النور ٢٤: ٦٠.

٨ - زمر ٣٩: ٧.

١ - النور ٢٤: ٤.

٣ - النور ٢٤: ٢٧.

٥ - النور ٢٤: ٣١.

٧ - النور ٢٤: ٥٤.

٩ - النور ٢٤: ٥٨.

قال: نسختها «وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا».^١
قلت: اختلف الموضوع والشرط فلا نسخ.

من سورة الفرقان - آيتان

١٤٣ (١) - «وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً».^٢

قال ابن حزم: نسختها آية السيف.

قلت: الآية الأولى تعني شيمة الحلم التي يتحلّى بها عباد الرحمان تجاه سفاسف الجاهلين، لا تغيظهم ولا تنزلهم عن مراسخ التؤدة والأتزان وهذا معنى ثابت مع الأبد.

١٤٤ (٢) - «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً».^٣

قال: نسختها «إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً».^٤

قلت: هذا استثناء وتبدّل في الموضوع.

من سورة الشعراء - آية واحدة

١٤٥ - «وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ. وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا

يَفْعَلُونَ».^٥

قال ابن حزم: نسختها «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً».^٦

قلت: اختلف الشرط فلا نسخ.

من سورة النمل - آية واحدة

١٤٦ - «وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ».^٧

قال ابن حزم: نسختها آية السيف وقد سبق أنها تحديد مسؤولية النبي ﷺ في إطار

الدعوة والتبليغ دون القبول والتأثير.

٢ - الفرقان ٢٥: ٦٣.

١ - النور ٢٤: ٥٩.

٤ - الفرقان ٢٥: ٧٠.

٣ - الفرقان ٢٥: ٦٨.

٦ - الشعراء ٢٦: ٢٢٧.

٥ - الشعراء ٢٦: ٢٢٤-٢٢٦.

٧ - النمل ٢٧: ٩٢.

من سورة القصص - آية واحدة

١٤٧ - «وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ

لَا تَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ»^١.

قال ابن حزم: نسختها آية السيف.

قلت: الآية تصف المؤمنين بنعوت هي من سمات العقلاء أبدياً.

من سورة العنكبوت - آيتان

١٤٨ (١) - «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»^٢.

قال قتادة: منسوخة بآية السيف^٣. وقيل بآية قتال أهل الكتاب^٤.

قال الطبرسي: الآية محكمة لأنّ الجدل على الوجه الأحسن هو الواجب الذي

لا يجوز غيره. وقد مرّ نظيره^٥.

١٤٩ (٢) - «وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ»^٦ قال ابن العنّاقى: نسختها آية السيف^٧.

قلت: إنّها تحديد لإمكانات الرسول ﷺ في مجال الدعوة والتبليغ.

من سورة الروم - آية واحدة

١٥٠ - «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لِإِثْمَانٍ»^٨ قال ابن العنّاقى:

نسختها آية السيف.

قلت: الآية تصبير للنبي ﷺ ووعد محتّم بالنصر ووعد للمؤمنين.

١ - القصص ٢٨: ٥٥. ٢ - العنكبوت ٢٩: ٤٦.

٣ - مجمع البيان، ج ٨، ص ٢٨٧.

٤ - التوبة ٩: ٢٩. راجع: رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٨٩.

٥ - المؤمنون ٢٣: ٩٦ برقم ١٣٦. ٦ - العنكبوت ٢٩: ٥٠.

٧ - الناسخ والمنسوخ لابن العنّاقى، ص ٢١٧. ٨ - الروم ٣٠: ٦٠.

من سورة لقمان - آية واحدة^١

١٥١ - «وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُكَ كُفْرُهُ»^٢.

قال ابن حزم: نسختها آية السيف.

قلت: الآية تسلية للنبي ﷺ «فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ»^٣. ووعيد شديد نظراً لتعقيبها بقوله: «مُتَّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ».

من سورة السجدة - آية واحدة

١٥٢ - «فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ»^٤.

قال: منسوخة بآية السيف.

قلت: بل تبئس للنبي ﷺ عن تأثير الدعوة بالنسبة إلى عتاة قريش، كما هي تهديد بعذاب قريب، نظراً لوقوعها بعد قولتهم: «مَتَىٰ هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»^٥.

من سورة الأحزاب - آيتان

١٥٣ (١) - «وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ»^٦.

قال الكلبي: أي كفّ عن أذاهم والتعرّض لهم. وذلك قبل أن يؤمر بقتالهم^٧ فنسخت بتشريع القتال.

قلت: إن كان ثبت الآية حسب ترتيب نزولها في السورة، فهي متأخرة عن تشريع القتال. حيث صدر السورة تفصيل عن وقعة الأحزاب فلعلّ الآية تنويه بسمّة نبويّة مثلى، تجعل من الداعية وسطاً، لا اندماجاً ذائباً مع العامّة، ولا اصطداماً عنيفاً، هذا إذا كانت «الأذى» مضافة إلى المفعول به.

١ - اشتبه على ابن حزم فرعمها من سورة الروم. راجع: رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢ ص ١٨٩.

٢ - لقمان ٣١: ٢٣.

٣ - فاطر ٣٥: ٨.

٤ - السجدة ٣٢: ٢٨.

٥ - مجمع البيان، ج ٨، ص ٣٦٣.

٦ - الأحزاب ٣٣: ٤٨.

٧ - السجدة ٣٢: ٣٠.

وأما إذا كانت مضافة إلى الفاعل فيصير معنى الآية: لا تجاملهم في مداينة، ولا تهتم بدسائسهم الخبيثة، بعد أن ذهب رونقهم وانكسرت شوكتهم. فلا تحفل بموقفهم المتدهور، ولا تبال بشأنهم الخافت، بعد هذا الحين.

١٥٤ (٢) - «لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ»^١.

قال ابن حزم: نسختها الآية قبلها «إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ»^٢. قالت عائشة: لم يمت رسول الله ﷺ حتى أحلّ الله له أن يتزوج من النساء ما شاء^٣. قلت: والأوفق بظاهر التعبير أن تكون هذه الآية (٥٢) ناسخة لآية التحليل (٥٠) لا العكس. وقد اضطربت كلمات المفسرين هنا. كما اختلفت الروايات في سبب النزول وفي تعيين مدلول الآية، وندع التفصيل إلى مجال التفسير.

من سورة سبأ - آية واحدة

١٥٥ - «لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ»^٤.

قال ابن حزم: نسختها آية السيف.

قلت: بل هي كقوله تعالى: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى»^٥.

من سورة فاطر - آية واحدة

١٥٦ - «إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ»^٦.

قال: نسختها آية السيف.

قلت بل هي تسليية وتحديد لمسؤولية النبي ﷺ - كما سبق - وبدليل ما قبلها «وَمَا

أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ» وكذا الآية بعدها «وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ»^٧.

١ - الأحزاب ٣٣: ٥٠.

٢ - سبأ ٣٤: ٢٥.

٣ - فاطر ٣٥: ٢٣.

٤ - الأحزاب ٣٣: ٥٢.

٥ - الدر المنثور، ج ٥، ص ٢١٢.

٦ - الزمر ٣٩: ٧.

٧ - فاطر ٣٥: ٢٥.

من سورة يس - آية واحدة

١٥٧ - «فَلَا يَحْزُنُكَ قَوْلُهُمْ»^١.

قال ابن العناني: نسختها آية السيف^٢. قلت: إنها تسلية للنبي ﷺ وتهديد للمشركين.

من سورة الصافات - أربع آيات

١٥٨، ١٥٩ (٢، ١) - «فَقَوْلٌ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ». «وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ»^٣.

١٦٠، ١٦١ (٤، ٣) - «وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ». «وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ»^٤.

قال ابن حزم: نسخن جميعاً بآية السيف. قلت: بل هنّ تهديد ووعيد، بدليل الآيتين بينهما، «أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ. فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ»^٥.

من سورة ص - ثلاث آيات

١٦٢ (١) - «إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ»^٦.

١٦٣ (٢) - «إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ»^٧.

١٦٤ (٣) - «لَتَعْلَمَنَّ نَبَأُهُ بَعْدَ حِينٍ»^٨.

قال ابن العناني: نسخن بآية السيف^٩.

قلت: أمّا الأولى والثانية فتحديد لإمكانات الرسول في مجال الدعوة. والثالثة تهديد بعذاب قريب، تمهيداً للسيف لا نسخاً به.

من سورة الزمر - سبع آيات

١٦٥ (١) - «إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ»^{١٠}.

١ - يس ٣٦: ٧٦.

٢ - الناسخ والمنسوخ لابن العناني، ص ٢١٩.

٣ - الصافات ٣٧: ١٧٤ و ١٧٥.

٤ - الصافات ٣٧: ١٧٦-١٧٧.

٥ - ص ٣٨: ٦٥.

٦ - ص ٣٨: ٨٨.

٧ - الزمر ٣٩: ٣.

٨ - الناسخ والمنسوخ لابن العناني، ص ٢٢٠.

قال ابن حزم: نسختها آية السيف. قلت: بل الإذن في قتال الكفار هو حكم سوف يحكم به الله. فالآية وعيد بعذاب وغير منسوخة.

١٦٦ (٢) - «قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنَّ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ»^١.

قال: نسختها «لِيَعْفِرَ لَكَ اللَّهُ»^٢. قلت: سبق أن الآية محكمة^٣.

١٦٧ (٣) - «فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ»^٤.

قال ابن حزم: نسختها آية السيف. قلت: الأمر هنا تهديد، وليس ترخيصاً فلا نسخ.

١٦٨ (٤) - «وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ»^٥.

قال: نسختها آية السيف. قلت: بل هو معنى ثابت، وتأسيس عن ثوب الغواة العتاة.

١٦٩ (٥) - «قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ. مَنْ يَأْتِيهِ

عَذَابٌ يُحْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ»^٦.

قال: نسختها آية السيف. قلت: بل هو تهديد صارم - كما سبق -.

١٧٠ (٦) - «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ»^٧.

قال: نسختها آية السيف. قلت: بل هي تحديد لمسؤولية الرسول ﷺ.

١٧١ (٧) - «أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ»^٨.

قال: نسختها آية السيف.

قلت: بل هي تهديد غير مباشر.

من سورة المؤمن - ثلاث آيات

١٧٢ (١) - «فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ»^٩.

٢ - الفتح ٤٨: ٢.

١ - الزمر ٣٩: ١٣.

٤ - الزمر ٣٩: ١٥.

٣ - تقدم الكلام في ذلك برقم ٦٣ و ٩٢.

٦ - الزمر ٣٩: ٣٩ - ٤٠.

٥ - الزمر ٣٩: ٢٣.

٨ - الزمر ٣٩: ٤٦.

٧ - الزمر ٣٩: ٤١.

٩ - المؤمن ٤٠: ١٢.

١٧٣ (٢) - «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ».^١

١٧٤ (٣) - «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ».^٢

قال ابن العناتقي: نسخن جميعاً بآية السيف.

قلت: أمّا الأولى فهي تهديد غير مباشر. وأمّا الأخيرتان فتصبير للنبي ﷺ وتأكيده بوقوع النصر.

من سورة فصلت - آية واحدة

١٧٥ - «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»^٣ قال ابن حزم: نسختها آية السيف. قلت: قد سبق

أنها محكمة.^٤

من سورة الشورى - ثماني آيات

١٧٦ (١) - «وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ».^٥

قال: نسختها آية المؤمن «وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا».^٦

قال الطبرسي في الآية الأولى: أي يستغفرون لمن في الأرض من المؤمنين^٧ وعليه

فلاية الثانية تقييد للأولى، والتقييد غير النسخ.

١٧٧ (٢) - «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ».^٨

قال ابن حزم: نسختها آية السيف. قلت: قد سبق أنها تسلية وتحديد للمسؤولية.

١٧٨ (٣) - «لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا».^٩

قال الطبرسي: هذا قبل أن يؤمر بالقتال.^{١٠} فنسخت بتشريع القتال.

١ - المؤمن ٤٠: ٥٥.
٢ - المؤمن ٤٠: ٧٧.
٣ - فصلت ٤١: ٣٤.
٤ - برقم ١٣٦ و ١٤٨.
٥ - الشورى ٤٢: ٥.
٦ - المؤمن ٤٠: ٧.
٧ - مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٢.
٨ - الشورى ٤٢: ٦.
٩ - الشورى ٤٢: ١٥.
١٠ - مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٥.

قلت: تعني الآية أن لا موقع للاحتجاج بعد وضوح الحق. ومن ثم جاءت الآية التالية «وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ»^١.

١٧٩ (٤) - «مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ»^٢.

قال ابن حزم: نسختها «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا. وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا»^٣.

قلت: الآية الثانية تخصيص في الأولى وتقييد لفحواها، من غير نسخ أصلاً. وقد سبق نظير ذلك^٤.

١٨٠ (٥) - «قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى»^٥.

قال ابن حزم: نسختها «قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ»^٦.

قلت: لا موجب للقول بالنسخ هنا، لأن الآية الثانية لا ترفع شيئاً مما جاءت به الأولى، وإنما تدفع تهمة وجهها المنافقون إلى ساحة النبي ﷺ البريئة. اتهموه بأنه ﷺ مندفع بدافع الرحم، حيث جعل أجر رسالته مودةً قرباه، فجاءت الآية الثانية توضيح جانب هذه المسألة، وأنه شيء يعود عليهم هم، فإن مودةً قربى محمد ﷺ والاتصال بأهل بيته الأطهار، امتداد للوسيلة التي تقربهم إلى الله، وتؤمن عليهم السعادة مع الخلود، قال ﷺ: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح، من ركب فيها نجي، ومن تخلف عنها هلك»^٧. وقال: «إني تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وعترتي أهل بيتي»^٨.

٢ - الشورى ٤٢: ٢٠.

١ - الشورى ٤٢: ١٦.

٤ - من سورة هود برقم ١٠١.

٣ - الإسراء ١٧: ١٨-١٩.

٥ - الشورى ٤٢: ٢٣.

٦ - سبأ ٣٤: ٤٧. راجع: رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٩٤.

٨ - الدر المنثور، ج ٦، ص ٧.

٧ - روح المعاني، ج ٢٥، ص ٣٠.

قال الإمام الباقر عليه السلام في تفسير الآية: «يقول تعالى: أجر المودة^١ الذي لم أسألكم غيره فهو لكم، تهتدون به وتنجون من عذاب يوم القيامة»^٢.

١٨١ (٦) - «وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ»^٣.

١٨٢ (٧) - «وَلَمَنْ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ»^٤.

قال ابن حزم: نسختها «وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ»^٥.

قلت: الآية الأخيرة ندب إلى الصبر والشكيمة، لا فرض. فللمظلوم حق الانتصار، وإن كان مقام العفو أسمى وأبرّ. لاسيما والمؤمنون يومئذ بمكة، فكانت التؤدة والصبر أوفق بموقفهم ذاك.

١٨٣ (٨) - «فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا»^٦.

قال: نسختها آية السيف. قلت: قد سبق أنها تسلية وتحديد لمسؤولية النبي صلى الله عليه وآله.

من سورة الزخرف - ثلاث آيات

١٨٤ (١) - «فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ»^٧.

قال ابن العتائقي: منسوخة بآية السيف. قلت بل هي تهديد بعذاب محتم.

١٨٥ (٢) - «فَذَرَهُمْ يَخْوَضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ»^٨.

١٨٦ (٣) - «فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ»^٩.

قال ابن حزم: نسختها آية السيف. قلت: لكنهما تهديد ووعيد، نعم قد نسخ الصفع بتشريع القتال. وربما قيل بأنه صفع عن سفههم^{١٠}. كقوله: «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَأَنْبَتَنِي الْجَاهِلِينَ»^{١١}. إذن لا نسخ إطلاقاً.

١ - من إضافة البيان، أي الأجر الذي هو المودة.

٢ - الكافي، ج ٨، ص ٣٧٩، ح ٥٧٤.

٣ - الشورى ٤٢: ٤١.

٤ - الشورى ٤٢: ٤٨.

٥ - الزخرف ٤٣: ٨٣.

٦ - مجمع البيان، ج ٩، ص ٥٩.

٧ - الشورى ٤٢: ٣٩.

٨ - الشورى ٤٢: ٤٣.

٩ - الزخرف ٤٣: ٤١.

١٠ - الزخرف ٤٣: ٨٩.

١١ - القصص ٢٨: ٥٥.

من سورة الدخان - آية واحدة

١٨٧ - «فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ»^١.

قال ابن حزم: منسوخة بآية السيف. قلت: لكنّها تهديد صريح.

من سورة الجاثية - آية واحدة

١٨٨ - «قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ»^٢ إنّها من آيات الصفح

المنسوخة بتشريع القتال. وقد سبقت فيما اخترناه من النسخ المشروط.

من سورة الأحقاف - آيتان

١٨٩ (١) - «وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ»^٣.

قال ابن حزم: نسختها «لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ»^٤.

قلت: الآية الأولى تنفي علم الغيب الذاتي عن النبي ﷺ إلا ما علمه الله. والثانية غفران لما اقترفه من آثام لم تكن هي سوى الخروج على عادات مألوفة وتقاليد موروثة. وقد سبق ذلك.

١٩٠ (٢) - «فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعُرْمِ مِنَ الرُّسُلِ»^٥.

قال: نسختها آية السيف. قلت: الصبر شيمة الأنبياء يرافقونها حتى الوفاة.

من سورة محمد ﷺ آيتان

١٩١ (١) - «فَأِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً»^٦.

قال قتادة والسدي: منسوخة بقوله: «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ»^٧. وبقوله:

٢ - الجاثية ٤٥: ١٤.

٤ - الفتح ٤٨: ٢.

٦ - محمد ٤٧: ٤.

١ - الدخان ٤٤: ٥٩.

٣ - الأحقاف ٤٦: ٩.

٥ - الأحقاف ٤٦: ٣٥.

٧ - التوبة ٩: ٥.

«فَمَا تَتَّقُهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرُّهُمْ مَنْ خَلْفَهُمْ».^١

قلت: آية الأنفال وآية التوبة تعنيان حالة قيام الحرب. وآية القتال (محمد) تعني بعد أن وضعت الحرب أوزارها. فحينذاك يكون الإمام مخيراً بين المنّ والفداء. وإن كان يجوز له الاسترقاق. وكذا يجوز له قتل الأسير أحياناً إن رأى في ذلك مصلحة، كما قتل النبي ﷺ عقبة بن أبي معيط، ومنّ على أبي غرة، وفادى أسارى بدر.^٢

١٩٢ (٢) - «وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ».^٣

قال ابن حزم: نسختها الآية بعدها «إِنْ يَسْأَلُكُمْ هَا فَيُخَفِّكُمْ تَبَخَّلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ».^٤

لكن هذه توضيح للسبب ولم يعهد أن يكون مثل ذلك نسخاً! نعم كانت الآية الأولى مخصصة بغير الزكاة والصدقات الواجبة. والمعنى: أن الدين لا يلزم بالخروج عن المال كله. فهو نفي للمجموع لانفي للجميع، ومن ثم لا تنافي بينها وبين آية الزكاة الواجبة.

من سورة ق - آيتان

١٩٣ (١) - «فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ».^٥

١٩٤ (٢) - «وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ».^٦

قال: نسختها آية السيف.

قلت: أمّا الصبر على سفه الجاهلين فمن شيمة الأنبياء. والآية الثانية تحديد لمسؤولية النبي ﷺ في إطار الدعوة والتبليغ، أمّا التأثير والقبول فخارج عن وظيفته الرسالية مهما حاول التأثير.

١ - الأنفال ٨: ٥٧.

٢ - راجع: مجمع البيان، ج ٩، ص ٩٧؛ وروح المعاني، ج ٢٦، ص ٣٦.

٣ - محمد ٤٧: ٣٦.

٤ - محمد ٤٧: ٣٧.

٥ - ق ٥٠: ٤٥.

٦ - ق ٥٠: ٣٩.

من سورة الذاريات - آيتان

١٩٥ (١) - «وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ».^١

قال: نسختها آية الزكاة. قلت: بل بيّنتها.

١٩٦ (٢) - «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ».^٢

قال: نسختها «وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يُتَنَفَّعُ الْمُؤْمِنِينَ».^٣

لكن الآية الأولى تسلية وتحديد للمسؤولية: أي لست بمسؤول عن التأثير والقبول أما التذكير فذكر فإنك مسؤول عنه، والذكرى تنفع من ألقى السمع وهو شهيد كما دلّت الآية الثانية، فكلّ من الآيتين تذكر جانباً من مسؤولية النبي ﷺ سلباً وإيجاباً، من غير تصادم أصلاً.

من سورة الطور - آيتان

١٩٧ (١) - «قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُرَبِّصِينَ».^٤

١٩٨ (٢) - «وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا».^٥

قال ابن العتائقي: نسختها آية السيف. قلت: أمّا الأولى فتهديد. وأمّا الثانية فتصبير. والصبر أداة التبليغ الناجحة.

من سورة النجم - آيتان

١٩٩ (١) - «فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا».^٦

قال: نسختها آية السيف. قلت: بل هي تأييس للنبي ﷺ، فلا يتعب نفسه الكريمة على لفيف صمدوا على المروءة سفهاً. ومن ثم جاء بعدها «ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ».^٧

٢ - الذاريات ٥١: ٥٤.

٤ - الطور ٥٢: ٣١.

٦ - النجم ٥٣: ٢٩.

١ - الذاريات ٥١: ١٩.

٣ - الذاريات ٥١: ٥٥.

٥ - الطور ٥٢: ٤٨.

٧ - النجم ٥٣: ٣٠.

٢٠٠ (٢) - «وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى»^١.

قال: نسختها «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ»^٢.

فإنَّ الذرية ترتفع إلى درجة الآباء من غير عمل يستحقونها، تكرمة للآباء^٣.

قلت: إذا كانت جهود الآباء في بداية هذا الدين هي التي مهّدت السبيل لهداية الأبناء، فإنَّ إيمان الأبناء يصبح مكسباً من مكاسب الآباء أيضاً. وليس يوازن إيمان الذرية وقد تمهّد الطريق أمامهم، لأنَّ الآباء هم الذين مهّدوا هذا السبيل. فعدم الموازنة إنما هو في الكيف لا في الكم، وعليه فلا تعقل الموازنة والمساواة أبداً.

إذن، فإذا رفع الله بالذرية إلى درجة الآباء فإنَّما هو تفضّل، وتكريم للآباء، تكملة لنعيمهم في الجنة.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ الْمُؤْمِنِ فِي دَرَجَتِهِ وَإِنْ كَانُوا دُونَهُ، لَتَقَرَّبَ بِهِمْ عَيْنُهُ». ثم تلا هذه الآية^٤.

والخلاصة: ليس هناك اعتباط كي يتنافى مع آية السعي. فإنَّ هذا اللحوق من أثر مساعي الآباء. فهي مثوبة لهم في الحقيقة. كما أنَّ الأبناء أيضاً كانت لهم مساعي، ولكن دون مساعي آبائهم في الشأن والمرتبة لا في الكم والمقدار.

وأخيراً فإنَّ التفضّل من الله تعالى غير عزيز. والآية إنما تنفي الطمع في المثوبة بغير عمل. قال الإمام الصادق عليه السلام: «قَصُرَتِ الْأَبْنَاءُ عَنْ عَمَلِ الْآبَاءِ، فَالْحَقُوا الْأَبْنَاءَ بِالْآبَاءِ لَتَقَرَّرَ بِذَلِكَ أَعْيُنُهُمْ»^٥.

من سورة القمر - آية واحدة

٢٠١ - «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ»^٦.

٢ - الطور ٥٢: ٢١.

١ - النجم ٥٣: ٣٩.

٤ - الصافي في تفسير القرآن، ج ٢، ص ٦١٣.

٣ - تفسير الجلالين، ج ٢، ص ١٩٤.

٦ - القمر ٥٤: ٦.

٥ - المصدر.

قال ابن العتائقي: منسوخة بآية السيف. قلت: أي لاتخالطهم ولا تحزن عليهم فهي تسلية وتأييس بالنسبة إلى فئة مقصودة بالذات.

من سورة الواقعة - آية واحدة

٢٠٢ - «ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ. وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ»^١.

قال مقاتل بن سليمان: نسختها «ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ»^٢.

قلت: أولاً: لانسح في الأخبار. وإنما هو في الأحكام.

وثانياً: فإن موضوع الآية الأولى هم السابقون المقربون. والموضوع في الثانية هم المؤمنون إطلاقاً الذين هم أصحاب اليمين، بإزاء أصحاب الشمال.

فإذا ما قيس مؤمنوا هذه الأمة عبر العصور أبدياً حتى قيام الساعة مع مؤمني الأمم السالفة، فقد تكون الفئتان متساويتين من حيث الكمّ والمقدار أو متقاربتين ويصح إطلاق «كميّة كبيرة» على كلتا الفئتين.

وأما إذا قيس حواريو الأنبياء والأوصياء الماضين - وهم السابقون المقربون إلى حواربي نبينا وأوصيائه (صلوات الله عليهم أجمعين) فأولئك عدد جمّ وهؤلاء عدد ضئيل.

من سورة المجادلة - آية واحدة

٢٠٣ - «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ»^٣.

نسختها «ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ»^٤ وقد سبق ذلك فيما اخترناه

من النسخ.^٥

١ - الواقعة ٥٦: ١٣-١٤.

٢ - الواقعة ٥٦: ٣٩-٤٠. راجع: رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ١٩٧.

٤ - المجادلة ٥٨: ١٣.

٣ - المجادلة ٥٤: ١٢.

٥ - برقم: ١.

من سورة الممتحنة - ثلاث آيات

٢٠٤ (١) - «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ»^١.

قال الحسن وقتادة: ذلك قبل أن يؤمر المسلمون بمنازمة المشركين عامة. ومن ثمّ نسختها آية السيف.^٢

٢٠٥ (٢) - «وَأَتَوْهُمْ مَا أَنْفَقُوا». «وَلَيْسَ أَلْوَا مَا أَنْفَقُوا»^٣.

قال الزهري: لولا الهدنة لم يرد إلى المشركين صداق^٤ فهي منسوخة بنزول براءة، حيث لم يثبت بعدها عهد للمشركين. وقد تقدّم ذلك فيما اخترناه من النسخ المشروط.

٢٠٦ (٣) - «فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا»^٥.

قال قتادة: هذا في الكفار الذين لهم عهد. ثمّ نسخت بنزول براءة.^٦

من سورة القلم - آيتان

٢٠٧ (١) - «فَذَرْنِي وَمَنْ يُكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ»^٧.

٢٠٨ (٢) - «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ»^٨.

قال ابن حزم: نسختها آية السيف.

قلت: أمّا الأولى فاستدراج. وأمّا الثانية فحكم ثابت وملزم للنبوات.

من سورة المعارج - آيتان

٢٠٩ (١) - «فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا»^٩.

٢١٠ (٢) - «فَذَرُهُمْ يَخْوضُوا وَيَلْعَبُوا»^{١٠}.

٢ - مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٧٢.

٤ - مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٧٤.

٦ - مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٧٥.

٨ - القلم ٦٨: ٤٨.

١٠ - المعارج ٧٠: ٤٢.

١ - الممتحنة ٦٠: ٨.

٣ - الممتحنة ٦٠: ١٠.

٥ - الممتحنة ٦٠: ١١.

٧ - القلم ٦٨: ٤٤.

٩ - المعارج ٧٠: ٥.

قال ابن العناتقي: نسختها آية السيف.^١
قلت: الآية الأولى تصبير وأمر إلى خلق رسالي كريم.
والآية الثانية تهديد لا ترخيص. والتهديد تمهيد للسيف لا منسوخ به.

من سورة المزمل - سبع آيات

٢١١ (١) - «قُمِ اللَّيْلَ» قال: نسختها «إِلَّا قَلِيلًا».^٢

٢١٢ (٢) - «قَلِيلًا» قال: نسختها: «نِصْفَهُ».

٢١٣ (٣) - «نِصْفَهُ» قال: نسختها «أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا».^٣

قلت: الاستثناء والبيان يغيّران النسخ.

٢١٤ (٤) - «إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا».^٤

قال: نسختها «يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ».^٥

قلت: الثقل في الآية الأولى إمّا بالنظر إلى الكفار فقد وقع الإسلام عليهم ثقیلاً. أو ثقل الوحي، كان ﷺ يتغيّر لونه ويتعرق عند نزول القرآن. أو ثقل التكليف، فإنّ التكليف مهما بولغ في تخفيفه فهو ثقیل.

وأما التخفيف في الآية الثانية فهو تخفيف في أصل التشريع الذي كان منذ البدء. فإنّ هذا الدين سهل سمح. فلا تنافي بين الآيتين في شيء.

٢١٥ (٥) - «وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا».^٦

قال: نسخت بآية السيف. قلت: الآية أمر بالمدارة، وهي من شيمة الأنبياء.

٢١٦ (٦) - «وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ».^٧

قال: نسختها آية السيف. قلت: هي تهديد ووعيد.

١ - الناسخ والمنسوخ لابن العناتقي، ص ٢٣٢.

٢ - المزمل ٧٣: ٢.

٣ - المزمل ٧٣: ٥.

٤ - المزمل ٧٣: ١٠.

٥ - النساء ٤: ٢٨.

٦ - المزمل ٧٣: ١١.

٢١٧ (٧) - «إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا»^١.

قال: نسختها «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ»^٢.

قلت: قد وقعت الآية الأولى والثانية في سورة الإنسان متعاقبتين. وكذا مثلهما في

سورة التكوير: ٢٩.

ومعنى الآية الأولى هو نفي الإكراه في الدين عقيدة وإخلاصاً، بعد وضوح الحق وقد

سبق هذا المعنى عند آية «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ»^٣.

والآية الثانية إخبار عن عدم إيمانهم، وهذا لا يصلح ناسخاً - كما تقدّم في الشروط -

والمعنى: أنكم باختياركم لا تؤمنون البتة، لا إذا أكرهناكم على الإيمان جبراً، الأمر الذي

يتنافى والاختيار في الإيمان.

من سورة المدثر - آية واحدة

٢١٨ - «ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا»^٤.

قال: نسخت بآية السيف. قلت: هي تهديد ووعيد.

من سورة القيامة - آية واحدة

٢١٩ - «لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجْعَلَ بِهِ»^٥.

قال: نسخت بقوله «سُنْفُرُكَ فَلَا تُنْسِي»^٦.

قلت: الآيتان متوافقتان. وسورة الأعلى نزلت قبل سورة القيامة. وقد سبق تفصيل

الكلام في ذلك برقم ١٢٥.

٢ - الإنسان ٧٦: ٣٠.

١ - المزمل ٧٣: ١٩.

٤ - المدثر ٧٤: ١١.

٣ - البقرة ٢: ٢٥٦. برقم ٢٤.

٦ - الأعلى ٨٧: ٦.

٥ - القيامة ٧٥: ١٦.

من سورة الدهر - آيتان

٢٢٠ (١) - «فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا»^١.

٢٢١ (٢) - «إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا»^٢.

قال: نسختا بآية السيف.

قلت: الآية الأولى أمر بالصبر وعدم الانسجام مع خلق العامة الهابط. وهي من أوليات سمات المصلحين. والآية الثانية نفي للإكراه في الدين. وقد سبقت برقم ٢١٧.

من سورة عبس - آية واحدة

٢٢٢ - «فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ»^٣ قال: نسخت بقوله: «إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ».

قلت: تقدم الجواب عن ذلك برقم ٢١٧.

من سورة التكوين - آية واحدة

٢٢٣ - «لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ»^٤ قال ابن العناتقي: نسختها «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ

يَشَاءَ اللَّهُ»^٥.

قلت: تعني الآية أن لا إكراه في الدين قد تبين الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ وسبق هذا المعنى برقم

٢٤ ورقم ٢١٧.

من سورة الطارق - آية واحدة

٢٢٤ - «فَهَلِ الْكَافِرِينَ أَهْلُهَا رُؤُودًا»^٦ قال ابن حزم: نسختها آية السيف.

قلت: بل هي تهديد ووعيد، بدليل الآية قبلها «وَأَكِيدُ كَيْدًا».

٢ - الإنسان ٧٦: ٢٩.

٤ - التكوين ٨١: ٢٨.

٦ - الطارق ٨٦: ١٧.

١ - الإنسان (الدهر) ٧٦: ٢٤.

٣ - عبس ٨٠: ١٢.

٥ - التكوين ٨١: ٢٩.

من سورة الغاشية - آية واحدة

٢٢٥- «فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ. لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ»^١ قال: نسخت بآية السيف.

قلت: سبق أنها سيطرة على القلوب. والآية تحديد لمسؤولية النبي ﷺ في التبليغ لا في التأثير.

من سورة التين - آية واحدة

٢٢٦- «أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ»^٢ قال: نسخت بآية السيف.^٣

قلت: بل هي تهديد، وإشارة إلى عدله تعالى الثابت مع الأبدية.

من سورة العصر - آية واحدة

٢٢٧- «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ»^٤ قال: نسخت بقوله: «إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ»^٥ والاستثناء يغير النسخ.

من سورة الكافرون - آية واحدة

٢٢٨- «لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ»^٦ قال: نسخت بآية السيف.^٧

قلت: هذا إخبار عن صمودهم على الشرك، لا ترخيص، بدليل «وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا

أَعْبُدُ» مكرراً. وربما فيه شيء من التهديد والوعيد نظير قوله: «أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ»^٨.

٢- التين ٩٥: ٨.

١- الغاشية ٨٨: ٢١-٢٢.

٣- رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ٢٠٣. ٤- العصر ١٠٣: ٢.

٥- العصر ١٠٣: ٣. ٦- الكافرون ١٠٩: ٦.

٧- رسالة الناسخ والمنسوخ لابن حزم، ج ٢، ص ٢٠٤. ٨- يونس ١٠: ٤١.

جريدة
النّاسخ والمنسوخ في القرآن
حسب تقرير القدامى إلى جنب ملاحظات المحدثين

ملاحظات	سورتها	رقمها	الآية النّاسخة	رقمها	الآية المنسوخة	سلسل عام	سلسل خاص
					سورة البقرة: ٢٦		
الآيتان متوافقتان	آل عمران	٨٥	ومن يبتغ غير الإسلام	٦٢	من آمن بالله واليوم الآخر	١	١
أدب إسلامي ثابت	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	٨٣	وقولوا للناس حسناً	٢	٢
نسخ مشروط	براءة	٢٩	قاتلوا الذين لا يؤمنون	١٠٩	فاعفوا واصفحوا	٣	٣
الآية ردّ على اليهود فلا نسخ	البقرة	١٤٤	فولّ وجهك شطر المسجد	١١٥	فتعّ وجه الله	٤	٤
إستثناء لانسح	البقرة	١٦٠	إلا الذين تابوا	١٥٩	إنّ الذين يكتُمون	٥	٥
إختلاف شرط الحكم	البقرة	١٧٣	فمن اضطرّ	١٧٣	إنّما حرّم عليكم الميتة	٦	٦
تخصيص لانسح	المائدة	٤٥	النفس بالنفس	١٧٨	والأنتى بالأنتى	٧	٧
الاستحباب ثابت لايزال	النساء	١١	يوصيكم الله	١٨٠	كتب عليكم إذا حضر	٨	٨
التخصيص يغيّر النسخ	البقرة	١٨٧	أحلّ لكم ليلة الصّيام	١٨٣	كتب عليكم الصّيام كما	٩	٩
تلك تخصيص في هذه	البقرة	١٨٥	فمن شهد منكم	١٨٤	وعلى الذين يطيقونه فدية	١٠	١٠
نسخ مشروط	التوبة	٥	فاقتلوا المشركين	١٩٠	ولا تعتدوا	١١	١١
تفريع على مفهوم	البقرة	١٩١	فإن قاتلوكم فاقتلوهم	١٩١	ولا تقاتلوهم عند المسجد	١٢	١٢
تبديل في موضوع الحكم	براءة	٥	فاقتلوا المشركين	١٩٢	فإن انتهوا فإنّ الله غفور	١٣	١٣
تبديل في شرط الحكم	البقرة	١٩٦	فمن كان منكم مريضاً	١٩٦	ولا تحلقوا رؤوسكم حتّى	١٤	١٤
الاستحباب ثابت لايزال	براءة	٦٠	إنّما الصدقات للفقراء	٢١٥	يسألونك ماذا ينفقون	١٥	١٥

١٦	١٦	يسألونك عن الشهر الحرام	٢١٧	وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة	١٩٣	البقرة	تخصيص مؤقت لانسح
١٧	١٧	يسألونك عن الخمر والميسر	٢١٩	وإنتمهما أكبر من نفعها	٢١٩	البقرة	تدرج في التشريع
١٨	١٨	قل العفو	٢١٩	خذ من أموالهم صدقة	١٠٣	براءة	الاستحباب ثابت لا يزال
١٩	١٩	ولا تنكحوا المشركات	٢٢١	والمحصنات	٥	المائدة	تخصيص لانسح
٢٠	٢٠	وبعولتهن أحق	٢٢٨	الطلاق مرتان	٢٢٩	البقرة	تخصيص لانسح
٢١	٢١	ولا يحل لكم أن تأخذوا	٢٢٩	إلا أن يخافا	٢٢٩	البقرة	تخصيص لانسح
٢٢	٢٢	والوالدات يرضعن	٢٣٣	فإن أرادا فصلاً	٢٣٣	البقرة	تخصيص لانسح
٢٣	٢٣	متاعاً إلى الحول	٢٤٠	أربعة أشهر وعشراً	٢٣٤	البقرة	الاستحباب ثابت لا يزال
٢٤	٢٤	لا إكراه في الدين	٢٥٦	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	إخبار عن واقع الدين
٢٥	٢٥	وأشهدوا إذا تباعتم	٢٨٢	فإن أمن بعضكم بعضاً	٢٨٣	البقرة	تخصيص لانسح
٢٦	٢٦	إن تبدوا ما في أنفسكم	٢٨٤	لا يكلف الله نفساً إلا	٢٨٦	البقرة	يختلف موضوع الآيتين
سورة آل عمران: ٥							
٢٧	١	فإنما عليك البلاغ	٢٠	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد لمسؤولية الرسول
٢٨	٢	كيف يهدي الله قوماً	٨٦	إلا الذين تابوا	٨٩	البقرة	الاستثناء يغير النسخ
٢٩	٣	اولئك جزاؤهم	٨٧	إلا الذين تابوا	٨٩	البقرة	الاستثناء يغير النسخ
٣٠	٤	خالدين فيها	٨٨	إلا الذين تابوا	٨٩	البقرة	الاستثناء يغير النسخ
٣١	٥	اتقوا الله حق تقاته	١٠٢	فاتقوا الله ما استطعتم	١٦	التغابن	لاتنافي بين الآيتين
سورة النساء: ٢٢							
٣٢	١	وإذا حضر القسمة	٨	يوصيكم الله	١١	النساء	الاستحباب ثابت
٣٣	٢	وليخش الذين لو تركوا	٩	فمن خاف من موص	١٨٢	البقرة	تخصيص لانسح
٣٤	٣	يأكلون أموال اليتامى	١٠	قل إصلاح لهم خير	٢٢٠	البقرة	يختلف موضوع الآيتين
٣٥	٤	واللّاتي يأتين الفاحشة	١٥	الرّاني والرّانية	٢	النور	لانسح
٣٦	٥	واللذان يأتيانها	١٦	الرّاني والرّانية	٢	النور	لانسح

٣٧	٦	وليس التوبة	١٨	ويغفر ما دون ذلك	٤٨	النساء	لاتتافي بين الآيتين
٣٨	٧	ولا تعضلوهن	١٩	إلا أن يأتين بفاحشة	١٩	النساء	الاستثناء يغير النسخ
٣٩	٨	ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم	٢٢	إلا ما قد سلف	٢٢	النساء	الاستثناء يغير النسخ
٤٠	٩	وأن تجمعوا بين الأختين	٢٣	إلا ما قد سلف	٢٣	النساء	الاستثناء يغير النسخ
٤١	١٠	فما استمتعتم به	٢٤	فمن ابتغى وراء ذلك	٧	المؤمنون	لاتتافي بين الآيتين
٤٢	١١	ولا تأكلوا أموالكم	٢٩	أن تأكلوا من بيوتكم	٦١	النور	تخصيص لانسح
٤٣	١٢	فآتوهم نصيبهم	٣٣	وأولو الأرحام	٧٥	الأطفال	تقييد لانسح
٤٤	١٣	فأعرض عنهم	٦٣	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	يختلف موضوع الآيتين
٤٥	١٤	لوجدوا الله تواباً رحيماً	٦٤	فلن يغفر الله لهم	٨٠	براءة	يختلف موضوع الآيتين
٤٦	١٥	أو انفروا جميعاً	٧١	وما كان المؤمنون	١٢٢	براءة	يختلف موضوع الآيتين
٤٧	١٦	فما أرسلناك عليهم حفظة	٨٠	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد لمسؤولية الرسول
٤٨	١٧	فأعرض عنهم	٨١	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	يختلف موضوع الآيتين
٤٩	١٨	إلا الذين يصلون	٩٠	براءة من الله	١	براءة	نسخ مشروط
٥٠	١٩	ستجدون آخرين	٩١	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	نسخ مشروط
٥١	٢٠	وإن كان من قوم	٩٢	براءة من الله	١	براءة	نسخ مشروط
٥٢	٢١	ومن يقتل مؤمناً متعمداً	٩٣	ويغفر ما دون ذلك	٤٨	النساء	يختلف موضوع الآيتين
٥٣	٢٢	إن المنافقين في الدرك	١٤٥	إلا الذين تابوا	١٤٦	النساء	يختلف موضوع الآيتين
سورة المائدة: ٩							
٥٤	١	ولا يجرمكم شأن قوم	٢	إنما المشركون نجس	٢٨	براءة	يختلف موضوع الآيتين
٥٥	٢	فاعف عنهم واصفح	١٣	قاتلوا الذين	٢٩	براءة	نسخ مشروط
٥٦	٣	إنما جزاء الذين يحاربون	٣٣	إلا الذين تابوا من قبل	٣٤	المائدة	الاستثناء يغير النسخ
٥٧	٤	فاحكم بينهم أو أعرض عنهم	٤٢	وأن احكم بينهم	٤٩	المائدة	لاتتافي بين الآيتين
٥٨	٥	ما على الرسول إلا البلاغ	٩٩	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد للمسؤولية لانسح

٥٩	٦	عليكم أنفسكم	١٠٥	تأمرون بالمعروف وتنهون...	١١٠	آل عمران	يختلف موضوع الآيتين
٦٠	٧	أو آخرا من غيركم	١٠٦	وأشهدوا ذوا عدل منكم	٢	الطلاق	يختلف موضوع الآيتين
٦١	٨	فآخرا يقومان مقامها	١٠٧	وأشهدوا ذوا عدل منكم	٢	الطلاق	يختلف موضوع الآيتين
٦٢	٩	أن ترده أيمان بعد أيمانهم	١٠٨	وأشهدوا ذوا عدل منكم	٢	الطلاق	يختلف موضوع الآيتين
سورة الأنعام: ١٣							
٦٣	١	قل إني أخاف إن عصيت	١٥	ليغفر لك الله	٢	الفتح	يختلف موضوع الآيتين
٦٤	٢	قل لست عليكم بوكيل	٦٦	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد للمسؤولية
٦٥	٣	وما على الذين يتقون	٦٩	فلا تقعدوا معهم	١٤٠	النساء	لانسخ في الإباحة الأصلية
٦٦	٤	وذو الذين اتخذوا	٧٠	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	الآية تهديد ووعيد
٦٧	٥	ثم ذرهم في خوضهم	٩١	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	الآية تهديد لاترخيص
٦٨	٦	وما أنا عليكم بحفيظ	١٠٤	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد لمسؤولية الرسول
٦٩	٧	وأعرض عن المشركين	١٠٦	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	يختلف موضوع الآيتين
٧٠	٨	وما جعلناك عليهم حفيظاً	١٠٧	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد للمسؤولية
٧١	٩	ولا تسبوا الذين	١٠٨	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	يختلف موضوع الآيتين
٧٢	١٠	فذرهم وما يفترون	١١٢	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد لاترخيص
٧٣	١١	ولا تأكلوا مما لم يذكر	١٢١	وطعام الذين أوتوا	٥	المائدة	يختلف موضوع الآيتين
٧٤	١٢	اعملوا على مكاتكم	١٣٥	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	الآية تهديد عام
٧٥	١٣	لست منهم في شيء	١٥٩	فاقتلوا المشركين	٢٢	الحج	الآية تهديد عام
سورة الأعراف: ٢							
٧٦	١	وذو الذين يلحدون	١٨٠	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	الآية تهديد صارم
٧٧	٢	وأعرض عن الجاهلين	١٩٩	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	أمر بمكارم الأخلاق
سورة الأنفال: ٦							
٧٨	١	يسألونك عن الأنفال	١	واعلموا أنما غنمتم	٤١	الأنفال	يختلف موضوع الآيتين

وما كان الله ليعذبهم	٣٣	وما لهم ألا يعذبهم	٣٤	الأنفال	يختلف موضوع الآيتين	٧٩	٢
إن ينتهوا يغفر لهم	٣٨	وقاتلوهم	٣٩	الأنفال	يختلف موضوع الآيتين	٨٠	٣
وإن جنحوا للسلم فاجنح	٦١	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	نسخ مشروط	٨١	٤
إن يكن منكم عشرون	٦٥	الآن خفف الله	٦٦	الأنفال	نسخ مشروط	٨٢	٥
أولئك بعضهم أولياء	٧٢	وأولوا الأرحام	٦	الأحزاب	نسخ مشروط	٨٣	٦
سورة براءة: ٨							
فسيحوا في الأرض	٢	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	اختلف شرط الحكم	٨٤	١
فاقتلوا المشركين	٥	فإن تابوا وأقاموا	٥	براءة	اختلف شرط الحكم	٨٥	٢
ولا يفتقونها في سبيل الله	٣٤	إنما الصدقات	٦٠	براءة	اختلف موضوع الآيتين	٨٦	٣
إن لا تنفروا يعذبكم	٣٩	وما كان المؤمنون	١٢٢	براءة	تخصيص لانسح	٨٧	٤
لم أذن لهم	٤٣	فأذن لمن شئت منهم	٦٢	النور	مورد الآيتين مختلف	٨٨	٥
استغفر لهم	٨٠	لن يغفر الله لهم	٦	المنافقون	لاختلاف بين الآيتين	٨٩	٦
الأعراب أشد كفراً	٩٧	ومن الأعراب من يؤمن	٩٩	براءة	يختلف مورد الآيتين	٩٠	٧
ومن الأعراب من يتخذ	٩٨	ومن الأعراب من يؤمن	٩٩	براءة	يختلف مورد الآيتين	٩١	٨
سورة يونس: ٨							
قل إني أخاف	١٥	ليغفر لك الله	٢	الفتح	يختلف موضوع الآيتين	٩٢	١
قل انتظروا	٢٠	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد ووعيد	٩٣	٢
قل لي على ولكم عملكم	٤١	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد ووعيد	٩٤	٣
فإلينا مرجعهم	٤٦	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تأكيد للوعد والوعيد	٩٥	٤
أفأنت تكره الناس	٩٩	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تسليية وتأيس	٩٦	٥
قل فانظروا	١٠٢	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد ووعيد	٩٧	٦
ومن ضلّ فإنما يضلّ	١٠٨	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد للمسؤولية	٩٨	٧
واصبر حتى يحكم الله	١٠٩	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تصبير وتأکید في الوعد	٩٩	٨

سورة هود: ٤				
١٠٠	١	إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ	١٢	فاقتلوا المشركين
١٠١	٢	نُوفَ إِلَيْهِمْ أَعْمَالِهِمْ	١٥	عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نُرِيدُ
١٠٢	٣	اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ	١٢١	فاقتلوا المشركين
١٠٣	٤	وَانْتَظِرُوا	١٢٢	فاقتلوا المشركين
سورة الزعد: ٢				
١٠٤	١	وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ	٦	إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ
١٠٥	٢	فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ	٤٠	فاقتلوا المشركين
سورة إبراهيم: ١				
١٠٦	١	إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ	٣٤	إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ
سورة الحجر: ٥				
١٠٧	١	ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا	٣	فاقتلوا المشركين
١٠٨	٢	فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ	٨٥	أُذِّنْ لِلَّذِينَ يِقَاتِلُونَ
١٠٩	٣	لَا تَمْدَنْ عَيْنِيكَ	٨٨	فاقتلوا المشركين
١١٠	٤	وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ	٨٩	فاقتلوا المشركين
١١١	٥	وَأَعْرِضْ عَنِ الْمَشْرِكِينَ	٩٤	أُذِّنْ لِلَّذِينَ يِقَاتِلُونَ
سورة النحل: ٥				
١١٢	١	تَتَخَذُونَ مِنْهُ سَكْرًا	٦٨	إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ
١١٣	٢	فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ	٨٢	فاقتلوا المشركين
١١٤	٣	مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ	١٠٦	إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مَطْمَئِنٌّ
١١٥	٤	وَجَادِلْهُمْ بَالْتَمِيٍّ أَحْسَنَ	١٢٥	فاقتلوا المشركين
١١٦	٥	وَاصْبِرُوا وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ	١٢٧	فاقتلوا المشركين
تأديب اختصاصي				
١٠٠	١	تأديب ووعيد	٥	براءة
١٠١	٢	نسخ مشروط	٣٩	الحج
١٠٢	٣	تأديب اختصاصي	٥	براءة
١٠٣	٤	لامنافاة بين الآيتين	٥	براءة
١٠٤	٥	نسخ مشروط	٣٩	الحج
تأديب اختصاصي				
١٠٥	١	ليس من النسخ المصطلح	٩١	المائدة
١٠٦	٢	تأديب للمسؤولية	٥	براءة
١٠٧	٣	الاستثناء يغير النسخ	١٠٧	النحل
١٠٨	٤	أدب رسالي ثابت	٥	براءة
١٠٩	٥	أدب رسالي ثابت	٥	براءة

				سورة الإسراء: ٣			
١١٧	١	وقل رب ارحمهما	٢٤	وما كان للنبي	١١٣	براءة	تخصيص لانسح
١١٨	٢	وما أرسلناك عليهم وكيلًا	٥٤	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد للمسؤولية
١١٩	٣	أيًا ما تدعوا	١١٠	واذكر ربك في نفسك	٢٠٥	الأعراف	تقييد لانسح
						سورة الكهف: ١	
١٢٠	١	فمن شاء فليؤمن	٢٩	إلا أن يشاء الله	١١١	الأنعام	تهديد لاترخيص
						سورة مريم: ٤	
١٢١	١	وانذرهم يوم الحسرة	٣٩	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	لامنافاة
١٢٢	٢	فسوف يلقون غيًّا	٥٩	إلا من تاب	٦٠	مريم	إستثناء لانسح
١٢٣	٣	فليمدد له الرحمن	٧٤	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	إستدراج وتهديد
١٢٤	٤	إنما نعدّ لهم عدًّا	٨٤	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد ووعيد
						سورة طه: ٣	
١٢٥	١	ولا تعجل بالقرآن	١١٤	سنقرئك فلا تنسى	٦	الأعلى	مؤكدّة لانسح
١٢٦	٢	فاصبر على ما يقولون	١٣٠	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	أدب رسالي ثابت
١٢٧	٣	فتربصوا	١٣٥	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد ووعيد
						سورة الأنبياء: ٢	
١٢٨	١	إنكم وما تعبدون حسب	٩٨	أولئك عنها مبعدون	١٠١	الأنبياء	يختلف موضوع الآيتين
١٢٩	٢	وكلّ فيها خالدون	١٠٠	أولئك عنها مبعدون	١٠١	الأنبياء	يختلف موضوع الآيتين
						سورة الحج: ٥	
١٣٠	١	إنما أنا لكم نذير	٤٩	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد للمسؤولية
١٣١	٢	ألقى الشيطان في أمنيته	٥٢	سنقرئك فلا تنسى	٦	الأعلى	يختلف موضوع الآيتين
١٣٢	٣	يحكم بينهم	٥٦	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد ووعيد
١٣٣	٤	فقل الله أعلم	٦٨	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	يختلف مورد الآيتين
١٣٤	٥	وجاهدوا في الله حقّ	٧٨	فاتقوا الله ما استطعتم	١٦	التغابن	لاتنافي بين الآيتين

					سورة المؤمنون: ٢		
١٣٥	١	فذرهم في غمرتهم	٥٤	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	إستدراج لاترخيص
١٣٦	٢	ادفع بالتي هي أحسن	٩٦	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	أدب رسالي ثابت
					سورة النور: ٦		
١٣٧	١	الرَّانِي لَا يَنْكَحُ إِلَّا زَانِيَةً	٣	وَانْكَحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ	٣٢	النُّور	لامنافاة بين الآيتين
١٣٨	٢	وَلَا تَقْبِلُوا لَهُمْ شَهَادَةَ أَبَدًا	٤	إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا	٥	النُّور	إستثناء لانسخ
١٣٩	٣	لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بَيْتِكُمْ	٢٧	لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ	٢٩	النُّور	يختلف موضوع الآيتين
١٤٠	٤	وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ	٣١	فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ	٦٠	النُّور	تخصيص لانسخ
١٤١	٥	وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَغُ	٥٤	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد للمسؤولية
١٤٢	٦	لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمُ	٥٨	وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ	٥٩	النُّور	يختلف الموضوع والشرط
					سورة الفرقان: ٢		
١٤٣	١	وَإِذَا خَاطَبْتَهُمُ الْجَاهِلُونَ	٦٣	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	نعت للمؤمن ثابت
١٤٤	٢	يَلْقَ أَثَمًا	٦٨	إِلَّا مَنْ تَابَ	٧٠	الفرقان	إستثناء
					سورة الشعراء: ١		
١٤٥	١	يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ	٢٢٦	إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا	٢٢٧	الشعراء	يختلف الشرط
					سورة النمل: ١		
١٤٦	١	أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ	٩٢	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد للمسؤولية
					سورة القصص: ١		
١٤٧	١	أَعْرَضُوا عَنْهُ	٥٥	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	نعت للمؤمن ثابت
					سورة العنكبوت: ٢		
١٤٨	١	وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ	٤٦	قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ	٢٩	براءة	أدب إسلامي ثابت
١٤٩	٢	وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ	٥٠	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد لإمكانات الرسول
					سورة الزوم: ١		
١٥٠	١	فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ	٦٠	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تصبير ووعد

سورة لقمان: ١					
١٥١	١	ومن كفر فلا يحزنك	٢٣	فاقتلوا المشركين	٥
		سورة السجدة: ١			
١٥٢	١	فأعرض عنهم وانتظر	٣٠	فاقتلوا المشركين	٥
		سورة الأحزاب: ٢			
١٥٣	١	ودع أذاهم	٤٨	فاقتلوا المشركين	٥
١٥٤	٢	لا يحل لك النساء	٥٢	إنا أحللتنا لك	٥٠
		سورة سبأ: ١			
١٥٥	١	لأتسألون	٢٥	فاقتلوا المشركين	٥
		سورة فاطر: ١			
١٥٦	١	إن أنت إلا نذير	٢٣	فاقتلوا المشركين	٥
		سورة يس: ١			
١٥٧	١	فلا يحزنك قولهم	٧٦	فاقتلوا المشركين	٥
		سورة الصافات: ٤			
١٥٨	١	فتول عنهم	١٧٤	فاقتلوا المشركين	٥
١٥٩	٢	وأبصرهم فسوف	١٧٥	فاقتلوا المشركين	٥
١٦٠	٣	وتول عنهم	١٧٨	فاقتلوا المشركين	٥
١٦١	٤	وأبصرهم فسوف	١٧٩	فاقتلوا المشركين	٥
		سورة ص: ٣			
١٦٢	١	إنما أنا منذر	٦٥	فاقتلوا المشركين	٥
١٦٣	٢	إنما أنا نذير	٧٠	فاقتلوا المشركين	٥
١٦٤	٣	ولتعلمن نبأه	٨٨	فاقتلوا المشركين	٥

سورة الزمر: ٧					
١٦٥	١	إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ	٣	فاقتلوا المشركين	٥
١٦٦	٢	قُلْ إِنِّي أَخَافُ	١٣	ليغفر لك الله	٢
١٦٧	٣	فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ	١٥	فاقتلوا المشركين	٥
١٦٨	٤	وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ	٢٣	فاقتلوا المشركين	٥
١٦٩	٥	إِعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ	٣٩	فاقتلوا المشركين	٥
١٧٠	٦	فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا	٤١	فاقتلوا المشركين	٥
١٧١	٧	أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ	٤٦	فاقتلوا المشركين	٥
سورة المؤمن: ٣					
١٧٢	١	فَالْحَكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ	١٢	فاقتلوا المشركين	٥
١٧٣	٢	فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ	٥٥	فاقتلوا المشركين	٥
١٧٤	٣	فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ	٧٧	فاقتلوا المشركين	٥
سورة فصلت: ١					
١٧٥	١	ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ	٣٤	فاقتلوا المشركين	٥
سورة الشورى: ٨					
١٧٦	١	وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ	٥	ويستغفرون للذين آمنوا	٧
١٧٧	٢	وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ	٦	فاقتلوا المشركين	٥
١٧٨	٣	وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لِاحْتِجَّةٍ بَيْنَنَا	١٥	فاقتلوا المشركين	٥
١٧٩	٤	نُؤْتُهُ مِنْهَا	٢٠	مانشاء لمن نريد	٢٠
١٨٠	٥	أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ	٢٣	من أجر فهو لكم	٤٧
١٨١	٦	هَمْ يَنْتَصِرُونَ	٣٩	ولمن صبر وغفر	٤٣
١٨٢	٧	وَلَمَنْ أَنْتَصِرْ بَعْدَ ظَلْمِهِ	٤١	ولمن صبر وغفر	٤٣
١٨٣	٨	فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظَ	٤٨	فاقتلوا المشركين	٥
تهديد ووعيد		براءة	٥	تهديد ووعيد	٥
يختلف موضوع الآيتين		الفتح	٢	يختلف موضوع الآيتين	٢
تهديد لا ترخيص		براءة	٥	تهديد لا ترخيص	٥
تأيس		براءة	٥	تأيس	٥
تهديد لا ترخيص		براءة	٥	تهديد لا ترخيص	٥
تحديد للمسؤولية		براءة	٥	تحديد للمسؤولية	٥
تهديد ووعيد		براءة	٥	تهديد ووعيد	٥
تهديد غير مباشر		براءة	٥	تهديد غير مباشر	٥
تصبير ووعيد		براءة	٥	تصبير ووعيد	٥
تصبير ووعيد		براءة	٥	تصبير ووعيد	٥
أدب إسلامي ثابت		براءة	٥	أدب إسلامي ثابت	٥
تقييد لانسخ		غافر	٧	تقييد لانسخ	٧
تسليية وتحديد للمسؤولية		براءة	٥	تسليية وتحديد للمسؤولية	٥
يختلف موضوع الآيتين		براءة	٥	يختلف موضوع الآيتين	٥
تخصيص وتقييد		الإسراء	٢٠	تخصيص وتقييد	٢٠
لامنافاة بين الآيتين		سبأ	٤٧	لامنافاة بين الآيتين	٤٧
لامنافاة بين الآيتين		الشورى	٤٣	لامنافاة بين الآيتين	٤٣
لامنافاة بين الآيتين		الشورى	٤٣	لامنافاة بين الآيتين	٤٣
تسليية وتحديد للمسؤولية		براءة	٥	تسليية وتحديد للمسؤولية	٥

سورة الزخرف: ٣				
١٨٤	١	فإنا منهم منتقمون	٤١	فاقتلوا المشركين
١٨٥	٢	فذرهم يخوضوا ويلعبوا	٨٣	فاقتلوا المشركين
١٨٦	٣	فاصفح عنهم وقل	٨٩	فاقتلوا المشركين
سورة الذخان: ١				
١٨٧	١	فارتقب إنهم مرتقبون	٥٩	فاقتلوا المشركين
سورة الجاثية: ١				
١٨٨	١	قل للذين آمنوا يغفروا	١٤	فاقتلوا المشركين
سورة الأحقاف: ٢				
١٨٩	١	وما أدري ما يفعل بي	٩	ليغفر لك الله
١٩٠	٢	فاصبر كما صبر	٣٥	فاقتلوا المشركين
سورة محمد: ٢				
١٩١	١	فإما منا بعد وإما فداء	٤	فشرّد بهم من خلفهم
١٩٢	٢	ولا يسألكم أموالكم	٣٦	إن يسألكموها فيحلفكم
سورة ق: ٢				
١٩٣	١	فاصبر على ما يقولون	٣٩	فاقتلوا المشركين
١٩٤	٢	وما أنت عليهم بجبار	٤٥	فاقتلوا المشركين
سورة الذاريات: ٢				
١٩٥	١	وفي أموالهم حق	١٩	إنما الصدقات
١٩٦	٢	فتول عنهم فما أنت بملوم	٥٤	وذكر فإن الذكرى تنفع
سورة الطور: ٢				
١٩٧	١	قل تربصوا	٣١	فاقتلوا المشركين
١٩٨	٢	واصبر لحكم ربك	٤٨	فاقتلوا المشركين
تصبير للنبي ﷺ				

٢١٤	٤	قولاً ثقیلاً	٥	يريد الله أن يخفف	٢٨	النساء	لاتتافي بين الآيتين
٢١٥	٥	واهجرهم هجراً	١٠	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	المدارة شيمة الأنبياء
٢١٦	٦	وذري والمكذبين	١١	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد ووعيد
٢١٧	٧	فمن شاء اتخذ	١٩	إلا أن يشاء الله	٣٠	الدهر	يختلف مورد الآيتين
		سورة المذثر: ١					
٢١٨	١	ذري ومن خلقت	١١	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد صارم
		سورة القيامة: ١					
٢١٩	١	لا تحرك به لسانك	١٦	سنقرؤك فلا تنسى	٦	الأعلى	لاتتافي بين الآيتين
		سورة الدهر: ٢					
٢٢٠	١	فاصبر لحكم ربك	٢٤	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	الصبر شيمة الأنبياء
٢٢١	٢	فمن شاء اتخذ إلى ربه	٢٩	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	يختلف موضوع الآيتين
		سورة عبس: ١					
٢٢٢	١	فمن شاء ذكره	١٢	إلا أن يشاء الله	٣٠	الدهر	يختلف موضوع الآيتين
		سورة التكويد: ١					
٢٢٣	١	لمن شاء منكم أن يستقيم	٢٨	إلا أن يشاء الله	٢٩	التكويد	يختلف موضوع الآيتين
		سورة الطارق: ١					
٢٢٤	١	فمهّل الكافرين	١٧	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد ووعيد
		سورة الغاشية: ١					
٢٢٥	١	لست عليهم بمسيطر	٢٢	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تحديد للمسؤولية
		سورة التين: ١					
٢٢٦	١	أليس الله بأحكم الحاكمين	٨	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	تهديد ووعيد
		سورة العصر: ١					
٢٢٧	١	إن الإنسان لفي خسر	٢	إلا الذين آمنوا	٣	العصر	الاستثناء يغير النسخ

٢٢٨	١	لكم دينكم	٦	فاقتلوا المشركين	٥	براءة	إخبار عن صمود لا ترخيص
-----	---	-----------	---	------------------	---	-------	------------------------

هنا ربما ذهبت معنا آية قُلْ يَبْسُخِرْ، أو كانت تبالقنا غاية
 في الاختصار، ومن ثم أجعلنا الاستيفاء إلى مجال التفسير بعونه تعالى .
 وقد وقع الفراغ ليلة السبت ثامن شوال المكرم سنة ١٣٨٨ في النجف
 الأشرف . وقد د النظر فيه أولاً في شهر رمضان المبارك سنة ١٣٩٧
 وقدم إلى الطبع وأخيراً في محرم الحرام سنة ١٤٢٣ في بلدة قم المقدسة .
 والحمد لله أولاً وآخراً .

محمد هادي معرفه



- ٧٢ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَاذَارُكُمْ فِيهَا ٢٥٨، ٢٣٤، ١٦٦، ٦٦
- ٧٥ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ١٢٤
- ٨٣ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ٣٠٨
- ٩٠ فَبَاؤُوا ١٥
- ٩٦ يَعْمَلُونَ ١١٨
- ١٠٢ مَا تَلَوْا الشَّيَاطِينِ ١٥
- ١٠٦ مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ١٢٤، ٣١
- ١٠٨ كَمَا سُئِلَ ٢٧
- ١٠٩ وَكَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ ... فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ٣٠٨، ٣٠٤
- ١١٥ فَأَيُّمَا تَوَلَّوْا فَوَجَّهَ اللَّهُ ٣٠٩
- ١١٦ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ١١٧
- ١١٧ كُنْ فَيَكُونُ ١٥٤، ١٣١، ١١٦، ٦٨، ٣٣
- ١١٩ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ٢٣٥، ١٦
- ١٢٥ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ٧٣
- ١٣٢ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ ٩٩، ٧٨
- ١٤٣ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ٣٣٠
- ١٤٤ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ٣٠٩
- ١٥٨ وَمَنْ تَطَوَّعَ ١٦
- ١٥٩ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى ... أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ .. ٣٠٩، ٢٧٤
- ١٦٠ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ٣٠٩، ٢٧٤
- ١٦٤ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ ١٢٤
- ١٦٥ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ٢٣٥
- ١٧٣ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ ... فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ٣٠٩، ٢٧٤
- ١٧٨ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ ٣١٠، ٢١
- ١٨٠ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا ٣١٠
- ١٨٢ فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ٣١٩
- ١٨٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ٣١٠
- ١٨٤ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ٢٧٦
- ١٨٤ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ٣١١

- ١٨٥ شَهْرَ رَمَضَانَ ٦٧، ٦٤
- ١٨٥ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ٣١١
- ١٨٦ أُجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ٢٣٥، ١٤٥، ١٣٩
- ١٨٧ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ... وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ ... ٣١٠
- ١٨٩ البيوت ٢٩
- ١٩٠ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ٣١١
- ١٩١ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ٣١١
- ١٩٢ فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٣١٢
- ١٩٣ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ٣١٢
- ١٩٦ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ٣١٢
- ١٩٦ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ ٣١٢
- ١٩٧ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ ٣٠
- ١٩٨ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ٤٠
- ٢٠٠ مَنَاسِكَكُمْ ٦٧
- ٢١٣ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ ٤٠
- ٢١٤ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ ٢٣٦
- ٢١٥ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ الدِّينُ وَالْأَقْرَبِينَ ٣١٢
- ٢١٧ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ٣١٢
- ٢١٧ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ٣١
- ٢١٩ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ... ٣٠، ٣١٣
- ٢١٩ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ٣١٣
- ٢٢٠ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ ٣٢٠
- ٢٢١ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ ٣١٣
- ٢٢٢ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ، قُلْ هُوَ أَذًى، فَاعْتَزِلُوا ... وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ ٧٢، ١٤٦، ١٠٨، ١١٢
- ٢٢٦ فَاوُوا ١٥
- ٢٢٨ وَبُعُوْنَهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ٣١٣
- ٢٢٩ الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ ٣١٤
- ٢٣٠ فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ، فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا ١٠٩
- ٢٣٣ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا ... فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ٣١٤

- ٢٣٤ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ٣١٤، ٣٠٠، ٢٩٩
- ٢٤٠ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ .. ٣١٤، ٢٩٩
- ٢٤١ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ٣٠٠
- ٢٤٦ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ٢٣٦، ١٥١
- ٢٤٧ بَسْطَةً ٩٩
- ٢٥٤ أَنْ يَأْتِي يَوْمٌ ٦٧
- ٢٥٥ يَشْفَعُ عِنْدَهُ ٦٧
- ٢٥٦ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ٣٧٤، ٣١٥، ٣١٤
- ٢٥٩ لَمْ يَسْئَلْ ١٣٨
- ٢٥٩ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ١٤٢، ٩٥، ١٦
- ٢٥٩ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٤٦، ١٦
- ٢٦٠ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ ٢٦
- ٢٦٧ وَلَا تَتَّبِعُوا الْخَيْثَ ٦٧، ٦٤
- ٢٧١ نَعَمًا ١١٦
- ٢٧١ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ ١٦
- ٢٨٠ وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ٢٣٧، ٩٥
- ٢٨٢ وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ٣١٥
- ٢٨٢ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا ٢٣٦
- ٢٨٣ فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ ٢٣٧، ١٥١
- ٢٨٣ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ ٣١٥
- ٢٨٤ وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ٣١٥
- ٢٨٦ لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ٣١٦، ٨٨

آل عمران

- ١٣ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ٢٣٧
- ١٨ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ١٣١
- ٢٠ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ٢٣٧، ١٤٤
- ٢٠ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ٣١٦
- ٢٦ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ٢٣١، ١١٨، ٧٧
- ٣١ يَغْفِرْ لَكُمْ ١١٨

- ٣٦ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ ٢٣٨
- ٣٩ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ١١٨
- ٥٢ أَنْصَارُ اللَّهِ ١١٨
- ٦١ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ١٧١
- ٧٥ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِنطَارٍ ٢٩
- ٧٨ يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ٣٦
- ٨٥ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ٣٠٨
- ٨٦ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ٣١٧
- ٨٩ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ٣١٧
- ١٠٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ٣١٧
- ١٠٦ تَسْوَدُّ وُجُوهُ ٨٩
- ١٣٣ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ١١٧، ٧٩، ١٣
- ١٤١ وَلِيَمَحَّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ٢٩٦
- ١٥٩ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ٣٤٩
- ١٥٩ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ١٣٠، ١٢٤
- ١٨٤ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ١١٧، ١٣

النساء

- ١ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ١٥٠، ١٣٢، ١١٦، ٦٨، ٢٨
- ٢ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ٣٢٠
- ٢ حُبًّا كَبِيرًا ٣١
- ٦ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ، فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ١٠٩
- ٦ وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ٣٢٠
- ٨ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ ٣١٩
- ٩ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ٣١٩
- ١٠ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا ٣٢٠
- ١٥ وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ ... فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ ٣٢١، ٣٠١
- ١٥ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ٢٧٣
- ١٦ وَالَّذِينَ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادَّوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا ٣٢١، ٣٠١
- ١٨ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ ٣٢١

- ١٩ وَلَا تَعْظَلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ٣٢٢
- ٢٢ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ٣٢٢
- ٢٣ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ٣٢٢
- ٢٤ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ٣٢٢، ١٠٩
- ٢٨ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ٣٧٣
- ٢٩ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ ٣٢٣
- ٣١ وَنَدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ٢٣٨
- ٣٣ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيحَهُمْ ٣٢٣
- ٣٤ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ ٢٨٦
- ٣٧ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ ٩٩
- ٤٣ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ ٢٣٨، ١٤٦، ١٠٩، ١٠٣، ٧٢
- ٤٣ لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ٣١٣
- ٤٨ إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ٣٤٦، ٣٢٦، ٣٢١
- ٦٣ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ ٣٢٣
- ٦٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا .. ٣٢٤
- ٦٧ وَإِذَا لَا تِيبَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ١٤
- ٧١ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا ٣٢٤
- ٨٠ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ٣٢٩
- ٨١ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ٣٢٩
- ٨٢ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ٢٩٣، ٢٨٤، ٧١
- ٨٩ و ٩٠ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ٣٠٩
- ٩٠ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ... فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ٣٢٩، ٣٠٩
- ٩١ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ ٣٢٩
- ٩١ فَإِنْ لَمْ يَنْتَهِزُوا لَكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَامَ وَيَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ ٣٠٦
- ٩٢ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤَمَّتَةٍ ٣٢٩، ٣٠٩
- ٩٣ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ٣٢٦
- ١٠٤ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ٢٧
- ١٣٥ وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تُعْرِضُوا ٣٦
- ١٤٠ فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ٣٣٣، ٢٧٤

- ١٤٥ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ٣٢٦
 ١٤٦ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ ٣٢٦
 ١٦٤ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ٤٠

المائدة

- ٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْفَلَاحِيَّةَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتَ ... ٣٢٧
 ٢ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ ٣٢٧
 ٢ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ٣٣
 ٥ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ ... وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ٣٣٩، ٣١٣
 ٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَتَيْنِ ... ١٠٧، ٧٢، ١٤٦، ١٥٩، ١٥٦، ٢٣٨
 ١٣ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ ٣٢٨
 ١٨ أَحِبَّاءُهُ ٦٦
 ٣٣ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا ٣٢٨
 ٣٤ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ ٣٢٩
 ٤٠ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ٢٣٠
 ٤٢ فَإِنْ جَاؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ... وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ ٣٢٩
 ٤٥ النَّفْسُ بِالنَّفْسِ ٣١٠
 ٤٩ وَأَنْ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ٣٢٩
 ٩٠ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ٢٩٩
 ٩١ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ٣١٣
 ٩٩ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ٣٢٩
 ١٠٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ٣٢٩
 ١٠٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ ... حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ... ٣٣٠
 ١٠٦ لِمَنِ الْأَيْمِينَ ٢٧
 ١٠٧ فَإِنْ غُبِرَ عَلَىٰ أُنْهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأُولَيَانِ ... ٣٣١
 ١٠٨ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ٣٣٢
 ١٠٩ الْغُيُوبِ ٢٩
 ١١٢ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ٧٣

الأنعام

- ١٤ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ١٣٠

- ١١٤ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ اتَّخِذْ وَلِيًّا... قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ٣٣٢
- ١٥ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٣٣٢
- ٣٢ وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ ١٢١
- ٥٦ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا ٣٣٢
- ٥٧ يَقُصُّ الْحَقُّ ١٤٣، ٩٦
- ٦٦ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ٣٣٣
- ٦٨ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ٣٣٣
- ٦٩ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ٣٣٣، ٢٧٤
- ٧٠ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا ٣٣٤
- ٩٠ فَبَهْدَاهُمِ افْتَدَاهُ ٢٣٩، ١٤٩
- ٩١ ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يُلْعَبُونَ ٣٣٤
- ١٠٤ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ ٣٣٤
- ١٠٦ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ٣٣٤
- ١٠٧ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ٣٣٩
- ١٠٨ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ٣٣٩، ٣٠٨
- ١١١ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَاهُ إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى ... مَا كَانُوا لِلْيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ٣٥٠
- ١١٢ فَذَرَهُمْ وَمَا يَفْقَرُونَ ٣٣٩
- ١٢١ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ ٣٣٩
- ١٢٥ كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ٧٣
- ١٣٥ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ٣٣٦
- ١٣٧ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ ٢٣٩، ١٥٠، ١٣١، ١٢٦، ٧٣، ٦٨، ٣٤، ٢٨
- ١٣٨ هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ حِجْرٌ ٩٢
- ١٥٩ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم ٣٣٦

الأعراف

- ٦ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ٢٣٩
- ١٠ لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشٌ ٦٦، ٣٢
- ٢٩ بَدَأَكُمْ ٦٦
- ٥٧ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ٢٣٩، ١٥٧
- ٦٠ قَالَ الْمَلَأُ ٧٩

- ١١١ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ٦٦.٣٣
 ١٥٠ فَلَا تَشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءِ ١٥٤، ١٥٠، ١٣١، ١٢٦، ١٢٣، ٣٦
 ١٦٦ عَتُوا ١٩
 ١٨٠ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ٣٣٦
 ١٨٨ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ٢٣١
 ١٩٩ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ٣٣٧
 ٢٠٥ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ٣٥٠

الأنفال

- ١ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ ٣٣٧، ٢٧
 ٧ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ ٦٤
 ٣٢ إِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْ لَنَا عَذَابَ أَلِيمٍ ٣٣٨
 ٣٣ وَمَا كَانَ لِلَّهِ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ٣٣٨
 ٣٤ وَمَا لَهُمْ أَنْ لَا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ٣٣٨
 ٣٨ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ٣٣٩
 ٣٩ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ٣٣٩
 ٤١ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى ٣٣٧
 ٥٧ فَإِمَّا تَثَقَّفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ ٣٦٨
 ٥٨ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ ٣٢٨
 ٦١ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ٣٣٩، ٣٠٦
 ٦٢ وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ ٢٣٢
 ٦٥ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ ... وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا ٣٤٠، ٣٠٤، ٢٩٧
 ٦٦ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ ٣٤٠، ٢٩٨
 ٧٢ مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ ٣٣
 ٧٢ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا ... وَالَّذِينَ آوَوْا وَتَصَرَّوْا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ... ٣٤٠، ٣٠٢
 ٧٢ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ ٣٠٣
 ٧٢ وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ ٣٠٩
 ٧٥ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ ٣٢٣

التوبة

- ١ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٣٠٩

- ٢ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ٣٤٠
- ٥ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ ٣٦٧، ٣٤٠، ٣١٦، ٣١٢، ٣١١، ٣٠٧، ٣٠٤
- ٥ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ٣٤٠
- ٢٦ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا ٣٣
- ٢٨ إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ٣٢٧
- ٢٩ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ... حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ٣٢٨، ٣٠٨، ٣٠٧، ٣٠٤
- ٣٤ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ٣٤١
- ٣٦ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ٣٠٧
- ٣٩ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ٣٤١
- ٤٢ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْغُوكَ ... وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ٣٤٢
- ٤٣ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ٣٤٢، ٣٤١
- ٤٤ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ٣٤٢
- ٤٥ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ٣٤٢
- ٤٦ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ٣٤٢
- ٤٩ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ٣٤٢
- ٥٦ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ ٣٤٢
- ٦٠ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ٣١٢، ٢٥٩، ٢٥٤
- ٨٠ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ... فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ٣٤٣، ٣٢٤، ٩٣
- ٩٧ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ٣٤٣
- ٩٨ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَائِرَ ٣٤٣
- ٩٩ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ ٣٤٣
- ١٠٠ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ١٤٠، ٤٠
- ١٠٠ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ١٤٣، ١٢١، ١١٧، ٩٧
- ١٠١ مَرَدُّو عَلَى النَّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ٣٤٢
- ١٠٣ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ٣١٣
- ١١١ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ١٤٨، ٩٩
- ١١٣ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى ٣٤٩
- ١٢٢ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ٣٤١، ٣٢٤
- ١٢٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ٣٠٦

يونس

- ١٤ لننظر كيف تعملون ١١٨
- ١٥ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٣٤٣
- ١٦ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ ١٥٤، ١٢٦، ٣٩، ٢٦
- ٢٠ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ٣٤٤
- ٢٢ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ ٧٩
- ٣٠ تَبَلَّوْا ٩٩، ١٨
- ٣١ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ٢٣١
- ٣٥ يَهْدِي ١١٦
- ٤١ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ... ٣٧٦، ٣٤٤
- ٤٦ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ٣٤٤
- ٨٩ وَلَا تَتَّبِعَانِ ١١٦
- ٩٢ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَلِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ١١٦، ٩٩، ١٨، ١٦
- ٩٩ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٣٤٤
- ١٠٢ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ٣٤٩
- ١٠٨ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ٣٤٩
- ١٠٩ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ٣٤٩

هود

- ١٢ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ٣٤٩
- ١٥ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ٣٤٩
- ٤٢ يَا بَنِي آدَمَ ارْكَبُوا مَعَنَا ٢٣٩
- ٤٤ غِيضٌ ٨٩
- ٧٨ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ٩٤، ٦٣، ٣٢
- ١٠٥-١٠٨ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ. فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ ... وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ ٣٥٣
- ١٢٠ نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ ٣٥٤
- ١٢١ و ١٢٢ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ٣٤٦

يوسف

- ٧ آيَاتُ اللَّسَّانِينَ ٧٧، ٦٩
- ١٠ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ ٧٧، ٦٩، ١٨

- ١١ مَالِكَ لَا تَأْمَنَّا ٨٩
- ١٢ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَزْتَعِ وَيَلْعَبَ ١٦٨، ١١٦، ٧٠، ٦٩، ٦٨
- ٢٣ هَيْتَ لَكَ ١٤٨، ١١٨
- ٢٤ الْمُخْلَصِينَ ٧٠
- ٣٠ وَقَالَ نِسْوَةٌ ١٥١
- ٣٢ لِيَكُونًا مِنَ الصَّاعِرِينَ ١٤
- ٤٥ وَادْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ ١٤٣، ٩٨، ٩٩، ٧٢
- ٦٥ رُدَّتْ ٨٩
- ٧٦ مِنْ وَعَاءٍ أَخِيهِ ٢٩
- ٧٦ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ٢٦٦
- ٧٨ وَلَا تَيَاسُؤُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ١٩
- ٨٠ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا ١٢٣، ٣٧، ٣٢
- ٨٦ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي ١٩
- ٩٠ يَتَّقُ وَيَصْفِرُ ١٥٠، ١١٦، ٦٨
- ١٠٣ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ٣٤٩
- ١١٠ قَدْ كَذِبُوا ٧٤

الرعد

- ٤ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ ٧٠
- ٦ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ٣٤٦
- ٣١ أَفَلَمْ يَيَاسِ الَّذِينَ آمَنُوا ١٩
- ٣٩ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ٢٧٠
- ٤٠ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ ٣٤٦

إبراهيم

- ١٧ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ ١٦٨، ٦٩
- ٢٢ وَمَا أَنْتُمْ بِمُضْرَجِيٍّ ١٢٦، ٣٦
- ٣٤ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ٣٤٦
- ٣٧ أَفَنَدَّةٌ مِنَ النَّاسِ ١١٦، ٦٨

الحجر

- ٣ ذَرَهُمْ يَا كُلُّوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٣٤٧

- ٩ إنا نحنُ نزلنا الذكرَ وإنا له لحافظون ٣٥٢، ٢٧٧، ١٤١، ١٣٤، ٧٩
- ٤٤ جزءٌ مفسومٌ ٢٦
- ٤٥ و عيون ٢٩
- ٥٤ قِيمٌ يُبَشِّرُونَ ١٣٢
- ٨٥ فاصفح الصفح الجميل ٣٤٧
- ٨٨ لا تمدن عَيْنَكَ إلى ما مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ ٣٤٧
- ٨٩ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ٣٤٧
- ٩٤ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ٣٤٧

النحل

- ٥ لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ ٢٥٨، ٢٣٤، ١٦٦، ٢٧
- ١٨ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ٣٤٧
- ٣٧ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ ٢٤٠
- ٦٧ تَتَخَذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ٣٤٨
- ٨٢ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ٣٤٨
- ١٠٦ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ ٣٤٨
- ١٢٥ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٣٤٩، ٣٣٧، ٣٠٨
- ١٢٧ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ٣٤٩

الإسراء

- ١٨ مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ٣٦٩، ٣٤٩
- ١٩ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ ٣٦٩
- ٢٣ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ٤٠، ١٩
- ٢٤ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ٣٤٩
- ٥٤ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ٣٤٩
- ٧٤ وَلَوْلَا أَنْ تَبَتَّنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ٣٥٤
- ٨٠ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ٢٣٨
- ٩٣ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ ٩١
- ١١٠ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَانَ ... وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ٣٥٠

الكهف

- ٢٣ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ١٩

- ٢٤ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ٣١
- ٢٩ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً ... وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا ٣٥٠، ٣١٩
- ٣٣ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا ٢٤٠
- ٣٤ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ٢٤٠
- ٣٦ مِنْهَا مُنْقَلَبًا ١١٧
- ٤٢ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ ٢٤٠
- ٤٤ هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ ٣٣
- ٥٨ مَوْتَلًّا ١١٨
- ٥٩ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ٢٤٠
- ٦٠ لَا أَبْرَحَ حَتَّى ٦٧
- ٦٣ وَمَا أُنْسَانِيهِ ١٣٨
- ٩٧ فَمَا اسْطَاعُوا ١١٦، ٦٧، ٦٤

صريم

- ٢٦ فَأَمَّا تَرِينٌ مِنَ الْبُشَيْرِ أَحَدًا ٢٦
- ٢٦ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا ٩١
- ٣٩ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ٣٥١
- ٥٩ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ٣٥١
- ٦٠ إِلَّا مَنْ تَابَ ٣٥١
- ٧٥ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَانُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ ٣٥١
- ٨٤ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعِدُّ لَهُمْ عَذًّا ٣٥١
- ٩٠ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَنَطَّرْنَ مِنْهُ ٢٤٠، ١٥١

طه

- ١ طه ٢٤١
- ١٥ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ٩٧
- ٦٣ إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ٢٤١، ١٤٩، ١٣٩، ١١٦
- ١١٤ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ ٣٥١
- ١١٤ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ٣٥٢
- ١٣٠ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ٣٥٢
- ١٣٥ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا ٣٥٣

الأنبياء

- ٨٨ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ٢٤١، ١٥١، ١١٦، ٣٣
- ٩٥ وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ١٧
- ٩٨ إِنَّا أَنْتُمْ وَمَا تُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ٣٥٣
- ٩٩ وَ ١٠٠ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ. لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ ٣٥٣
- ١٠١ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ٣٥٣
- ١٠٩ أَدْرِي أَقْرَبُ ٦٦

الحج

- ١١ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ٩٠
- ٣٩ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُعَاتِلُونَ بَيْنَهُمْ ظُلُمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ٣٣٧، ٣٠٦، ٣٠٤
- ٤٠ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَغِيرَ حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ٣٠٦
- ٤٦ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ١٣
- ٤٩ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ٣٥٣
- ٥١ سَعَوْا ١٩
- ٥٢ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ٣٥٤
- ٥٦ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ٣٥٤
- ٦٧ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ ٣٥٩
- ٦٨ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ٣٥٩، ٣٥٤
- ٦٩ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ٣٥٩
- ٧٨ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ٣٥٩، ٣١٧

المؤمنون

- ٦٥ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٣٢٢
- ٧ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٣٢٢
- ١٥ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيُّونَ ٢٦
- ٢٠ تَبَيَّنَ بِالذَّهْنِ ٧١
- ٥٠ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ٧٧، ٦٩
- ٥٤ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ٣٥٩، ٨٩
- ٩٦ ادْفَعْ بِآتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ٣٥٩

النور

- ٣ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين... ٣٥٦
- ٤ ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ٣٥٧
- ٥ إلا الذين تابوا ٣٥٧
- ١٥ إذ تلقونه بالسنتكم ١٤٢، ١٣٩، ٩٩، ٧٣
- ٢٢ ولا ياتل أولو الفضل منكم ١٤٣، ٩٩
- ٢٧ لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأمنوا وتسلموا على أهلها ٣٥٧
- ٢٩ ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة فيها متاع لكم ٣٥٧
- ٣١ جويهن ٢٩
- ٣١ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ٣٥٧
- ٣٢ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ ٣٥٦
- ٣٥ كَوَكَبٌ دُرِّي ٢٦
- ٥٤ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ٣٥٧
- ٥٨ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ٣٥٧
- ٥٩ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا ٣٥٨
- ٦٠ والقواعد من النساء اللاتي لا يرزجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ٣٥٧
- ٦١ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ ٣٢٣
- ٦٢ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ٣٤١
- ٦٢ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ ٣٤١

الفرقان

- ٣ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ٢٣١
- ٣٢ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ٣٥٤
- ٤٨ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ٢٥٩
- ٦٣ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ٣٥٨
- ٦٨ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ٣٥٨
- ٧٠ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ٣٥٨

الشعراء

- ٦١ تراءى ٦٦
- ١٤٨ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ٩٧

- ١٧٦ الأَيْكَةِ ١١٦، ٦٨
 ١٩٣ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ٢٤٢، ٢٣٤
 ١٩٤ و ١٩٥ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. يَلْسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ٢٣٤
 ٢١٠ وَمَا تَنْزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ١٥٤، ١٥٠، ١٢٦، ٣٦
 ٢٢٤-٢٢٦ وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ. أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ. وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ .. ٣٥٨
 ٢٢٧ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا ٣٥٨

النمل

- ٢١ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبُحَنَّهُ ١٨
 ٢٢ سَبَأً ١١٦، ٦٧
 ٢٥ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْأَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ٢٥٨، ٢٣٤، ١٦٦، ٧٢
 ٤٤ سَاقِيهَا ١١٦، ٦٨
 ٦٦ يَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ١٨
 ٩٢ وَمَنْ ضَلَّ قَعْلًا فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ ٣٥٨

القصص

- ٤٨ سحران تظاهرا ٦٦
 ٥٥ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِي ٣٦٦، ٣٥٩
 ٥٦ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ٣١٧

العنكبوت

- ٢٠ النِّشَاءُ ١١٨
 ٤٦ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٣٥٩
 ٥٠ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ ٣٥٩
 ٥٨ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا ١٦

الروم

- ١٠ أَسَاءُوا وَالسَّوَأَى ٢٧
 ٢١ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤٣
 ٢٢ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ٢٤٣
 ٢٤ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٢٤٣
 ٣٠ لَا تَبْدِيلَ لِّخَلْقِ اللَّهِ ١٣٨
 ٣٩ فَلَا يَرِيحُوا ١٩

٤٦ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ ٢٣٩، ١٥٧

٥٤ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ٢٢٩

٦٠ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٣٥٩

لقمان

١٢ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ٢٤٣، ٦٧

١٣ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ٣٠

٢٣ و ٢٤ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ ... نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَقْطِرُ لَهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ ٣٦٠

٢٧ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ٩٣

السجدة

٢٨ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٣٦٠

٣٠ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ ٣٦٠

الأحزاب

٦ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ ٣٤٠، ٣٠٣

٢١ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ٢٨٩

٤٨ وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ٣٦٠

٥٠ إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ٣٦١

٥٢ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ ٣٦١

٦١ أَيَنْمَأْتِمْ تَقْتُلُوا أَخْذُوا وَقَتُّلُوا تَقْتِيلًا ٣٠٦

سبا

١٧ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ١٤٧، ١٤٦، ٩٩

١٩ رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ١٤٩، ٩٩، ٧٢

٢٣ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ ١٤٣، ١٢٤، ٩٦

٢٥ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجِرْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ٣٦١

٤٧ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ٣٦٩

فاطر

٨ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ ٣٦٠، ٣٤٩

١٢ سَائِغُ شَرَابُهُ ٢٧

٢٢ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ٣٦١

٢٣ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ٣٦١

- ٢٥ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ٣٦١
 ٢٨ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ١٤٦، ١٤٠، ١٣٠، ١٢٣، ٤١
 ٤٣ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ٢٣٣، ١٥٧، ١١٦، ٦٨، ٣٦

يس

- ٢٢ وَمَالِي لَا أُعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٣٣٢
 ٢٩ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً ٩٦
 ٣٥ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ١٤٣، ٩٦
 ٦٠ أَلَمْ أَعْهِدْ إِلَىكُمْ ٨٩
 ٧٦ فَلَا يَخْزِنَكَ قَوْلُهُمْ ٣٦٢

الصفات

- ٦١ لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ٢٠١
 ١٢٣ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٢٤٣، ١١٦
 ١٣٠ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ٢٤٣، ٩١
 ١٧٤ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ٣٦٢
 ١٧٥ وَأَبْصُرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ٣٦٢
 ١٧٦ و ١٧٧ أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَغْجِلُونَ، فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ٣٦٢
 ١٧٨ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ٣٦٢
 ١٧٩ وَأَبْصُرْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ٣٦٢

ص

- ٢٣ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً ٩٧
 ٣٣ بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ٢٩
 ٦٥ إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ ٣٦٢
 ٧٠ أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ٣٦٢
 ٨٨ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ٣٦٢

الزمر

- ٣ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ٣٦٢
 ٧ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ٣٦١، ٣٥٧
 ٩ أَمِنْ هُوَ قَائِتٌ ٣٣
 ١٣ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ٣٦٣

- ١٥ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ٣٦٣
- ٢٣ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ٣٦٣
- ٢٨ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ١٥٣، ١٤٩
- ٣٩ و ٤٠ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِبِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ. مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ ٣٦٣
- ٤١ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ٣٦٣
- ٤٥ اِسْمَاءُ ٦٦
- ٤٦ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ ٣٦٣
- ٦٩ جَاءَ ١١٨

غافر

- ٧ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ٣٦٤
- ١٢ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ٣٦٣
- ٢١ أَشَدَّ مِنْهُمْ ٩٩، ٩٨
- ٤١ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ٧١
- ٥٥ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ٣٦٤
- ٦٧ شيوخاً ٢٩
- ٧٧ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ ٣٦٤

فصلت

- ٣ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ١٤٩
- ٣٠ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ٣١٩
- ٣٤ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ٣٦٤، ٣٥٦
- ٣٦ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ٣٥٤
- ٤٢ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ٢٧٩، ٢٦٧

الشورى

- ٥ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ٣٦٤
- ٦ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ٣٦٤
- ٧ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ٣٥٣
- ١٥ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَاحِجَةً بَيْنَنَا ٣٦٤
- ١٦ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ ٣٦٩
- ٢٠ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ٣٦٩

- ٢٣ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ٣٦٩
 ٣٩ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ٣٦٦
 ٤١ وَلَمَنِ اتَّصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ٣٦٦
 ٤٣ وَلَمَنِ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ٣٦٦
 ٤٨ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ٣٦٦

الزخرف

- ٣٨ جَاءَنَا ١٤
 ٤١ فَأَنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ٣٦٦
 ٨٣ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ٣٦٦
 ٨٩ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٣٦٦

الدخان

- ٤٣ و ٤٤ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ ٩١
 ٥٩ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ٣٦٧

الجاثية

- ١٤ لِيَجْزِيَ قَوْمًا ١١٦، ١٣٢
 ١٤ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ ٣٦٧، ٣٠٣

الأحقاف

- ٩ وَمَا أَذْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ٣٦٧
 ١٢ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانِ أَعْرَبِيًّا ١٤٩
 ٣٥ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ٣٦٧

محمد

- ٤ فَمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّا فِدَاءٌ. حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا. ٣٦٧، ٢٩١
 ٢٣ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ١٣
 ٣١ نَبَلُوا أَخْبَارَكُمْ ١٩
 ٣٥ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ٣٣٩
 ٣٦ وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ ٣٦٨
 ٣٧ إِنْ يَسْأَلْكُمْوَهَا فَيُخْفِكُمْ تَبَخَّلُوا وَبَخَّلُوا ٣٦٨

الفتح

- ٢ لِيَعْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ٣٦٧، ٣٦٣، ٣٤٤، ٣٣٢

- ١٠ بما عاهدَ عَلَيْهِ اللهُ ١٣٨
 ٢٩ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوْدِهِ ٢٩

الحجرات

- ٦ إِنْ جَاءَ كُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ١٤٢، ١٦
 ٩ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ٢٧٣
 ١٤ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ٣١٩

ق

- ١٠ وَالنَّخْلَ بِاسْقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ٩٧، ١١
 ١٩ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ١٤٨، ١٤٠، ٩٩، ٩٦، ٤١
 ٢٤ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ١٨٤
 ٣٩ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ٣٦٨
 ٤٥ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ٣٦٨

الذاريات

- ١٩ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلْسَائِلِ وَالْمَحْرُومِ ٣٦٩
 ٥٤ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ٣٦٩
 ٥٥ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ٣٦٩

الطور

- ٢١ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ٣٧٠
 ٣١ قُلْ تَرَبُّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ٣٦٩
 ٤٨ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ٣٦٩

النجم

- ٢٩ فَأَعْرِضْ عَنْ تَوَلَّيَ عَنْ ذِكْرِنَا ٣٦٩
 ٣٠ ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ٣٦٩
 ٣٩ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ٣٧٠
 ٥٠ عَادًا الْأُولَى ٢٤٣، ١٤

القمر

- ٦ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ٣٧٠

الواقعة

- ٩ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ٢٧

- ١٣ و ١٤ ثَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ٣٧١، ٢٧٣
 ١٧ يَصُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ ٢٤٤
 ٢٢ وَحُورٌ عِينٌ ٢٤٤
 ٢٩ وَطَلَحَ مَنْضُودٍ ٩٧، ٩٦، ١١
 ٣٩ و ٤٠ ثَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ٣٧١، ٢٧٣

الحديد

- ٢٤ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ١٤٣، ١١٧، ٩٦

المجادلة

- ١٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ٣٧١، ٢٩٦
 ١٣ ءَاسْفَقْتُمْ أَنْ تُتْقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ. فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ٣٧١، ٢٩٦، ٢٨٣

الحشر

- ٩ تَبَوَّأُوا الدَّارَ ١٩
 ١٣ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ٢٩٨
 ٢٣ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ ٧٧
 ٢٤ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ١٣٠

المتحنة

- ٨ لَا يَتْنَاهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ ٣٧٢
 ١٠ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ ... وَآتَوْهُنَّ مَا أَنْفَقُوا ... وَلَيْسَ أَلْوَنَ مَا أَنْفَقُوا ٣٧٢، ٣٠٩
 ١١ فَأَتَوْا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ٣٧٢

الجمعة

- ٩ فَاسْعُوا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ١٤٣، ٩٩

المنافقون

- ١ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ٢٣٣، ١٥٧
 ٦ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ٣٤٣

التغابن

- ١٦ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ٣٥٩، ٣١٧

الطلاق

- ٢ وَأَشْهِدُوا ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ ٣٣١

التحريم

- ٤ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ١٤

٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ٣٣٠
الملك

٣ مِنْ تَفَاوُتٍ ٣١
القلم

٣٢ عَسَى رَبُّنَا ٢٣٦، ١٥١

٤٤ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ٣٧٢

٤٨ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ٣٧٢

الحاقة

١٩ كِتَابِيَّةٌ ١٣٩

٢٠ حِسَابِيَّةٌ ١٣٩

٢٨ مَالِيَّةٌ ١٣٩

٢٩ سُلْطَانِيَّةٌ ١٣٩

المعارج

٥ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ٣٧٢

١٥ و ١٦ كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْلَى. نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى ٢٤٤

٤٢ فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا ٣٧٢

المزمل

٢ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ٣٧٣

٣ نِصْفَهُ أَوْ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ٣٧٣

٤ وَرَزَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ٢٥٤

٥ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ٣٧٣

٦ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً ٩٢

١٠ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ٣٧٣

١١ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ ٣٧٣

١٩ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ٣٧٤

المدثر

٥ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ٢٤٩

١١ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ٣٧٤

٤٢ مَا سَلَكَكُمْ ٦٧

القيامة

- ٢١ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ٢٤٩
 ١٦ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجْعَلَ بِهِ ٣٧٤
 ١٧-١٩ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ٣٧٤، ٣٥٢
 ٢٧ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ٢٤٩
 ٣٧ مِنْ مَنِيٍّ يُنْهَى ٢٤٩

الإنسان

- ٢٤ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آيْمًا أَوْ كَفُورًا ٣٧٩
 ٢٩ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ٣٧٩
 ٣٠ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ٣٧٩، ٣٧٤

المرسلات

- ١١ وَإِذَا الرُّسُلُ وَقَّتْ ٢٦

النبأ

- ٦ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ١٧

عبس

- ١٢ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ ٣٧٩

التكوير

- ٢٤ وَمَا هُوَ عَلَىٰ الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ١٤٣، ٩٨
 ٢٨ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ٣٧٩
 ٢٩ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ٣٧٩

الانفطار

- ١٩ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ٢٣١

المطففين

- ١٤ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ٢٤٩
 ٣١ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ٢٤٩

الطارق

- ١٦ وَأَكِيدُ كَيْدًا ٣٧٩
 ١٧ فَهَلْ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُؤُودًا ٣٧٩، ١٣٨

الأعلى

- ٦ سَفَرُنُكَ فَلَا تَنْسَى ٣٧٤، ٣٥٤، ٣٥٢، ٣١

- ٧ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ٣١
الغاشية
- ٢١ و ٢٢ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ. لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ ٣٤٤، ٣٧٦، ٣٢٩، ٣٢٩، ٢٣٩
الفجر
- ١٥ أَكْرَمِينَ ١٣٩
١٦ أَهَانِينَ ١٣٩
٢٥ و ٢٦ لَا يَعْذُبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ. وَلَا يُوثِقُ وَثْقَهُ أَحَدٌ. ١٣٦، ٦٩
الليل
- ٣ الذَّكَّرَ وَالْأُنْثَى ٩٩
التين
- ٨ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ٣٧٦
العلق
- ١ إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٧١
١٥ لَنَنْفَعَا بِنَاصِيَةٍ ١٤
١٨ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ١٣٨
القارعة
- ٥ كَالْبُهْنِ الْمُنْفُوشِ ٩٦، ٩١
العصر
- ٢ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ٣٧٦
٣ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ٣٧٦
قريش
- ٢ إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ١٤
الكافرون
- ٥ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ٣٧٦
٦ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ٣٧٦
المسد
- ٤ وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ٢٤٦
الإخلاص
- ٤ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ٢٤٦، ١٤٩، ٣١، ٢٧
الناس
- ٢ ملك الناس ١١٨